

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الرابع - العدد 27 - يناير 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرفة العامة: د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: أ. جمال بلبكي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دورياً عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:
علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا).
- د. ديبش فاتح (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قالمة، الجزائر).
- أ.م.د فليح مضحي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
- د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر).
- أ.م.د السيد محمد سالم سالم العوضي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
- د. رضوان شافو (جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، الجزائر).
- رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة ٢، الجزائر).

اللجنة العلمية:

- د. نعموني مراد (جامعة لونييسي علي، البليدة ٢، الجزائر).
- د. براك خضراء (جامعة تبسة، الجزائر).
- أ.م.د داود عبد القادر إيليغا (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
- د. بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر).
- د. بشرى سعدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
- د. مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
- د. طيب العيادي (جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب).
- د. ساسي سفيان (جامعة الطارف، الجزائر).
- د. تاج الدين المناني (جامعة كيرالا، الهند).

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد:

- د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).
- د. أسماء سالم علي عربي (الجامعة الأسمرية، ليبيا).
- د. اليسع حسن أحمد (جامعة طرابلس، ليبيا).
- د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس).
- د. رحاب فايز أحمد سيد (جامعة بني سويف، مصر).
- د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون).
- د. سليمان فايز قديح (جامعة الأزهر - غزة، فلسطين).
- د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة، الجزائر).
- د. لطيفة علي الكميشي (جامعة طرابلس، ليبيا).
- د. هديبل يمينة (جامعة البليدة ٢، الجزائر).
- د. وليد رفيق محمد العياصرة (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
- د. حمد محمود محمّد الدوّخي (جامعة تكريت، العراق).
- د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن. وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 9 • الافتتاحية
- 11 • السرعة و إدراك الخطورة على المجال الطرقي، نور الدين أهرة/جامعة محمد الخامس الرباط،(المغرب).
- 23 • اضطراب الوسواس القهري: هل التعافي منه ممكن؟ د. وردة رشيد بلحسيني/جامعة ورقلة،(الجزائر).
- 37 • الجذور التاريخية لعلم اجتماع البيئة في فكر ابن خلدون، وفاء لعريط، جامعة ٢٠ أو ١٩٥٥ سكيكدة،(الجزائر).
- 47 • الفكر السياسي عند عبد الرحمن بن خلدون (٨٠١ هـ / ١٤٠ م)، أ.حمزة نش/ المركز الجامعي تيسمسيلت ، أ. إلهام قاتل/جامعة المسيلة (الجزائر).
- 65 • مستقبل الاستثمار في الطاقات المتجددة بالجزائر في ظل الرهانات الاقتصادية، أ.عزوز نش/جامعة غرداية، أ.حفيفة بوهالي/جامعة الجزائر^٣،(الجزائر).
- 83 • الاستشهادات المرجعية الورقية والإلكترونية وفقا للمعايير الدولية الأربعة (ISO 690- APA- MLA- CM) في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية د.بوراس كاهينة/جامعة مولود معمري، تيزي وزو،(الجزائر).
- 99 • الأخلاق والحضارة عند فرويد ودوركايم أ.محمد خيدون/جامعة مولاي اسماعيل، المغرب
- 111 • إشكالية البحث في التراث المعماري الواحي: دراسة نموذجية للقصور والقصبات والمخازن الجماعية بواحات إقليم طاطا، د. امبارك بوعصب، أستاذ التعليم العالي مساعد/المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، القنيطرة،(المغرب)
- 127 • الصحافة بين قيم العولمة و الهوية الإسلامية أ.د. عبد القار سلامي/جامعة تلمسان، أ.صالح بلعالية/جامعة مستغانم (الجزائر).
- 143 • تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري: دراسة ميدانية لطلبة جامعة مستغانم أنموذجا الباحثة أسهمان كسيرة/جامعة مستغانم (الجزائر).
- 159 • ظاهرة عمالة الأطفال في الجزائر من منظور نفسي اجتماعياً. فرحات بن ناصر وأ. بوجمعة

حريزي/جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر).

- 171 • مفهوم الجودة في التعليم العالي أ. قاصدي فايزة وأطبيب فتيحة/جامعة تيارت (الجزائر).
- 185 • ظاهرة جريمة الاغتصاب بين علم الاجتماع والقانون د.عاقلي فضيلة/جامعة باتنة، الجزائر

مقالات باللغات الأجنبية

- 205 • The logical analysis of belief in Russell's philosophy Damouche Ouahiba/University of Boumerdes.
- 221 ▪ L'efficacité du traitement familial dans le redressement des relations et son impact sur le comportement agité chez l'enfant handicapé, Houti Souad université de Tlemcen, Touhami Soufyane université de Saida.
- 229 • L'Afrique face à un défi climatique, Khaouni DIFFALAH, Université de M'sila.
- 241 • The impact of internet addiction among the Student In University of Bahri College of medicine Science -2016 Dr. KHALID HAROON FADL MAHMOOD/University of Bahri/Sudan.

الإفتاحفة

اللهم صل على سفدنا محمد وعلى آل سفدنا محمد، صلاةً تكون لك رضاءً ولحقه أداءً وأعطه الوسفلة والمقام المحمود الذي وعدته، والحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم والمعرفة، أما بعد:

فسر هفئة تحرير مجلة "فيل العلوم الانسانية والاجتماعفة"، أن تضع بفن أيدي قرائها العدد السابع والعشرفن والذي تضمن سبعة عشر بحثاً منوعاً من ناحية الموضوعات ومن ناحية جنسفة الباحثفن ومن ناحية لغات النشر، وذلك قصد فتح آفاق شاسعة للبحث العلمي في كل مجالات العلوم الإنسانية، ونأمل أن تكون هذه البحوث عاملاً إيجابياً لتفاعل القراء مع الباحثفن، فففقدموا بنقدهم البناء، في علاقات تواصل فنتج عنه ارتقاء المجلة، واستمرار الجودة في مسفرة البحث العلمي.

هذا وفتح المجلة أبوابها لقرائها للتفاعل معها من خلال موقعها على الشبكة العنكبوتفة وبرفدها الإلكتروني، بإبءاء ملاحظاتهم وتقديم مقترحاتهم التي فرون أنها فمكن أن فدفق المجلة لاصءار مردود ففء يساهم في فطوفر البحث العلمي والارتقاء به.

وكلنا أمل أن فواصل دعمكم العلمي واستمرار إثراءها بأبحاثكم ودراساتكم، ومقترحاتكم، لكي فكتب لها النجاح والاستمرار فتممكن من القيام بدورها الذي أسست من أجله.

والله ولف التوففق والنجاح

رففس التحرير / أ. جمال بلبكاف

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2017

السرعة و إدراك الخطورة على المجال الطرقي

الباحث نور الدين أهرة/جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب

ملخص :

توجد سرعة السياقة على المجال الطرقي في نقطة التقاطع بين إكراهات تسهيل تنقل الأشخاص والبضائع الذي يعد عصب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبين متطلبات السلامة الطرقية وأحيانا حتى السلامة البيئية.. وقد أكدت العديد من الدراسات أن التخفيض من السرعة المعمول بها على الصعيد القطري يساهم بشكل مباشر في التخفيض من عدد الحوادث ومخلفاتها. كما تعد السرعة من بين أهم المؤشرات على إدراك الخطر الطرقي في صفوف السائقين على الخصوص، لأنها تمكن من ضبط مستويات المخاطرة المقبولة.

سنعمل من خلال هذا المقال على مقارنة سلوكات وممارسات السائقين بالمغرب في التعامل مع السرعة القانونية ومدى إدراكهم لخطورة الممارسات المرتبطة بها.

مقدمة:

تعد السلامة الطرقية من بين المجالات التي تحظى بأهمية بالغة في مجال الصحة العمومية على الصعيد العالمي بالنظر إلى الآثار الاجتماعية والاقتصادية التي تخلفها حوادث السير بمختلف بلدان العالم. فحسب الإحصائيات الرسمية التي تصدرها منظمة الصحة العالمية يموت أزيد من ١,٢ مليون شخص سنويا من جراء حوادث السير؛ بمعدل ٣٠٠ قتيل في اليوم. هذه الوضعية الوبائية مرشحة إلى مزيد من الارتفاع بالنظر إلى الإكراهات الاقتصادية التي تعيشها المجتمعات في ظل عولمة متنامية تراهن على تعزيز وثيرة الحركية المجالية للأشخاص والبضائع من أجل الرفع من نسب النمو الاقتصادية. فإلى حدود سنة ١٩٩٩ كانت حوادث السير تحتل المرتبة التاسعة في سلم ترتيب أسباب "السنوات الضائعة نتيجة الوفيات المبكرة وفقدان الصحة" في العالم، في حين تذهب التقديرات إلى أنها ستحتل المرتبة الثالثة ضمن هذه الأسباب في أفق سنة ٢٠٢٢ متقدمة في ذلك على الحروب، التي ستأتي في المرتبة الثامنة، وفيروس نقص المناعة المكتسبة الذي سيحتل المرتبة العاشرة^١.*

^١ منظمة الصحة العالمية، التقرير العالمي عن حالة السلامة على الطرق. آن الأوان للتحرك، جنيف، ٢٠٠٩، ص.٢٠.

*- ومن أجل التصدي إلى هذه الوضعية والتنبيه إلى خطورتها، بادرت منظمة الصحة العالمية منذ سنة ١٩٧٤ إلى دق ناقوس الخطر واعتبار حوادث السير من بين أخطر القضايا في مجال الصحة العمومية داعية الدول الأعضاء إلى التصدي لها بما يكفي من الجدية، كما عملت سنة ٢٠٠٤ على إقرار يوم وطني للوقاية من حوادث السير ومخلفاتها الاقتصادية والاجتماعية.

وعلى غرار مختلف الظواهر الاجتماعية، السلبية منها على الخصوص، فإن المعاناة من حوادث السير ومخلفاتها الاجتماعية والاقتصادية يختلف بين الدول حسب درجة نمائها، حيث يمثل عدد القتلى في صفوف مستعملي الطريق بالدول النامية حوالي ٨٠ في المائة من مجموع الضحايا على الصعيد العالمي، مع العلم أن حظيرة السيارات في هذه الدول لا تمثل سوى ٤ في المائة من الحظيرة العالمية للسيارات. وإذا استحضرننا التطور الكبير في مستوى الخطورة الذي سيعرفه مجال السلامة الطرقية خلال السنوات المقبلة، أمكننا استنتاج حجم العبء الذي ستعاني منه الدول النامية على هذا المستوى .

تحتل إشكالية انعدام السلامة الطرقية بالمغرب مكانة بارزة ضمن الأولويات والرهانات المطروحة على المجتمع المغربي من أجل إرساء أسس تنمية شاملة. فخلال العقود الأخيرة ٩٦ (٢٠١٤)، بلغ عدد القتلى في صفوف مستعملي الطريق أزيد من ١٤٤.٠٠٠ قتيلًا، كما أن متوسط عدد القتلى الذي تم تسجيله خلال سنة ٢٠١٤.٣.٤٨.٩٠١ قتيلًا، يوازي ما تم تسجيله على الطرق الفرنسية خلال نفس السنة رغم أن عدد السيارات بهذا البلد، حوالي ٣٨ مليون عربة، يتجاوز بعشرة أضعاف حظيرة السيارات بالمغرب التي تقدر بحوالي ٣ مليون عربة. هذه الحوادث تكلف المجتمع سنويًا ٢ في المائة من الناتج الداخلي الذي يعادل حوالي ١٦ مليار درهم هي حجم ما يخسره المغرب كل سنة بسبب انعدام السلامة الطرقية^٢. بالنظر إلى حجم الإشكالات التي تطرحها حوادث السير على المجتمعات، فقد شكلت موضوعًا أساسيًا للبحث والمقاربات العلمية في مختلف التخصصات المعرفية من أجل فهم الأسباب الرئيسية في وقوع هذه الحوادث السير خاصة تلك تتعلق بالعنصر البشري من أجل فهم الميكانيزمات التي تتحكم في وقوعها في أفق بلورة سياسات عمومية واستراتيجيات تواصلية فعالية من شأنها تعديل وتوجيه سلوكات السائقين ومستعملي الطريق عموماً وفق ما يخدم مقتضيات الوقاية والسلامة الطرقية.

على هذا الأساس، سنعمل من خلال هذه المحاولة على مقارنة بعض المحددات النفسية والاجتماعية التي تؤثر تعامل مستعملي الطريق مع الخطر الطرقي بصفة عامة ومع سرعة السياقة على وجه الخصوص باعتبارها من بين أهم الأسباب في وقوع حوادث السير^٣.

وتكتسي هذا الدراسة أهميتها من المكانة التي يحتلها العنصر البشري في مجال السلامة الطرقية، حيث تجمع جميع الدراسات عبر العالم أن سلوكات مستعملي الطريق والسائقين منهم تخصيصاً تعدد المسؤول الرئيسي في وقوع حوادث السير، حيث أنها تكون حاضرة في حوالي ٩٥ في المائة من حوادث السير، كما أنها تكون السبب الوحيد والمباشر في أزيد من ٦٥ في المائة من هذه الحوادث. على هذا الأساس، يعد العنصر البشري أحد المداخل المهمة التي يمكن المراهنة عليها في

^١ - و هو ما يعادل سكان مدينة متوسطة الحجم مثل الناظور أو سطات حسب الإحصاء الأخير للسكان و السكنى لسنة ٢٠١٥.

^٢ - باعتماد الناتج الداخلي الخام لسنة ٢٠١٤. وهي تكلفة، للمقارنة، تكفي لخلق أزيد من ١٢٠ ألف منصب شغل سنويًا، و تتجاوز بضعفين تكلفة مشروع ميناء طنجة المتوسط الذي اعبر أضخم مشروع استثماري خلال العشر سنوات الأخيرة الذي كلف إنجازته حوالي ٨ مليارات درهم. كما أن هذه التكلفة تكفي لبناء حوالي ٣٦٠ كيلومترا من الطرق السيارة سنويًا. و تجدر الإشارة إلى أنه يتم تقدير التكلفة الاقتصادية والاجتماعية لحوادث السير بالمغرب باعتماد النسب المئوية التي وضعتها منظمة الصحة العالمية لهذه التكلفة من خلال دراسات مقارنة بين الدول حسب درجة نموها . و تتراوح هذه النسب بين ٣ في المائة بالنسبة للدول المتقدمة ذات الدخل المرتفع، ٢ في المائة بالنسبة للدول المتوسطة الدخل و ١ في المائة بالنسبة للدول الفقيرة، وذلك في غياب دراسة علمية مضبوطة في هذا الموضوع.

^٣ - تم إنجاز هذه الدراسة في إطار بحث جامعي لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع من كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط حول إدراك الخ طر الطرقي المغرب. و قد تشكلت العينة التي شملتها الدراسة من ٤١٨ سائقًا تم اختيارهم على أساس التمثيلية استنادًا إلى المعطيات الإحصائية لنسب السائقين الذين يصابون في حوادث السير داخل المجال الحضري و ذلك باعتماد هامش خطأ في حدود ٥ في المائة و درجة الثقة في حدود ٩٥ في المائة.

تحقيق نتائج إيجابية، خاصة بالنسبة للدول ذات الدخل المحدود التي لا تتوفر على إمكانيات مادية كبيرة لتحسين وتأهيل مختلف المجالات ذات الصلة بمجال السلامة الطرقية على مستوى البنيات التحتية والمراقبة وتدبير منظومة النقل بصفة عامة.

كما تستمد مشروعيتها أيضا من المكانة التي تحتلها المخالفات المرتبطة بالسرعة ضمن الأسباب المسؤولة عن وقوع حوادث السير والعوامل المضاعفة لخطورتها. وفي هذا الإطار، تشير أغلب الدراسات عبر العالم أن تغيير سلوكات و ممارسات السائقين في التعامل السرعة القانونية يساهم بشكل إيجابي وفعال في التخفيف من حوادث السير، حيث أن التخفيض من معدل السرعة على الصعيد الوطني بنسبة¹ في المائة يؤدي إلى تراجع في عدد المصابين في حوادث السير بحوالي³ في المائة وفي عدد القتلى بحوالي⁴ في المائة¹. لهذا تعمل جميع الدول على تكثيف عمليات المراقبة والتخفيض من الحد الأقصى للسرعة المسموح بها لدفع السائقين إلى التخفيض من السرعة التي يعتمدونها على المجال الطرقي. وقد مكن هذا التوجه من تحقيق نتائج إيجابية في العديد من الدول. فقد مكن التخفيض من السرعة القانونية من ١٢ كلم/س إلى ١٠ كلم/س على الطرق السيارة بالدانمارك سنة ١٩٧٤ من التخفيض من عدد القتلى بنسبة^١ في المائة. كما أن التخفيض من هذه السرعة من ١٠ كلم/س إلى ٨٠ كلم/س على الطرق الوطنية، مكن من التخفيض من عدد القتلى بنسبة^٤ في المائة بسويسرا سنة ١٩٨٨. في المقابل، ترتب عن الرفع من السرعة القانونية من ٥٠ كلم/س إلى ٧٠ كلم/س بهونكونغ Hong kong سنة ٢٠٠٠، تسجيل ارتفاع في عدد حوادث السير بنسبة^{٢٠} في المائة. كما ساهم الرفع من السرعة القانونية في الولايات المتحدة الأمريكية في تسجيل ارتفاع في عدد القتلى بنسبة^{١٥} في المائة².

وعلى الرغم من الخطورة التي تمثلها السياقة بسرعة على المجال الطرقي، فإن الغالبية العظمى من السائقين لا يحترمون السرعة القانونية، كما أنهم يعترفون بسهولة بأن المخالفات المرتبطة بالسرعة تعد من المخالفات الشائعة التي يقومون بها أنفسهم أو يقوم بها السائقون الآخرون³، مما يطرح تساؤلات عميقة حول أهمية المحددات النفسية والاجتماعية التي تؤطر وتوجه مواقف وسلوكات السائقين على الخصوص في التعامل مع السرعة القانونية التي تمثل الحد الأقصى الذي تبتدئ معه المخاطرة على الطريق.

إن القيمة المضافة التي يمثلها العنصر البشري على مستوى تكلفة التدخل التي سبقت الإشارة إليها، تخفي بالكاد الصعوبات التي يطرحها هذا العنصر على مستوى فهم مختلف الميكانيزمات المتدخلة في إنتاج السلوك على الطريق والوصول إلى بلورة المقاربات والاستراتيجيات التواصلية الملائمة من أجل تغييره وجعله يستجيب لمقتضيات الوقاية والسلامة الطرقية. فإذا كانت المشكلات المرتبطة بالحالة الميكانيكية للعربات ومختلف المعطيات المرتبطة بالمجال الطرقي (الطريق، ظروف تدبير حركة السير داخل وخارج المجال الحضري، الحالة الميكانيكية للعربات...)، تكاد تكون واضحة بحكم انصراف الجهود الوقائية إلى معطيات موضوعية قابلة للمعالجة، فإن مواجهة الجانب المرتبط بسلوكات السائقين يبقى مستعصيا في كثير

¹-E.CHAPELION, *Politique de Sécurité Routière en France, Analyse d'une Politique Publique*, la Documentation Française, 2010, p.58

²- S-C.WONG, *would relaxing speed limits aggravate safety? Acas study of Hong Kong*, Accident Analysis and Prevention, 2005, N° 37, pp.377-388, cité par , J-P. ASSAILLY, "Que savons-nous sur la vitesse aujourd'hui? Aspect psychologique et épidémiologique", dans, M-A.DEKKERS (coordination), *Séminaire Vitesse, Apport récents de la recherche en matière de vitesse*, Actes INTRTS, N°105, 2006, p.19

³-P.DELHOMME, *Croyances vis-a-vis de la Vitesse et Risque Routier*, INRTS, 2007, p.18

من الأحيان على الاستراتيجيات التواصلية التحسيسية والتوعوية الوقائية التي لا تحقق إلا نجاحات محدودة بمحدودية الإمكانيات التي تتيحها العلوم الاجتماعية في فهم وتوجيه السلوك الاجتماعي.

وعموما يتم التمييز داخل العنصر البشري المتمثل في سلوكات مستعملي الطريق التي لا تستجيب لمعايير ومتطلبات السلامة الطرقية، بين السلوكات الغير قصدية الناجمة عن أخطاء في التقدير أو نقص في المعلومات أو في التحكم في العربة وتنفيذ الاختيارات السليمة في الوضعيات الاستعجالية والحرجة، والسلوكات القصدية في تجاوز القوانين والإجراءات التنظيمية مثل عدم احترام السرعة المحددة، التجاوز غير السليم، السياقة تحت تأثير مخدرات وغيرها والتي تشكل الغالبية العظمى من الأسباب المباشرة في وقوع حوادث.

إن اتجاه إرادة مستعملي الطريق إلى ارتكاب مخالفات قانونية في مجال السلامة الطرقية عن وعي ومعرفة بالعواقب المحتملة التي يمكن أن تتسبب فيها بالنسبة لسلامتهم الشخصية وسلامة مستعملي الطريق الآخرين، يفرض التساؤل حول المحددات الاجتماعية والنفسية لهذه الممارسات بالمجال الطرقي.

ومن بين المداخل التي يمكن اقتراحها في هذا الإطار نشير إلى أن التعدد الذي يطبع المخالفات أثناء استعمال المجال الطرقي بصفة عامة وفي مجال السرعة على وجه الخصوص والتي تبدو للوهلة الأولى مختلفة ومتباعدة، تعكس في نهاية المطاف قرارات وممارسات في التعامل مع الخطر الطرقي حسب مستويات إدراك هذا الخطر. إن الطريقة التي يستحضر بها مستعملو الطريق عموما والسائقون على وجه التحديد الخطورة التي تمثلها حوادث السير بسبب السرعة المفرطة أو الإفراط في السرعة، مع ما يمكن أن ينتج عن ذلك من إصابات متفاوتة الخطورة بالنسبة للنفس أو الغير، هو الذي يحدد مواقفهم وممارساتهم في التعاطي مع مختلف المتغيرات والمحددات القانونية أو المجتمعية التي تضبط استعمال المجال الطرقي بصفة عامة و سرعة السياقة على وجه الخصوص. فكلما كان هاجس التورط في حادثة السير حاضرا في الذهن، كلما ساعد ذلك في ضبط الميولات نحو المخاطرة وتوجيهها في اتجاه إجراءات وقائية تساهم في بلورة ممارسات آمنة على المجال الطرقي.

إن مقارنة سلوكات مستعملي الطريق وفق هذا التصور يجعلنا في صلب النقاش الأكاديمي في إطار نظرية إدراك الخطر ومفهوم مجتمع الخطورة ، وذلك بعيدا عن الخطابات السهلة التي تقارب هذه السلوكات من خلال مفاهيم معيارية من قبيل "انعدام الضمير"، "ضعف روح المسؤولية والمواطنة"، "السلوكات الإجرامية" إلخ، أو المقاربات القانونية التي تقدر تفيد في ضبط الممارسات على المجال الطرقي إلا أنها لا تقدم مداخل مهمة لفهم تلك الممارسات في أفق العمل على تغييرها.

يشير مجتمع الخطر كما أسس له السوسيولوجي الألماني إيلغيش بيك Ulrich Beck في كتاب شهير بنفس العنوان¹، إلى الحضور القوي لعوامل الخطورة التي أصبحت تهدد المجتمعات بفعل التحولات المجتمعية التي تستدعيها الحداثة الغربية. كما يحيل من الناحية الاجتماعية إلى التحولات القيمية الإيجابية التي باتت تتمتع بها المخاطرة والتي تستمد منها ارتباطها بالقدرة على اتخاذ القرار والتحكم في صنع المستقبل، من خلال مبدأي الحرية والمسؤولية التي يتمتع بهما الفرد. إنها تحيل

¹-Ulrich, BECK. *La Société du Risque, Sur la Voie d'une Autre Modernité*, Flammarion, 2008 [1987] (traduit de l'allemand par Laure, BERNARDI)

على القدرة على الاختيار بين مختلف الاحتمالات المطروحة والتي تجعل الفرد مساهما وفاعلا في رسم معالم مصيره والمستقبل الذي يرتضيه لذاته خارج أي ضمانات إلا ضمانات تحقيق إرادته¹.

ومن بين أهم الخلاصات التي وقفت عندها مختلف الدراسات النفسية والاجتماعية في دراسة إدراك الخطر أن هذا الأخير ليس فقط واقعا موضوعيا يتقاسم الجميع نفس التصورات بخصوصه، بل هو أيضا وأساسا بناء اجتماعي يخضع لمجموعة من المؤثرات المرتبطة بالآليات الإدراكية والمحددات المجتمعية. بمعنى آخر يتم التمييز بين الأخطار الموضوعية كما هي في الواقع؛ كما يدركها أهل الاختصاص المشتغلين عليها دراسة وتقييما ومعالجة، والأخطار كما يتم بناؤها وإدراكها اجتماعيا وثقافيا ونفسيا.

على هذا الأساس، عملنا على استقصاء المكانة التي يخصصها السائق المغربي للخطر الطرقي على مستوى الإدراك، بالإضافة إلى تحديد مستويات الخطورة التي يقبل التعامل معها. وقد اخترنا قياس هذا الخطر الطرقي من خلال أحد تجلياته الأكثر تجسيدا له والمتمثل في السرعة المعتمدة أثناء السياقة التي تمكن أيضا من ضبط مستويات الخطورة المقبولة من خلال مستويات السرعة التي يتم اعتمادها.

لقد تحددت الفرضيات التي انطلقنا منها في مقارنة هذا الموضوع في فرضيتين رئيسيتين:

- يمكن تفسير الممارسات المرتبطة بالمخاطرة لدى السائقين بعدم إدراكهم للخطورة التي تمثلها حوادث السير في مجال السلامة الطرقية بصفة عامة، وعدم إدراكهم الخطورة التي تمثلها السرعة المفرطة أثناء السياقة.
- يميل السائقون إلى تجاوز السرعة القانونية على مختلف المحاور الطرقية و بذلك نسب متفاوتة تعكس معدلات منخفضة للخطورة المقبولة.

-الدراسات السابقة في مجال التعامل مع السرعة داخل المجال الطرقي:

إن استعمال السيارة والسياقة السير بسرعة ليس سوكا عاديا، بل هو يندرج في إطار تصورات يمتزج فيها ما هو موضوعي مرتبط بمتطلبات التنقل بما هو نفسي اجتماعي، حيث تطرح السرعة علاقتنا بالزمان والمكان، كما تحيل على المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها السيارة.

تعد السياقة بسرعة وسيلة سحرية لادخار الوقت والتحكم فيه، كما تطرح أيضا علاقتنا بالمكان، أولا في بعده المجالي، من خلال تقليص المسافات و التمرد على الواقع الموضوعي الذي يفرضه التقسيم الترابي وتوزيع الأنشطة الاقتصادية. وثانيا كفضاء اجتماعي نشترك في مع فاعلين آخرين، وفي تفاعل معهم تؤطره المفاهيم والقيم الاجتماعية². إن السياقة بسرعة في عصر ينعت "بعصر السرعة"، تتمتع بقيمة إيجابية لدى الغالبية العظمى من السائقين ليس فقط لأنها تمكن من ربح

¹ - هذه التوجهات الفردية نحو الحرية والمسؤولية تجد ترجمتها أيضا على المستوى السياسي من خلال ارتباطها بمقومات المجتمع الديمقراطي الذي هو في نهاية المطاف مجتمع يريد أن يقرر في مصيره خارج أي توجيه أو حتمية من أي نوع . فعلى المستوى الفردي كما على المستوى الجماعي فإن المخاطرة هي مرادف للحرية وتحرر من كل حتمية. أنظر في هذا الصدد:

GIDDENS, Anthony. *Les Conséquences de la Modernité*, Harmattan, 1994. p29.

²-J-P.ASSAILLY, "Que savons-nous sur la vitesse aujourd'hui? Aspect psychologique et épidémiologique", op.cit, p. 20

الوقت، ولكن أيضا لأنها مصدر لإثارة الأحاسيس القوية والإحساس بالحرية والرضى عن الذات وإثبات الكفاءات الفردية في السياقة¹.

لهذا، فتحديد السرعة يعاكس التصورات النفسية والمكانة الاجتماعية التي تكتسبها السرعة والسيارة لدى مستعملي الطريق عموما والسائقين على وجه الخصوص². بالإضافة إلى مختلف التوجهات النفسية والاجتماعية الكبرى التي تحكم التعامل مع السرعة، تتدخل مجموعة من المتغيرات السوسيو-ديموغرافية في تحديد طريقة تعامل السائقين مع السرعة التي يحددها القانون كحد أقصى للسياسة على المجال الطريقي. وفي هذا الإطار، تشير العديد من الدراسات أن الشباب يقودون بسرعة أكبر من المسنين، وأن الرجال يسوقون بسرعة أكبر من النساء، لنفس الاعتبارات التي تتحكم في سلوكيات الشباب والمتمثلة أساسا في البحث عن استثارة الأحاسيس والمشاعر القوية، ومحاولة التخلص من القلق والاكتئاب والتوتر عن طريق الخوف الذي يتولد عن المخاطرة أثناء السياقة بسرعة³. حسب المتغيرات السوسيو-مهنية، تختلف الأطر العليا في القطاع العام أو الخاص عن الفئات الأقل منها، في التعامل مع الخطر بصفة عامة وسرعة السياقة بصفة خاصة، وذلك بسبب نوع السيارات التي تمتلكها كل فئة، حيث يميل مالكو السيارات القوية والمريحة إلى السياقة بسرعة أكبر لاعتبارات مرتبطة برمزية السيارة التي تعبر عن القوة والنجاح الاجتماعيين. كما أن الذين يقطعون مسافات طويلة يسوقون عموما بسرعة أكبر من الذين يقطعون مسافات أقل⁴.

إن السرعة التي يسير بها السائقون تتحدد أساسا في إطار تفاعلهم مع الآخرين وفي إطار المحاكاة والمقارنة الاجتماعية أكثر ما تتحدد وفق ما تقتضيه الضوابط القانونية. في هذا الإطار، تفيد الدراسات الرصدية لمعدلات السرعة التي يسوق بها السائقون أن هناك ميلا واضحا لتقليد سلوكيات الآخرين حيث أن العديد من السائقين يرفعون من سرعتهم عندما تكون سرعة السائقين الآخرين مرتفعة أو يخفضونها منها إذا لاحظوا أن السائقين الآخرين يفعلون ذلك⁵، كما أن اعتماد لوحات إخبارية على بعض المقاطع الطرقية تخبر بعدد السائقين الذين احترمو السرعة القانونية على هذا المقطع الطريقي يساهم في التخفيف من معدل السرعة بهذا الموقع، خاصة عندما تكون النسبة التي يتم الإخبار بها مرتفعة⁶. إن السياقة بسرعة تعد من بين المؤشرات الأساسية التي يمكن اعتمادها في قياس إدراك الخطر الطريقي وطريقة التعامل معه. إنها عنصر مهم في ضبط و تدير مستويات المخاطرة المقبولة، كما أنها وسيلة فعالة في التكيف مع نظام السير وتدير التفاعلات مع مستعملي الطريق الأخرى، حيث يفضل أغلب السائقين السياقة مثل الآخرين على احترام السرعة القانونية حتى ولو اضطروا لتجاوزها⁷.

1- J.OLLIVRO, **Quand la vitesse change le monde**. Rennes, Apogée , 2006, p.120

2 - G. ROLLS, et R.INGHAM, "**Safe and Unsafe, a Comparative Study of Younger Male Drivers**, Foundation for Road Safety Research, 1992, Cite par , P.DELHOMME, **Croyance vis a vis de la Vitesse et Risque Routier**, op.cit, p.84 sociologie de la vitesse

3-J-P.ASSAILLY, 2005, op.cit, p.6

4-J-P.CAUZARD, P-E,BARJONET, **Style de Vie et Comportements Sociaux à l'Egard du Risque, Perceptions Différentielle des risques**, Rapports INRTS, N°38, 1987, p.34

5-F.SAAD, G.MALATERRE, **La Régulation de la Vitesse : Aide au Contrôle de la Vitesse**, Rapport ONSER, 1982, cite par, P.DELHOMME, **Croyance vis a vis de la Vitesse et Risque Routier**, op.cit, p.90

6-R.NAMIAS, **Vitesse et Sécurité Routière**, la Documentation Française, 1994, p. 45

7 - J-P. ASSAILLY,2005, op.cit, p.35

- السرعة بين الإدراك والممارسة:

• إدراك خطورة الممارسات المرتبطة بالسرعة

استناداً إلى مختلف هذه المعطيات النظرية والميدانية بخصوص المكانة التي تمثلها السرعة في مجال السلامة الطرقية، وفي التعامل مع الخطر الطرقي على وجه الخصوص، حاولنا تناول المواقف والممارسات المرتبطة بالسرعة من خلال استقصاء مدى إدراك السائقين، للخطورة التي تمثلها هذه السرعة، والوقوف على ممارساتهم في هذا المجال، بالإضافة إلى تحديد مستويات الخطورة المقبولة لديهم. ولأن المعطيات المجالية للفضاء الطرقي تؤثر بشكل أو بآخر في السرعة التي يتم اعتمادها أثناء السياقة، فقد عملنا على مساءلة مواقف وسلوكيات المبحوثين بخصوص سرعة السياقة على المجالات الطرقية الرئيسية الثلاثة: الطرق السيارة، الطرق الوطنية والطرق الحضرية وذلك من أجل معرفة مدى وجود موقف موحد من السرعة تملها المحددات القانونية أم هناك تمايز حسب إدراك الخطورة التي تميز كل مجال طرقي على حدى.

قبل الحديث عن إدراك الخطورة التي تنطوي عليها عملية تجاوز السرعة القانونية، تجدر الإشارة إلى أن تحديد السرعة من الناحية القانونية على الصعيد العالمي ظهر منذ البدايات الأولى لاستعمال السيارة. حيث ظهر في فرنسا منذ سنة ١٨٩٦ من خلال إقرار سرعة ٣٠ كلم/ساعة بالعالم القروي و ٢ كلم/ ساعة بالمدن. كما ظهر في الدانمارك سنة ١٩٠٠ بسرعة ٣٠ كلم/ ساعة بالعالم القروي و ١ كلم ساعة بالمدن، وفي النرويج ١٩١١ بسرعة ٢٥ كلم/ ساعة بالعالم القروي و ١ كلم ساعة بالمدن. بعد ذلك بسنوات سيتم إلغاء تحديد السرعة التي ستعود للظهور خلال سنة ١٩٧٣ بسبب الأزمة البترولية وليس لاعتبارات مرتبطة بالسلامة الطرقية^١.

لقد حاولنا استقصاء مدى إدراك المبحوثين للخطورة التي تنطوي عليها عملية تجاوز السرعة القانونية في المطلق، ومدى استنادهم لمهاراتهم في السياقة وللمواصفات التقنية للعربة في ذلك. ويتضح من خلال المعطيات التي حملتها الدراسة الميدانية أن الغالبية العظمى من المبحوثين يعتبرون أن تجاوز السرعة القانونية هو سلوك مرتبط بالمخاطرة أكثر من ارتباطه بالمهارة في السياقة أو التوفر على سيارة بمواصفات جيدة، حيث بلغت نسبة المبحوثين الذي عبروا عن هذا الموقف ٩٦ في المائة من مجموع العينة، مقابل ٤ في المائة اعتبروا أن مهارات السائق وجودة عربته يمكن أن تشفع له في تجاوز السرعة القانونية دون مخاطرة.

جدول رقم ١: تجاوز السرعة القانونية والخطورة

النسبة	العدد	
٩٦	٤٠٣	تجاوز السرعة القانونية يمثل خطورة
٤	١٥	تجاوز السرعة القانونية لا يمثل خطورة إذا كان السائق متمرس والعربة جيدة
١٠٠	٤١٨	المجموع

المصدر: البحث الميداني

^١ J-P.Assailly, 2005, op.cit, p.35

هذا التوجه العام كان متقاسما بين جميع فئات المبحوثين بنسب مرتفعة وجد متقاربة بغض النظر عن الجنس، السن، المستوى الدراسي، التجربة في مجال السياقة. مبلغ الغرامات التي تم أدائها أو التورط في حوادث سير. في المقابل، تم تسجيل ترابط بين قوة محرك السيارات وبين النسبة التي تم من خلالها التعبير عن الموقف العام، حيث كانت هذه النسبة تتراجع كلما ارتفعت قوة محرك السيارات. وهكذا، تم تسجيل نسبة ١٠ في المائة في صفوف مالكي السيارات الضعيفة القوة ٩٦ في المائة في صفوف مالكي السيارات المتوسطة القوة و٩٢ في المائة في صفوف مالكي السيارات القوية.

إن السرعة القانونية وإن كانت تمثل خطرا في مجال السلامة من الناحية الموضوعية وفي وعي وإدراك المبحوثين كما رأينا، إلا أن ذلك لا يمنع عددا كبيرا منهم من تجاوزها في نوع من المخاطرة على المجال الطرقي. لهذا عملنا على استقصاء آراء المبحوثين حول ممارساتهم في التعامل مع السرعة القانونية. ولأن السرعة تمثل وسيلة من أجل ضبط مستويات المخاطرة والخطورة المقبول كان لزاما الوقوف على مستوى الخطورة المقبولة لدى المبحوثين من خلال البحث في مبدأ التعامل مع السرعة/المخاطرة هل هو مبدأ فار يحكم السياقة على المجالات الطرقية الثلاثة: الطرق السيارة، الطرق الحضرية والطرق الوطنية، أم هو خاضع لحركة السير ولمعطيات تلك المجالات الطرقية الثلاثة وما تسمح به من إمكانيات للسرعة والمخاطرة.

• وتيرة تجاوز السرعة القانونية :

لقد كشفت الدراسة الميدانية أن هناك اختلافا واضحا في التعامل مع السرعة القانونية بين الطرق السيارة والطرق الوطنية من جهة والطرق الحضرية من جهة ثانية. فبالنسبة للسرعة على الطرق الوطنية، يلاحظ أن أزيد من نصف المبحوثين، حوالي ٥٦ في المائة، يصرحون أنهم لا يتجاوزون السرعة القانونية، في حين يصرح ٣٩ في المائة بأنهم يتجاوزونها بعض المرات، مقابل قلة قليلة، حوالي ٥ في المائة، تصرح بأنهم يتجاوزونها بشكل مستمر. أما على الطرق السيارة، فقد تم تسجيل نفس النسبة تقريبا فيما يتعلق بعدم تجاوز السرعة القانونية حوالي ٥٦ في المائة، ونسبة متقاربة فيما يتعلق بتجاوز السرعة بعض المرات أو نادرا بلغت ٣ في المائة. في المقابل تضاعفت النسبة الخاصة بتجاوز السرعة بشكل مستمر حيث بلغت ١ في المائة داخل المدن.

جدول رقم ٢ : وتيرة تجاوز السرعة القانونية

لا يتجاوزون السرعة أبدا		بعض المرات		دائما		
النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	
٥٦	٢٣٣	٣٩	١٦٢	٥٥	٢٣	الطرق الوطنية
٥٦	٢٣٤	٣٤	١٤٢	١٠	٤٢	الطرق السيارة
٦٨	٢٨٤	٣٠	١٢٢	٣	١٢	داخل المدينة

المصدر: جدول تركيبي انطلاقا من معطيات البحث الميداني

ويلاحظ أن مؤشري تجاوز السرعة القانونية على الطرق الحضرية بشكل دائم وتجاوزها بعض المرات تراجعا مقارنة مع ما تم تسجيله بالنسبة للطرق الوطنية والطرق السيارة، حيث تم تسجيل نسبة ٣ في المائة بالنسبة للمؤشر الأول و ٣ في المائة بالنسبة للمؤشر الثاني، بالمقابل ارتفع المؤشر المرتبط بعدم تجاوز السرعة القانونية حيث بلغ ٦٨ في المائة. ومن خلال المقارنة بين المجالات الثلاثة يمكن الوقوف على الملاحظات التالية:

أولاً: النسب المرتفعة للسائقين الذين صرحوا بأنهم يتجاوزون السرعة القانونية سواء بشكل منتظم أو ظرفي والتي بلغت حوالي ٤٤ في المائة بالنسبة لكل من الطرق الوطنية والطرق السيارة و٣٣ في المائة بالنسبة للطرق الحضرية، مما يجعل المعدل العام لتجاوز السرعة القانونية على الشبكات الطرقية الثلاثة يصل إلى ٤٠ في المائة، وهو رقم كبير جداً على اعتبار أن كل عملية تجاوز السرعة القانونية يمكن أن تتسبب في حادثة سير مميتة. وعلى الرغم من أهمية هذا الرقم يمكن القول بأن الواقع أكبر بذلك بكثير، بحيث نكاد نجزم أن الغالبية العظمى من السائقين يتجاوزون السرعة القانونية بشكل أو بآخر. إن التصريح بعدم تجاوز السرعة يعبر عن رفض للاعتراف بهذه الممارسة التي تبقى مقرونة في ذهن العديد من السائقين بوجود نية واضحة في ارتكاب المخالفة، في حين أن العديد منهم يعتبرون أن تجاوز السرعة القانونية تبرره حركة السير والظروف الاستثنائية والطارئة. وقد حاولنا استباق هذا التوجه لدى المبحوثين من خلال طرح سؤالين حول نسبة السائقين "الأخريين" الذين يتجاوزون السرعة القانونية ووثيرة ذلك التجاوز من خلال تقنية "تعليمات التعويض". وقد كانت النتيجة أن الغالبية العظمى من المبحوثين ٦٧ في المائة، يرون أن السائقين الآخرين يتجاوزون السرعة القانونية ٦٥ في المائة منهم بشكل دائم، ٣٣ في المائة بعض المرات و٢ في المائة.

ثانياً، إن التعامل مع السرعة القانونية لا يستند إلى منطق موحد وإنما يختلف من مجال إلى آخر بحسب الفرص والإمكانات التي تتيحها حركة التنقل داخل المجال الطريقي. وفي هذا الإطار، تسجل الطرق السيارة أعلى نسبة فيما يتعلق بتجاوز السرعة القانونية بشكل دائم، تليها الطرق الوطنية وأخيراً الطرق داخل المجال الحضري. وإذا استحضرننا أن احترام السرعة القانونية يبقى مقروناً في الغالب الأعم بخطر التورط في حادثة سير، أمكن القول أن السائقين يستندون في تعاملهم مع الخطر الطريقي لتقديراتهم الذاتية "الخطورة" الوضعية والحالات التي يتواجدون فيها بعيداً عن المعايير التي يحددها القانون لمستويات الخطر أو المخاطرة من خلال فئات السرعة التي يحددها. وهنا نكون أمام مستويين "للتمرّد" على القانون: القانون كمحدد لضوابط التواجد في الفضاء الطريقي التي يمكن أن نضعها في سياق تعامل الفرد مع المنظومة القانونية العامة التي تحكم التعايش الاجتماعي، والقانون كمحدد لمستويات الخطر أو الخطورة التي يمكن وضعها في سياق علاقة الفرد مع سلامته الخاصة وسلامة الآخرين بالفضاء الطريقي.

إن سعي السائقين إلى تحديد مستويات الخطورة حسب مميزات الفضاء الطريقي الذي يتواجدون فيه يجد تفسيره في نموذج الخطر المتوازن¹، الذي يقوم على أن السائقين يحددون لأنفسهم مستوى معين من المخاطرة يقبلون به و يسعون إلى الحفاظ عليه من خلال تكييف سلوكياتهم مع معطيات المجال الطريقي، من أجل الحفاظ على هذا الخطر المستهدف الذي يختلف مستواه من سائق إلى آخر. بمعنى أن السائقين يسعون للحفاظ على مستوى مستقر من التعرض للخطر، كيفما كانت التعديلات التي يتم إدخالها على نظام السير. إن هذا التوجه لدى السائقين هو الذي يجعل أن الريح الذي يتم تحقيقه في مجال سلامة نظام السير وجودة البنيات التحتية، يتم تعويضه من خلال التغيير في سلوكيات السائقين الذين يسعون إلى الحفاظ على مستوى معين من المخاطرة. ويعتبر الباحثون الذين يتبنون هذا التصور أن مستوى الخطر المستهدف من لدن السائقين هو الذي يحدد سلوكياتهم على الطريق، كما يؤثر على مدى تورطهم في حوادث السير. لهذا يذهبون إلى أن الجهود التواصلية في مجال التوعية والتحسيس يجب أن تركز على التخفيض من الخطر المستهدف لدى السائقين.

¹-G.WILD, *Le Risque Cible: une Théorie de la Santé et de la Sécurité*, Proximities-Sociologie, 2012,(traduit de l'anglais par Marc Camiolo) p.25

• السرعة المعادلة للخطورة:¹

من خلال النتائج السابق وجدنا أن المبحوثين يعتبرون أن السياقة بسرعة تنطوي على مخاطرة كبيرة بغض النظر عن مهارات السائق ونوعية العربة التي يستعملوها. كما وجدنا أن عددا كبيرا منهم يصرحون أنهم يتجاوزن السرعة القانونية على المجالات الطرقية الثلاثة، من خلال معدلات للسرعة منخفضة نسبية. ولأن مستوى هذه المعدلات في تجاوز السرعة قد تكون اختيارية أي أن المبحوثين اختاروا ألا يتجاوزوا السرعة بنسبة كبيرة، كما يمكن أن تكون نتيجة الإكراهات المرتبطة بحركة التنقل، فقد حاولنا معرفة مستوى السرعة التي تبتدئ معها المخاطرة بالنسبة للمبحوثين أجل الوقوف على مستوى الخطورة المقبولة لديهم.

لقد كشفت المعطيات الميدانية أن الغالبية العظمى من المبحوثين اقترحوا، فيما يتعلق بسرعة السياقة التي تبتدئ معها المخاطرة على الطريق، سرعة تعادل أو تقل عن السرعة القانونية بالنسبة للطرق الوطنية والطرق الحضرية فيما كانت المواقف موزعة منصفة بالنسبة للطرق السيارة بين اقتراح سرعة تعادل السرعة القانونية أو تقل عنها و بين اقتراح سرعة تتجاوز السرعة القانونية مع أفضلية بسيطة لهذا الاختيار الأخير.

جدول رقم ٣ : السرعة المعادلة للخطورة

أكثر من السرعة القانونية		تعادل أو تقل عن السرعة القانونية		
النسبة	العدد	النسبة	العدد	
٢٤,٩	١٠٤	٧٥,١	٣١٤	الطرق الوطنية
٥٠,٥	٢١١	٤٩,٥	٢٠٧	الطرق السيارة
٣٥,٩	١٥٠	٦٤,١	٢٦٨	الطرق الحضرية

المصدر: جدول تركيبي انطلاقا من معطيات البحث الميداني

وهكذا، سجلت الطرق الوطنية أعلى نسبة فيما يتعلق بتقديم سرعة تعادل السرعة القانونية أو تقل عنها بلغت ٧٥ في المائة، مقابل ٦٤ في المائة بالنسبة للطرق الحضرية، ٤٩ في المائة بالنسبة للطرق السيارة. هذه الأخيرة، سجلت أعلى نسبة فيما يتعلق بتقديم سرعة تتجاوز السرعة القانونية بلغت ٥٠ في المائة، مقابل ٣٥ في المائة بالنسبة للطرق الحضرية، ٢٤ في المائة بالنسبة للطرق الوطنية. و قد بلغ معدل السرعة التي تم اقتراحها ٩٩ كلم/ساعة بالنسبة للطرق الوطنية، ١٣٢ كلم/ساعة بالنسبة للطرق السيارة، و ٦٦/ساعة على الطرق الحضرية.

ويلاحظ عموما أنه باستثناء الطرق السيارة، فإن معدلات السرعة التي تم اقتراحها بالنسبة للطرق الوطنية والطرق الحضرية تقترب إلى حد بعيد من السرعة القانونية المسموح بها على هذه المجالات الطرقية. ويمكن إرجاع هذا التقارب إلى وثيرة حركة السير المرتفعة التي تعرفها الطرق الحضرية والطرق الوطنية على حد سواء. ومما يدعم هذا التفسير أن الطرق

^١ - اعتمادنا سؤال مفتوحا تم خلاله دفع المبحوثين إلى تحديد السرعة التي تبتدئ معها المخاطرة على الطرق السيارة، الطرق الحضرية، و الطرق الوطنية. و قد تم تجميع المقترحات في فئات حسب السرعة القانونية المعمول بها في كل مجال طريقي. كما تم استخلاص معدلات السرعة التي اقترحها المبحوثين و اعتمادها أيضا في المقارنة بين النتائج.

السيارة التي تتميز بجودة بناء أعلى وانسيابية أكبر في حركة السير تسمح بهامش كبير في السياقة بالسرعة التي يريدها السائق، قد عرفت تسجيل معدلات مرتفعة في ما يتعلق بالسرعة المعادلة للخطورة مقارنة مع السرعة القانونية المعمول بها على هذه الطريق. وعليه، يمكن القول أن السياقة على الطرق السيارة هي التي تعكس بشكل كبير الميولات الطبيعية للأفراد في التعامل مع السرعة والخطر الطريقي، كما يمكن القول أن الأفراد لا يستندون إلى المحددات القانونية في التعامل مع السرعة ومع الخطر الطريقي وإنما يفضلون بناء معاييرهم الخاصة حول مستويات الخطورة المقبولة.

خلاصة:

من خلال مختلف المعطيات النظرية ونتائج الدراسات التي أشرنا إليها يلاحظ أن السرعة تعد أحد العناصر الأساسية ضمن إشكالية انعدام السلامة الطرقية بصفة عامة سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية، لأنها تقع في نقطة التقاطع بين متطلبات التنمية وبين متطلبات الوقاية والسلامة الطرقية. تكتسي السرعة أهميتها أيضا من خلال ارتباطها بمجموعة من المحددات النفسية والاجتماعية التي تعطيها قيمة رمزية جد إيجابية في عصر يقوم على الإعلاء من شأن المخاطرة والسرعة في أغلب مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

من هذا المنطلق، عملنا على التطرق إلى الممارسات المرتبطة بالسرعة أثناء السياقة باعتبارها من المؤشرات الأساسية في إدراك الخطر الطريقي و التعامل معه. وتتمثل أولى الخلاصات التي وقفنا عليها من خلال معالجة المعطيات الميدانية في أن المبحوثين عبروا عن إدراك كبير للخطورة التي تمثلها السرعة في مجال السلامة الطرقية باعتبارها سببا أساسيا في وقوع حوادث السير وعاملا مضاعفا لخطورة الإصابات التي تخلفها هذه الحوادث. وهي خطورة تتجاوز المهارات الفردية للمبحوثين في السياقة كما تتجاوز المؤهلات و مواصفات السلامة التي يمكن أن تتوفر عليها السيارات. وعلى الرغم من هذا الإدراك المتقدم في عمقه وفي انتشاره بين جميع المبحوثين تقريبا، فإن نسبة مهمة منهم تصرح بأنهم يتجاوزن السرعة القانونية على المجالات الطرقية بمختلف أنواعها. وهو ما يؤكد قوة المحددات النفسية والاجتماعية التي أشرنا إليها في مدخل هذا المحور والتي تدفع في اتجاه السياقة بسرعة و تجاوز السرعة القانونية.

الخلاصة الثانية التي توقفنا عندها هي أن التعامل مع السرعة القانونية لا تتحكم فيه المعايير القانونية المحددة لضوابط التعامل في هذا المجال، بل يتحدد وفق الإمكانيات التي تتيحها الوضعيات المرورية على الشبكات الطرقية المختلفة، وبالتالي لمستويات المخاطرة التي يحددها أو يقبل بها السائق وفق إدراكه لمهاراته الشخصية و الاكراهات التي يفرضها عليه محيطه الاجتماعي. و قد وجدنا أن المبحوثين يتبنون مستويات منخفضة للمخاطرة تقترب في غالبيتها من المستوى الخطورة التي يحددها قانون السير.

قائمة المراجع:

1. الجادري عدنان حسين، الإحصاء الوصفي في العلوم التربوية، دارالمسيرة، ٢٠٠٣.
2. جسوس محمد، "جدلية الكم والكيف في الدراسات السوسولوجية المعاصرة"، ضمن: المختار.الهراس(تنسيق)، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ١٠٠، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

3.ASSAILLY, Jean-Pascal. *La Psychologie du Risque*, Lavoisier, 2010.



4. BECK, Ulrich. **La Société du Risque, Sur la Voie d'une Autre Modernité**, Flammarion, 2008 [1987] (traduit de l'allemand par BERNARDI Laure.).
5. CAUZARD, Jean Pierre. BARJONET, Pierre Emmanuel, **Style de Vie et Comportements Sociaux à l'Egard du Risque, Perception Différentielle des risques**, INRTS, 1987.
6. CHAPELON, Jean. **Politique de Sécurité Routière en France, Analyse d'une Politique Publique**, la Documentation Française, 2010.
3. DEKKERS, Marie-Antoinette.(coordination). **Séminaire Vitesse, Apports récents de la recherche en matière de vitesse**, Actes INTRTS, N°105, 2006.
4. DELHOMME, Patricia. **Croyances vis-à-vis de la Vitesse et Risque Routier**, INRTS, 2007.
5. GIDDENS, Anthony. **Les Conséquences de la Modernité**, Harmattan, 1994.
6. NAMIAS, Robert. **Vitesse et Sécurité Routière**, la Documentation Française, 1994.
7. OLLIVRO, Jean. **Quand la Vitesse Change le Monde**. Rennes, Apogée, 2006.
8. POURTOIS, Jean-Pierre. DESMET, Huguet, **Epistémologie et Instrumentation en Sciences Humaines**, MARDAGA, 2007.
9. RENOARD, Jean-Marc. **As au Volant et Chauffard**. Harmattan, Déviance et Société, collection Logiques Sociales, 2000.
10. SAAD, Farida. MALATERRE, Gille. **La Régulation de la Vitesse : Aide au Contrôle de la Vitesse**, Rapport ONSER, 1982.
11. WILDE, Gérald. **Le Risque Cible, une Théorie de la Santé et de la Sécurité**, Proximités-Sociologie, 1994 (2012),(traduit de l'anglais par Marc Camiolo).
12. ROLLS, G. INGHAM, R. «Safe and Unsafe, a Comparative Study of Younger Male Drivers», Foundation for Road Safety Research, 1992.
13. WONG, S-C. «Would relaxing speed limits aggravate safety? A cas study of Hong Kong » Accident Analysis and Prevention, N° 37, 2005.

اضطراب الوسواس القهري: هل التعافي منه ممكن؟

د.وردة رشيد بلحسيني/جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر

ملخص:

اعتبر اضطراب الوسواس القهري لسنوات عدة أحد أعقد الاضطرابات النفسية، وهو يحتل المرتبة الرابعة عالميا من بين الأمراض الأكثر تشخيصا في العالم¹، وتبين الدراسات الوبائية انتشار هذا الاضطراب على امتداد العمر يصل إلى (2%) من مجموع السكان².

ويتكون اضطراب الوسواس القهري من مكونين، الوسواس وهي عبارة عن أفكار أو اندفاعات أو خيالات تقتحم الشعور بشكل مستمر، بحيث يصعب مقاومتها، وأفعال قهرية سلوكية ظاهرة أو عقلية (خفية)، تمارس وفقا لقواعد معينة وبطريقة نمطية.

ويطوّر مرضى الوسواس القهري حالة من الكرب الانفعالي والاكتئاب، الأمر الذي يعقد سيرورة التشافي، وعليه يأتي هذا المقال ليوضح الأهمية الجوهرية للحصول على فهم مناسب للاضطراب، وحدوده وتفحص فعالية طرق علاجه.

مدخل:

إن الصحة النفسية غاية ينشدها الأفراد والمجتمعات، وهي وجهة الباحثين الذين لا تكلّ عزائمهم في محاولات علمية لوضع نظريات تفسّر وتعالج الاضطرابات، مما يمكن من إعادة التوازن للمضطربين ويعيدهم إلى دائرة التعافي من جديد. ولعل من بين الاضطرابات التي تهدد الصحة النفسية للفرد هو الوسواس القهري، وهو ينتشر في معظم المجتمعات، وتشابه أعراضه، بل تكاد الصورة الإكلينيكية له أن تكون واحدة في كل الثقافات.

وقد أظهرت الدراسات الإحصائية الحديثة بأنه رابع الأمراض النفسية انتشارا ويحصل بنسبة (٢-١%) من عدد السكان ويتراوح متوسط العمر لبداية ظهور الاضطراب بين المراهقة المبكرة ومنتصف العشرينات³.

ويؤثر الوسواس القهري على أداء الفرد وتوافقته، ويقيد مجاله الحيوي، وقد يؤدي في أعتى الحالات إلى شلل الإرادة بشكل كبير، إذ تبين أنه في ثلثي حالات المرضى المصابين بالوسواس القهري يكون لديهم معاناة من اضطراب نفسي آخر، حيث أن نسبة من يعانون وسواس قهري مصاحب باضطراب: (رهاب الأماكن الواسعة ٣%)، تعاطي الكحول ٣%)، اكتئاب

¹ - ليهي، روبرت (٢٠٠٦): العلاج النفسي المعرفي في الاضطرابات النفسية، ترجمة جمعة يوسف، محمد الصبوة، القاهرة، دار إيتراك، ص: ٢٣١

² - Ruscio, A.M., Stein, D.J., Chiu, W.T., & Kessler, R.C. (2010): The epidemiology of obsessive-compulsive disorder in the National Comorbidity Survey Replication. *Molecular Psychiatry*, 15(1), 53-63.

³ - Vera, L & Leveau J. (1990): thérapies cognitives- comportementales en psychiatrie infanto-juvéniles, Masson, Paris, p :10

أساسي (٣٢%)، عسر المزاج (٢٦%)، الإدمان (٢٢%)، القلق الاجتماعي (١٩%)، الهلع (١٤%)، ثنائي القطب (١%)^١. كما وجد أن حوالي (40%) من مرضى الوسواس القهري يعانون من اضطرابات النوم^٢.

هذا الاقتران الذي يظهر بين اضطراب الوسواس القهري واضطرابات أخرى كالاكتئاب والقلق والمخاوف هو ما جعل منه أكثر الاضطرابات التي تسبب ألماً ومعاناة، وتشكل تحدياً كبيراً للمعالجين النفسانيين، مما دفع بالكثير من العلماء والباحثين لتقديم نماذج نظرية متجددة لتفسير وعلاج هذا الاضطراب.

تعريف الوسواس القهري:

تمثل الوسواس أحد أشكال اضطرابات محتوى التفكير، حيث تظهر في مستوى وعي الفرد أفكار مقتحمة متكررة ذات سمة اجتراريه متسلطة، أما الأفعال القهرية فهي أداءات روتينية ظاهرة أو مضمرة يكررها المريض في شكل أقرب ما يكون إلى الطقوس كما لو كان يتبع قواعد بعينها.

وبالنظر إلى مفهوم الوسواس القهري استخرجت فوا وكوزاك (Foa, Kozak, 1991) ثلاثة خصائص:

١. أن الوسواس تعد أحداثاً عقلية، في حين تمثل الدفعات القهرية أحداثاً سلوكية.
٢. أن الوسواس والدفعات القهرية قد تحدث معا أو بشكل منفصل.
٣. يدرك الفرد دائماً أن أفكاره الوسواسية ودفعاته القهرية ليس لها معنى.

ويعتبر اضطراب الوسواس القهري اضطراباً متغير العناصر، حيث يمكن أن تنطوي الوسواس على أفكار غير مرغوب فيها أو صور واندفاعات عدوانية لإلحاق الأذى بالآخرين أو الذات (مثلاً: إيذاء الأبناء بسكين المطبخ) أو أفكار تتضمن تعديتات جنسية أو دينية كقهرية (مثلاً: التفكير في تدنيس المقدسات الدينية) أو وسواس الشك الدائم مما يؤدي إلى معاودة التفقد (مثلاً: لست متأكداً من إغلاق الغاز) أو الخوف من الإصابة (إلحاق الضرر بسبب الجراثيم). كما تتمثل الأفعال القهرية في تكرار الغسل، و التفقد، الترتيب والتنظيم للمس، العد، تكرار الدعاء و الصلوات.

و يجدر بنا في هذا المقام أن نوضح معنى الاندفاعات كشكل من أشكال الوسواس، وهي تعني رغبة جامحة لأن يقوم المريض بأفعال لا يرضى عنها ويحاول مقاومتها. مثلاً التأكد من غلق الأبواب و الأجهزة قبل النوم مرات عديدة، ترتيب الأشياء أو الأعمال بطريقة معينة و إن أخطأ فإنه يعيد أفعاله مرارا، وأن هناك أفكارا تطارده مثل العدوان على الآخرين أو قتل أمه أو الانتحار من مكان مرتفع أو الغناء في ماتم أو تسميع جدول الضرب أو شتم الذات الإلهية، و الاندفاعات قد تكون تافهة أو خطيرة و الشخص يعرف أنها غير منطقية و لكن لا يستطيع التحكم فيها أو وقفها^٤.

يختلف الأشخاص المرضى بالوسواس القهري في نوعية وسواوسهم وأفعالهم القهرية، غير أنهم يشتركون تقريبا في معتقداتهم المتعلقة بالسلوك القهري واعتباره يمنع حدوث الأشياء المرعبة، لذلك فإن المرضى يكررون السلوك القهري منعا لحدوث

¹- Sauteraud, A., (2005): Le trouble Obsessionnel-Compulsif Le Manuel du thérapeute, Odile Jacob, Paris, p:63

^٢- بارلو، ه ديفيد وآخرون (٢٠٠٢): مرجع إكلينيكي في الاضطرابات النفسية، ترجمة صفوت فرج، القاهرة، الأجلو المصرية، ص: ٤٧٧.

³- Foa, E & Kozak, M (1991): DSM-IV field trail : Obsessive compulsive Disorder, American Journal of Psychiatry, 152, 90-96

^٤- شلي، محمد، الدسوقي، محمد، ابراهيم، زيزي (٢٠١٤): تشخيص الأمراض النفسية للراشدين، القاهرة، الأجلو المصرية، ص: ١٤٢.

القلق الذي تخلفه الافكار الوسواسية المقتحمة للوعي، فكيف تشكل الوسواس والأفعال القهرية المعايير والمحكات الأساسية لتشخيص اضطراب الوسواس القهري؟

٢- تشخيص اضطراب الوسواس القهري:

أدى تطور الدراسات والأبحاث في مجال الوسواس القهري إلى تغير معايير التشخيصية بدءاً من عام (١٩٩) حيث صدر الدليل التشخيصي والإحصائي الأول (DSM-١) للاضطرابات النفسية عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي (A.P.A)، وضم هذا الدليل سبعة تصنيفات فرعية لاضطرابات العصاب النفسية منها (استجابة الوسواس القهري). ثم صدرت الطبعة الثانية من هذا الدليل عام (١٩٦) واعتمدت هذه الطبعة على تصنيف (كربيلين) بعد أن خضع لتعديلات شتى، وشملت تسع فئات فرعية للعصاب منها (عصاب الوسواس القهري) ثم صدر الدليل الثالث عام (١٩٨)، وأدخلت عليه تعديلات جذرية متعددة وأصبح الوسواس القهري أحد التصنيفات المدرجة تحت فئة اضطرابات القلق، واستمر الأمر ذاته في الدليل التشخيصي والإحصائي الثالث المعدل الصادر عام (١٩٨)، والرابع الصادر سنة (١٩٩)!

وواصل إدراج الوسواس القهري في فئة اضطرابات القلق في الدليل التشخيصي الرابع المعدل (DSM-IV- TR 2000) بينما جاء الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية في نسخته الخامسة (٢٠٠١) مختلفاً حيث تم وضع اضطراب الوسواس القهري والاضطرابات المرتبطة به في فصل خاص منفصل عن اضطرابات القلق ويليها مباشرة وقد تضمن هذا القسم الوسواس القهري واضطراب التشوه الوهمي للجسد واضطراب التخزين (الاكتناز)، هوس نتف الشعر ونزع الجلد، وغيرها...

وقد حدد الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية الخامس (٢٠٠١) المعايير التشخيصية للوسواس القهري كما يلي:

أ. وجود إما وسواس أو أفعال قهرية أو كلاهما:

١. أفكار أو اندفاعات أو صور متكررة وثابتة، تختبر في وقت ما أثناء الاضطراب باعتبارها مقتحمة متطفلة وغير مرغوبة، وتسبب عند معظم الأفراد قلقاً أو إحباطاً ملحوظاً.

٢. يحاول المصاب تجاهل أو قمع مثل هذه الأفكار أو الاندفاعات أو الصور أو تحييدها بأفكار أو أفعال أخرى (أي بأداء فعل قهري).

تعرف الأفعال القهرية بـ (١) و (٢):

(١) سلوكيات متكررة (مثل غسل اليدين، الترتيب، التحقق) أو أفعال عقلية (مثل الصلاة العمد، تكرار الكلمات بصمت) والتي يشعر المريض أنه مساق لأدائها استجابة لوسواس، أو وفقاً لقواعد ينبغي تطبيقها بصرامة.

(٢) تهدف السلوكيات أو الأفعال القهرية إلى منع أو تقليل الاحباط أو القلق، أو منع حادث أو موقف فظيع، بيد أن هذه السلوكيات أو الأفعال القهرية إما أنها ليست مرتبطة بطريقة واقعية، بما هي مصممة لتحييده أو منعه أو أنها مفرطة.

ملاحظة: الأطفال الصغار قد لا يكونون قادرين على التعبير عن أهداف هذه السلوكيات أو الأفعال القهرية.

^١ - عبد الخالق، أحمد (٢٠٠٢): الوسواس القهري - التشخيص والعلاج - مكتبة الكويت الوطنية، ص: ٣٢.

ب. تكون الوسواس و الأفعال القهرية مستهلكة للوقت (تستغرق أكثر من ساعة يوميا مثلا)، أو تسبب احباطا سيريا هاما أو ضعف الأداء في المجالات الاجتماعية والمهنية أو غير ها من مجالات الأداء الهامة الأخرى.

ت. أعراض الوسواس القهري لا تعزى للتأثيرات الفيزيولوجية لمادة (مثلا إساءة استخدام عقار/دواء) أو لحالة طبية أخرى.

ث. لا يفسر الاضطراب بشكل أفضل بأعراض اضطراب عقلي آخر (على سبيل المثال المخاوف المفرطة، كما في اضطراب القلق المعمم، الانشغال بالمظهر كما في اضطراب تشوه شكل الجسم وصعوبة التخلص أو فراق المقتنيات كما هو الحال في اضطراب الاكتناز، هوس نتف الشعر كما هو في اضطراب نتف الشعر، نزع الجلد كما هو الحال في اضطراب نزع الجلد، النمطية كما هو الحال في اضطراب الحركة النمطية، طقوس سوك الأكل كما هو الحال في اضطرابات الأكل، الانشغال بالمواد أو بالمقامرة كما هو الحال في الاضطرابات الإدمانية وذات الصلة بالمواد، الانشغال بوجود المرض أو التخيلات الجنسية كما هو الحال في اضطرابات الولع الجنسي، الاندفاعات كما هو الحال في اضطرابات السلوك والسيطرة على الانفعالات، واجترار الذنب كما هو الحال في الاضطراب الاكتئابي الجسيم، زرع الأفكار أو الانشغالات التوهمية كما في اضطراب طيف الفصام والاضطرابات الذهانية الأخرى أو أنماط متكررة من السلوك كما في اضطراب طيف التوحد¹.

تعد المحكات التشخيصية المذكورة أنفا الأحدث في تحديد الصورة الإكلينيكية لاضطراب الوسواس القهري وهي تعطي للأخصائي الإكلينيكي ترجيح تشخيص الاضطراب على وجه الدقة، ويمكن للأخصائي بناء عليها تحضير أسئلة المقابلة المقننة التي يمكنه استخدامها لتعيين الاضطراب ومباشرة التدخل العلاجي فيما بعد.

عناصر خبرة الوسواس القهري:

حتى نفهم العلاقة بين الوسواس و الأفعال القهرية يجب أن ننظر إلى كل العناصر التي يمكن أن توجد في خبرة الوسواس القهري و التي يعرضها دي سيلفا وريكمان 1998² De silva&rachman:

١. المثير: المثير في الوسواس القهري حادث أو مؤشر يفجر الوسواس و يظهره، وقد يكون المثير هنا شعورا أو ضيقا أو دفعة قهرية، وقد يكون المثير خارجيا في البيئة أو داخليا مثال ذلك سيدة لديها وسواس: (هل طعنت شخصا ما ؟) وذلك في كل مرة ترى فيها سكيننا، فالسكين هنا هي المثير الخارجي الذي يحث وسواسها ويستفزها. وأما المثيرات الداخلية فهي أحداث عقلية تؤدي إلى النتيجة ذاتها، فقد شكا رجل من أنه في كل مرة يتذكر فيها والده المتوفي تمر بخبرته الوسواس المتصلة بالموت، فإن ذكرى الأب هي المثير الداخلي للتفكير الوسواسي ولكن المثيرات لا توجد في كل الخبرات الوسواسية القهرية بشكل كامل.

٢. الشعور بالضيق: يؤدي حدوث الوسواس عادة إلى شعور بالضيق (Discomfort) وعدم الراحة.

٣. الدفعة القهرية: هناك دفعة (Urage) أو اندفاع (Impluse) وحافز يشعر الفرد بضرورة القيام بسلوك معين، بطريقة محددة غالبا، ولكن ليست كل خبرة وسواسية قهرية تتضمن هذا العنصر.

٤. السلوك القهري: هذا هو السلوك -المضمر أو الصريح- الذي ينتج عن الدفع القهري و عندما يستخدم مصطلح (القهر) (Compulsion) فإنه يشير عادة إلى الدفعة القهرية و السلوك القهري معا.

١- الحمادي، أنور (٢٠١٥): خلاصة الدليل التشخيصي و الإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص: ١٨٣.

٢- عبد الخالق، أحمد، مرجع سابق، ص: ٩٨.

٥. خفض الضيق: عندما يتم تنفيذ السلوك القهري بالطريقة المطلوبة فإن المريض يشعر عادة بقليل من الراحة، لكن هذا الشعور مؤقت.

٦. الخوف من وقوع كارثة: من الجوانب الشائعة في هذا الاضطراب أن المريض يشعر أن كارثة (Disaster) معينة سوف تحدث ما لم يتفادها و يدفع أذاها بانشغاله بسلوكه القهري.

٧. المسؤولية المتضخمة: يمر الكثير من المرضى بخبرة الشعور بالمسؤولية المتضخمة (inflatedresponsibiliti) حتى بالنسبة لحوادث ليس لهم السيطرة عليها ولا تحكم فيها و تولد هذه المسؤولية المتضخمة عادة شعور بالذنب العميق.

٨. البحث عن إعادة التوكيد أو الطمأنة: إن الأفكار الوسواسية كثيرا ما تؤدي بالمريض إلى أن يبحث عن التوكيد أو الطمأنة مثال ذلك الأسئلة التالية:(هل أنا في الطريق إلى الجنون؟ هل نَقذت الأمر بطريقة صحيحة؟ هل أحتاج إلى مراجعة الصنابير مرة ثانية؟). و عندما يتلقى المريض التوكيد والطمأنة فإنه يشعر ببعض الراحة من الضيق مما يؤدي إلى تكرار ذلك.

٩. التجنب: من الممكن أن يكون التجنب (Avoidance) ملمحا أساسا في الصورة الإكلينيكية على الرغم من أنه ليس جزءا من خبرة الوسواس القهري ذاته. و يلحق السلوك التجنبي عادة الموضوعات أو المواقف التي يمكن أن تثير الوسواس أو الفعل القهري مثال ذلك أن من يعانون من وسواس القذارة و الجراثيم يكافحون عادة لتجنب ما يعتقدون أنه قذر أو ملوث.

واعتمادا على ما سبق يتضح لنا كيف يمكن أن تشكل العناصر التسعة (٩) النسيج المعقد لخبرة الوسواس القهري، وكيف تتراكم المحتويات النفسية كسلسلة من العناصر تبين لنا في النهاية كيف تنشأ معاناة مريض الوسواس القهري إلى درجة تحول الأعراض في اعتقاده من السخف إلى كونها حقيقة محتملة.

التفسيرات النظرية:

النموذج السلوكي لتفسير الوسواس القهري:

يؤكد النموذج السلوكي (Behavioral Model) دور التشريط (Conditioning) في اكتساب اضطراب الوسواس القهري و الاحتفاظ به كأفكار و أفعال و عادات جديدة تم تعلمها، ويكمن الأساس الحقيقي لهذا الاضطراب في أن المرضى يشعرون بالكرب طوال الوقت الذي تقتحم فيه الأفكار الوسواسية أذهانهم، ومن ثمّ فهم يطورون مخاوف أو رهبا شرطيا (Conditioned Phobia) يرتبط بأفكارهم الوسواسية، وغالبا ما يحاول هؤلاء المرضى مواجهة أفكارهم الوسواسية بمحاولتهم تجنب التفكير فيها، بالإضافة إلى كونهم - في الوقت نفسه- يتورطون في القيام بأفعال وتصرفات محددة كمحاولة منهم لتخفيض، أو تقليل حدة الكرب النفسي والقلق الذي يعانون منه. فالخوف مثلا من التلوث بالقاذورات، يدفعهم لتكرار غسل أيديهم، كما قد يدفعهم إلى تجنب المواقف التي تثير أفكارهم الوسواسية كذلك. وينتج عن مثل هذه الأفعال القهرية بصفة عامة انخفاض مؤقتا في حدة الكرب والقلق النفسي، الأمر الذي من شأنه أن يدعم السلوك المرضي فيما بعد^١.

وعليه تمثل الوسواس - تبعا لنظرية التعلم- منبها شرطيا للقلق، حيث تصبح منبها محايدا نسبيا مرتبطا بالخوف أو القلق خلال عملية اشراط استجابية، بأن يقترن بحوادث قلق بطبيعتها أو مسببة للقلق، و من ثمّ تصبح الموضوعات و الافكار التي كانت محايدة منبها شرطية قادرة على إثارة القلق أو عدم الراحة .

^١ - ليهي روبرت. مرجع سابق، ص: ٢١٥.

ويتكون القهر بطريقة مختلفة، إذ أن الفرد يكتشف ان فعلا معيننا يقلل من القلق المرتبط بالأفكار الوسواسية ولذا تتطور خطط التجنب على شكل قهر أو سلوك طقسي للسيطرة على القلق. وبالتدرج و نتيجة لفاعليتها في تقليل حافز ثانوي مؤلم (قلق) فإن خطط التجنب تصبح ثابتة بوصفها أنماطا متعلمة للسلوك القهري¹.

و اعتبارا من فكرة أن الدفعات القهرية تخفض القلق الناتج عن الوسواس فإن ذلك يعد حافزا ينشط أداء السلوك الطقسي من جديد و بهذا فإن النموذج السلوكي نجح في تفسير سبب تكرار الدفعات القهرية و منه انبثق نموذج العلاج الأكثر انتشارا في التعامل مع الوسواس القهري و هو العلاج بالتعرض و منع الاستجابة.

النماذج المعرفية والماوراء معرفية لتفسير الوسواس القهري:

قدم سالكوفسكس (Salkovskis, 1991) التحليل الأكثر شمولاً لاضطراب الوسواس القهري، ونقطة الانطلاق في هذا التحليل هي أن الأفكار الوسواسية المقتحمة تعمل كمنبهات قد تستثير أنماطا معينة من الأفكار التلقائية السلبية. و بالتالي فإن فكرة مقتحمة قد تؤدي إلى اضطراب مزاجي في حال ما إذا استثارت هذه الأفكار التلقائية السلبية فقط من خلال تفاعل بين الاحتمالات غير المقبولة و نسق معتقدات الفرد (مثال ذلك السيئون هم الذين لديهم أفكار جنسية)².

و يعد كل من الشعور بالمسؤولية و لوم الذات بمثابة السياقات المركزية في نسق معتقدات مريض الوسواس القهري، و يمكن فهم التحييد في صورة السلوك و المعارف القهرية باعتباره محاولة لخفض الإحساس بالمسؤولية و منع اللوم. يضاف إلى ذلك إمكان إدراك الوسواسيين القهريين لأفكارهم المتكررة الظهور المتعلقة بالأحداث غير المقبولة على أنها تعبر عن الأحداث نفسها. لذلك فعلى سبيل المثال، حتى إذا لم يرتكب الشخص خطيئة، فإن التفكير في الخطيئة تكون من السوء بالنسبة له بقدر الخطيئة ذاتها³.

وفي هذا السياق يبين المحارب (2009) التفسير المعرفي لاضطراب الوسواس القهري في العناصر الموالية:

أ- تبدأ مشكلة الوسواس القهري من أفكار احتمالية عادية، و ينحصر الفرق بين الأفكار العادية و بين الأفكار المقتحمة الوسواسية في الطريقة التي يفسر بها المريض حدوث و محتوى هذه الأفكار.

ب- يميل مريض الوسواس القهري إلى النظر لهذه الأفكار كمؤشر لكونه مسؤول عن وقوع خطر محتمل لنفسه أو لغيره.

ج- يؤدي ذلك إلى زيادة الشعور بعدم الارتياح ، القلق و الاكتئاب.

د- يركز المريض أكثر على هذه الأفكار التي تقتحم ذهنه.

هـ- يؤدي هذا النوع من التركيز إلى سهولة ورود الأفكار الاحتمالية.

ي- يقوم المريض بمحاولات نشطة (في الغالب تؤدي إلى نتائج عكسية) للحد من الأفكار المقتحمة على شكل استجابة سلوكية و ادراكية (تحييد)⁴.

¹ Kaplan, H.I. ;Sadock, B.J. (2007). Synopsis of Psychiatry, Behavioral Sciences/ Clinical Psychiatry, Lippincott Williams & Wilkins, Edition.p :405.

²- Salkovskis p.(1985) : Obsessional Compulsive Problems: a cognitive behavioral analysis. Behavioral Research and Therapy; 23: 571–83.

^٣- بارلو، ه ديفيد وآخرون(٢٠٠٢): مرجع إكلينيكي في الاضطرابات النفسية، ترجمة صفوت فرج، القاهرة، الأنجلومصرية، ص: ٤٨٣.

^٤- المحارب، ناصر (٢٠٠٠): المرشد في العلاج الاستعرافي السلوكي، الرياض، دار الزهراء، ص: ٢٧٨.

إن البحث في المتضمنات المعرفية التي يمكن أن تشكل عوامل خطر على ظهور الوسواس القهري قد تجددت بظهور الموجة الثالثة للعلاج المعرفي، وخصوصا العلاجات الما وراء المعرفية، إذ تمّ التحوّل بالنسبة للعوامل المسهّمة في اضطراب الوسواس القهري من المسؤولية المتضخمة (Salkovskis, 1985) إلى انصهار الفكر- السلوك (Rachman, 1993)، إلى العوامل الما وراء معرفية الموصوفة من قبل (Wells, 1997; Wells, & Matthews, 1994)، حيث تأكد تأثير عوامل مثل انصهار الفكر- السلوك ومعتقدات ما وراء المعرفة المتعلقة بالحاجة للسيطرة على التفكير (التحكم في الفكر) في دراسات محكمة ومضبوطة¹.

إذ يؤكد هوفمان^(٢٠٠٠, Hofman) بعض الخصائص الشائعة المرتبطة بالوسواس القهري مثل الصعوبة التي يجدها المريض في فصل المعارف عن السلوكيات، بمعنى آخر، التفكير في أمر سيء مرعب ومحبط مثله في ذلك مثل التصرف بشكل سيء. وتعرف هذه الظاهرة بأنها انصهار التفكير- السلوك (Thought-action fusion) وتتألف ظاهرة انصهار التفكير- السلوك من عنصرين، يشير العنصر الأول إلى الاعتقاد بان المرور بخبرة فكرة معينة، يعني امكانية وقوع حدث ما بالفعل، في حين يشير العنصر الثاني إلى الاعتقاد بان التفكير في فعل ما مرادف لأداء الفعل - على سبيل المثال، قد ينظر إلى التفكير في قتل شخص ما على أنه مماثل (من الناحية الاخلاقية) لارتكاب الفعل ذاته، وهذا العنصر الاخلاقي يفترض أنه نتاج لاستنتاج خطأ و المتمثل في أن الأفكار "السيئة" مؤشر على الطبيعة و المقاصد الحقيقية للشخص².

ومن المحتمل أن يتسبب هذا الاعتقاد في عملية الاندماج بين التفكير و الفعل في ظهور استجابة سلوكية خاصة كمحاولة التحكم في التفكير، مثال على ذلك: إذا كان أحد الأفراد يعتقد في أن توافر تفكير سلمي لديه يعني أنه قد فعل شيئا سلبيا، ربما يجعل الفرد يقوم بعملية تأكد ذهني أو سلوكي في محاولة منه لتكذيب هذا الفكر المتسلط³.

حيث يقوم الشخص بمحاولات التحكم في فكره وممارسة السيطرة والتأثير عليه، وهو ما يعتبره ويلز ودافيس (Wells & Davis, 1994) أحد أبعاد نموذج ما وراء المعرفة للتنظيم الذاتي، والذي يؤكد على دور استراتيجيات التحكم في الفكر للحفاظ على الأفكار غير المرغوب فيها، وجعلها أكثر تواترا واقتحاما⁴.

واعتمادا على هذا التوجه رسم العلماء خطوط عريضة توجه العياديين وتنير لهم معالم الطريق للتعامل مع الفكر الوسواسيالاقتحامي، وما ينجم عنه من أفعال قهرية و الانتقال من معالجة الفكر المختل وظيفيا إلى العمليات المعرفية المختلة وظيفيا، وتطوير استراتيجيات علاجية فاعلة تستهدف هذه العمليات لإنهاء معاناة المرضى بسرعة وبنجاح.

العلاجات المعرفية والماوراء معرفية لاضطراب الوسواس القهري:

إذا كانت الاضطرابات الاكلينيكية تتميز بمعتقدات خاصة (محتوى أو ناتج معالجة معرفية) و باستراتيجيات خاصة لمعالجة المعلومات (سيرورات معرفية)، فان كل تدخل يركز على التغيير المعرفي كوسيلة لتسهيل التغيير السلوكي والانفعالي يمكن اعتباره شكلا من اشكال العلاج المعرفي، وهذا ما يبرره الحديث عن العلاج المعرفي بصيغة الجمع¹.

¹ - Gwilliam P, Wells A and Cartwright-Hatto S. (2004) : Dose meta-cognition or responsibility predict obsessive–Compulsive symptoms: a test of the metacognitive model, journal of Clinical Psychology & Psychotherapy, Volume 11, Issue 2, 137–144

^٢ - هوفمان إيس جي (٢٠١٢): العلاج المعرفي السلوكي المعاصر، ترجمة مراد عيسى، القاهرة، دار الفجر، ص: ١٣٠.

^٣ - الخولي، عبد الله محمد عبد الظاهر (٢٠١٤): برامج علاجية للوسواس والأفعال القهرية، e ktav. ص: ١٠٩.

⁴ -Newbolt, J (2013) : Dieters' Experience of Craving Thoughts: The Role of Appraisal and Thought Control in Dysfunctional Eating Behaviour and Emotional Distress. Proquest LLC, Parkway.p :37.

وفي الواقع يتضمن المنهج الناجح في علاج مرضى الوسواس دمجا لكل من الاستراتيجيات المعرفية والسلوكية (salkovskis&warwick, ١٩٨٠) وتعتبر الأساليب السلوكية كافية بشكل خاص لإحداث تغييرات في المعتقدات غير أن تصميم وتوجيه التدخلات السلوكية المرتبطة بعناصر معرفية يمكن أن تقصّر فترة العلاج وتعزّزه، كما تستطيع الأساليب المعرفية أن تبسّط عملية اخضاع المريض للعلاج السلوكي و ضمان الازعان و الخضوع له والاستمرار فيه.²

وتتيح هذه التفسيرات النظرية لاضطراب الوسواس القهري وضع تصور متكامل لسيرورة العلاج المناسبة لهذا الاضطراب، والتي تجتمع من خلالها أجزاء الصورة الموضحة لمنطق العلاج، وهو ما سنأتي على ذكره فيما يلي.

إعادة البناء المعرفي:

المقصود هنا هو تحديد وتعديل الأفكار الموجودة لدى المريض حول تفسيره للأفكار الوسواسية و حول مسؤوليته عن ما قد يحدث له و للآخرين نتيجة سلوكياته و العلاقة بين ذلك وبين رغبته في التحييد. حيث يقدم المعالج تفسيراً معرفياً لأهمية منع الاستجابة من خلال مساعدة المريض و تفحص مدى ملاءمة تقويمه للأفكار الوسواسية و محاولة تعديلها بالاستعانة بالأسئلة السقراطية و الاكتشاف الموجه و سجل الأفكار. و يسعى المعالج في هذه المرحلة إلى جعل المريض يتمعن في النموذج المعرفي لاستمرار مشكلة الوسواس لكي يستطيع المريض من خلاله التأكد مما إذا كانت المشكلة (أ) أنه فعلا سوف يتسبب في إيذاء نفسه أو إيذاء الآخرين أو فشل في منع حدوث الأذى لهم أو لغيرهم و أنه يجب عليه أن يفعل كل ما يستطيع للحيلولة دون ذلك أو (ب) أنه متزعج حول إلحاق الأذى به أو بالآخرين أو أن مصدر المشكلة هو هذا القلق و الاهتمام الزائد و ليس وجود خطر حقيقي في الواقع.³

وهنا يمكن التعامل المباشر مع معتقدات مريض الوسواس كما هو موضح من خلال الأمثلة التالية:

مثال: التعامل مع اعتقاد المسؤولية عن الضرر:

يمكن أن نغير فكرة المسؤولية عن الضرر إلى فكرة أبسط وأكثر واقعية، وهو أمر يساعد على العلاج، مثال المريضة التي تراجع التأكد من إغلاق الفرن خوفاً من أن يحترق منزلها كما حدث ذلك من قبل، ولكي تساعد نفسها في التوقف عن المراجعة سألت نفسها: "ما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث حقيقة؟ ثم أجابت "سوف أدفع نفقات الغاز أكثر هذه المرة"، وعادت للنوم، ومنذ ذلك الحين توقفت عن المراجعة تماما.

إن النموذج المعرفي للوسواس بالمسؤولية عن الضرر للنفس أو للآخرين دوراً أساسياً في مشكلات مرضى الوسواس القهري وأثناء العلاج يتم توضيح أنّ تحمل المسؤولية التي كنا نتجنبها سابقاً، ليس له نتائج ضارة⁴.

مثال: التعامل مع فكرة "قد لا يكون الأمر وسواس"

^١-علوي، اسماعيل. زغبوش، بن عيسى: (٢٠٠٩): العلاج النفسي المعرفي، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص: ٧٠.

^٢- بيك، آرون. وليامز، مارك. سكوت، جان: (2002): العلاج المعرفي والممارسة الإكلينيكية، ترجمة حسن مصطفى عبد المعطي، القاهرة ، زهراء الشرق، ص: ١٠٤.

^٣- المحارب، ناصر. مرجع سابق، ص: ٢٩٢.

^٤- بيك، آرون. وليامز، مارك. سكوت، جان، مرجع سابق، ص: ١٦٤.

يكون بعض المرضى غير متأكدين من أن مشكلاتهم هي ناتجة عن القلق أو عن خطر حقيقي (غير متأكدين إن كانت أفكارهم وسواس) كأن تعتقد المريضة أن مخاوفها من التلوث يمكن أن تكون حقيقية، ومعنى ذلك أن العلاج يؤدي إلى وسخها (وهو ما قد يؤدي بها إلى وقف العلاج).

مثال ثان:

امرأة لديها أفكار مؤداها أنها يمكن أن تفقد السيطرة على نفسها وتؤدي أطفالها، أو أن تتمنى إيذاءهم وكان هذا الأمر يضايقها (والسر يكمن هنا)، فإذا كانت تريد حقا إيذاءهم لماذا تشعر بالضيق؟ (إذا هذه فكرة وسواسية، ولا تعبر عن رغبة حقيقية).

مثال آخر عن الرجل الذي يشعر كما لو أنه يرغب في الدوس على المصحف الشريف فيشعر بالضيق مما يجعله يحاول (التحيد) بتحريك قدميه. لو كان يريد أن يفعل ذلك فعلا، لماذا يتضايق؟ (إنها مجرد فكرة وسواسية)، فهي ليست فكرة حقيقية أو رغبة حقيقية، لذلك لا يمكن أن يفعلها (لا يمكن أن يصل إلى النتيجة الأسوأ).

مثال: التعامل مع - معتقد انصهار التفكير - السلوك:

يجب فحص فرض المريض فيما يخص المعتقد " التفكير في شيء ما يحيله إلى حقيقة"، مثال ذلك: المعالج: "دعنا نرى ما إذا كنت أستطيع أن أجعل نفسي أعاني من ألم شديد بمجرد التفكير في ذلك"، "أرغب أن أنشط نصفين الآن وفورا (لحظة انتظار) ها ... ماذا هناك؟ ما الذي حدث؟ والهدف من هذا مساعدة المريض على اكتشاف محدودية قدرته ومسؤوليته على محاولة جلب عواقب وخيمة بمجرد تبنيه لفكرة معينة لكي يدرك محدودية قدرته ومسؤوليته.

و اعتمادا على الأمثلة السابقة نلاحظ أن المعالج النفساني الذي يستخدم الأساليب المعرفية يعمل على مساعدة المريض على فحص طريقة إدراكه (وجهة نظره) غير الدقيقة للأفكار التي تقتحم ذهنه، ويوجهه إلى اكتشاف تفسيرات بديلة لا تستدعي التجنب ولا طلب الطمأنة.

استراتيجيات اليقظة العقلية Mindfulness:

وتعني إعادة توجيه انتباه الفرد بشكل متعمد نحو الخبرات الداخلية والخارجية التي يمر بها في اللحظة الراهنة بهدف تنظيم وإدارة انفعالاته من خلال تمارين التأمل¹.

حيث تساعد تمارين التأمل على المرور بخبرة اللحظة الراهنة بشكل منفتح وغير حكمي، حيث أنه أثناء التفكير الواعي يمكن للشخص الانتباه لما يحدث بداخله وحوله هنا والآن، وهذا يسمح له بالاعتراف بالأفكار والمشاعر كما هي، والابتعاد عن الحاجة للحكم الناقد أو التجنب الخبراتي².

ليس الهدف من استخدام التأمل العمل على تشتيت الذهن بل العكس من ذلك هو ربط الشخص بالخبرة الانفعالية للوعي اللاحمي الذي يركز على الحاضر، فيثمر إدارة واعية وتوافقية للذات، كما يساعد على انطفاء الاستجابات الانفعالية المرضية وسلوكيات التجنب الخبراتي.

وهكذا يمكن أن تكون تمارين التأمل على بساطتها أسلوبا هادئا للتعامل مع الخبرات المؤلمة والأفكار المزعجة والانفعالات السلبية بدلا من محاولة تجاهلها، أو التشويش عليها وكبحها.

¹ - الفرماوي، حمدي علي و حسن، وليد رضوان (٢٠٠٩): الميتا انفعالية لدى العاديين وذوي الإعاقة الذهنية، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ص: ١٦٩

² - Kabat-Zinn, J. (2003). Mindfulness-based interventions in context: Past, present, and future. Clinical Psychology: Science and Practice, 10, 144-156.

وفي هذا السياق يؤكد هوفمان أن تشجيع المريض على تبني وجهة نظر تأملية مقبولة نحو هذه المثيرات غير المريحة يمكن أن تكون معاكسة بشكل فعال لاستراتيجيات التجنب الآلية (بما في ذلك استراتيجيات التجنب الانفعالي). لذا لا بد أن يعلم المريض بأن يمر بخبرة عدم الراحة أو القلق إلى أقصى درجة في حين يقارب المعالج النفسي سيناريو الحالة الأسوأ. إن هذا يقودنا إلى تصميم تجارب سلوكية وبناء مدرج الخوف حتى يتسنى للمريض اختبار الواقع وقبوله وقياس الحقيقة، وذلك من خلال التعرض ومنع الاستجابة الذي نعرضه في العنصر الموالي.

طريقة التعرض ومنع الاستجابة:

يقوم أسلوب التعرض ومنع الاستجابة على أساس إجراءات التشريط التقليدي لخفض استجابة القلق والخوف من خلال تعريض المريض لمثيرات الخوف والقلق، والعنصر الجوهرية في العلاج هو التعرض للمثير المسبب للخوف والقلق ومنع المريض من القيام بالطقوس الروتينية والتي من المفروض أن تؤدي إلى خفض القلق عند ذلك المريض.

و بمزيد من الدقة فإن هذا العلاج يقوم على خطوتين أساسيتين كما ذكرهما ماير²:

- وضع المريض في موقف حي أو تخيلي يشعره بالقلق وعدم الراحة بشكل مستمر و متزايد إلى أن يصل إلى مرحلة لا يستطيع فيها التحمل ولديه إلحاح كبير للقيام بالطقوس القهرية التي تمنحه الشعور بالارتياح.
- وبعد ذلك يمنع المريض من القيام بهذه السلوكيات القهرية أو الطقوس المخفضة للقلق.

ويساعد التعرض ومنع الاستجابة مع الأشخاص المصابين باضطراب الوسواس القهري على أن يتعلموا تحمل القلق الذي يشعرون به عندما يتم منعهم من تنفيذ طقوسهم القهرية، وفي النهاية يخمد القلق وينخفض نتيجة للتعرض المتكرر، ويشعر الفرد بإجبار أقل للقيام بالطقوس التي كان يقوم بها. ويعتقد بعض الباحثين أن مبدأ الإطفاء (Extinction) أو إضعاف استجابة القلق بعد التقديم المتكرر للهاديات (Cues) الوسواسية في غياب أي عواقب أو نتائج منفرة، هو الذي يكمن وراء التأثير العلاجي لهذه الطريقة³.

ولقد تم إعادة ضبط التصور المفاهيمي للتعرض ومنع الاستجابة حيث يشير (Wells,1997) إلى وجود فائدة لهذا الأسلوب في التدريب على الانتباه المستقل (Detached Mindfulness) وأيضا بالنسبة للتعرض لعدم الارتياح الانفعالي بطريقة تواجه المعتقدات السلبية الخاصة بطبيعة عدم الارتياح. ويعمل المنظور المعرفي على تعديل الأساس النظري للتعرض ومنع الاستجابة. ويجب أن يركز الإطار النظري من خلال إطار العمل العلاجي المعرفي على التعرض للأفكار، والأحداث كوسيلة لتحدي المعتقدات الكارثية المرتبطة بمثل هذه المثيرات، ومنع الاستجابة (استبعاد سلوكيات الأمان Elimination of Safety Behaviors)، ثم تصبح بمثابة "مناورة مشككة Disconfirmatory Maneuver" تعمل على تسهيل العزو لعدم حدوث الكارثة إلى عدم صحة الاعتقاد الأصلي. ويلزم إجراء فحص تفصيلي لجميع الاستراتيجيات الظاهرة والمستترة تماما كما هو الحال بالنسبة للاستعداد للتعرض ومنع الاستجابة المستخدم في الإطار السلوكي.

¹ - هوفمان، إس جي ، ص: ١٤١

² - البشر، سعاد (٢٠٠٧): الوسواس القهري، الكويت، غراس للنشر والتوزيع، ص: ٦٢.

³ - عبد الخالق، مرجع سابق، ص: ٣٢٦.

ويمكن استخدام أشكال مختلفة من تجارب التعرض ومنع الاستجابة لتحدي المعتقدات من خلال التقييمات والتنبؤات السلبية الناشئة عن معتقدات المريض. وتشتمل هذه الأشكال على زيادة تكرارية الأفكار غير المرغوبة أو زيادة مدتها في محاولة للتسبب في كارثة ثم التنبؤ بها، أو التصرف بأساليب خطيرة (ليس لها خطورة فعلية في الواقع)¹ يساعد تطبيق العلاج المعرفي بأطرافه وفنياته على الفهم الدقيق للتقييمات التي تقف وراء الفكر والعمليات المختلفة وظيفيا لدى المريض وتوجيه انتباهه ليس إلى كبح الفكرة ومقاومتها (لأن ذلك يؤدي إلى زيادة الأفكار تبعاً لتجربة ويلز¹⁹⁸⁷)، بل الوعي الكامل بخبراته، والاحتفاظ بالوعي الموضوعي المستقل لأفكارهم الوسواسية ومواجهة تقييماتهم غير التوافقية. ويعتمد كل ذلك بشكل كبير على إسهام المريض ومثابرتة في إجراء الواجبات المنزلية المطلوبة منه فيما بين الجلسات وتسجيل المعلومات المطلوبة على السجلات، وعرض النتائج ومناقشتها مع الأخصائي في كل جلسة.

فعالية العلاج المعرفي السلوكي:

أظهرت دراسات التحليل المعمق المضبوطة أن العلاج المعرفي السلوكي عموماً كانت له فعالية علاجية بالغة وحجم تأثير كبير فقدت العلاجات المعرفية أساليب تعتمد على تغيير معتقدات الفرد، كما جاء في دراسة لإميلكامبوبينس (Emmelkamp&Beens1991) استعمالاً للعلاج المعرفي على أساس تقنية إيليس (أ-ب-ج) وقد كانت المتابعة لمدة (٦) أشهر وأظهرت النتائج تساوي فاعلية العلاج المعرفي مع العلاج السلوكي بالتعرض ومنع الاستجابة².

في حين أكدت (Foa&Coldstein,1978,Marks,1987) أن العلاج باستخدام التعرض الحي مع منع الاستجابة يحدث تحسناً ونجاحاً يصل إلى ٨٩% من الحالات والمتوسط ٧٩%³.

وبالنسبة لدراسة التأثير النسبي لإجراءات التعرض ومنع الاستجابة فقد عولج مرضى الوسواس القهري بالتعرض فقط، أو منع الاستجابة فقط، أو بالجمع بين الأسلوبين، ووجد بعد العلاج - وفي المتابعة - أن الجمع بين الأسلوبين أعطى مكاسب أفضل في العلاج.

وقد بينت الدراسة الدقيقة للنتائج أن عنصري العلاج أعطيا نتائج فارقة، فبينما أثر التعرض على الأفكار الوسواسية المثيرة للكدر، كان التأثير الأكبر لمنع الاستجابة منصباً على الطقوس⁴.

وهذا النوع من العلاج النفسي - التعرض ومنع الاستجابة - كان هو العلاج المعتمد و الأوسع انتشاراً والخيار الأمثل لمعالج الوسواس القهري حيث أظهر (75%) من مرضى الوسواس القهري الذين عولجوا به تحسناً ملحوظاً، واستمر التحسن من دون انتكاس بشكل عام بعد توقف العلاج السلوكي، كما أن الأدوية المنشطة لإفراز السيروتونين كهرمون دماغى من النواقل العصبية، مثل (أنافرانيل Anafranil)، ومضادات الاكتئاب (كالبروزاك Prozac)، و (الباكسل Paxil)، قد تبين أنها فعالة في علاج

¹ - الخولي، عبد الله محمد عبد الظاهر، مرجع سابق، ص: ٩١.

² - Cottraux, J (2001): Les thérapies comportementales et cognitives, Masson, Paris.p :299.

³ - بيك، آرون. وليامز، مارك. سكوت، جان. مرجع سابق، ص: ٩٦.

⁴ - بارلو، ه ديفيد وآخرون، مرجع سابق: ٤٩٠.

الوسواس القهري. و مع ذلك، فإن معدلات الانتكاس بعد العلاج بالأدوية الطبية النفسية تصل إلى (89%) إذا لم يصاحبه العلاج السلوكي. أما إذا تم خضوع المرضى للعلاج السلوكي و الطبي معا، فإن (89%) من المرضى لا ينتكسون¹.

ويرجع التحليل التجميحي لتسعة عشر (19) دراسة اعتمدت مقارنة التعرض ومنع الاستجابة بالمعالجات الضابطة أن التعرض ومنع الاستجابة فعال في خفض الوسواس والأفعال القهرية (Rosa-Alcazar, Sanchez-Meca, Gomez-Conesa, & al, 2008). كما أن التعرض ومنع الاستجابة أكثر فاعلية من الكلومبيرامين في علاج الوسواس القهري (Foa, Libowitz, Kozak, & al, 2005)، وأنه فعال للأطفال والبالغين والكبار (Franklin & Foa, 2011)، كما أن التعرض ومنع الاستجابة يعمل جيدا خارج الضوابط الأكاديمية وخارج التجارب العلاجية المحكمة بعناية. فقد بين باحثون نتائج ممتازة للتعرض ومنع الاستجابة قدمها معالجون من المجتمع غير متخصصين في اضطراب الوسواس القهري (Franklin & Foa, 2011)².

وفي دراسة محكمة تضمنت استخدام المعالجة الما وراء معرفية (MCT) لاضطراب الوسواس القهري بهدف تعديل وتغيير المعتقدات الما وراء معرفية لمجموعة مكونة من ثمانية (8) من المرضى يعانون من أعراض متنوعة من الوسواس والأفعال القهرية، حيث انتهت الدراسة بإثبات تحسن هام لسبعة من ثمانية مرضى إلى غاية ثلاثة (3) أشهر من المتابعة، وهذه النتائج تعتبر واعدة³.

كما أظهرت بعض الدراسات أن المناحي العلاجية المقدمة من خلال الموجة الثالثة للعلاجات المعرفية مثل العلاج بالتقبل والالتزام (ACT) يمكن أن تكون متناسبة جدا لمرضى الوسواس القهري، ومقبولة لديهم لأنها لا تثير مستويات مرتفعة من القلق كما هو الحال في العلاج بالتعرض⁴.

وفي نفس السياق أشارت دراسات أخرى إلى مدى كفاءة المناحي العلاجية للموجة الثالثة للعلاج المعرفي بما يعادل نتائج العلاج المعرفي السلوكي في علاج اضطراب الوسواس القهري خصوصا⁵.

خاتمة:

ومما سبق يمكن القول أنه إذا استخدم معالجون ذوي خبرة كافية أنماط العلاج المذكورة سلفا، فإن ذلك يساعد المريض على إدارة ذاته وانفعالاته، وعملياته المعرفية والميتا معرفية بوعي كاف وبعيدا عن أي أحكام تقييمية ونقدية، الأمر الذي يخفف الانفعالات السلبية كالقلق والغضب، ويطلق استجابات الخوف والسلوكيات التجنبية، مما يقلل الحاجة لأي سلوك قهري أو سلوكيات تأمينية، وهذا في حد ذاته يعد استئصالا لأعراض الوسواس القهري من الجذور.

¹ -ليهى، روبرت. مرجع سابق، ص: 231.

² - كرينغ، آن. جونسون، شيري. نيل، جون. دافيدسون، جيرالد (2016): علم النفس المرضى، استنادا على الدليل التشخيصي والاحصائي الخامس ترجمة الحويلة أمثال وآخرون، القاهرة، الأجلومصرية، ص: 410.

³ - Clare S. Rees, Kate E. van Koesveld, (2008) : An open trial of group metacognitive therapy for obsessive-compulsive disorder, Journal of Behavior Therapy and Experimental Psychiatry .xx, 1-8

⁴ - Twohig, M. P., Hayes, S. C., Plumb, J. C., Pruitt, L. D., Collins, A. B., Hazlett Stevens, H. et Woidneck, M. R. (2010). A randomized clinical trial of acceptance and commitment therapy versus progressive relaxation training for obsessive-compulsive disorder. J Consult Clin Psychol, 78(5), 705-716.

⁵ - Öst, L.G. (2008). Efficacy of the third wave of behavioral therapies : a systematic review and meta-analysis. Behavioral Research Therapy, 46(3), 296-321.

كما يمكن أن نشير إلى جانب مهم يتعلق بالمريض ذاته كامتلاكه لدوافع قوية وإيجابية نحو العلاج، وقيامه بالواجبات المنزلية ومختلف التدريبات التي يوكل إليه القيام بها فيما بين الجلسات وإدراك أهميتها، مما يسهم بحق في زيادة قدرات المريض على إدارة قلقه وأعراضه المرضية.

وعليه فإن رحلة التعافي تعد ممكنة وآمنة في ظل هذا المنحى العلاجي في شكله المنظم والمفصل والمكثف، ووصفة كافية لدفع المريض بكل ثقة لتحقيق تقدم جوهري في مسيرة الشفاء، وتحسين أدائه النفسي والاجتماعي على حد سواء.

قائمة المراجع:

- البشر، سعاد (٢٠٠٧): الوسواس القهري، الكويت، غراس للنشر والتوزيع.
- الحمادي، أنور (٢٠١٥): خلاصة الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.
- الخولي، عبد الله محمد عبد الظاهر (٢٠١٤): برامج علاجية للوسواس والأفعال القهرية، e.ktab.
- الفرماوي، حمدي علي وحسن، وليد رضوان (٢٠٠٩): الميتا انفعالية لدى العاديين وذوي الإعاقة الذهنية، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
- المحارب، ناصر (٢٠٠٠): المرشد في العلاج الاستعرافي السلوكي، الرياض، دار الزهراء.
- بارلو، ه. ديفيد وآخرون (٢٠٠٢): مرجع إكلينيكي في الاضطرابات النفسية، ترجمة صفوت فرج، القاهرة، الأنجلومصرية.
- بيك، آرون. وليامز، مارك. سكوت، جان (2002): العلاج المعرفي والممارسة الإكلينيكية، ترجمة حسن مصطفى عبد المعطي، القاهرة، زهراء الشرق.
- شلبي، محمد. الدسوقي، محمد. ابراهيم، زيزي (٢٠١٤): تشخيص الأمراض النفسية للراشدين، القاهرة، الأنجلومصرية.
- عبد الخالق، أحمد (٢٠٠٢): الوسواس القهري - التشخيص والعلاج - مكتبة الكويت الوطنية.
- علوي، اسماعيل. زغبوش، بن عيسى (٢٠٠٩): العلاج النفسي المعرفي، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- كرينغ، أن. جونسون، شيري. نيل، جون. دافيدسون، جيرالد (٢٠١٦): علم النفس المرضي، استنادا على الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس، ترجمة الحويلة أمثال وآخرون، القاهرة، الأنجلومصرية.
- ليهي، روبرت (٢٠٠٦): العلاج النفسي المعرفي في الاضطرابات النفسية، ترجمة جمعة يوسف، محمد الصبوة، القاهرة، دار إيتراك.
- هوفمان إس جي (٢٠١٢): العلاج المعرفي السلوكي المعاصر، ترجمة مراد عيسى، القاهرة، دار الفجر.

- Cottraux, J (2001) : Les thérapies comportementales et cognitives, Masson, Paris.

- Clare S. Rees, Kate E. van Koesveld, (2008) : An open trial of group metacognitive therapy for obsessive-compulsive disorder, Journal of Behavior Therapy and Experimental Psychiatry .xx, 1-8



- Foa,E&Kozak,M(1991) :DSM-IV field trail : Obsessive compulsive Disorder, American Journal of Psychiatry, 152, 90-96.
- Gwilliam P, Wells A' and Cartwright-Hatto S. (2004): Dose meta-cognition or responsibility predict obsessive–Compulsive symptoms: a test of the metacognitive model, journal of Clinical Psychology & Psychotherapy, Volume 11, Issue 2, 137–144
- Kabat-Zinn, J. (2003). Mindfulness-based interventions in context: Past, present, and future. Clinical Psychology: Science and Practice, 10, 144–156.
- Kaplan, H.I.; Sadock, B.J. (2007). Synopsis of Psychiatry, Behavioral Sciences/ Clinical Psychiatry, Lippincott Williams & Wilkins, Edition.
- Khoury, B., Lecomte, T., Fortin, G., Masse, M., Therien, P., Bouchard, V,... et Hofmann, S. G. (2013). Mindfulness- based therapy : a comprehensive metaanalysis. ClinPsychol Rev, 33(6), 763-771.
- Newbolt,J(2013) :Dieters' Experience of Craving Thoughts: The Role of Appraisal and Thought Control in Dysfunctional Eating Behaviour and Emotional Distress. Proquest LLC, Parkway.
- Öst,L.G.(2008).Efficacy of the third wave of behavioral therapies : a systematic review and meta-analysis. Behav Res Ther, 46(3), 296-321.
- Ruscio,A.M., Stein,D.J. , Chiu,W.T.,&Kessler,R.C.(2010) :The epidemiologie of obsessive-compulsive disorder in the National Comorbidity Survey Replication. Molecular Psychiatry,15(1),53-63.
- Salkovskis p.(1985): Obsessional Compulsive Problems: a cognitive behavioral analysis. Behavioral Research and Therapy; 23: 571–83.
- Sauteraud,A.(2005):Le trouble Obsessionnel-Compulsif Le Manuel du thérapeute, Odile Jacob, Paris.
- Schoendorff, B., Putois, B., Mollard, E. et Barnel, C. (2009, décembre). Étude pilote de prise en charge en groupe par L'ACT de patients TOC rechutés et/ou résistants et souffrant de comorbidité et suivi à 1 an. Communication présentée aux 37es journées scientifiques de l'Association Française de Thérapie Comportementale et Cognitive, Paris.
- Twohig, M. P., Hayes, S. C., Plumb, J. C., Pruitt, L. D., Collins, A. B., HazlettStevens, H. et Woidneck, M. R. (2010). A randomized clinical trial of acceptance and commitment therapy versus progressive relaxation training for obsessive-compulsive disorder. J Consult Clin Psychol, 78(5), 705-716.
- Vera, L &Leveau J. (1990): thérapies cognitives- comportementales en psychiatrie infanto- juvéniles, Masson, Paris.

الجدور التاريخية لعلم اجتماع البيئة في فكر ابن خلدون

وفاء لعريط، طالبة دكتوراه/جامعة ٢٠ أوت ١٩٥٥ سكيكدة

ملخص :

قد لا يخفى على الكثيرين ، أن عبد الرحمن بن خلدون هو المؤسس الأول والحقيقي لعلم الاجتماع. لكن أن نقول أن أحد فروعها التي ظهرت حديثا لها جذور تاريخية تعود إليه، هذا ما قد يعتبره البعض نوعا من المبالغة ، والمقصود هو علم اجتماع البيئة ، هذا الفرع الذي يعتبر حديث النشأة بالنسبة للعديد من الباحثين الذين يرجعون ظهوره إلى عقد الخمسينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن بالاطلاع على أفكار ابن خلدون نجد أنه أول من تحدث عن دور البيئة في الحياة الاجتماعية ، إذ تناول تأثير البيئة على أحوال الناس وأمزجتهم ، فالبيئة حسب تشكل نوع المجتمع ، ونوع الحرفة ، لون البشرة وطبيعة أخلاق الناس كما تحدد أيضا كيف سيكون مستقبلهم .

لهذا فإننا نحاول من خلال هذا المقال الذي الموسوم بـ " الجذور التاريخية لعلم اجتماع البيئة في فكر ابن خلدون " التطرق إلى إبراز البعد التاريخي لعلم اجتماع البيئة كما ورد في بعض كتابات ابن خلدون.

الكلمات المفتاحية : علم اجتماع البيئة - فكر ابن خلدون.

مقدمة :

تشير الكثير من الدراسات إلى أن العلامة " عبد الرحمن ابن خلدون " يعد من أبرز المفكرين في العالم، و أسبقهم في الحديث عن مدى تأثير البيئة في حياة البشر و ألوانهم و طبائعهم و أخلاقهم. فحسب رأيه البيئة لها دور في تشكل نوع المجتمع ، نوع الحرفة (زراعة ، صناعة ، صيد أو تجارة ... إلخ) و حتى أخلاق الناس وطبائعهم وبيوتهم وأزيائهم ، إذ نجده يقول في مقدمته " أن هناك تأثيرا لنمط الحياة المعين على المألآت المستقبلية ، فاختلاف الأجيال في أحوالهم ، إنما هو اختلاف نحلتهم من المعاش ، فمن كان معاشه في الزراعة مثلا كان المقام به أولى ، وهؤلاء سكان القرى والمدن والجبال ، وهم عامة البربر ومن كان معاشه من السائحة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب ، وهؤلاء مثل البربر والترک وإخوانهم من التركمان و الصقلية ، وأما من معاشهم في الإبل ، فهم أكثر ظعنا و أبعد في الفقر مجالا ، وهؤلاء هم العرب ويتميزون بكونهم أشد بداوة لأنهم مختصون على القيام بالإبل فقط ".¹

¹ عبد الرحمن ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ط١ ، ١٩٧٧ ، ص ٥٤ .

و لقد استقى معظم أفكاره تلك من مختلف التنقلات التي قام بها ، حيث عاش في ظروف سياسية وقبيلية معقدة و بيئات مختلفة ، فمن تونس غادر إلى المغرب و الأندلس ، وهي كما يسميها بيئات حضرية، حيث تكثرت فيها الأنهار و المناطق الزراعية، و تتميز أيضا بازدهار العلوم و المعارف و الحرف المختلفة ، كما عاش أيضا في مدينة بسكرة بالجزائر، حيث تعرف هناك على البيئة الصحراوية أو " حياة البدو " كما أطلق عليها في مقدمته، حيث مكنته ذلك من التعرف على خصائص الحياة الصحراوية و عاداتهم و تقاليدهم.

انتقل بعد ذلك إلى العديد من الدول العربية مثل : بلاد الشام ، الحجاز و مصر ، وقد كان لتلك البيئات المختلفة دور كبير في تكوين فكر ابن خلدون و تطوير نظريته إلى الحياة من جميع جوانبها .

وعليه فالحياة التي عاشها الرجل مكنته من وضع أفكار تتناول كل ما له علاقة بالمجتمع أو كما يسميه هو العمران البشري¹، ومن هذه الأفكار نجد نظريته حول المناخ و البيئة و أثرها على الإنسان.

بالتالي فالحديث عن علم اجتماع البيئة لا يعود كما يقول الباحثين إلى خمسينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية ، و إنما إلى ما ورد في كتابات ابن خلدون منذ قرون. هذا ما نحاول توضيحه وإبرازه من خلال هذا المقال الذي حمل عنوان الجذور التاريخية لعلم اجتماع البيئة في فكر ابن خلدون .

أولا - علم اجتماع البيئة واتجاهاته النظرية الحديثة :

إن الاطلاع على ما كتبه ابن خلدون حول العمران البشري يوضح لنا اهتمام الرجل بكل تفاصيل الحياة الاجتماعية وفي بيئات مختلفة ، وبما أننا بصدد التطرق إلى الحديث عن جذور علم اجتماع البيئة في فكره ، فإننا وقبل أن نتناول مظاهر اهتمامه بالبيئة و أهم أفكاره ، نعرف أولا علم اجتماع البيئة وأهم اتجاهاته النظرية الحديثة.

١- تعريف علم اجتماع البيئة: هو أحد فروع علم الاجتماع التي تهتم بالعلاقة بين المجتمع والبيئة المحيطة به، وتأثير كل منهما في الآخر، ويبحث أيضا هذا الفرع في الأفراد والجماعات والمجتمعات والأنظمة البيئية ، ولقد ظهر كعلم مستقل وكفرع من علم الاجتماع في الفكر الوضعي بداية من ١٩٤٥ في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل فهم الحياة الإنسانية ومسارها من خلال الحياة الطبيعية.²

٢-الاتجاهات النظرية الحديثة في دراسة علم اجتماع البيئة :

أ-نظرية الحتمية البيئية : تفترض هذه النظرية أن الإنسان يخضع بكل ما فيه للبيئة فهي التي تسيطر عليه وليس العكس ، فالبيئة بما فيها من مناخ معين وغطاء نباتي وحياة حيوانية تؤثر على الإنسان من مختلف الجوانب . ومثال ذلك تأثير البيئة على عظام الإنسان، فإذا كان الإنسان يعيش في بيئة جبلية تكون عظام أرجله قوية ، أما إذا كانت بيئة بحرية فتكون القوة في يديه ، وقد أدى هذا التأثير المتباين والتناقض الواضح بين الشعوب وخاصة الآسيويين والأوروبيين إلى ظهور مثل هذه النظرية التي تقر بوجود تأثير واضح للبيئة على الأفراد .

ب-النظرية الاختيارية: تفترض هذه النظرية بأن للإنسان إرادة فعالة ومؤثرة ليس فقط فيما يتعلق بقرارات حياته، وإنما له قوة أيضا للتحكم في البيئة، بالتالي فإن هذه النظرية هي عكس نظرية الحتمية البيئية. وعليه فهي تقر بقدرة الإنسان على

¹صلاح الدين متروح : مدخل في علم الاجتماع ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، ب ط ، ٢٠٠٥ ، ص ٧٢.

²إنشاد محمد عز الدين ، مدخل علم اجتماع البيئة ، ب ط ، بدون دار نشر ، ٢٠١١ ، ص، ١٨.

تجاوز البيئة التي يوجد فيها ، فليس بالضرورة من يوجد في بيئة جبلية تكون عضلاته قوية ومن يوجد في بيئة حضرية تكون عضلاته ضعيفة ، بل قد نجد العكس من ذلك .

ج- النظرية الاحتمالية : يمكن القول أنها بمثابة نظرية توافقية ، حيث ترى وتؤمن بدور الإنسان و البيئة وتأثير كل واحد منهما في الآخر بشكل متغير ، فتغلب على بعض البيئات تعاضم تأثير الطبيعة وسلبية تأثير الإنسان عليها ، وقد يحدث العكس بأن يفرض الإنسان قوته على البيئة ويستطيع تجاوز قوتها¹.

ثانيا - مظاهر اهتمام ابن خلدون بالبيئة :

١ - نبذة مختصرة عن حياة وأفكار ابن خلدون : اسمه الكامل هو "ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخصرمي" ، وكنيته "أبو زيد" ولقد ولد بتونس عام ١٣٣٢ م لأسرة من أصول يمنية تتمتع بمكانة سياسية مرموقة ، وكان أبوه معلمه الأول ، حيث حفظ القرآن الكريم على يديه وهو لا يزال طفلا ، وعرف عنه طموحه الكبير و ثقافته الواسعة ، حيث كان مولعا بالمطالعة وحب الاستكشاف ، إذ سافر إلى بلدان عديدة منها شمال إفريقيا و أرض الحجاز ، ولقد قام بتفسير القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية ، والفقه واللغة بالإضافة إلى عدد من العلوم الأخرى على يد علماء من تونس . وعليه فقد كون لنفسه فلسفة خاصة بنى على إثرها مجمل أفكاره في علم الاجتماع أو كما أطلق عليه علم العمران البشري ، بذلك يكون قد سبق الغرب². إضافة إلى ذلك نجد أفكاره المتعلقة بالتاريخ ، إذ جدد في طريقة عرض الأحداث التاريخية وعرف التاريخ بأنه " في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات و مبادئها و علم بكيفيات الوقائع وأسبابها " ، ولقد قال عنه المؤرخ الانجليزي " توينبي " : "في المقدمة التي كتبها ابن خلدون في تاريخه العام أدرك و تصور و أنشأ فلسفة التاريخ وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان". وفي الخامسة و الأربعين من عمره اعتزل ابن خلدون الناس وانقطع للكتابة والتأليف فأتم كتابه (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر) أو (المقدمة) التي تعتبر أهم كتاباته ، حيث أثارت الكثير من الجدل بسبب ما احتوته من أفكار ونظريات حول سير و تطور طبقات الأحداث والمجتمعات و نماذج نهوض الأمم معللا أسباب النهوض ، ومبيننا طريقة السقوط و الانقراض الحضاري.

كما قدم نماذج للطغيان والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي ونماذج للترف و الكبر وسائر الأمراض و الأوبئة الاجتماعية المؤذنة بالخراب و التدمير ، كما تمكن من ضبط الصورة الاجتماعية للأمة فيما صدر عنها في كل عصر من مدارك الحضارة و الثقافة ، وتناول أيضا كل ما يتعلق بالعمران البشري ، حيث شرح نظريته في المناخ و البيئة و أثرها على الإنسان وتناول العمران الحضري وقسم المجتمعات إلى مجتمعات حضرية و أخرى بدوية و وضع لكل منهما مميزات وخصائص كما أجرى مقارنة بينهما .

توفي ابن خلدون في مصر عام ١٤٠٥ م خلفا وراءه علما لم يسبقه إليه أحد ومازال إلى اليوم مرجعا للباحثين والعلماء³.

٢ - نظرة ابن خلدون للبيئة و أثرها في الحياة الاجتماعية: تجدر الإشارة إلى أن اهتمام ابن خلدون بالبيئة قد تجاوز اهتمامه بالبيئة الصحراوية أو البدوية و الحضرية التي عاش فيها ، إلى اهتمامه بالجغرافيا ككل ، و كيف تؤثر على حياة الإنسان و تساهم في اختلاف طبائعهم ، ألوانهم و حضاراتهم . إذ قسم العالم إلى سبعة أقاليم، و حاول تحديد أثرها على

¹ إنشاد محمد عز الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٣

² صلاح الدين متروح ، مرجع سابق ، ص ٧٢

³ محمد الاسكندراني ، عبد الرحمن ابن خلدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٨ ، ص ٥ .

الإنسان فيسيولوجيا . كما حاول من خلال ذلك التقسيم و التحديد توضيح أثر البيئة في سلوك الإنسان و في اختلاف العمران، حيث يقول : (أعلم أن هذه الأقاليم المعتدلة ليس كلها يوجب لها الخصب ، و لا كل سكانها في رغد من العيش) . فهو يرى مثلا أن الإقليم الرابع و الذي يمتد من الغرب نحو الشرق ابتداءً من الأندلس ثم البحر المتوسط و ما يحتويه من جزر ، جنوب إيطاليا ، بلاد آسيا الصغرى (تركيا) فالجمهوريات الإسلامية المعروفة الآن بجنوب روسيا ، يقول عنه أنه : (أعدل العمران وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله)¹.

أما الإقليم الثالث و الخامس : (فيقول أن أكثره مغمور بالماء . يضم كل من : شمال إفريقيا ، الجزيرة العربية ، شمال إيران و أفغانستان المعروفة باسم " أرض كابل " ، شمال إسبانيا و يغطي جنوب أوروبا و البحر الأسود و اسطنبول و أراضي أجوج و مأجوج ، و يرى أن هذه المناطق أقرب إلى الاعتدال). الإقليم الثاني و السادس: و يضم شمال نيجيريا ، جنوب الجزائر ، و يمتد شرقا ليضم مصر ، جنوب غرب شبه الجزيرة العربية و أجزاء من إيران ، بلاد الهند إلى السد و شمال أوروبا ، ابتداءً من بحر الشمال ، الأراضي المنخفضة ، ألمانيا ، أوروبا الشرقية حتى روسيا و شمال الصين ، حيث يعتبر ابن خلدون هذان الإقليمان بعيدان عن الاعتدال بكثير .

فيما يتعلق بالإقليم الأول : فقد حدده من خط الاستواء إلى بحر الغزال تقريبا ، و تقع فيه البلاد المعروفة بأثيوبيا ، باب المنذب ، اليمن و جنوب الهند . و يقول أن : (طباع الذين يسكنون الكهوف و الفيافي أقرب إلى الحيوان ، حيث يأكلون العشب و الحبوب غير المهيأة ، و ربما يأكل بعضهم بعضا و ليسوا في عداد البشر)².

أما الإقليم السابع و الأخير : فذكر أن البحر غمر عامته و لا يوجد به سوى جزر صغيرة ، مثل : أيسلندا إذ يرى أن الأجزاء الشرقية لهذا الإقليم ، أرض يابسة يغطيها الجليد في بعض أوقات السنة مما جعل عمرانها قليلا نسبة إلى غيره مما سبق .

يعلل ابن خلدون هذا التوزيع البشري حسب الأقاليم ، بضرورة اجتماع الحر و البارد من أجل التكوين أو نشوء الكائنات ، فحسب رأيه أن الإفراط في الحر أو البارد ضارين بهذا التكوين ، و إن كان الحر أشد وطأة مما جعل العمران في الربع الشمالي من الأرض أكثر و أوفر أقاليم العمران البشري .

في نفس السياق تطرق ابن خلدون للحديث عن دور البيئة في اختلاف لون البشرة وطبائع الناس ، إذ أرجع هذا الاختلاف في اللون و الطبائع بين الناس إلى طبيعة الحر و البارد و أثرهما في الهواء ، و فيما يتكون فيه من حيوانات و ذلك أن مُسَامَتُهُ الشمس لمدة طويلة تزيد تأثير الفيض الشديد ، فتسود جلودهم . و قدم مثلا في هذا الصدد يخص شعب السودان الذي وصفه بالخفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق في كل قطر ، حيث يقول في مقدمته : " ولما كان السودان ساكنين في الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم و إقليمهم فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا ويجيء الطيش على أثر هذه، و كذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة"³

¹ عبد الرحمن ابن خلدون : المرجع نفسه، ص ، ٧ .

² حسين مؤنس ، ابن خلدون جغرافيا ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الرياض ، عدد ٣ ١٩٩٩ ، ص ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

³ عبد الرحمن ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

وبذا نجد ابن خلدون قد أرجع خفة الروح والفرح والسرور إلى الحرارة فحسب رأيه أهل المناطق الحارة أكثر سرورا من أهل المناطق الباردة إذ يصف سكان المناطق الباردة بقوله: "ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين إطراق الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب ، حتى إن الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة ويباكر الأسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره" ، في حين أن الشمس تكون أفقية في المناطق الشمالية فيضعف تأثير الحر ، ويزيد من تأثير البرد فتبيض ألوان أهلها و ينتج عن ذلك مزاج البرد المفرط من زرقة العيون و برش الجلود و صهوبة الشعر ، و ذلك بخلاف أهل المناطق المعتدلة في حرارتها ، حيث نجد الاعتدال في الخلق و الخلق الناجم عن مزاج أهويتهم المعتدل.

ويذهب ابن خلدون أبعد من ذلك ، حيث يرى أن البيئة قادرة على تعديل الصفات الوراثية للإنسان مع مرور الزمن. حيث يقول: (قد نجد من السودان أهل الجنوب من سكان الراجح المعتدل أو السابح المنحرف إلى البياض فتبيض ألوان أعقابهم على التدرج مع الأيام ، و بالعكس فمن سكن من أهل الشمال أو الراجح بالجنوب فتسود أعقابهم)¹.

يتضح مما سبق مدى عمق نظرة ابن خلدون للبيئة ، حيث تحدث عن مدى أثرها على حياة البشر من الناحية النفسية ، الاجتماعية و حتى الوراثية ، وبالعودة للحديث عن علم اجتماع البيئة كفرع حديث من فروع علم الاجتماع ، نجده علم يهتم بتأثير البيئة على الحياة الاجتماعية . وعليه يمكن القول أن هناك امتداد في الأفكار بين ما جاء به ابن خلدون منذ قرون ، وبين الأفكار والنظريات التي تتناول اليوم على أساس أنها فرع حديث من فروع علم الاجتماع ، بل وعلى العكس فأفكاره أكثر عمقا وشمولا .

ولمزيد من التفصيل حول مدى اهتمام ابن خلدون بالبيئة ، نتناول الآن أهم أفكاره حول اختلاف البيئات ومدى تأثيرها على الحياة الاجتماعية ، وهذا ما يعرف اليوم حسب نظرية الحتمية البيئة بتأثير البيئة على الإنسان ، فهي تفترض أن قوة عضلات الأفراد تختلف باختلاف البيئات التي يتواجدون فيها وفي هذه الفكرة نجد أن ابن خلدون قد تناولها في الحديث على أن أهل البدو هم أشد قوة وشجاعة من أهل الحضرة ، بل وتجاوز هذه الفكرة للحديث عن تأثير البيئة في الحالة النفسية للأفراد و تكوينهم الوراثي.

٣- تعريف البيئة الصحراوية عند ابن خلدون " البدو " :

يشير لفظ " البدو " بوجه عام إلى نمط من أنماط الحياة التي ترتبط بالمناطق الصحراوية ، و تعتمد على القبيلة التي تمثل النظام الاجتماعي المناسب للظروف الطبيعية القاسية و الموارد الاقتصادية الشحيحة ، أما ابن خلدون فلقد عرفها بقوله: (أما البدو فهي البيئة الصحراوية ، و القرى النائية) ، و يصفهم بقوله أيضا: (أما أهل البدو فمأكلهم قليل في الغالب ، و الجوع أغلب عليهم لقلّة الحبوب ، حتى صار لهم ذلك عادة ... ثم الأدمة قليلة لديهم أو مفقودة بالجملة ... و أما أوعيتهم فقليلة العفن لقلّة الرطوبة ثم إن الرياضة موجودة لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات... فيحسن بذلك كله الهضم و وجود ... فتكون أمزجتهم أصلح و أبعد من الأمراض فتقل حاجتهم إلى الطب) و يضيف كذلك أنهم أكثر اعتمادا على أنفسهم في الدفاع عن ممتلكاتهم و أنهم أقرب إلى الخير من الحضرة².

¹عبد الرحمن ابن خلدون ، المرجع نفسه ، ص ٨٩ .

²عبد الرحمن ابن خلدون ، المرجع نفسه ، ص ٩١ .

يلاحظ من هذا التعريف أن ابن خلدون كان يقصد بـ " البدو " أهل الصحراء، فقوله (مآكلهم قليل) راجع إلى البيئة القاسية التي يعيشون فيها والتي تتميز بقلّة الزرع والحبوب، وأيضاً حديثه عن قلة الرطوبة، راجع إلى الحرارة المرتفعة، فمن المعروف أن الرطوبة تميز المناطق الباردة.

ما يؤكد أيضاً أن ابن خلدون يطلق كلمة بدو على الصحراء، تعريفه للبيئة الصحراوية بقوله: (هي أرض حرة لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة، فسكانها في شظف من العيش مثل أهل الحجاز و جنوب اليمن، و مثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب و أطراف الرمال فيما بين البربر و السودان، فإن هؤلاء يفقدون الحبوب و الأدم جملة، إنما أغذيتهم و أقواتهم الألبان و اللحوم... و هم أحسن حالاً في جسومهم و أخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى و أبدانهم أنقى و أشكالهم أحسن و أخلاقهم أبعد من الانحراف و أذهانهم أتقب في المعارف و الإدراكات، هذا الأمر شهدته التجربة في كل جيل منهم)¹.

أ - خصائص البيئة الصحراوية:

❖ **العصبية القبلية:** يعتبرها ابن خلدون بمثابة المحرك للتاريخ الاجتماعي للمجتمعات، كما يعدها أيضاً أساس أي عملية تغير اجتماعي بشكل عام، و لقد استوحى فكرته هذه من مبدأ العلاقة الجدلية بين العمران البدوي و العمران الحضري. أيضاً تفسيره لنشأة الدول و زوالها بناءً على آلية العصبية، فحسب رأيه هي التي تؤدي إلى الملك و هي التي تؤدي إلى زواله. يرى كذلك أنها ظاهرة اجتماعية ملتزمة بالعمران البدوي على الخصوص، و تظهر بشكل أقل حدة في العمران الحضري، حيث يعرفها بأنها " الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الخلق أو الولاء، بالإضافة إلى شرط الملازمة بينهم من أجل أن يتم التفاعل الاجتماعي، و تبقى مستمرة و متفرعة بوجود هؤلاء الأفراد و استمرار تناسلهم، فينشأ بين أفرادها شعور يؤدي إلى المحاماة و المدافعة، و هم يتعصبون لبعضهم حينما يكون هناك داع للتعصب، و يشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته"²، في هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية بحيث تذوب في شخصية الجماعة و هو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبية، فهو ذو صبغة جمعية أساسية بين الفرد و المجموعة و ليس بين فرد و آخر فقط، و في حال تعرضت العصبية إلى عدوان يظهر في هذه الحالة "الوعي" بالعصبية وهذا الوعي العصبي هو الذي يشد أفراد العصبية إلى بعضهم، وهو ما نسميه بالعصبية، التي بها تكون الحماية و المدافعة و المطالبة و كل أمر يجتمع عليه. و بحسب نظريته للعصبية القبلية فلقد وضع لها مجموعة من المميزات و الخصائص هي:

- القوة الجماعية التي تمنح القدرة على المواجهة و المطالبة.

- ليست لها علاقة محصورة بين فرد و آخر داخل العصبية وإنما هي رابطة بين الفرد و المجموعة في وحدة متكاملة، فالفرد حينما يتعصب لعصبته، فإنما يتعصب لنفسه و كذلك العصبية حينما تناصر أحد أفرادها فإنما في الحقيقة هي تناصر نفسها، أي أن هناك تضامناً متبادلاً بين الفرد و عصبته في الداخل و الخارج فيكون مجال التواصل بين الفرد و غيره محدود بحدود عصبته في الداخل و الخارج.

- العصبية تمارس ضغطاً على الأفراد من أجل الخضوع لها، فهي بهذا تضمن التماسك بين أعضائها، و هذا هو سر قوتها.

¹ محمد أحمد الزعبي، الفكر الاجتماعي الخلدوني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤، ص ١٤.

² محمد أحمد الزعبي، المرجع نفسه، ص ١٦.

- لا تسمح بقيام فوارق أو درجات للاستغلال داخل العصبية بين الأفراد، إنما قد يكون الامتياز الوحيد الذي يحظى به الفرد داخل العصبية هو تقديمه خدمات لصالح العصبية مجتمعة.

- تضامن العصبية مع الفرد بقدر تضامنه معها و احترامه لمصالحها، و إذا تسبب في الضرر لها سرعان ما تنبذه، فيفقد الحماية و التعاون و التعاضد.

- العصبية هي السبب وراء نشوء الدولة ، حيث يقول ابن خلدون " أن العصبية تؤدي إلى المنفعة ، و الغلبة تسمو إلى الرياسة و الرياسة تبعث على التطلع إلى الملك ، و من تم فإن الملك لا يقوم أصلا بغير العصبية و يظل قويا بقوتها و يضعف بضعفها"¹.

لهذا فإن تحليلات ابن خلدون تشير إلى أن البدو أكثر تعصبا مما يساهم في انتقال و تغير حياة أهل البادية إلى أن يصبحوا من الحضريين، حيث يقول أن الحضريين مدين للبدو في نشوئهم.

و يقر أن " أحوال العالم و الأمم وعوائدهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر وإنما هو اختلاف على الأيام و الأزمنة و انتقال من حال إلى حال"². حيث يؤدي هذا التغيير حسب نظره إلى الانتقال من البداوة إلى الحضارة أو من الخشونة إلى الترف و من مجتمع شظف العيش و الحرمان الذي هو أساس التضامن من أجل البقاء إلى مجتمع تطغى عليه صفة الفردانية والنزوع نحو المال. لذا فإنه يقول أن البدو أصل المدن و الحضريين لأنه الأسبق في الظهور حسب رأيه .

ولقد حدد للبيئة البدوية و الصحراوية مجموعة من الخصائص و المميزات التي تجعلها مختلفة تماما عن الحضريين.

ب - الفرق بين البيئة الصحراوية و البيئة الحضريية عند ابن خلدون "البدو و الحضريين":

في هذا السياق نجد ابن خلدون يقول أن البدو هم من كان معاشهم في الإبل ، فهم أكثر ظعنا و أبعد في الفقر مجالا ، كما يضيف أن الإبل أصعب الحيوانات فصلا و مخاضا ، لهذا فإن رعاة الإبل من أشد الناس توحشا (و هو في هذا اللفظ يعني أكثر بعدا عن أسباب الرفاهية و التمتع)³. و لقد أطلق عليهم اسم " العرب ". كما يذكر أيضا أن البدو أصل المدن و الحضريين ، فإذا درسنا أهل أي بلد من البلاد وجدنا بدايات أكثرهم من أهل البدو ، كما يقول أن الحضريين هو الذي حصل له ما فوق حاجته ، أما البدوي فهو مقتصر على الضروري في أحواله ، العاجز عما يفوق ذلك ، و لاشك أن الضروري أقدم من الكمالي و سابق عليه لأن الضروري أصل و الكمالي فرع ناشئ عنه .

يرى أيضا أن الحياة المادية و الاقتصادية لها انعكاس على الأخلاق البشرية فيقول أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضريين و أقرب إلى الشجاعة أيضا ، وهذا راجع إلى توحشهم وبعدهم عن الحامية.

فيما يتعلق بمسألة الخير فإنه يوضح ذلك بقوله: (أن النفس إن كانت على الفطرة الأولى متيأة لقبول ما يرد عليها فيما وتنطبع من خير أو شر ، فأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا إقبال الحضريين إلا أن إقبالهم لا يكون إلا في المقدار الضروري)، أي أنهم لم يصلوا إلى حد الترف و اللذات الذي يبعث على طمع النفس البشرية بمذمومات الخلق ويذهب بها مذاهب السوء ، و من الأسباب التي تعينه على تحقيق ذلك هو أن البدو أقرب إلى الفطرة الأولى و أبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات لكثرة العوائد المذمومة المترددة عليها فيسهل بالتالي علاج ما يعرض لهم من ذلك .

¹ محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون ، العصبية و الدولة ، ١٩٩٢ ، ص ٢١٢

² محمد عابد الجابري ، المرجع نفسه ، ص ٢١٥

عبد الرزاق الزهراني : ابن خلدون أبرز مفكري العالم ، مجلة الجزيرة الثقافية ، العدد ٢٠٩ ، ١٤٢٨ ، www.al-jazirah/culture.htm

أما أهل الحضرة ، فيرى أنهم لكثرة ما يجدون من فنون الملاذ وعوان الترف و الإقبال على الدنيا و العكوف على شهواتهم ، فقد أثر ذلك عليهم و هذا واضح من خلال أن كثيرا من مذمومات الخلق و الشر قد تلوثت بها أنفسهم وبعدت عنهم طرق الخير ومسالكه ، كما ذهب عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم ، فكثير منهم يقعدون في قول الفحشاء في مجالسهم و بين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصددهم عنه وازع الحشمة و ذلك لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالفواحش قولاً وفعلاً . أما صفة الشجاعة فإن ابن خلدون يثبت أن البدو أقرب إليها من أهل الحضرة و يوضح ذلك بقوله إن: (الحضرة قد استسلموا للراحة و الدعة وانغمسوا في النعيم والترف و ذلك بعد أن وكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم و أنفسهم إلى واليهم و الحاكم الذي يسوسهم و الحامية - الجيش - التي تولت حراستهم ، وكان نتيجة ذلك أن أمنوا و رقدوا في بيوتهم واطمأنوا إلى الأسوار التي تحوطهم و توالى على ذلك الأجيال حتى انطبع هذا الشيء في نفوسهم و صار ينزل منزلة الطبيعة). أما البدو لتفردهم عن المجتمع و بعدهم عن الحامية - الجيش - وانتباههم عن الأسوار و الأبواب فهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما حاملون السلاح دائما يلتفتون يمنة ويسرة نحو الأخطار المحدقة بهم حذرين في كل خطوة يخطونها واثقين بأنفسهم ، بذلك فقد صار لهم البأس خلقا و الشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع!

رابعا - تقييم عام لأفكار ابن خلدون حول البيئة :

من خلال كل ما ذكر سابقا ، حول أهم أفكار ابن خلدون حول البيئة ومدى تأثيرها في طبائع الناس وأحوالهم ، يمكن القول أنه كان سباقا في تناول موضوع أثر البيئة على الإنسان ، لكن هذا لا ينفي أن بعض أفكاره وتحليلاته قد لا تصدق اليوم ، و هنا نجد ما أشارت إليه النظرية الاختيارية التي تقر بأن قوة الإنسان تتجاوز وتفوق قوة البيئة ، فالإنسان بفضل عقله ألغى المسافات وجعل البيئة خاضعة له وأصبح بإمكانه التحكم فيها واستغلالها وفق ما تقتضي مصلحته، ويمكن إرجاع هذا القصور في أفكار ابن خلدون إلى كون البيئة التي عاش فيها لم تشهد هذا التقدم العلمي والتكنولوجي الكبير. كما أن أفكاره أيضا المتعلقة بالبيئة الصحراوية والحضرية ، يمكن القول أنها أصبحت لا تقدم تفسيراً صحيحاً لواقع تلك المجتمعات اليوم ، فالتقدم التكنولوجي و مختلف وسائل النقل ألغت المسافات بين المدن وقلصت الاختلافات ، حيث قد نجد مناطق صحراوية أكثر رغدا في العيش من مناطق حضرية بل أصبح ما نشاهده ونعيشه اليوم هو انتقال السكان من الحضرة أو المدن للعيش في الصحراء وهذا لقلة التلوث وتعدد فرص العمل بسبب بناء المصانع المختلفة هناك ، خصوصا بعد اكتشاف الثروات الطبيعية الموجودة في باطن الأراضي الصحراوية ، كالبترول والغاز وغيرها ، فربما لو ظهرت هذه الثروات في الفترة التي عاش فيها ابن خلدون لكانت أفكاره قد اختلفت ، إضافة إلى ذلك ، فالبيئة الصحراوية اليوم وبفضل سهولة التنقل وسرعته و التطور العلمي أصبحت مناطق زراعية حيث أصبحت تنتج المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها من حبوب وأشجار مثمرة وخضرا كما أن أهل الصحراء أصبحوا لا يختلفون كثيرا عن أهل المدن ، فالتكنولوجيا الحديثة التي تستخدم في المدن أصبحت موجودة في الصحراء كما أن التعليم لم يظل حكرا على المجمع الحضري بل أصبح بإمكان أهل الصحراء الدراسة ، وهذا بفضل فتح المدارس والجامعات لديهم أو عن طريق تنقل الصحراويين إلى أي منطقة أخرى للدراسة فالمواصلات أصبحت سهلة ومتوفرة باستمرار وهناك مناطق تداخلت فيها المدينة مع الصحراء وهذا راجع للتوسع العمراني الكبير .

¹ عبد الرحمن ابن خلدون : مرجع سابق ، ص ٨٧

دون أن ننسى الإشارة إلى فكرة العصبية القبلية التي اختفت اليوم و أصبحت هناك أشكال أخرى ومظاهر أخرى لها ، حيث ظهرت الأحزاب ، وفكرة الإيديولوجيا والطائفية والأقليات ، أيضا ظهور البرلمانات ، كلها تعتبر أوجه جديدة للتوحد والتلاحم ، وهي تختلف في تكوينها وأهدافها عن العصبية القبلية لابن خلدون¹.

لذلك فبالرغم من الإسهام الكبير الذي قدمه في دراسته للمجتمعات العربية وأثر البيئة عليها ، نستطيع القول أن تحليلاته إن أصابت في بعضها إلا أن بعضها الآخر ، ومع مرور الزمن قد ظهر قصورها. لكن هذا القصور لم ينقص من قيمة أفكاره وعلمه بأي حال من الأحوال ، بل يجب الإقرار بدوره الكبير وإسهامه المميز في ظهور علم الاجتماع عامة ، وأفكاره حول البيئة وأثرها على الإنسان خاصة ، أو ما يعرف اليوم بعلم اجتماع البيئة.

خاتمة

يتبين لنا من خلال ما ذكر سابقا أن العلامة عبد الرحمن ابن خلدون يعد من أهم المفكرين المسلمين ، حيث كان نابغة، ومثقفا ملما بكل المعارف و العلوم والفنون المعروفة في عصره والتي استقاها من الواقع الاجتماعي الذي عاشه ، ومختلف الحوادث التاريخية التي عاصرها ، إضافة إلى تنقلاته في بيئات جغرافية مختلفة ومتنوعة، كل ذلك جعله يكتب بعمق و يحلل و يفسر بموضوعية مختلف القضايا والأفكار ، حيث تنوعت كتاباته واختلفت إذ برع في التاريخ وفلسفته ومنهجه ، وكتب في الجغرافيا وقسم العالم إلى سبعة أقاليم لكل إقليم نطاقه الخاص وميزاته ، كما تطرق إلى الحديث عن أثر البيئة في السلوك البشري ، وكان سباقا إلى ذلك ، وهو ما يعرف اليوم بعلم اجتماع البيئة ، كما كتب في الاجتماع البشري و ركز على فكرة العصبية القبلية و اعتبرها بمثابة اللبنة الأساسية في بناء الدول لأنها السبب الأهم في اجتماع البشر وتلاحمهم، و جاء بفكرة العمران البشري و قسمه إلى بدوي وحضري و اعتبر أن البدو مدين للحضر في نشوئه .

و الآن وبعد مرور عدة قرون على ما كتبه، يمكننا القول أن العديد من أفكاره المتعلقة بالبيئة وأثرها على الحياة الاجتماعية لها امتداد اليوم ، فبالرغم من أن الكثير من الباحثين يعتبرون أن علم اجتماع البيئة هو فرع جديد ظهر حديثا، إلا أننا ومن خلال هذا المقال حاولنا إبراز الجذور التاريخية لهذا الفرع ، التي تعود إلى مؤسس علم الاجتماع الأول العلامة عبد الرحمن ابن خلدون .

قائمة المراجع:

- ١- المشور السعيد، نقد تحليلي لنظرية البدو والحضر في فلسفة ابن خلدون ،مجلة دعوة الحق ، العدد ١٥٢ ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ٢٠٠٠.
- ٢- عبد الرحمن ابن خلدون :مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ط١، ١٩٧٧
- ٣- عبد الرزاق الزهراني : ابن خلدون أبرز مفكري العالم ، مجلة الجزيرة الثقافية ، العدد ٢٠٩ ، ١٤٢٨ -www.al-jazirah/culture.htm
- ٤- محمد أحمد الزعبي : الفكر الاجتماعي الخلدوني ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٤ .
- ٥- محمد عابد الجابري :فكر ابن خلدون ، العصبية و الدولة ، ١٩٩٢ .
- ٦- إنشاد محمد عز الدين ، مدخل علم اجتماع البيئة ، بط ، بدون دارنشر، ٢٠١١ .
- ٧- حسين مؤنس : ابن خلدون جغرافيا ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الرياض ، العدد ٣، ١٩٩٩ .

¹ المشور السعيد، نقد تحليلي لنظرية البدو والحضر في فلسفة ابن خلدون ،مجلة دعوة الحق ، العدد ١٥٢ ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية، ٢٠٠٠، ص ٤٥



- ٨- صلاح الدين متروح : مدخل في علم الاجتماع ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، ب ط ، ٢٠٠٥
- ٩- عبد الرحمن ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ضبط و شرح و تقديم محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٨.

الفكر السياسي عند عبد الرحمن بن خلدون (١٤٠٥م / ٨٠٨هـ)

أ. حمزة نش/ المركز الجامعي تيسمسيلت ، أ. إلهام قاتل/جامعة المسيلة

ملخص:

تجدر الإشارة إلى أنه لا يمكننا الفصل بين الإنجاز العلمي الذي قدمه عبد الرحمن بن خلدون (١٤٠٥م / ٨٠٨هـ) للإنسانية وبين طبيعة الحياة السياسية و الثقافية والفكرية التي عاشها وشكلت ملامح فكره وتكوينه المعرفي، ذلك أن التجربة السياسية والاجتماعية التي عاشها بن خلدون تعتبر مصدرا من مصادر فكره الاجتماعي والسياسي، إذ تولى أعلى المناصب في دويلات الغرب الإسلامي، و خبر خفايا سياستها واطلع على دقائق أحوالها، الأمر الذي أكسبه معرفة دقيقة وأهله لأن يكون منظرا سياسيا بامتياز.

والواقع أنه لا يمكننا قراءة النص الخلدوني دون التوقف عند إنجازه وما أضافه في المجال السياسي، فنجد فصولا من مقدمته عن العصبية وأنواعها وأهميتها وعلاقتها بالدين، و تكلم عن الملك و ضرورته وأصنافه، و عن الدولة وأحوالها و تطورها وسقوطها.

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون ، الفكر السياسي، العصبية، الدولة، الملك.

أ- نظرية العصبية عند ابن خلدون:

فكرة العصبية وأنواعها:

العصبية طبقا لمفهوم ابن خلدون تقوم في بنيتها على الالتحام بالنسب و الرحم، أو ما كان متصلًا بمعنى النسب مثل الولاء و الحلف، ذلك أن صلة الرحم طبيعة في البشر و من دواعيها الدفاع عن ذوي القربى و أهل الأرحام، فإنَّ القريب يجد في نفسه غضاضة حين يرى ضرا ينزل بذوي رحمه، أو خطر يحدق بهم، فينشط للدفاع عنهم.^(١)

إن القرابة و الملازمة شرطان ضروريان لوجود العصبية عند ابن خلدون، و هما العنصران اللذان يميزانها عن غيرها من الجماعات، ذلك لأن العصبية بهذا الاعتبار جماعة دائمة فهي ليست من الجماعات المؤقتة التي تتشكل تلقائيا بمناسبة طارئة في مكان و زمان معينين، بدافع خارجي، وهي أيضا ليست من تلك الجماعات التعاقدية التي تقوم باتفاق أعضائها وفق نظام خاص و من أجل تحقيق هدف من الأهداف و التي قد تنحل بعد تحقيق هدفها، أو بسبب آخر من الأسباب ...، إنَّ العصبية على العكس من ذلك لا تعتمد في نشأتها على عامل خارجي و لا على أي نوع من أنواع التعاقد، بل أنَّها لا تملك

(١) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ١٤٢؛ مصطفى الشكعة: المغرب و الأندلس آفاق إسلامية و حضارة إنسانية و مباحث أدبية، ط١، مطبعة نخضة مصر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٥٩.

لنفسها أن تنشأ أو تنحل، لأنها توجد بوجود الأفراد الذين تتشكل منهم لتبقى مستمرة و متفرعة.⁽¹⁾ باستمرار وجود هؤلاء الأفراد و استمرار تناسلهم، و من هنا كانت العصبية غير مقيدة بمكان خاص أو زمان معين فقد يكون الأفراد الذين تتكون منهم متباعدين في المكان أو تفصل بينهم مسافات زمنية بل قد يفصل بينهم الموت أحيانا، ومع ذلك فالأحياء منهم، سواء كانوا هنا أو هناك، سواء اليوم أو غدا يعتبرون أنفسهم يشكلون وحدة واحدة مع الباقي أحياء كانوا أم أمواتا حاضرين أم غائبين، و ذلك لأن الرابطة التي تربط بينهم رابطة دموية سيكولوجية تتعدى الزمان و المكان...، فالعصبية بهذا المعنى الواسع (جماعة معنوية) بمعنى أنها مجرد رابطة ولكنها تشخص في أقارب الرجل الذين يلازمونه، فيتعصبون له عندما يكون هناك داع للتعصب.⁽²⁾

● أساس العصبية عند ابن خلدون:

و أساس العصبية عند ابن خلدون لا يشمل رابطة الدم فقط بل تشمل أهل الولاء و الحلف فالعصبية تنقسم إلى أنواع:

- القرابة و النسب و هي أقواها.

- عصبية الحلف، نتيجة انفصال الفرد عن نسبه الأصلي و انضمامه إلى نسب آخر.

- عصبية الولاء هي تنتج عن انتقال الفرد من نسبه إلى نسب آخر، نتيجة ظروف اجتماعية، و في هذه الحالة تكون النتيجة طبيعية للصحة و العشرة التي تنجم عن انضمام الفرد للنسب الجديد.

- عصبية الدخالة، وهي تنتج عن فرار فرد من نسبه و قومه و دخوله نسبا آخر.

- عصبية الرق و الاصطناع، و هي تنتج عن ارتباط العبيد و الموالي بسادتهم.

العصبية إذن لا تقوم على رابطة الدم أساسا بالإضافة إلى ما سبق فهي تقوم على أساس من الشعور بالتآخي و التراحم و التضامن الاجتماعي.⁽³⁾

و العصبية إذا في رأي ابن خلدون تقوم على أساس طبيعي فطري يدفع صاحبه إلى نصرته قريبه في الدم في حالة ما إذا تعرض إلى خطر، و يسعى هذا الفرد إلى حماية قريبه من كل شيء يمكن أن يلحق به أذى، و يقوى هذا التناصر و يكثر إذا كان نسب قريب يجمع بين الأفراد المتناصرين، أما إذا بعد النسب فإنّ التناصر يقل شيئا فشيئا، لقد وسع ابن خلدون في مفهوم النسب فقد أدخل في إطاره كل رابطة تنشأ بين الأفراد بسبب طول المعاشرة، كما أنه لم يربط العصبية بالنسب بمعنى القرابة الدموية ربطا مطلقا، فهو يرى أن العصبية هي نتيجة الالتحام الحاصل بسبب النسب، و النسب عنده لا يعني بالضرورة القرابة الدموية. بل هو العلامة المميزة للجماعة، أما العصبية فهي ثمرة الانتساب إلى عصبية معينة تتميز عن غيرها من العصبية بتلك العلامة المميزة: النسب، و بالتالي يكون تعصب الفرد لعصبية يرجع إلى الألفة و طول المعاشرة و ما

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٣؛ محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية و الدولة - معالم النظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي،

الطبعة السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ١٦٧.

(2) محمد عبد الجابري: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٤.

ينتج عن ذلك من تشبعه بعاداتها وتقاليدها، وبالروح الجماعية السائدة فيها، وارتباط مصطلحاته بمصلحتها ووجوده بوجودها.⁽¹⁾

• أنواع العصبية في فكر ابن خلدون:

إن ابن خلدون يميز لنا بين عصبيتان: عصبية عامة، وهي أكثر اتساعاً وأقل ترابطاً تشمل عدة عصبيات خاصة، عصبية خاصة، وهي أشد التحاماً، والرئاسة فيهم تكون للعصبية الخاصة التي تكون أقوى من سائر العصبيات فتكون الرئاسة لأهلها، وهي تكون دائماً عند الأقوى والأكثر نفوذاً وبالتالي تخضع لها كافة القبائل وتتبعها، والرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له القلب بالعصبية.

و يميز ابن خلدون بين العصبيات فهناك عصبية ضعيفة وعصبية قوية، والعصبية الأقوى فالأقوى، فالسياسة لا تتم إلا بالقوة، والقوة تكون بالعصبية، والرئاسة تنحصر في العصبية الأقوى وتتم لأهلها.

كما أن العصبية لا تدوم على وتيرة واحدة من القوة والمنعة بل هي تتبع الحسب قوة وضعفاً وتدوم بدوامه، فقد حدد نهايتها في أربعة آباء وذلك أن باني المجد عالم بما عناه في بنائه ومحافظاً على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه، وابنه من بعده مباشر لأبيه قد سمع منه ذلك وأخذ عنه، إلا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاني له.⁽²⁾

ثم إذا جاء الجد الثالث كان حظه الاقتداء والتقليد خاصة، فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد، ثم إذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة وأوضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها، وتوهم أن ذلك البنين لم يكن بمعناه ولا تكلفاً.⁽³⁾

• دور وأهمية العصبية عند ابن خلدون:

تعتبر العصبية شرطاً أساسياً لتأسيس الدولة وقيام الخلافة، فابن خلدون يرى أن العصبية أهم القوانين الاجتماعية التي يجب أن يتبعها كل ذي شريعة أو دعوة دينية.⁽⁴⁾

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٢-١٤٤؛ لكي يدعم ابن خلدون طرحه هذا استدل بقصة من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، و ذلك حينما ولي رجلاً يدعى عرفجة بن هرثمة على بجيلة فسألوه بعض قومها الإغفاء منه بحجة أنه ليس من هذه القبيلة وفي هذا يقول ابن خلدون: "و انظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة و لبس جلدتهم، و دعي بنسبهم حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم، ولو غفلوا عن ذلك و امتد الزمن لتنوسي بالجملة و عد منهم بكل وجه و مذهب"، المصدر السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

(2) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٤-١٤٥؛ أشار ابن خلدون إلى ظاهرة ادعاء كثير من الرؤساء و القبائل بنسب ليس نسبهم، و ذلك لخصوصية هذا النسب بشجاعة أو كرم أو فضيلة، فينزعون إلى ذلك النسب و يتورطون بالدعوى في شعوبه، ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدر في رئاستهم و الطعن في شرفهم مستدلاً في كلامه هذا بعده أمثلة و من ذلك إدعاء زنانه النسب العربي، المصدر السابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٩-١٥٠.

(4) المصدر نفسه، ص ١٦٨؛ علي الوردی: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته و شخصيته، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٧م، ص ٩٩؛ يبدو أن ابن خلدون قد قرأ ما بناه على نظريته أو نظريته في العصبية فعاد وذكر بعض الاستثناءات في شأن قيام الملك على العصبية، فقرر أنه إذا استقرت الدولة وتمهدت قد تستغني عن العصبية، وضرب لذلك مثلين أحدهما في المشرق و الآخر في المغرب، فأما المثال الذي ضربه في المشرق فهو على عهد العباسيين في عهد المعتصم و من جاء بعده من الخلفاء بالموالي من فرس و ترك و ديلم و سلاجقة، وذلك أن صفة الرئاسة كانت قد استحكمت، و الانقياد والتسلیم كان قد رسخ في النفوس فبقيت الدولة قوية، المصدر نفسه، ص ١٦٦-١٦٧.

كما أنّ ابن خلدون اعتبر "العصبية" المفتاح الوحيد الذي حل به جميع المشاكل التي يطرحها سير الأحداث التاريخية الإسلامية إلى عهده، وإذا كان المفتاح الذي يفتح جميع الأبواب مفتاحاً مزيفاً، كما يقال، فإن قيمة ابن خلدون ليست في الأدوار التي يعطيها للعصبية وفعاليتها، بل إنها تكمن في الإشكاليات العديدة التي تطرحها نظريته في العصبية و الدولة والعلاقة القائمة بينهما، هذه العلاقة التي تحدد في نظره شكل العمران و تجسم حركة التاريخ.⁽¹⁾

وتعتبر العصبية من العوامل التي تساعد على نشأة المجتمع وقيام الدول و السلطة السياسية، إلا أنها ليست الأساس في نشأة المجتمع و السلطة الحاكمة أو الأصل في قيامها وقد تفتن ابن خلدون لهذا في مقدمته حيث خصص لذلك فصلاً جعل عنوانه "قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغي عن العصبية".⁽²⁾

لقد جعل ابن خلدون العصبية بمثابة مفتاح الديناميكية الاجتماعية و الرابط الاجتماعي الذي يجعل أفراد القبيلة الواحدة متماسكين، سواء كانت هذه العصبية نتيجة لرابطة الدم، أو كانت عصبية حلف فقط فهي تولد التضامن و القوة في نفس الجماعة، كما يمكنها أن توحد بالقوة بين مختلف العصبيات المتعارضة لتكون جماعة إنسانية ضخمة و موحدة.⁽³⁾

و حسب ما كان يرى ابن خلدون فإن هناك تأثيراً متبادلاً بين العصبية و الدين فكل منهما يدعم الآخر، فالدين يذهب بطابع التنافس الموجود بين أهل العصبية الواحدة فهذا يزيد قوتهم، كما أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، فالعصبية تدعم الدين و الدين يدعم العصبية.⁽⁴⁾

و في فكر ابن خلدون العصبية نوع خاص من التنظيم السياسي، إذا كانت قوية أخذت تتغلب على العصبيات الأضعف حتى إذا جاءت الفرصة للاستيلاء على الدولة المنهارة فعلت فهي من عوامل اتساع الدولة بعد أن كانت هي الأساس في قيامها، فإن كانت قوية كانت الدولة كبيرة، أما إذا كانت ضعيفة نسبياً كانت الدولة محدودة الاتساع إلا أن الرئيس بعد أن تنتسب له الأمور يرى نفسه في نزاع دائم مع أهل عصبيته من أجل العرش و لذا يضطر إلى القضاء عليها، وهي تأخذ إذن مساراً دياكتيكياً واضحاً و تحمل في داخلها بذرة النزاع، فهي تمر بثلاث مراحل تناقض كل منها الأخرى ففي مرحلة البداوة تعيش العصبية على المساواة، و ترفض كل سلطة مركزية منظمة و في المرحلة الثانية، بعد تكون الإمبراطورية تضعف العصبية نتيجة لمحاولة السلطان التقليل من شأنها خوفاً منها، أما في المرحلة الثالثة فإنّ العصبية تكون قد اختفت تماماً و بالتالي يلجأ الحاكم إلى قوى أخرى من أجل حماية ملكه.

(1) ناصيف نصار: الفكر الواقعي عند ابن خلدون، ط ٢، دار الطليعة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٢.

(2) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٦٨؛ صلاح الدين بسويوني رسالان: السياسية و الاقتصاد عند ابن خلدون، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥١، و يدعم ابن خلدون طرحه هذا بالاستدلال بما وقع للأدلة بالمغرب الأقصى صى و العبيديين بإفريقية و مصر، المصدر نفسه، ص ١٦٨-١٦٩.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٢؛ نور الدين حاروش: تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة الجزائر، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٩.

(4) - زينب محمود الخضيرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ٢٠٠٦،

ص ١٧٦. إن هذه النظرة التي أولاها ابن خلدون للعصبية هي نظرة واقعية أيدها بالكثير من الأمثلة، لكن الأمر يدعو إلى التريث في قبول كل ما ذهب إليه، ابن خلدون في شأن العصبية، خاصة ما كان مناقضاً لأمر دينية أو أحكام شرعية، فهو يرى أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، و يرى أن العصبية تنوب في الإمامة عن النسب القرشي، وأن خلافة معاوية صحيحة لأنها استندت إلى العصبية، و الأغرب من ذلك كله رأيه في صحة ولاية العهد ليزيد لاستنادها إلى العصبية مع وجود من هم أصلح للخلافة منه، و هي قضايا تح تاج إلى المناقشة و المراجعة، مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص

فالعصبية هي أساس كل التغيرات الاجتماعية المختلفة، و هي أيضا أساس ازدهار العلوم و الفنون.⁽¹⁾

إن نظرية العصبية عند ابن خلدون تحتاج إلى وقفات طويلة متأنية لكي يتم الإلمام بها و بمعانيها، و فهمها فهما صحيحا.

ب- الدين والعصبية عند ابن خلدون:

للدين عند ابن خلدون أثر كبير في تقوية الدولة، بما يؤدي إليه من استئصال للتطلعات الشريرة، و مشاعر الغيرة المتبادلة، و خلق مشاعر التضامن و تحقيق وحدة الصف، فالعصبية تتعاطم قوتها بدعوة دينية، أو بتعبير آخر بدعاية دينية سياسية فالدين يضيف إلى تحالف إرادات القوى الفردية أو القبلية الذي يمكن أن يكون عابرا بعبور مقصده و هو التغلب على الجماعات المجاورة أو الاستيلاء على أمصار جديدة تضيف ائتلاف القلوب و العقول الذي تتخطى غايته المصالح المباشرة فتهيئه الجماعة في خدمة قضية ما هي أمر مختلف عما تتطلبه الكرامة من النعمة على صديق في صعوبته.⁽²⁾

إن الدين يزود السلطة السياسية بقوة إضافية أشد بأسا، إلى جانب القوة التي تولدها العصبية، و إن الاجتماع الديني يضاعف قوة العصبية و يعمل على القضاء على عوامل الصراع و يكفل للجماعة التغلب على من هم أوفر عددا أو أقوى عصبية منهم، كما أن هناك تأثيرا متبادلا بين العصبية و الدين فكل منهما يدعم الآخر.⁽³⁾

إن العلاقة بين الدين و العصبية، كما يفهمها ابن خلدون علاقة تآزر و تعاضد و تكامل، فالدين يزيد من قوة العصبية بالتخفيف من مظاهر التعصب، كالأنانية و الاعتداد بالأنساب و روح القطيعة و ذلك بتوجيه أهل العصبية كلهم إلى الله أي إلى العمل الصالح و العصبية من جهتها تمنح الدعوة الدينية قوة و فاعلية، فابن خلدون يرى أن تغيير الأوضاع الفاسدة لا يأتي مطلقا بمجرد الدعوة إلى أوضاع أحسن بل إلى قوة مادية تنصر هذه الدعوة و القوة المطلوبة هنا و في كل حال مماثلة هي العصبية.⁽⁴⁾

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ص ١٦٦-١٦٨؛ ترى فوزية صعب المهيدب أن العصبية هي المحور الأساسي الذي يشرح به ابن خلدون واقع التاريخ في قيام الدول، و يدير حوله العوامل الاجتماعية الفرعية التي ت ساعدت الدولة على البقاء، و لأهمية العصبية فإنه لا يمكن الإلمام بأطرافها في مكان واحد، و فصل من فصول المقدمة فلا بد من استقراء المقدمة كلها فيما يتعلق بقيام الدول و ازدهارها ثم سقوطها لكي تجمع أطراف نظريته في العصبية، فوزية صعب المهيدب: الدولة الأموية و موقف ابن خلدون منها، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، دت، ص ٨٢.

(2) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٧٠، جورج لايبكا: السياسة و الدين عند ابن خلدون، تعريب: موسى وهبي وشوقي دويهي، الطبعة الأولى، دار الفرابي، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٥؛ يستدل ابن خلدون هنا ليبين صحة رأيه بما وقع للعرب في صدر الإسلام بالقادسية و اليرموك، حيث غلبت جيوش المسلمين جموع الفرس و جموع هرقل على الرغم من قلة عددهم و كثرة عدد جيوش العدو، المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(3) صلاح الدين بسويوني رسلان: المرجع السابق، ص ٥٣.

(4) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ص ١٦٩-١٧٠؛ ينتقد صلاح الدين بسويوني رسلان قول ابن خلدون في أحد فصول المقدمة "إن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم"، و قد استشهد ابن خلدون في هذا بقول النبي (P) : "ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه"، و قول ابن خلدون بأن نجاح الأنبياء في دعوتهم إلى الله إنما كانت بالعشائر و العصابات فيرى أن ابن خلدون قد جانب التوفيق في فهم نص الحديث النبوي، إذ أن القوم هنا حسب ما أفادت قواميس اللغة، هم الجماعة أو العشيرة و ليست القبيلة، و على ذلك يكون قوم الرسول بني عبد المطلب على سبيل التحديد و التضييق، أولا، ثم بني هشام على سبيل التوسعة بعد ذلك، و هم جماعة أو عشيرة و ليسوا قبيلة، إذ القبيلة هم قريش، و هم مستبعدون لمقتضى لفظ (القوم) ولموافقهم العدائية المعروفة من الرسالة و الرسول، و لشدة فسوتهم على الرسول و المؤمنين، و إيقاع الأذى به و بهم، و هذا ما يعني أن العصبية هنا لم يكن له شأن في الدعوة المحمدية، صلاح الدين بسويوني رسلان: المرجع السابق، ص ٥٥.

فالعصبية في فكر ابن خلدون بعدما كانت مفرقة أصبحت بالدين عصبية جامعة والحروب والغزوات التي كانت تهتك باستمرار كيان هذا المجتمع العصبي المتنقل أصبحت بتأثير الدعوة الدينية فتحا للبلدان و استتباعا للأمم، ثم إن الصراع العصبي الذي كان من قبل صراعا بين العصبية الخاصة أصبح صراعا هادفا تقوده عصبية عامة ضد الأمم والشعوب، عن وحدة الدين عند ابن خلدون قد أيقظت وحدة النسب، فازدادت العصبية بذلك قوة و أصبحت قادرة على إحداث انقلاب في الأوضاع، فالدين لا يقضي على العصبية بل ينقلها من إطار ضيق إلى إطار أوسع من التعصب الخاص إلى التعصب العام، وعقيدته دينية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.⁽¹⁾

ج- الملك في تصور ابن خلدون:

لقد تصور ابن خلدون المجتمع الإنساني وكيف ينشأ و العمران البشري وكيف يتحقق، من حيث توفر ضرورات الحياة في نطاق التعاون المشترك، ومن منطلق العلم الموصول في ميادين الزراعة والصناعة و التجارة والمال والاقتصاد، كما التفت إلى أنواع الصنائع، وما كان ضروريا منها، و ما كان كماليا مرتبطا بالنعيم و الرفاهية، كما جعل العلم و التعليم من الأسس التي يرقى بها العمران البشري، و تحدث عن أماكن ازدهاره و أسباب ذلك لقد فصل ابن خلدون ذلك و غيره من المواضيع تفصيلا دقيقا، و بعد أن رسم هذا الإطار للمجتمع، فلا بد أن يكون لهذا المجتمع قيادة تأخذ بيده، و حكومة تنظم شؤونه و تحكم أموره.⁽²⁾

• ضرورة الملك:

يرى ابن خلدون أن الملك ضروري للعمران البشري و ذلك من خلاله قدرته على تنظيم حياة الناس، و امتلاكه للسلطة القاهرة التي تفرض تنظيم حياة المجتمع، و يضع ابن خلدون مسلمات تؤدي إلى إقرار ضرورة الملك، و هذه المسلمات هي:

١- حاجة الإنسان إلى الاجتماع، لأن الإنسان اجتماعي بالطبع.

٢- العمران لا يتحقق إلا بالاجتماع.

٣- الاجتماع لا يتحقق إلا بوجود الوازع لوجود الطبيعة الحيوانية لدى الإنسان، وهي طبيعة عدوانية.

٤- أداة الوازع هي القهر و القوة و الغلبة و السلطان.

كما حدد ابن خلدون دوافع أخرى لوجود الحاكم هي: الدفاع ضد الغزاة و إعداد الجيوش و تنظيم الشرطة، و إشاعة العدل، و دفع الظلم، و نشر العمران و توسيع أرجائه و تشجيع نواحيه إلى غير ذلك مما يقتضيه العمران، و من ثم كانت الحاجة ضرورة إلى السلطات أو الملك الذي يحدد ابن خلدون معناه و بواعثه و مهماته.⁽³⁾

ومن منظور ابن خلدون فإن مصلحة الرعية في السلطان لا يكمن في ذاته أو شكله أو جسمه أو عظم جثمانه أو اتساع عمله أو جودة خطه، إنما تكمن مصالحتهم من حيث اهتمامه برعيته و الرفق بهم، فالملك إذا كان باطشا قاهرا للناس،

⁽¹⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٦٩-١٧٠؛ يؤيد محمد عابد الجابري رأي ابن خلدون هذا فهو يرى أن أساس العصبية و قوتها مستمدة أساسا من الالتحام الذي هو ثمرة النسب، فإذا أضيف إلى هذا الالتحام الاجتماعي التحاما آخر روحي (الدين) و أصبحت العصبية قوة لا يقف أمامها شيء، محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص ١٩٠.

⁽²⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٧٨، ١٩٨، مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص ٢٥٧.

⁽³⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٧٨، ١٩٨؛ عرف ابن خلدون الملك فقال: "الملك منصب طبيعي للإنسان..."، نفسه، ص ١٩٨.

شملهم الخوف و الدُّلُّ، و لاذوا منه بالكذب و المكر و الخديعة فتخلقوا بها، وفسدت بصائرهم و أخلاقهم، و صاروا يخذلونه في الحروب و المدافعات، ففسدت الحماية بفساد النيات، و ربما أجمعوا على قتله و إذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم، أحبوه و يجلوه، و دافعوا عنه، كذلك اشترط الشارع في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء، و ذلك لكي لا يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم، و إطلاعهم على عواقب الأمور في مبادئها بالمعية فمهلكون، و بهذا يكون ابن خلدون قد حدد الصفات التي من الضروري أن تتوفر في السلطان.⁽¹⁾

• أصناف الملك:

- الملك التام: و يشير هذا النوع من الملك إلى حالة السيطرة الكاملة على الرعية و التحكم في شؤونها، فالملك على الحقيقة لمن يستبعد الرعية و يجبي الأموال و يبعث البعوث و يحيي الثغور، و لا تكون فوق يده يد قاهرة.

- الملك الناقص: و يشير إلى ذلك النوع من الملك المحدود في سلطته على رعاياه و ضعفه في التحكم في كل شؤون الناس، و هو الملك الذي يعجز عن حماية الثغور أو جباية الأموال أو بعث البعوث، و يضيف ابن خلدون إلى أن الملك الناقص من قصرت به عصبية عن الاستعلاء في جميع العصبية، و الضر على سائر الأيدي، و كان فوقه حكم غيره، فهو قاهر أيضا، ملك ناقص لم تتم حقيقته.⁽²⁾

• العصبية و الملك:

لقد فرق ابن خلدون بين العصبية و الملك ، كما فرق بين رئيس العصبية و الملك فالرئيس (رئيس العصبية ، رئيس القبيلة) يكتفي بالسيادة المعنوية على بقية أفراد القبيلة ، أما الملك الذي لا يصل إلى الملك إلا بواسطة العصبية فإن سلطته مطلقة تصل إلى درجة القهر و التحكم التام . فالملك هو مرحلة للرياسة إذا ساعدت الظروف و لكن الاثنين أساسهما العصبية.⁽³⁾

و نجد جورج لايبيكا في كتابه "السياسة و الدين عند ابن خلدون" يوافق ابن خلدون و يؤيده في الرأي فيقول: "البدوي للحضري بمثابة الغزال للماعر مثلا، و العصبية بدون الرياسة الخاصة بالإنسان، كوجود شخص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عريانا بين الناس و العصبية هي فعلا مزاج الدول، و كثرة السكان قوتها، أو الملك هو أولا التغلب و القهر أو السلطان لرعيته بمثابة الراعي لقطيعه.⁽⁴⁾

• شروط قيادة المجتمع القبلي:

وضع ابن خلدون ثلاثة شروط أو مؤهلات، لا بد أن تتوفر فيمن يتولى الرئاسة في المجتمع القبلي:

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص 199-200؛ دعم ابن خلدون طرحه هذا بخصوص أنه من صفات الحاكم قلة الإفراط في الذكاء بحديث النبي (P) ... "سيرو على سير أضعفكم"، وبقصة زياد بن أبي سفيان لما عزله عُمر عن العراق، وقوله لما عزلتني يا أمير المؤمنين؟ لعجز أم خيانة؟ فقال عمر : لم أعزلك لواحدة منهما و لكي كرهت أن احمل فضل عقلك على الناس، نفسه، ص 200.

(2) نفسه، ص 198-199؛ يرى محمد عابد الجابري أن معنى الملك عند ابن خلدون ينطبق تماما على ما نفهمه نحن اليوم من الحكم، و السلطة، فإذا كان الحاكم مستقلا بنفسه لا يدين بالطاعة لأحد فوفاة سواء كان الأمر يتعلق بطاعة فعلية حقيقة، أو بطاعة اسمية شكلية كان ملكه تاما، أما إذا كان يخضع بشكل من الأشكال إلى حاكم فوفاة فملكه حينئذ ملك ناقص، محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص 196.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص 102.

(4) جورج لايبيكا: المرجع السابق، ص 233-234.

- النسب الصريح: وذلك أنّ العصبية قد تضم أفرادا آخرين لا تربطهم بها قرابة الدم، بل تشدهم إليها روابط أخرى كالحلف والولاء والجوار، وما شابه ذلك، وهؤلاء هم في الدرجة الثانية بالنسبة إلى صرحاء النسب، لكن هذا الشرط ليس مطلقا فصراحة النسب لا تعني بالضرورة نقاوة الدم، وإنما تعني فقط أن هذا الشخص المؤهل للرئاسة قديم الانتماء إلى العصبية، و مركز فيها، الشيء الذي يجعل ارتباطه بها ارتباطا متينا و تشبعه بأحوالها وروحها الجماعية، فالمقياس الفعلي في الانتساب للعصبية و ما يتصل بذلك من الرئاسة وغيرها هو دائما "طول المعاشرة"، و لذلك كان الأشخاص المنتمون إلى العصبية بوجه من وجوه النسب، يصبحون هم أيضا مؤهلين للرئاسة عليها إذا تقادم بهذا العهد داخلها.⁽¹⁾

- الشرف و الحسب: فالنسب حتى لو كان صريحا حقيقيا لا يكفي وحده كمؤهل للرئاسة بل لا بد من الحسب و الشرف، و هو شيء موروث أب عن جد، و الوراثة هنا لا تعني وراثة الدم، بل وراثة الخلال الحميدة التي جعلت من الجد الأول رئيسا، كالشجاعة و الكرم، و التضحية بالنفس و المال، و خدمة الصالح العالم للعصبية، إلى غير ذلك من خصال حميدة.⁽²⁾

- الغلب: فلا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم، أقروا بالإذعان و الإلتباع فالمجتمع القبلي مكون أساسا من وحدات أو جماعات يفرق بينهما النسب القريب أو البعيد، فهي بمثابة اختلاط و لكي تتشكل من هذه الجماعات المتغايرة، بل و المتنافرة وحدة كبرى تضمها جميعا، لابد من غلبة أحدهما على الباقي، تماما كما هو الشأن بالنسبة للأخلاق التي يتشكل من اجتماعها مزاج معين.⁽³⁾

• الرئاسة و الملك:

يشرح ابن خلدون الطريق من الرئاسة إلى الملك فيقول أنه طريق ممدد سهل، قد يؤدي أحيانا إلى الملك على الحقيقة و هو لمن يستبعد الرعية و يجني الأموال و يبعث البعوث، و يحيي الثغور و لا تكون فوق يده يد قاهرة، و أحيانا أخرى يؤدي فقط إلى الملك الأصغر و هو ملك آخر دون الملك المستبد يقتصر فيه صاحبه على مشاركة أهل الدولة في النعيم و الكسب و خصب العيش و السكون في ظل الدولة إلى الراحة و الأخذ بمذاهب الملك في المباني و الملابس.⁽⁴⁾

• الملك و الخلافة:

عرف ابن خلدون الملك و السياسة و الخلافة⁽⁵⁾ تعريفا يتميز بالضبط و الإلتقان في اختيار العبارة المناسبة المميزة للمفهوم عن بقية المفاهيم، فالملك الطبيعي عنده هو حمل الكافة على مقتضى الغرض و الشهوة، و السياسة هي حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية و دفع المضار، و الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية و الدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا.

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٧-١٤٨.

(2) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٤٩.

(3) نفسه، ص ١٥٠.

(4) نفسه، ص ١٥٢.

(5) الخلافة: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي بالجمع بين العقل و الدين في جلب المصالح الدنيوية و عانتها تتمثل في الإتيان بالطاعات مخرجة من نظر الفقه الأجزاء و الامتثال، محمد الصغير بناني : البلاغة و العمران عند ابن خلدون ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، ١٩٩٦، ص ٩٧.

لقد اعتاد الكثير من الفقهاء على التفريق بين الخلافة والملك، فاعتبروا الخلافة خيرا و الملك شرا، وقد تأثر المؤرخون بهذا الرأي فجعلوا الخلافة الصحيحة محصورة في الخلفاء الأربعة الذين تولوا الحكم بعد النبي، حيث أطلقوا عليهم لقب الخلفاء الراشدين، أما الذين تولوا الحكم بعدهم فهم في نظر المؤرخين خلفاء عادييين أشبه بالملوك منهم بالخلفاء استنادا إلى الحديث النبوي القائل بأن الخلافة ثلاثون سنة ثم تعود ملكا.⁽¹⁾

أما ابن خلدون فهو يرى في الملك رأيا آخر، فالملك في رأيه لا يجوز أن يكون شرا مذموما على وجه مطلق إنه كغيره من ظواهر الحياة الاجتماعية قد يكون خيرا أو شرا تبعا للناحية التي ننظر منها إليه.⁽²⁾

كما يرى أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وإنما ذم المفسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات، ولا شك أن في هذه مفسد محظورة وهي من توابعها، فأثنى على العدل والنصفة وإقامة مراسيم الدين والذب عنه، وأوجب بإزائها الثواب وهي كلها من توابع الملك، فإذا إنما وقع ذم الملك على صفة وحال دون حال أخرى، ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه.⁽³⁾

كما خص ابن خلدون مسألة الخلافة ببحث مستفيض استعرض فيه مختلف الآراء، والنظريات التي قيلت فيها بأسلوب مركز واضح، وإذا كان قد مال في كثير من المسائل التي تعرض لها إلى تأييد موقف أهل السنة، وهو واحد منهم، فإن الغرض الحقيقي من البحث كله هو كما يتجلى للناظر المدقق، إثبات أن نظام الخلافة كان خاضعا في نشأته وتطوره إلى الفاعلية العصبية، لقد بنا ابن خلدون نظريته في الحكم على العصبية، وبما أن الخلافة نوع خاص من الحكم، بل هو النوع الخاص بالإسلام، فإن إثبات صواب وعمومية نظريته في العصبية، كان يتطلب منه إقامة الدليل على أن الخلافة نفسها قد نشأت وتطورت ثم انقلبت إلى الملك بمقتضى العصبية ذاتها.⁽⁴⁾

● الإمامة:

يعرف ابن خلدون الإمامة على أنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا، وتسمى خلافة أو إمامة⁽⁵⁾ والقائم بها يسمى إماما أو خليفة.

وقد وضع ابن خلدون شروطا لا بد أن تتوفر في الإمام أو الخليفة وهي: العلم والعدالة، والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء، واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي.

- فالعلم : لا بد منه لأن الخليفة والإمام يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها، وما لا يعلمها لا يصح تقديمه لها.

- ولا خلاف في توفر العدالة فيه، بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي انتفاءها بالبدع الاعتقادية خلاف.

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ٢٠١.

(2) نفسه، ص ٢٠٣.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ٢٠٣؛ واستدل ابن خلدون ليدعم هذا بأن كان لداوود وسليمان - صلوات الله عليهما- ملكا وهم من أنبياء الله تعالى، ومن أكرم الخلق عنده، المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(4) محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

(5) يعرف ابن خلدون الإمامة على أنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا، وتسمى خلافة أو إمامة والقائم بها يسمى إماما أو خليفة و سمي إمام نسبة إلى إمام الصلاة و سمي خليفة خليفة لأنه يخلف الله في أمته، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ٢٠١.

- وأما الكفاية فهو أن يكون جريئاً على إقامة الحدود، واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلاً بحمل الناس عليها، عارفاً بالعصبية وأحوال الدهاء، قويا على معاناة السياسة ليصبح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين، وجهاد العدو، وإقامة الأحكام، وتديير المصالح.
- وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة، كالجنون والعوى والصمم والخرس، وما يؤثر فقد من الأعضاء في العمل كفقد اليدين والرجلين...
- وأما النسب القريشي فلإجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك، وقد اختلف فيه.⁽¹⁾

د- الدولة:

الدولة من وجهة نظر ابن خلدون هي الامتداد المكاني والزمني لحكم عصبية ما، ويوجد نوعين من الدول: دولة خاصة، ويقصد بها حكم عصبية خاصة في إقليم معين، تابع ولو نظرياً لحكم عصبية عامة تمتد سلطتها إلى أقاليم عديدة فتشكل هكذا الدولة العامة، فالدولة العامة هي الدولة التي تخضع لغيرها بشكل من أشكال الخضوع، والتي قد تمتد سلطتها فعلياً إلى جميع المناطق الداخلية تحت نفوذها، كما قد تكون سلطتها على بعض الأقاليم التي قامت فيها دول خاصة أو إمارات و سلطة اسمية فقط، وبهذا الاعتبار فإن سلطة الدولة الخاصة (ملك ناقص)، في حين أن سلطة الدولة العامة (ملك تام).⁽²⁾

إن الدولة في فكر ابن خلدون مناط الاجتماع الإنساني، كما تسهر على تحقيق العدل سواء كان ذلك بالاستناد إلى أحكام الله أو بالاحتكام إلى سياسة عقلية ينقاد الناس إليها بموجب ما يتوقعونه من النتائج وما ينتظرونه من ثواب الحاكم و عقابه.⁽³⁾

• عوامل قيامها:

أما في خصوص قيام الدولة فقد أرجعها ابن خلدون إلى عدة عوامل:

- العصبية، فهي أساس القيام، وليس من الضروري أن يقف مفهوم العصبية عند حدود القرابة والرحم، فيمكن أن يكون هناك عصبية بالولاء، وقد تتطور الدولة فتتسع مساحتها، ويصبح الولاء لها كأنه جزء لا يتجزأ من الولاء للدين، وقيام الدولة على عصبية الدين يغنيها عن عصبية الدم والرحم، ومن العصبية القائمة على العقيدة والإيمان يصل ابن خلدون إلى قانون آخر أعم وأشمل في عوامل قيام الدول فيقرر أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة المملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق⁽⁴⁾، بالإضافة إلى عامل العصبية في قيام الدولة هناك عوامل طبيعية أخرى كالمناخ والأغذية، والعوامل

⁽¹⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص 203-204؛ جورج لايبكا: المرجع السابق، ص 128.

⁽²⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص 174-175؛ فالدولة البيهية مثلا هي دولة خاصة بالنسبة للدولة العباسية التي كانت تشملها و تشمل غيرها من الإمارات مما جعل منها دولة عامة، محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص 211-212.

⁽³⁾ فوزية صعب المهيدب: المرجع السابق، ص 79.

⁽⁴⁾ ترتقد فوزية صعب المهيدب نظرة ابن خلدون هذه فتقول أن هناك دولا عامات كثيرة قامت على عقائد بعضها كان باطلا، واستمرت بما ردها من الزمن، وتستدل برأيها هذا على أن ابن حزم الأندلسي يرى أن الدول لا بد لها من معتقد سواء كان ذلك المعتقد حقا أم باطلا و هي رؤية أقرب إلى الواقع التاريخي، فابن خلدون يضع رباطا وثيقا بين قيام الدولة والعصبية في أشكالها المختلفة، والعصبية في فكر ابن خلدون لا تقف عند قيام الدولة بل تتعداه إلى كل مراحل الدولة فهي المعيار لبقاء الدولة أو زوالها، فوزية صعب المهيدب: المرجع السابق، ص 82-86.

الجغرافية، ففي فكر ابن خلدون أن عوامل قيام الدولة تكون باجتماع العوامل الطبيعية مع الاجتماعية فهذه العوامل تحدد مسار الدولة وفعاليتها في التاريخ.⁽¹⁾

يرى ابن خلدون أن الدولة ضرورية في حياة المجتمعات، وأن حاجة الإنسان للغذاء والمأوى والدفاع عن النفس هي التي تدفعه إلى الانتظام في مجتمع إنساني، فالإنسان لا يستطيع أن يسد حاجته للغذاء بمفرده، لأن ذلك يتطلب أعمالاً كثيرة و متنوعة لا يمكنه أبدا القيام بها بمفرده، بل لابد من تعاونه مع رفاقه، والإنسان معرض للخطر ليس من جانب الحيوانات المفترسة فحسب، بل من جانب أخيه الإنسان، و لذلك لابد من وجود سلطة تحول دون اعتداء الناس بعضهم على البعض الآخر، وهذه السلطة تكون في يد السلطان أو الملك.⁽²⁾

• أعمارها:

يرى ابن خلدون أن لكل دولة عمرا معلوما، كأعمار الأشخاص، بمعنى أنه إذا كان لكل شخص عمر محدد تنتهي حياته بنهايته، فإن لدول كذلك أعمارا محددة تنتهي و تزول سلطانه بنهايته، والحكم ذاته ينسحب مع العمران، لأنه في تقدمه وازدهاره أو في تناقصه وانحساره مرتبط بتدرج الدولة في مسيرة حياتها.⁽³⁾

فقد جعل ابن خلدون للحضارة ثلاثة أعمار مرحلية طبيعية، تعيش كل مرحلة حياة مميزة عن المرحلة السابقة لها أو اللاحقة بها، وكل مرحلة من المراحل لها عمرها و بدايتها ونهايتها و خصائصها، و يرى أن عمر الدولة في الأغلب لا يعدوا أعمار ثلاثة أجيال، وهو يقدر الجيل بأربعين سنة، و من ثم يكون عمر الدولة مائة وعشرين سنة في المتوسط.⁽⁴⁾

١- مرحلة التأسيس و البناء:

إنها مرحلة البناء و التأسيس و التشكل للدولة، و هي بمثابة الميلاد و الطفولة، و جيل هذه المرحلة يحمل خصالا تجعله مؤهلا، و قادرا على تأسيس الدولة و حمايتها و إرساء قواعدها، فهو يعيش حياة بدوية خشنة بعيدة تماما عن الترف و المدن، إنه يعيش في الريف و البوادي، و يتميز بالعصبية، فقد ربط ابن خلدون بين خشونة حياة الريف و البوادي و بين الشجاعة و بقية القيم الإنسانية.⁽⁵⁾

فسياسة الدولة في هذا الطور تقوم على ثلاثة أسس سليمة: أولها نظام المشاركة و المساهمة، و التسيير الجماعي في إطار العصبية الحاكمة، و هذا عنصر مهم و أساسي في الحفاظ على الوحدة و الالتحام داخل الجماعة الغالبة الحاكمة، و ثانيها سلوك سياسة كسب القلوب و إنزال الناس منازلهم و هذا ما يضمن للدولة ولاء مختلف الفئات التي يسري عليها حكمها، و ثالثها الاقتصاد في النفقات و عدم الغلو في فرض الضرائب و الجبايات، و هذا يؤدي بطبيعة الحال إلى خلق جو من

(1) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٦٩.

(2) نفسه، ص ١٥٢.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٩٢؛ عبد المنعم ماجد: بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٤٢.

(4) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٢؛ الطيب بن إبراهيم: مواقف و أفكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون، دار مدني، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٨٥.

(5) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٢.

الاطمئنان و الازدهار فيزداد ولاء الرعية للدولة و تمسكهم بعصابتها.⁽¹⁾ فقرة أخلاق وخصال هذا الجيل الأول، جيل البداوة عند ابن خلدون بداية وخشونة و قوة و شباب، و هو معجب بخصائصها و طبائعها، لذا يظهر حنينه لها كلما دعت الحاجة إلى ذلك. إن النتيجة المحتومة لمثل سياسة هذا الطور هي ظهور بوادر الرخاء والرفاهية في صفوف مختلف الفئات، الحاكمة منها و المحكومة على السواء، و بذلك تدخل الدولة في الطور الثاني طور العظمة و المجد.⁽²⁾

٢- مرحلة العظمة و المجد:

إنها مرحلة القوة و الازدهار، و المجد ففي هذه المرحلة تبلغ الحضارة أقصاها و تكون في أزهى مراحلها و أوج قوتها، و الجيل المصاحب لهذه المرحلة يتمتع بالازدهار الاقتصادي و التوسع و التفنن العمراني، نتيجة السيطرة على الأقاليم و إخضاع بقية القبائل، و يتحول جيل هذه المرحلة من البداوة إلى الحضارة، فهو الجيل الذي يتحقق على يده الملك و الذي يؤسس الدولة، و الظاهر أن الأخلاق تتغير بتغير نوع العمران، و أن العصبية ضعفت نتيجة الترف، و أن الشجاعة قلت، و أن الطباع لانت، و كل هذا حدث نتيجة لوجود الدولة و القيم البدوية المرتبطة بالعصبية تذهب لتحل محلها القيم الحضارية المرتبطة بالدولة.⁽³⁾

٣- طور الهرم و الاضمحلال:

وهي مرحلة الضعف و الانحطاط ثم الانقراض لتبدأ الدورة الحضارية من جديد و بنفس المراحل، و في هذه المرحلة يسود الضعف و الهوان للدولة، فيلجأ الناس إلى الراحة و الدعة، و ينغمسون في النعيم و الترف و الإسراف في الشهوات و أكلوا أمر الدفاع عنهم إلى مواليهم و حامية حراستهم، و ألقوا السلاح و تنزلوا منزلة النساء و الولدان الذين هم عيال، و أصبح ذلك فيهم خلقا تنزل منزلة الطبيعة فيهم، فقد نسي هذا الجيل عهد البداوة و نشوتها، و فقدوا حلاوة العز و العصبية، و أمام فقدان هذا الجيل لقوته و حميته، و تمكن الإسراف و الترف منه، أمام ذلك كله يتأذن عمر الدولة بالفناء.

إن هذا الجيل هو الذي يتم على يده انهيار الدولة لأنه غرق في الترف، و تمكن الجبن منه، و فقد معنى الكرامة و الرجولة و الشجاعة، و يضطر السلطان إلى الاستعانة بالموالي و المرتزقة للدفاع عن الدولة في حالة العدوان عليها إلى أن يحول دون انهيارها.⁽⁴⁾

● أطوار الدولة:

لقد قسم ابن خلدون مراحل الدولة و أطوارها إلى خمسة أقسام خلال مسيرتها التطورية منذ تأسيسها إلى غاية نهايتها و سقوطها.

⁽¹⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٢.

⁽²⁾ محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص ٢٢٤.

⁽³⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٢.

⁽⁴⁾ المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٢؛ و يجلل محمد عابد الجابري نظرية ابن خلدون حول أعمار الدول و يقول بأن ابن خلدون قد فصل تطور الدولة باعتبارها شخصا يملك، و عصبية غالبية، و أخرى مغلوبة، و ربط تطور الدولة في المستوى الأول بتطور الحسب نازلا من القوة إلى الضعف، و في المستوى الثاني ربط تطور الدولة بتحول العصبية من التعاون و التعاضد إلى التنافس و التخادل، أما تطور كلية الدولة باعتبارها أسرة حاكمة و عصبية مغلوبة محكومة، فيعني أساسا تطور الحكم كله من المساهمة و المشاركة، و الرفق بالرعية إلى الانفراد بالمجد و الاستبداد بالحكم، محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص ٢٣٠.

١- **الطور الأول:** وفيه يتم الاستيلاء على الملك، و انتزاعه ممن كان مازال متمسكا به من بقايا الدولة المنقرضة أو قبائل لا تدين بالولاء، فيبدأ تأسيس الدولة و الحفاظ على العصبية القبلية التي وقع بها الغلب و يبدأ بجباية الضرائب، فطابع هذا الطور هو عسكري توسعي.

و هو طور التأسيس، و في هذا الطور يكون السلطان جديد العهد بالملك، ولذا فهو لا يستغني عن العصبية، وإنما يعتمد عليها لإرساء قواعد ملكه فيكون الحكم في هذه المرحلة مشتركا نوعا ما بين الملك و قومه، و يتميز هذا الطور ببداوة المعيشة و بانخفاض مستواها فلم يعرف الغزاة الجدد بعد الترف، و باشتراك الجميع في الدفاع عنها فما زالت شجاعة البدو و القوة البدنية نتيجة الحياة البدوية متوفرتين لدى الجميع.^(١)

٢- **الطور الثاني:** طور الاستبداد و الانفراد بالملك، و مدافعة المنافسين، غير أنه لا يلبث أن يستتب الأمر حتى يدخل في طور الاستبداد على قومه و الانفراد دونهم بالملك و كبحهم عن التناول للمساهمة و المشاركة، فيبعدهم عن مهام الملك و يبدأ بتكوين جيش مأجور و ينظم الحكم يثبت له وحده الأمر.

فابن خلدون يرى أن السلطان عندما يرى ملكه قد استقر يعمل على قمع العصبية كما يعمل على الانفراد بالحكم و استبعاد أهل عصبية من ممارسة الحكم، و للقيام بهذا يضطر السلطان إلى الاستعانة بالموالي و المصطنعين، أي أنه يبدأ في هذه المرحلة الاعتماد على جيش منظم من أجل المحافظة على الملك، و يتحول السلطان هنا من رئيس عصبية إلى ملك.^(٢)

٣- **الطور الثالث:** في هذا الطور يتخلص صاحب الدولة من العصبية القبلية التي ساندته و أوصلته للملك و أصبحت تشكل خطرا عليه، و تم استبدالها بعصبية جديدة أخرى، يكونها و يصنعها بما اجتمع لديه من أموال، و كثرة مداخيل ضرائب الأقاليم و تعدد و تنوع الصنائع و الحرف، و يعتبر هذا الطور اقتصاديا عمرانيا قويا.^(٣)

٤- **الطور الرابع:** وهو مرحلة قنوع و استقرار و مسالمة للحاكم فيرضى بما حققه أسلافه، مسالما لمناصريه و جيرانه من الأمراء و الملوك، مقلدا و متبعا آثار من سبقوه، معتمدا على عصبية الموالي و العساكر و الثروة بدل عصبية القبيلة. إن الدولة في هذه المرحلة تكون في حالة تجمد فلا شيء جديد يحدث ولا تغيير يطرأ كأن الدولة تنتظر بداية نهايتها.^(٤)

٥- **الطور الخامس:** ويعتبر آخر أطوار الدولة، إذ يكثر الحاكم من نفقاته و إسرافه مما جمعه أسلافه من ثروات في حياة البذخ و الترف و الشهوات و يسند المناصب العليا لغير أهلها من الأكفاء، و تكثر حوله بطانة السوء في مجالسه، و يستبعد كبار الأولياء من قومه و صنائع سلفه فيتخاذلون عن نصرته، و يتفرق عنه جنده و يتخلوا عليه، في هذه المرحلة التي تظهر لنا فيها آثار المرض على الدولة.^(٥)

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقول بأن ابن خلدون قد تتبع مسيرة الدول وما صاحبها من تطورات، و ما يمتاز به كل طور من خصائص، كما حاول أن يتحسس أنفاسها من الداخل و أن يكشف قوانين و علل حركتها، فغاص في عمق السيرورة

(١) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٦.

(٢) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨٧.

(٣) نفسه، ص ١٨٧.

(٤) نفسه، ص ١٨٧.

(٥) نفسه، ص ص ١٨٧-١٨٨.

الاجتماعية والتاريخية متأملا للظاهرة الحضارية و حركتها، واستنبط أهم الأسباب والقوانين والعلل الكامنة وراء كل حركة أو ظاهرة تاريخية أو اجتماعية تؤدي في النهاية إلى نتائج قد يراها حتمية لا مفر منها.⁽¹⁾

يبدو أن ابن خلدون كون نظريته عن طريق ملاحظة الدولة وتطورها في المغرب الإسلامي عبر القرون الوسطى وبالتالي فإن نظريته لم يستنبطها من الفكر فقد، بل كانت واقعية أكثر، ولذا فإنها ليست جامدة كما ادعى الكثيرون غير أن لها بعض الاستثناءات التي وضحتها في المقدمة.

● عوامل سقوط الدولة عند ابن خلدون:

إن عوامل القوة لبناء الدولة قد تكون هي نفسها عوامل ضعفها و انهيارها ، فالعامل الذي يؤدي إلى بناء الدولة قد يكون سيفاً ذو حدين إما لها وإما عليها .

إن قوة الدولة عند ابن خلدون رهين بقوة جميع مواردها المالية و الاقتصادية، فبأموالها تمون مشاريعها و تحقق إنجازاتها، و تدفع نفقات سكانها، و بالأموال تنفق نفقات حربها و سلمها و تستغني عن غيرها، فوفرة المال سلاح في يد الدولة فإن فقدته أصبح سلاحاً مسلطاً عليها.

فابن خلدون يرى أن طبيعة الملك تقتضي الترف و بالتالي تكثر نفقات الدولة و تزيد أعطياتهم ، ولا يفي دخلهم بخرجهم ، فالفقير منهم يهلك ، و المترف يعيش في رخاء و نعيم ، و تزداد الحاجة و تقل الأموال ويعجز الملوك عن تغطية نفقات الدولة و الجيش، و تزداد الضرائب حتى تثقل كاهل الناس و بالتالي تضعف الدولة و يطمع فيها أعداؤها، كما أن توقف السواعد عن العمل و عن الكد و الحركة في الوقت الذي ترتفع و تتضاعف نفقات الدولة و رجالها و جندها فتند الدولة يدها لجلب المال من الرعية.⁽²⁾

كما ذكرنا سابقاً أن العصبية تشكل القاعدة الشعبية المجندة، الحامية و المدافعة عن الدولة، بل هي النواة الأولى لها و بها، والعصبية عند ابن خلدون عصبيتان: عصبية قرابة و أهل و تتكون من العشيرة و القبيلة والأقارب الذين تجمعهم صلة الرحم والنسب و هذه هي العصبية الكبرى كما يسميها ابن خلدون و يمتاز جندها بقوة الشكيمة و الصلابة في الدفاع عن الدولة و يكون هذا حالها في بداية تأسيس الدولة، و بعد الاستقرار و الانتقال من مرحلة التأسيس إلى مرحلة الحضارة تبدأ علاقة هذه العصبية في التفسخ و الضعف والانحلال بسبب هادمين أساسيين هما الترف و القهر، ثم تأتي العصبية الصغرى بعد زوال العصبية الكبرى، و تتكون من بطانة الحاكم و من موالي النعم و صنائع الإحسان و أصحاب المصالح العامة، و هؤلاء تتخذ منهم الدولة و حاكمها عصبية لها، إلا أنها تكون ضعيفة الشكيمة والقوة لفقدان صلة الرحم و القرابة بينهم، فالعصبية عند ابن خلدون هي مفتاح الديناميكية الاجتماعية فقوتها قوة للدولة، و ضعفها ضعف للدولة.⁽³⁾

ومن عوامل السقوط كذلك ضرب المكوس في أواخر الدولة، أي استحداث أنواع جديدة من الضرائب و إرهاق كاهل الناس، فالدولة تكون في أولها بدوية لا تحتاج للأموال الكثيرة، و يكون فيها خلق الرفق بالرعايا و القصد في النفقات، و بعدما تعظم الدولة ويستفحل الملك، فيكثر الإنفاق و تعظم نفقات السلطان و أهل الدولة على العموم و تحتاج إلى الأموال للزيادة في

(1) بن إبراهيم الطيب: المرجع السابق، ص ٨٠.

(2) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٨١؛ بن إبراهيم بن طيب: المرجع السابق، ص ٨٨.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٧٩، ١٩٤؛ واستدل ابن خلدون هنا بالدولة الأموية و ذلك عندما كانت تستعين في حروبها ولاة أعمالها برجال العرب مثل الحجاج بن يوسف، و موسى بن نصير... إلخ، و أمثالهم من رجالات العرب كانت في أوج قوتها، نفسه، ص ١٩٤-١٩٥.

أعطيات الجند وأرزاق أهل الدولة، فيكثر الإسراف فيلجأ السلطان إلى ضرب المكوس على الأسواق و عندما لا تكفي المكوس سد النفقات يلجأ السلطان إلى فرض ضرائب جديدة يعجز الناس عن دفعها، وهذا ما يثير مشاكل داخل الدولة.⁽¹⁾ ويضيف ابن خلدون إلى عوامل سقوط الدولة أن التجارة من طرف السلطان تضايق الفلاحين، فالسلطان في يده مفاتيح الشراء و البيع و يسير الأمور حسب ما تقتضي مصلحته.⁽²⁾

كما يضيف أن للقيم والأخلاق والفضائل مكانة أساسية في قيام الدولة و السلطان ومهم تؤسس الدولة و تصان، و أي مساس بهذا الجانب يؤدي إلى الفساد و الانحلال و كل الصفات والفضائل العليا هي قوة ودعامة للدولة و لسلطانها، و هي التي توفرت عند الجيل الأول مؤسس الدولة و حامها.

بالإضافة إلى السياسة غير الراشدة واللامسؤولية و التي تعتمد على الغطرسة و الظلم و البطش اتجاه الرغبة، و الانفراد بالملك، تفرق أكثر مما تجمع و تكون معول هدم تهدم قواعد الدولة فتعجل بانهيائها و خرابها.

ويرى ابن خلدون أن الظلم يؤدي إلى النقص في العمران، و الظلم ظلمات، و الظلم ليس أخذ المال أو الملك من يد مالكة من غير عوض و لا سبب فقط، بل الظلم أعم من ذلك، فكل من أخذ ملك أحد و غصبه في عمله أو طالبه بغير حق لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، و المعتدون عليها ظلمة، و المانعون لحقوق الناس ظلمة... إلى غير ذلك من أنواع الظلم، فابن خلدون يرى بأنّ الظلم يؤدي إلى فساد العمران و خرابه، و هو مؤذن بانقطاع النوع البشري فقد حرمة الشرع وأدانه.⁽³⁾

ضف إلى ذلك أن الحاكم إذا كان جبارا متتبعا لعورات رعيته باحثا عن أسباب ملاحقتهم شملهم الخوف و لاذوا وراء الكذب و المكر و الخديعة خوفا على أنفسهم فيتخلقوا بالصفات التي تفسد بصائرهم، فابن خلدون يجعل من حسن الملكة الرفق واللينة و البعد عن الظلم و البطش بالناس، لأن هذه السياسة تؤدي إلى فساد العمران.

بالإضافة إلى هذه العوامل هنالك عوامل كثيرة جعل منها ابن خلدون سببا في سقوط الدول.

إن ابن خلدون قد سبق عصره بمراحل كثيرة، و ذلك لتشخيصه للأمراض المسببة لسقوط الدول، و كيفية تفاعلها فيما بينها إلى أن تؤدي إلى السقوط.⁽⁴⁾

(1) نفسه، ص ٣٠٠.

(2) نفسه، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(3) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ٢٩٠-٢٩٤؛ يشير محمد عبد الله عنان إلى تقارب شديد بين ابن خلدون والمفكر الإيطالي مكيافيللي بحيث أنهم يلتقيان في آراء كثيرة و من ذلك تطرقهما إلى آثار البطش والسياسة العاسفة في نفوس الشعب، و عن حماية الدولة و أعطيات الجند، و عن منافسة الأمير للرعية في التجارة و الكسب، و عن تطرق الخلل إلى الدولة، و امتداد يد الجند إلى أموال الرعية، فكل هذه الموضوعات يعالجها مكيافيللي في كتابه "تاريخ فلورانس" أو "الأمير"، محمد عبد الله عنان: ابن خلدون و مكيافيللي، مجلة الرسالة، العدد ٢٠، الأربعاء ١٢ رجب ١٣٥٢هـ - ١ نوفمبر ١٩٣٣، السنة الأولى، القاهرة، ص ٢٠.

(4) المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، ص ١٩٩؛ تنتقد زينب محمود الحضيبي نظرية ابن خلدون هذه حول عوامل سقوط الدول فتقول أن ابن خلدون شخص التاريخ بأنه عبارة من الدول تسير كل منها في حلقات متتالية و تتشابه هذه الدول في مراحلها المختلفة، و في أعمارها و تقوم الواحدة على أنقاض الأخرى، كما انه كان متشائما في نظريته لتطور الدولة و ركز جل اهتمامه على اختيار الدولة : أسبابه و كيفية حدوثه كأنه يدرس أطوار الدولة المختلفة من أجل توضيح كيفية حدوث الإختيار و ترجع نظريته هذه إلى ظروف عصره و الحياة التي عاشها فقد كان رجل سياسة، خاض غمار السياسة في العالم =

لقد كانت أفكار و آراء ابن خلدون واقعية انطلق فيها من الأحداث و الوقائع التي عاشها وعرفها في معظم البلدان التي زارها من المغرب إلى المشرق، و هذا ما يجعلنا نقول بأن ابن خلدون كان فيلسوفا سياسيا واقعيا بالدرجة الأولى، ولم يكن خياليا أو نظريا كأفلاطون، فابن خلدون يعتبر من المؤسسين لعلم السياسة و الاجتماع السياسي.

لقد تناول ابن خلدون الحضارة و شؤونها كشاهد عيان، و ليس كسامع عنها، لقد درسها في مخبر التاريخ و على أرض الواقع وفي الطبيعة عرفها من عدة مواقع، عرفها وهو قاض وهو كاتب و عرفها من موقع المسافر المتنقل والمقيم، و من موقع المنكوب والسجين، عرف الحضارة وهي مفككة ومركبة فحاول الوصل والفصل بين أجزائها ومركباتها وعناصرها، نظرا إليها في الإنسان الفرد و الجماعة، و في القبيلة والدولة و في العصبية والملك، و في البدو و الحضر، و في الحرب والسلم و في الغنى و الفقر و في القوة والضعف، تناول الإنسان فلاحا وتاجرا، حرفيا و صانعا، عالما و متعلما، حاكما ومحكوما عادلا و مظلوما، و كيف يستقر وهو يتنقل من حال إلى حال، وكيف يصطبغ ويتلون بلون كل حال، و ماذا يفقد وماذا يكسب من خصال، وما هو دور الدين والاقتصاد والثقافة في كل فصل و تلبسها لباس كل عصر و تحدثها لغة كل منتصر⁽¹⁾، وتعتبر نظرية ابن خلدون نظرية رائعة استسقاها من عصره الذي عانى فيه المسلمون أنواعا كثيرة من الظلم و ذلك ناتج عن تسلط الدول المتنازعة في المغرب و الأندلس و المشرق، و من استبدادها بالرعية و من هنا جاءت نظرة ابن خلدون إلى أثر الظلم في خراب البلاد نظرة عميقة تتم عن تجربة شخصية ورؤية حضارية في آن واحد، و تبقى نظرية ابن خلدون في قيام الدول وسقوطها نظرية متكاملة رائدة سقت عصرها بقرون كثيرة و فتحت المجال أمام نظريات فلسفة التاريخ، و قدمت للفكر الإسلامي التاريخي معالم في الرؤية الإسلامية للتاريخ والحضارة.⁽²⁾

وفي الواقع، فإن النظرية لم تأت من فراغ أو أنها عفوية أو وليدة الصدفة، إنما هي نتاج لتجربة مع الدولة الإسلامية وحضارتها مدة خمسين عاما أو أكثر، كونها عوامل دينية واجتماعية واقتصادية، و شملت رقعة واسعة، و ربطت بلادا عديدة هي دار الإسلام.⁽³⁾

قائمة المصادر والمراجع:

١. بن خلدون، عبد الرحمن : المقدمة ، تحقيق : خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢. الشكعة، مصطفى : المغرب و الأندلس آفاق إسلامية و حضارة إنسانية و مباحث أدبية، ط ١، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣. الجابري، محمد عابد : فكر ابن خلدون العصبية و الدولة - معالم النظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، الطبعة السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٤. الوردي، علي: منطق ابن خلدون في ضوء حضارته و شخصيته، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٧م.
٥. نصار، ناصيف : الفكر الواقعي عند ابن خلدون، ط ٢، دار الطليعة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ١٩٨٥.

(١) بن ابراهيم الطيب: المرجع السابق، ص ٩٦-٩٧.

(٢) فوزية صعب المهيدب: المرجع السابق، ص ص ٩٥-٩٨.

(٣) عبد المنعم ماجد: العمران نظرية لابن خلدون في تفسير التاريخ، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية - بحوث الحضارة الإسلامية - ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري، عدد ١٦-٢٠ أكتوبر ١٩٧٦م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٤٦.

٦. رسلان، صلاح الدين بسيوني : السياسية والاقتصاد عند ابن خلدون، دارقبا للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.
٧. حاروش، نور الدين : تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة الجزائرية، ٢٠٠٤م.
٨. الخضيري، زينب محمود : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦.
٩. المهيدب، فوزية صعب : الدولة الأموية وموقف ابن خلدون منها، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
١٠. لاييكا، جورج: السياسة والدين عند ابن خلدون ، تعريب: موسى وهبي وشوقي دويهي، الطبعة الأولى، دار الفرابي، بيروت، ١٩٨٠.
١١. بناني، محمد الصغير: البلاغة والعمران عند ابن خلدون. ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، ١٩٩٦.
١٢. ماجد، عبد المنعم : بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
١٣. بن إبراهيم، الطيب: مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون، دار مدني، الجزائر، ٢٠٠٨.
١٤. عنان، محمد عبد الله : ابن خلدون ومكيفايللي، مجلة الرسالة، العدد ٢٠، الأربعاء ١٢ رجب ١٣٥٢هـ - ١ نوفمبر ١٩٣٣، السنة الأولى، القاهرة.
١٥. ماجد، عبد المنعم : العمران نظرية لابن خلدون في تفسير التاريخ، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية - بحوث الحضارة الإسلامية - ، ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري، عدد ١٦-٢٠ أكتوبر ١٩٧٦م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

مستقبل الاستثمار في الطاقات المتجددة بالجزائر في ظل الرهانات الاقتصادية

أحفيظة بوهالي/جامعة الجزائر ٣

أ.عزوزنش/جامعة غرداية

ملخص :

أثار موضوع واقع ومستقبل قطاع الطاقات المتجددة في الجزائر الكثير من الاهتمام و الجدل في وسائل الإعلام و الاتصال و تحديدا بين مختلف الباحثين و الخبراء في المجال الاقتصادي و الإستراتيجي ، حول إمكانيات هذا القطاع من تخفيف آثار الصدمة النفطية التي عرفها الجزائر في الآونة الأخيرة ، لأن الجزائر و غيرها من الدول العربية كانت تعتمد و لحقبة من الزمن على الوقود الأحفوري الذي كان يشكل مصدر أساسي للاقتصادي الوطني و بناءا على المؤشرات الاقتصادية و الانهيارات المتتالية للبتروال أخذت الجزائر في البحث عن سبل رفع قدراتها الإنتاجية و الدخول في مرحلة الاستثمار التجاري من منطلق التخطيط و إرساء استراتيجيات و السياسات المستقبلية للطاقات المتجددة على أسس و قواعد راسخة تبعا للتحويلات السياسية و الاقتصادية التي يشهدها العالم.

الكلمات المفتاحية: الطاقة الشمسية، الوقود الأحفوري، الاستثمار، الطاقة الجديدة و المتجددة، الرهانات الاقتصادية.

مقدمة:

تحسبا للنضوب المتوقع في نهاية القرن الواحد و العشرين و لغيره من الدوافع الاقتصادية و السياسية و اجتماعية و البيئية، من أجل تأمين مصادر الطاقة في مواجهة التقلبات المستمرة في أسعار النفط مع الترقب لمرحلة ما بعد النفط اتخذت العديد من البلدان إجراءات متتابعة في اتجاه تحديد منظومة الطاقة و إيجاد مصادر متنوعة و بديلة لها ، و رغم توقع استمرار هيمنة الوقود الأحفوري (البترول و الغاز الطبيعي تحديدا) في المدين القصير و المتوسط بنسبة تصل إلى نحو ٨٠% من إمداد الطاقة على مستوى العالم إلا أنه من المتوقع أن تنخفض نسبة النمو الذي تشهده الطاقة من ٨٣% إلى ٦٤% ما بين الفترة (٢٠١٦-٢٠١٩) و الفترة (٢٠٢٠-٢٠٣٠) مع تزايد نسبة مساهمة الطاقة المتجددة في النمو المرتبطة بالطاقة المنتجة من ٥% إلى ١٧% خلال المديتين الأخرتين ، حيث عملت قوى اقتصادية و اجتماعية و بيئية هائلة على دفع العالم نحو نظام جديد للطاقة يكون أقل اعتمادا على الطاقات الأحفورية و أكثر ارتباطا بالمصادر المتجددة و النظيفة بيئيا و التي تسمح بالمحافظة على القدرة الإستيعابية للبيئة و توازنها.

فقد فرضت الطاقات المتجددة نفسها في السنوات الأخيرة كحل بديل للمحروقات التي دق المراقبون بخصوصها ناقوس الخطر بعدما اثبتوا قرب نضوبها و انتهاء الخزانات العالمية منها، مؤكداين على ضرورة دراسة كل الخيارات المحتملة نحو طاقات بديلة أطول عمرا و أقل ضررا بالبيئة و أمن من الطاقة النووية. يقول تقرير أصدرته شبكة سياسة الطاقة المتجددة للقرن الواحد و العشرين (آر إي أن ٢١) بأنه يجب أن تلعب الطاقة المتجددة دورا رئيسيا في إمدادات الطاقة العالمية وذلك من أجل مواجهة التهديدات البيئية و الاقتصادية للتغير المناخي التي تزايد خطيرا و يقول مؤلف التقرير وهو

جون كريستينسين من مركز ريزو للمناخ والطاقة والتنمية المستدامة التابع لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (يونيب) بأن العديد من تقنيات الطاقة المتجددة قد تحولت من كونها مجرد رغبة لدى القلة القليلة من الناس لتصبح قطاعا اقتصاديا ضخما قاعها بذاته يجذب العديد من الشركات الصناعية والمؤسسات المالية. و في تقرير صدر مؤخرا عن برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة جاء فيه أن تزيد الاستثمارات في مجال طاقة المتجددة حول العالم سيساهم في إمداد العالم بربع ما يحتاجه من الطاقة النظيفة بحلول عام ٢٠٣٠ فقد أشار التقرير إلى أنه في قطاع الرياح والوقود الحيوي والطاقة الشمسية تم الاستثمار فيها أكثر من ٣٥ مليار دولار خلال سنة ٢٠٠٠ أي أكثر بنسبة ٤٢% عن عام ٢٠٠٠ حيث جذبت طاقة الرياح أغلب الاستثمارات بنسبة ٤٠% يليها الوقود الحيوي بنسبة ٢٦% ثم الطاقة الشمسية بنسبة 16% وهناك اتجاه في شتى دول العالم المتقدمة و النامية يهدف لتطوير سياسات الاستفادة من صور الطاقة المتجددة و استثمارها و ذلك بهدف الحفاظ على البيئة من ناحية و من ناحية أخرى إيجاد مصادر و أشكال أخرى من الطاقة تكون لها إمكانية الاستمرار و التجدد . والجزائر من بين الدول الأكثر تضررا من تراجع أسعار النفط بسبب اعتمادها الحصري على هذه الثروة و ارتفاع نفقاتها على غرار إيران و فنزويلا و هو ما دفع الحكومة إلى إتخاذ جملة من الإجراءات و التدابير لمواجهة أزمة النفط الراهنة. فالاهتمام المتنامي بالطاقات المتجددة ترجم عالميا منذ ٢٠٠٠ حين بلغ مستوى قدرة إنتاج الكهرباء النظيفة إلى ١٤ جيغاواط وهو ما يقارب نصف ما أنتج من الكهرباء ، وهو ما يدل على التحول الكبير الذي أخذه مسار الاستهلاك والإنتاج العالمي للطاقة. ويأتي برنامج ديزرتيك من أهم المقترحات الدولية لاستغلال الطاقة الشمسية كمصدر أساسي لإنتاج الكهرباء ، حيث تم التأسيس لهذا المشروع في ألمانيا ويشمل شراكة بين ٥٦ مؤسسة تمثل ١٥ بلدا، و يهدف البرنامج إلى استحداث سوق للطاقات المتجددة على الصعيد الصناعي انطلاقا من الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا والشرق الأوسط ، وتقدر قيمته الإجمالية بـ ٤٠ مليار أورو بما يعادل ٥٦ مليار دولار. حيث أثبتت العديد من دراسات الجدوى في عدة دول من بينها الجزائر أنه يمكن استعادة رأس المال المستثمر في الطاقة الشمسية خلال فترة تتراوح من ثلاث إلى خمس سنوات من أجل الحصول على طاقة نظيفة منخفضة التكلفة ، فمن أهم مصادر الطاقة المتجددة في الجزائر حاليا تلك المتوقع أن يكون لها شأن في توفير الطاقة في المستقبل هي كل من الطاقة الشمسية بالدرجة الأولى و طاقة الرياح و الطاقة المائية. و الجزائر كغيرها من الدول تولي اهتماما للطاقات المتجددة فهي كغيرها من الدول تواجه التحديات المرتبطة بالطاقة كون قطاع الطاقة في الجزائر يمثل مصدر التمويل الرئيسي للاقتصاد الوطني حيث يعتمد الاستثمار الجزائري في الطاقات المتجددة على عدة قوانين و تشريعات فرضتها الدولة من أجل تسهيل و زيادة استثمار في الطاقة المتجددة بالإضافة إلى تلك التحفيزات و التسهيلات المتجددة بمختلف ألياتها .

I/ ماهية الطاقة المتجددة و نشأتها:

أولا/ مفهوم الطاقة المتجددة:

هي الطاقة المستمدة من الموارد الطبيعية التي تتجدد أو التي لا يمكن أن تنفذ ومصادر الطاقة المتجددة، حيث أن مخلفاتها لا تحتوي على غازات وملوثات أخرى كما في احتراق الوقود الأحفوري من بترول وفحم والغاز الطبيعي... الخ ، و هي تنتج عن الرياح والمياه والشمس، كما يمكن إنتاجها من حركة الأمواج و المد و الجزر أو طاقة حرارية أرضية و كذلك من الكتلة العضوية ، حاليا أكثر إنتاج للطاقة المتجددة ينتج في محطات القوى الكهرمائية بواسطة السدود الكبيرة و مساقط المياه. الطاقة المتجددة تعني بها تلك المولدة من مصدر طبيعي غير تقليدي، مستمر لا ينضب، ويحتاج، فقط، لتحويله من طاقة

طبيعية إلى أخرى يسهل استخدامها بوساطة تقنيات العصر، و تمتاز الطاقة المتجددة أو البديلة كونها مصادر طبيعية دائمة غير ناضبة و متوفرة في الطبيعة و متجددة باستمرار و نظيفة.¹

ثانيا/ نشأة استخدام الطاقة الشمسية وتطورها:

يمتد تاريخ استخدام الطاقة الشمسية إلى عصر ما قبل التاريخ، عندما استخدم الرهبان الأسطح المذهبة لإشعال ميزان المذبح، وفي عام ٢١ ق.م استطاع ارشميدس (Archimedes) أن يحرق الأسطول الروماني وذلك بتركيز ضوء الشمس عليه من مسافة بعيدة مستخدما المرايا العاكسة، وفي عام ١٦١ م قام العالم سالمون دي كوكس (Saomon De Caux) بتفسير ما يسمى "بالموتور الشمسي" وهي مجموعة من العدسات موضوعة في إطار معين مهمتها تركيز أشعة الشمس على إناء محكم به ماء، وعندما يسخن الهواء داخل الإناء يتمدد ويضغط على الماء ويدفعه فيخرج على شكل نافورة.²

واخترع العالم الفرنسي جورج لويس لكليرك بوفن (George Buffin) أول فرن شمسي لطهي الطعام. وفي عام ١٧٤٤ تمكن العالم الفلكي الفرنسي جاك كاسيني (Jacques Casseni) من صناعة زجاج حارق قطراً ١١ سم، مكنته من الحصول على درجة حرارة زادت عن ألف درجة مئوية كانت كافية لصهر قضيب من الحديد خلال ثواني، وصمم العالم لافوزييه (La Voisier) فرناً شمسياً مكنته من الحصول على درجة ١٧٦ °م، وأجرى ستك Stock وهينمان (Heinemann)، في ألمانيا، أول تجربة باستخدام الطاقة الشمسية، لصهر السيليكون، والنحاس، والحديد، والمنجنيز. وفي عام ١٨٧٧ شهد عالم مجمعات الطاقة الشمسية تقدماً ملحوظاً، حيث صممت آلة بخارية تولد ١.٥ كيلووات من الكهرباء، وفي عام ١٨٧٧ استطاع أبيل بيفر (Abal Pifre) تشغيل ماكينة الطباعة التي تعمل بالطاقة الشمسية، وفي الفترة من ١٨٨١ إلى ١٨٨٨ اخترع العالم جون إريكسون (Ericson) دائرة إريكسون التي تعمل بالهواء الساخن لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة حركية، واستطاع العالم الإنجليزي و.آدمز (W.Adams) صنع غلاية تعمل بالطاقة الشمسية تنتج ٢ كيلووات.³ وكانت الآلات الشمسية التي اخترعت في الثمانينات من القرن التاسع عشر، تعمل فقط في وجود الشمس نهاراً، في حين تتوقف عن العمل أثناء الليل وفي فترات الغيوم. وفي عام ١٨٩٣ حصل العالم م. ل. سيفري M.L Severy على براءة اختراع لآلة شمسية تعمل خلال ٢ ساعة في اليوم حيث تخزن الطاقة نهاراً في بطاريات خاصة، لتستخدم بعد غروب الشمس.

وفي عام ١٨٨٨ توصل وستون (Weston) إلى طريقة لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة ميكانيكية، باستخدام ما يسمى "بالازدواج الحراري" حيث يمكن توليد جهد بين نقط الاتصال الساخنة الباردة بين معدنين مختلفين كالنيكل والحديد مثلاً، وفي عام ١٨٩٩ صنع العالم ه. سي. ريجان (H.C. Reagan) جهاز ازدواج حراري لتوليد الكهرباء باستخدام الطاقة الشمسية.

وفي عام ١٩٠٠ أنتجت، في سانت لويس بأمريكا، آلة شمسية تنتج ٥ كيلووات كهرباء، وفي عام ١٩٠٠ نفذ بويل (Boyle) وإدوارد وايمان (Edward Wyman) أول آلة شمسية تنتج ١٥ كيلووات من الكهرباء في صحراء كاليفورنيا. وفي عام ١٩١٢ استطاع فرانك شومان تشغيل نظام شمسي ينتج ٣٢ كيلووات من الكهرباء وكان ذلك يعد مشروعاً اقتصادياً. وفي عام ١٩١٢، اضطلع شومان (Shuman) وبويز (Boys)، بتنفيذ أكبر مشروع لضخ المياه في العالم، وكان ذلك بمدينة المعادي بمصر،

¹ موقع ويكيبيديا : https://ar.wikipedia.org/wiki/الطاقة_المتجددة_في_الجزائر.

² كاظم المقدادي ، المشكلات البيئية المعاصرة ، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك ، كلية الإدارة و الاقتصاد ، قسم إدارة البيئة ، ٢٠٠٧ ، ص

٥٦.

³ أحمد مدحت ، الطاقة و تلوث البيئة، دار الفكر العربي ، مصر، ١٩٩٩، ص ٣٢.

وقد أنتج هذا المشروع ٣١٤٥ كيلوواط، على مدى خمس ساعات تشغيل متصلة، ولكن هذا المشروع أهمل بسبب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩.

وفي خلال الثلاثينيات، زاد الاهتمام بالطاقة الشمسية، وخاصة في مجال استخدامها في السخانات الشمسية بسعة ٢٠١٠٠ لتر، حتى بلغ عدد السخانات الشعبية فوق أسطح المنازل ربع مليون وحدة عام ١٩٦٦ باليابان، وفي منتصف الثلاثينات ظهرت فكرة البطاريات الشمسية.¹

II / أنواع ومصادر الطاقة المتجددة أو البديلة

أولا / الطاقة الشمسية:

تعد الشمس من أكبر مصادر الضوء والحرارة الموجودة و هي ترسل أشعتها إلى الأرض و قد عرفها الإنسان من العصور القديمة أنها مصدر للحياة و القوة ، و الطاقة الشمسية من أهم أنواع الطاقة التي يمكن استغلالها فهي طاقة دائمة و متجددة و نظيفة و على الرغم من المساهمة المتواضعة للطاقة الشمسية من إجمالي الطاقات المتجددة فقد استقطبت اهتماما واسعا و تميز بمعدلات نمو عالية نسبيا حوالي ٦٠% سنويا و هي تعتمد على السقوط المباشر لأشعة الشمس. و تتميز للطاقة الشمسية بالعديد من المزايا الإيجابية التي تجعلها مفضلة على غيرها من مصادر الطاقة الأخرى كونها غير ملوثة للبيئة و هي غير قابلة للنضوب و عدم خضوعها لسيطرة النظم السياسية و الدولية أو المحلية كما أنها لا تتطلب تكنولوجيا معقدة و لا تشكل خطورة على العاملين و غيرهم في عمليات إنتاج الطاقة.²

وتتوزع هذه الطاقة- المتولدة من تفاعلات الاندماج النووي داخل الشمس- على أجزاء الأرض حسب قربها من خط الاستواء وهذا الخط هو المنطقة التي تحظى بأكبر نصيب من تلك الطاقة، والطاقة الحرارية المتولدة عن أشعة الشمس يستفاد منها من خلال تحويلها إلى (طاقة كهربائية) بواسطة (الخلايا الشمسية). و تقدر كمية الإشعاع الشمسي الواصل إلى الأرض حوالي ١.٣٦ كيلوواط / متر المربع و أن حوالي ٥٠% منها تنعكس في الفضاء و ١٥% منها تنعكس على سطح الأرض و ٣٥% يمتص من قبل الهواء و الماء و الأتربة و تعد الطاقة الشمسية أكثر مصادر الطاقة المعروفة وفرة لأنها تتوفر على عنصر السيلكون اللازم لاستخدام الطاقة الشمسية بكميات كبيرة في الأرض كما أنها تتميز بسهولة تحويلها إلى معظم أشكال الطاقة الأخرى، مما يجعلها متعددة أوجه الاستغلال و الاستخدام.³

و يسعى الخبراء و العلماء في عدد كبير من الدول بحوثهم و تجاربهم لاستغلال الطاقة الشمسية بأجهزة تجمع بين الاقتصاد في النفقات و الحصول على أكبر قدر ممكن من الطاقة. و في عالم ١٩٥٥ عقد أول مؤتمر دولي في ولاية أريزونا الأمريكية ثم تعاقبت بعد ذلك مؤتمرات دولية أخرى حول آليات استغلال الطاقة الشمسية و غيرها من بدائل الطاقة المتجددة و استغلالها من أجل رفاهية البشرية كافة.

و يبلغ المتوسط السنوي للإشعاع الشمسي الكلي الساقط على المستوى الأفقي حوالي خمسة كيلوات ساعة لكل متر مربع في اليوم و هذا يعني أن الدول العربية تتلقى طاقة شمسية مقدارها ٦٨٥ x ١ كيلوات ساعة و هذا ما يعادل 34,25 x ١ ميغاوات

¹ أحمد رأفت اسماعيل رمضان ، علي جمعان الشكيل ، الطاقات المتجددة، جامعة طنطا ، دار الشروق ، مصر ، ١٩٨٨، ص ٣١.

² دينا جلال ، إنتاج الوقود الحيوي في إطار الاقتصاد العالمي ، بحوث اقتصادية عربية ، جامعة بور سعيد ، العدد ٦٣/٦٤ ، مصر ، ٢٠١٣ ص ٣٨-٣٩.

³ أحمد رأفت اسماعيل رمضان ، علي جمعان الشكيل ، الطاقات المتجددة، مرجع سبق ذكره ، ص ٥١.

ساعة من الطاقة الكهربائية إذا استخدمت خلايا شمسية ذات كفاءة ٥٠% وهذا ما يعادل 383,75 مليون برميل بترول يوميا أي ما يعادل إنتاج البترول لدول الأوبك (OPEC) مجتمعة في الوقت الحاضر. كما تقدر عدد سطوح الشمس في معظم الدول العربية بثلاثة آلاف ساعة سنويا.¹ و استنادا إلى احصائيات الوكالة الدولية للطاقة (IEA) بلغ إجمالي الطاقة الفوتوفولتية المركبة في العالم نهاية عام ٢٠٠٢ حوالي ١٣٤٢ ميغاواط مقارنة مع ٧٨٦ ميغاواط نهاية عام ٢٠٠٠ تصدرت ألمانيا البلدان المستخدمة للخلايا الفوتوفولتية حيث بلغ إجمالي الطاقات لديها في عام ٢٠٠٢ حوالي ٥٣٤ ميغاواط مقارنة مع ٣٨٣٥ ميغاواط نهاية عام ٢٠٠٠ واحتلت إسبانيا المرتبة الثانية بطاقة مركبة أجمالية وصلت إلى ٣٣٥ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ و احتلت اليابان المرتبة الثالثة بطاقة تصل إلى ٢١٤ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ أما في الولايات المتحدة الأمريكية فاحتلت الوتبة الرابعة بطاقة تصل إلى ١١٦٨ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ مقارنة كما تتجه الصين إلى رفع مستوى الطاقة الشمسية المستهدف تركيبها إلى جيغاواط بحلول عام ٢٠٢٠ وقد بلغ معدل النمو السنوي للطاقات المركبة في أسبانيا أعلى نسبة ٣٨ من بين دول العالم في عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢.²

و تنتشر - في بعض الدول العربية- استخدام الطاقة الشمسية في مجالي التسخين المنزلي للمياه وفي تحلية المياه، كما هو الحال في الإمارات العربية المتحدة، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، ومصر، بالإضافة إلى وجود العديد من مصانع إنتاج أنظمة التسخين الشمسي للمياه في العديد من الدول العربية، ففي الأردن يوجد ٢٥ مصنع تنتج ٤٠٠ نظام تسخين شمسي للمياه سنويا، وقد بلغ مجموع ما تم تركيبه في الأردن نحو ٧٠ ألف متر مربع من المجمعات الشمسية حتى العام ٢٠٠٦. وفي فلسطين تستخدم أجهزة التسخين الشمسي للمياه في حوالي ٧٠% من المنازل، مع وجود ١٠ مصانع في الضفة الغربية وخمس مصانع في قطاع غزة. أما في مصر فقد تم تنفيذ بعض المشروعات الريادية في مجال التسخين الشمسي للمياه لدرجات الحرارة المتوسطة واستعادة الحرارة المفقودة بالتعاون مع بعض الجهات الأجنبية، ويصل عدد السخانات الشمسية المستخدمة في المنازل إلى نحو ٢٥ ألف سخان أي ما يعادل نحو ٥٠ ألف متر مربع. إلا أن التطور الأهم لاستخدام الطاقة الشمسية في الدول العربية هو بدء الدخول في نظم التوليد الشمسي الحراري للكهرباء إلى حيز التطبيق، ففي مصر تم البدء في تركيب محطة شمسية حرارية بالتكامل مع الدورة المركبة "Integrated Solar Combined Cycle, ISCC" بقدره ١٤ ميغا وات ويتوقع ربطها بالشبكة الكهربائية أواخر عام ٢٠٠١، وفي المغرب يجري الإعداد لبدء مراحل إنشاء محطة مماثلة بقدره ٤٧ ميغاواط منها ٢ ميغاواط من الطاقة الشمسية³، أما في الجزائر فقد تم توقيع عقد إنشاء محطة شمسية حرارية مشابهة بنظام (إنشئ، تملك، شغل، انقل) "Build, Own, Operate, and Transfer, BOOT" بقدره ١٥ ميغاواط منها ٢٩ ميغاواط من الطاقة الشمسية. كما تتوفر الجزائر، جراء موقعها الجغرافي، أعلى الحقول والمناجم الشمسية في العالم، فمدة التشمس في كامل التراب الوطني تقريبا تفوق ٢٠٠ ساعة في السنة ويمكنها أن تصل إلى ٣٩٠ ساعة (الهضاب

¹ صالح بن عبد الرحمان، تكلفة الاستثمار و تكلفة الإنتاج لمصادر الطاقة المتجددة في المملكة العربية السعودية، ورشة عمل من أجل توسيع

نطاق استخدام الطاقة المتجددة في المناطق الريفية للبلدان الأعضاء في الإسكوا، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، ص ١٦.

^٢ فروحات حدة، الطاقات المتجددة كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر، دراسة لواقع مشروع تطبيق الطاقة الشمسية في الجنوب

الكبير بالجزائر، مخبر المؤسسة و التنمية المحلية المستدامة، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، مجل

الباحث، عدد ١١، ٢٠١٢، ص ١٥٢.

^٣ محمد مصطفى محمد الخياط، ماجد كرم الدين محمود، سياسات الطاقة المتجددة إقليميا و عالميا، هيئة الطاقة الجديدة و المتجددة، مصر، ٢٠٠٩

العليا والصحراء). والطاقة المتوفرة يوميا على مساحة عرضية قدرها ١ م^٢ تصل إلى ٥ كيلواط في الساعة على معظم أجزاء التراب الوطني أي نحو ١٧٠ كيلواط في الساعة / م^٣ في السنة في شمال البلاد و٢٢٦ كيلواط / م^٢ في السنة في جنوب البلاد.^١

ثانيا/ الطاقة النووية :

هي طاقة بديلة و من أكثر مصادر الطاقة تركيزا و ذلك من خلال الطاقة التي تولدها بشكل كبير و مكثف لها عن طريق عملية الانشطار النووي أو بواسطة الاندماج النووي و قد تم استخدام الطاقة النووية في توليد الكهرباء لأول مرة على المستوى العالمي عندما أنشأت بريطانيا في عام ١٩٥٠ أول مفاعل نووي و من ثم أصبح لديها نهاية عام ١٩٩١ حوالي ٣٧ مفاعلا نوويا تساهم بنسبة ملحوظة من مجموع الطاقة الكهربائية فيها و بعد عام ١٩٥٠ شهد العالم اهتماما كبيرا بهذا النوع من الطاقة فتزايد إنشاء المفاعلات النووية للأغراض السلمية من طرف كثير من دول العالم و خاصة الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفياتي و بلدان أوروبا الغربية و اليابان و كندا و تشير الإحصائيات المتخصصة في أن عدد المفاعلات النووية العامة في توليد الطاقة الكهربائية على المستوى العالمي في نهاية عام ١٩٩١ بلغ ٤١٩ مفاعلا قدرتها 326,129 ميغاواط كهرباء يقع معظمها في البلدان الصناعية الغربية و البلدان الاشتراكية.^٢

ثالثا/ الطاقة المائية:

الطاقة المائية هي من مصادر الهامة لإنتاج الطاقة العملية و من أرخصها و هي طاقة نظيفة مقبولة بيئيا و بالتالي فإن إمكانيات تطور الطاقة المائية تأخذ أهمية كبيرة عربيا و عالميا و الطاقة المائية هي الطاقة المستمدة من حركة المياه المستمرة والتي لا يمكن أن تنفذ فقد كان استخدام الطاقة المائية قبل انتشار توفر الطاقة الكهربائية التجارية، وذلك في الري و طحن الحبوب، وصناعة النسيج، فضلا عن تشغيل المناشير و قد تم استغلال طاقة المياه لقرون طويلة. ففي امبراطورية روما، كانت الطاقة المائية تستخدم في مطاحن الدقيق وإنتاج الحبوب ، كما في الصين وبقية بلدان الشرق الأقصى وتستخدم حركة الماء الهيدروليكية على تحريك عجلة لضخ المياه في قنوات الري وهو ما يعرف بالنواعير. وفي الثلاثينات من القرن الثامن عشر ، في ذروة بناء القناة المائية استخدمت المياه للنقل الشاقولي صعودا ونزولا عبر التلال باستخدام السكك الحديدية.^٣ و يتفرع عن هذا النوع من الطاقات أنواع أخرى نذكر من بينها :

١/ الطاقة الكهرومائية:

الطاقة الكهرومائية مصدر رئيسي لإنتاج الطاقة على المستوى العالمي حيث يصل إنتاجها إلى حوالي ٣٠٠ تيرواط ساعة (TWh) عالم ٢٠٠٠ وبالتالي فهي تشكل حوالي ١٨% من إنتاج الكهرباء في العالم، كما أن نموها خلال السنوات الأخيرة كان أعلى قليلا من معدل نمو الطلب على الطاقة عالميا. وتوجد في العالم مصادر واسعة جدا لزيادة استغلال الطاقة المائية إلا أن

^١ ذبحي عقلية ، الطاقة في ظل التنمية المستدامة ، دراسة حالة الطاقة المستدامة في الجزائر ، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية ، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير ، جامعة منتوري قسنطينة ، ١٩٩٩ ، ص ٨٥.

^٢ تكواشت عماد ، واقع و آفاق الطاقة المتجددة و دورها في الجزائر ، مذكرة ماجستير في اقتصاد التنمية ، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير ، قسم العلوم الاقتصادية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، ٢٠١٢ ، ص ١٤٩.

^٣ دينا جلال ، إنتاج الوقود الحيوي في إطار الاقتصاد العالمي، مرجع سبق ذكره. ص ٥١.

تكاليفها وبعدها عن مصادر الاستهلاك يحول بينها وبين الاستثمار. كذلك فإن الطاقة المائية تعاني من مشاكل بيئية كبيرة ناتجة من غمرها لمناطق واسعة مما يتطلب تحريك وإعادة إسكان أعداد كبيرة من الناس بعد تنفيذ السدود.¹

تقدر حصة الطاقة الكهرمائية نسبة² ١٩% من إنتاج الطاقة الكهرمائية العالمية وتكمن أهميتها في أنها من مصادر الطاقة المتجددة و الأقل خطرا على البيئة مقارنة بمعامل الكهرباء الحرارية التي تعمل بالوقود العضوي (فحم - نفط) كما تعتبر عملية توليد الطاقة الكهرمائية عالية المرود حيث لا يقل مرودها عن ٩٠% وتبلغ الطاقة الكامنة في مصادر الطاقة المائية في العالم ٣ ملايين ميغاواط يوجد حوالي ربعها في افريقيا و ٢٠% في أمريكا الجنوبية و ١٦% في جنوب شرق آسيا و ١٦% في الصين و الإتحاد السوفياتي سابقا و يتوزع الباقي في أمريكا الشمالية و أوروبا و مناطق أخرى. و تشكل الطاقة المائية مصدرا محدودا للطاقة في البلاد العربية لمحدودية المياه والأهوار في المنطقة و يقدر إنتاج الطاقة المائية العربية بحوالي ٢٨ ألف جيغاواط ساعة (GWh) ولا يشكل إلا ١٢% من إنتاج الكهرباء في العالم العربي (2004 AUPTDE)، وهي نسبة أخذة في التراجع نتيجة تزايد الإنتاج من مصادر الطاقة الأحفورية. كما تبلغ إمكانيات إنتاج الطاقة المائية عالميا نظريا حوالي ١٤٠ تريراواط ساعة من الكهرباء سنويا وهو ما يقارب إنتاج الطاقة الكهرمائية في العالم حاليا (WEC 1998). إلا أنه لأسباب اقتصادية وبيئية فإن معظم هذه الطاقة لن يستغل. مع ذلك فإن الطاقة المائية ستستمر في التطور فهي أهم مصادر الطاقة المتجددة إذ إنها نظيفة ورخيصة نسبيا وتتطلب كلفا بسيطة للتشغيل وكفاءة إنتاجها تقارب حوالي ١٠% (معدل كفاءة الإنتاج من الوقود الأحفوري والنووي هي حوالي ٣٣% فقط)، وبالتالي وفي السنوات القليلة القادمة فإن مساهمة الطاقة المائية في مصادر الطاقة العالمية قد ينمو بصورة أسرع من نمو إنتاج الطاقة العالمية. من بين الدول الرائدة في مجال إنتاج الطاقة الكهرمائية خلال ٢٠٠٠ نجد الصين بنسبة ١% من الإنتاج العالمي، ثم تليها كندا و البرازيل بنسبة ١٢% و الولايات المتحدة بنسبة ١% و روسيا بنسبة ٦%.²

٢ / طاقة المد والجزر:

طاقة المد والجزر أو الطاقة القمرية هي نوع من الطاقة الحركية التي تكون مخزنة في التيارات الناتجة عن المد والجزر الناتجة بطبيعة الحال عن جاذبية القمر و الشمس ودوران الأرض وعليه تصنف هذه الطاقة على أنها طاقة متجددة. فالكثير من الدول الساحلية بدأت بالاستفادة من هذه الطاقة الحركية لتوليد الطاقة الكهرمائية و بالتالي تخفيف الضغط عن معامل الطاقة الحرارية و بالنتيجة تخفيف التلوث الصادر عن هذه المعامل. و قد استخدمت ظاهرة المد و الجزر في الولايات المتحدة منذ القرن السابع عشر لإنتاج طاقة محركه فقط لإدارة بعض طواحين الغلال.³

٣ / الطاقة الجوفية :

وهي طاقة الحرارة الأرضية، حيث يستفاد من ارتفاع درجة الحرارة في جوف الأرض باستخراج هذه الطاقة وتحويلها إلى أشكال أخرى، وفي بعض مناطق الصدوع والتشققات الأرضية تتسرب المياه الجوفية عبر الصدوع والشقوق إلى أعماق كبيرة بحيث تلامس مناطق شديدة السخونة فتسخن وتصعد إلى أعلى فوارة ساخنة، وبعض هذه الينابيع يثور عدة مرات في الساعة وبعضها يتدفق باستمرار وبشكل انسيابي حاملا معه المعادن المذابة من طبقات الصخور العميقة، ويظهر بذلك ما

¹ صالح بن عبد الرحمان ، تكلفة الاستثمار و تكلفة الإنتاج لمصادر الطاقة المتجددة في المملكة العربية السعودية، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

² تكواشت عماد ، واقع و آفاق الطاقة المتجددة و دورها في الجزائر، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٥.

³ أحمد رأفت اسماعيل رمضان ، علي جمعان الشكيل، مرجع سبق ذكره، ص ٥٧.

يطلق عليه الينابيع الحارة، ويقصد الناس هذا النوع من الينابيع للاستشفاء بالإضافة إلى أن هناك مشاريع تقوم على استغلال حرارة المياه المنطلقة من الأرض في توليد الكهرباء.¹

بلغت طاقة الحرارة الجوفية المركبة في العالم عام ٢٠٠٠ حوالي ١٠٤٦٩ ميغاواط مقارنة ١٠٠٤ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ وذلك استناداً إلى تقارير برنتيس بترليوم و احصائيات الوكالة الدولية للطاقة فقد بلغ إجمالي طاقة الحرارة الجوفية المركبة في جميع دول الأوبك حوالي ٣٩١ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ مقارنة مع ٣٩٧ ميغاواط عام ٢٠٠٠ فيما بلغ إجمالي طاقة الحرارة الجوفية المركبة في دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية (OECD) في عام ٢٠٠٠ حوالي ٥٣٦ ميغاواط مقارنة مع ٥٣٥ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ أما إجمالي طاقة الحرارة الجوفية المركبة في الدول الأوروبية و في الوكالة الدولية للطاقة فقد بلغ ٧٢ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ مقارنة مع ٧٢ ميغاواط في عام ٢٠٠٠.² أما أهم المشاكل التي تواجه هذا النوع من المصادر فهي تتمثل في خطورة التعامل مع الحرارة المتسربة بعنف إلى سطح الأرض و تآكل المعدات و الآلات المستخدمة و الحفر للوصول إلى مكان الحرارة لاسيما إذا كانت الحرارة المتولدة في صورة ماء أو بخار رطب و أيضاً قلة نسبة الطاقة المستفاد منها.

رابعا / الكتلة العضوية :

الطاقة العضوية هي تلك التي يمكن استخراجها من المواد النباتية و الحيوانية و النفايات بعد تحويلها إلى سائل أو غاز بالطرق الكيماوية أو التحلل الحراري كما يمكن الاستفادة منها عن طريق إحراقها مباشرة و استخدام الحرارة الناتجة عن تسخين المياه أو انتاج البخار الذي يمكن بواسطته تشغيل و توليد الطاقة الكهربائية و يعتبر هذا النوع من الطاقة غير تجاري حيث يستعمل على نطاق ضيق في الدول النامية كالهند و بعض الدول الصناعية و على الرغم من الهدر الكبير و عدم كفاية في التقنيات الحالية الإنتاج هذه الطاقة ، فإن هذا المورد لا يزال يؤمن حوالي ١٠% من الطاقة المستهلكة في العالم و يبقى هذا النوع الذي يحظى بالأهمية من مصادر الطاقة العضوية.³ و استناداً لإحصائيات الوكالة الدولية للطاقة بلغ إجمالي الكتلة الحيوية الصلبة المركبة في جميع دول أعضاء الأوبك ٢٠٠٠ حوالي ٢٣٢٨ ميغاواط مقارنة مع ٢٢١٦ ميغاواط في عام ٢٠٠٠ فيما بلغ في دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية (OECD) في عام ٢٠٠٠ أما إجمالي الطاقة المركبة من الكتلة الحيوية الصلبة في الدول الأوروبية الأعضاء في وكالة الطاقة الدولية فقد بلغ حوالي ١٤١٨ ميغاواط في ٢٠٠٠ مقارنة مع ١٣٣٥ ميغاواط عام ٢٠٠٠.⁴ بدأت بعض المناطق بزراعة أنواع معينة من النباتات خصيصاً لاستخدامها في مجال الوقود الحيوي، منها الذرة وفول الصويا في الولايات المتحدة و اللفت، في أوروبا. وقصب السكر في البرازيل. وزيت النخيل في جنوب شرق آسيا. و يتم أيضاً الحصول على الوقود الحيوي من التحليل الصناعي للمزروعات والفضلات وبقايا الحيوانات التي يمكن إعادة استخدامها، مثل القش والخشب والسماد، وقشر الأرز والمجاري، وتحلل النفايات، ومخلفات الأغذية، التي يمكن تحويلها إلى الغاز الحيوي عن طريق الهضم اللاهوائي. لا يتوقع أن تتزايد مساهمة الكتلة الحية في تزويد الطاقة العالمية، إلا أنه ستبقى تستعمل كمصدر رئيسي للطاقة في الدول النامية المنخفضة الدخل. إلا أنه مع تزايد الطلب على

¹ بشار حميض ، الطاقة المتجددة ثورة عربية متنامية ، مجلة أفاق المستقبل ، مجلة سياسية اقتصادية استراتيجية تصدر عن مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠١٢ ، ص ١٢ .

^٢ بوعشير مريم ، دور و أهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة ، مذكرة ماجستير في التحليل و الإستشراف الإقتصادي ، كلية العلوم الإقتصادية و علوم التسيير ، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠١١ ، ص ١٧٦ .

^٣ نجاة النيش ، الطاقة و البيئة و التنمية المستدامة "آفاق و مستقبل" ، المعهد العربي للتخطيط ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٧ .

^٤ بوعشير مريم ، دور و أهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٢ .

الطاقة في هذه الدول فإنه يتوقع أن يحدث أيضا تحول تدريجي من الكتلة الحية إلى الطاقة التجارية في عديد من الدول النامية ذات الدخل المحدود.

خامسا/ طاقة الرياح :

وهي الطاقة المتولدة من تحريك ألواح كبيرة مثبتة بأماكن مرتفعة بفعل الهواء، ويتم إنتاج الطاقة الكهربائية من الرياح بواسطة محركات (أو توربينات) ذات ثلاثة أذرع دوارة تحمل على عمود تعمل على تحويل الطاقة الحركية للرياح إلى طاقة كهربائية، فعندما تمر الرياح على الأذرع تخلق دفعة هواء ديناميكية تتسبب في دورانها، وهذا الدوران يشغل التوربينات فتنتج طاقة كهربائية .

إن استغلال طاقة الرياح مرتبط كلياً بسرعتها التي يجب ألا تقل في المتوسط عن حد معين و هو^٨ ميل /سرعة ،حيث استخدمت طاقة الرياح قديما و استغلها الإنسان في تحريك القوارب الشراعية كما استخدمها في طحن الحبوب و رفع المياه بجانب طاقة الحيوان و قد استخدمها اليونانيون لعدة قرون قبل الميلاد كما استخدمها الفراعنة في تسيير المراكب في نهر النيل واستخدمها الصينيون عن طريق طواحين الهواء لضخ المياه الجوفية.^١

إن طاقة الرياح ودورها في توليد الكهرباء عالميا يتزايد سنويا بمعدل ١٣% إلا أنه نظرا لأن حجم هذا التوليد حاليا متواضع ولا يتجاوز حوالي ٦٥ تيراوات ساعة عام ٢٠٠٠، فإن مساهمة طاقة الرياح في توليد الكهرباء ستظل محدودة في المستقبل ويتوقع أن تصل هذه المساهمة إلى ٩٣ تيراوات ساعة عام ٢٠٣٠ أي حوالي ٣% من إنتاج الكهرباء عندئذ. بدأ العديد من الدول العربية منها (مصر، المغرب، وسوريا، والأردن) في استغلال طاقة الرياح بصورة تجارية، وتم إنشاء مزارع كبيرة لطاقة الرياح في كل من مصر وسوريا وأيضا في المغرب. وبصورة عامة فإن تكاليف إنتاج الكهرباء من طاقة الرياح عالميا منافسة تجاريا لتكاليف إنتاج الكهرباء من مصادر الوقود الأحفوري والنووي، إلا أن فرص طاقة الرياح في الدول العربية لن تكون كبيرة في المستقبل ، لتوفر الغاز الطبيعي في معظم الدول العربية وبكميات كبيرة وأسعار رخيصة وكلفة بديلة متدنية (low opportunity cost) مما يجعل إنتاج الكهرباء من وقود الغاز الطبيعي العربي أرخص أساليب إنتاج الكهرباء، وخاصة أن مصادر الرياح تعاني من تقطعها وعدم استمراريتها وبعض تأثيراتها البيئية السلبية وبالتالي فإن طاقة الرياح ولو أنها في مرحلة انتشار في العالم وفي البلاد العربية أيضا إلا أن مساهمتها في إنتاج الطاقة في البلاد العربية ستظل محدودة.^٢ كما انتشر استخدام طاقة الرياح في العديد من بلدان العالم وإن تركزت أكبر هذه المعدلات في بعض البلدان الأوروبية، فالدنمارك تحصل على حوالي ١٥% من طاقتها الكهربائية من توربينات الرياح، وفي أجزاء من ألمانيا يتم توليد حوالي ٧٥% من الطاقة الكهربائية من الرياح، وفي أسبانيا تمثل نسبة القدرات المركبة من مزارع الرياح المرتبطة بالشبكة ٥٠% من إجمالي القدرات اللازمة للمقاطعة، علما بأن إجمالي القدرات العالمية من التوربينات قد بلغت ٩٣٨٨ ميجاوات في سنة ٢٠٠٠، أي بزيادة مقدارها ٢٩% عن العام ٢٠٠٠.^٣ وقد شرعت وبدأت الجزائر في استغلال طاقتها من الرياح، حيث يتوقع الخبراء في هذا المجال أن يدر على الجزائر أرباحا تربو عن الثلاث مليارات يورو سنويا، فضلا عن قدرة هذا القطاع الواعد على استحداث آلاف مناصب الشغل وتوفير طاقة نظيفة. و قد سطرت الجزائر برنامجا طموحا لتطوير الطاقات المتجددة

^١ محمد رأفت اسماعيل رمضان ، علي جمعان الشكيل ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦١ .

^٢ صالح بن عبد الرحمان ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦ .

^٣ مخلفي أمينة ، النقط و الطاقات البديلة و غير المتجددة ، جامعة ورقلة ، مجلة الباحث ، العدد ٠٩ ، ٢٠١١ ، ص ٢٢٥ .

برسم مخطط خماسي (2010-2014)، ويقوم هذا المخطط في أساسياته على دعم أنشطة الوحدات المحلية لتوليد طاقة الرياح وإقامة مزارع لتوليد هذه الطاقة، والتوصل إلى إنتاج نسبة ٣% من الطاقة الكهربائية في أفق سنة ٢٠١٥ انطلاقاً من طاقة الرياح. أنه بموجب دراسات حديثة، جرى تحديد مواقع مؤهلة لاحتضان مزارع لتوليد الطاقة الكهربائية بمناطق "رأس الوادي"، "بجاية"، "سطيف"، "برج بوعريج" و"تيارت"، ناهيك عن إمكانية استغلال طاقة الرياح في محافظات جنوبية مثل "تندوف"، "تيميمون" و"بشار".¹

واستناداً إلى احصائيات بريتش بتروليوم بلغ إجمالي الطاقة المركبة من طاقة الرياح في سنة ٢٠٠٥ حوالي ١٢٢١ ميغاواط مقارنة مع ٩٤٠ ميغاواط عالمياً ٢٠٠٥ وبلغ إجمالي طاقة الرياح التراكمية المركبة في دول الإتحاد الأوروبي ٦٤٩٣٥ ميغاواط نهاية ٢٠٠٥ مقارنة لبا ٥٦٥ ميغاواط نهاية عالمياً ٢٠٠٥ وذلك استناداً إلى مصادر الجمعية الأوروبية لطاقة الرياح، تحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى في العالم في إنتاج طاقة الرياح حيث بلغ إجمالي طاقة الرياح المركبة لديها حوالي ٢٥١٧٠ ميغاواط في نهاية ٢٠٠٥ مقارنة ١٦٨ ميغاواط نهاية ٢٠٠٥ وتراجعت ألمانيا إلى المرتبة الثانية حيث بلغ إجمالي طاقة الرياح المركبة لديها نهاية عالمياً ٢٠٠٥ حوالي ٢٣٩ ميغاواط مقارنة لأم ٢٢٢ ميغاواط في عالمياً ٢٠٠٥ فيما تحتل إسبانيا المرتبة الثالثة بطاقة وصلت إلى حوالي ١٦٧ ميغاواط نهاية ٢٠٠٥ مقارنة لأم ١٥١ ميغاواط نهاية عالمياً ٢٠٠٥.²

III/ خصائص الطاقات المتجددة و أهم معوقات تطورها :

أولاً/ الخصائص:

تتمتع الطاقات المتجددة بمجموعة من الخصائص على رأسها أنها طاقات غير ناضبة وإنما متجددة المخزون باستمرار كما أنها غير ملوثة للبيئة بالإضافة إلى خصائص أخرى يتمتع بها كل نوع على حدى إلا أنها لا تخلو من العيوب و ربما كانت أحد العوائق التي تحول دور تطورها .

فالنسبة للطاقة الشمسية أنها تتميز بالعديد من الخصائص الإيجابية التي تجعلها مفضلة عن غيرها من مصادر الطاقة الأخرى لأنها توفر مصادر للأمان البيئي وهي طاقة نظيفة لا ينتج عن استهلاكها تلوث و خاصة في ظل تزايد حدة خطورة المشاكل البيئية التي يعرفها العالم كما تعتبر مصدراً متجدداً غير قابل للنضوب و بلا مقابل مما يسهل امكانيات إنشاء المشاريع المستدامة كما تتميز أنها لا تخضع لسيطرة النظم السياسية و الدولية و المحلية و سهولة التقنية المستخدمة في تحويل الطاقة الشمسية إلى أشكال الطاقة المختلفة .

أما بالنسبة لطاقة الرياح من خصائصها أن طاقة الرياح طاقة محلية متجددة لا ينتج عن استغلالها أي غازات ملوثة و ٩٥% من الأراضي المستخدمة يمكن استغلالها في أغراض أخرى كالزراعة و الرعي ، و هي توفر امكانيات كبيرة في توليد الكهرباء كما تتميز الطاقة المائية بأنها طاقة غير ملوثة و عملية توليدها و استخدامها لا يتضمن أي من العمليات الملوثة للبيئة كالحرق و سهولة توليد الطاقة الكهربائية و مرونتها التي لا نظير لها في الاستخدام.

¹ ذبحي عقلية ، الطاقة في ظل التنمية المستدامة ، دراسة حالة الطاقة المستدامة في الجزائر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٦ .

² بوعشير مریم ، دور و أهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩١ .

و تتميز الكتلة العضوية أن توافرها في مختلف أنحاء الكرة الأرضية و احتوائها على أقل من ٠.٠ % من الكبريت و ٣ إلى ٥ % من الرماد بالإضافة إلى حجم غاز ثاني أكسيد الكربون المنطلق من الكتلة الحية عند حرقها أو معالجتها و تستعمل الكتلة العضوية على نطاق واسع لتوليد الكهرباء و الحرارة .

ثانيا / عوائق تطورها:

على الرغم من الجهود المبذولة من طرف بعض الدول في مجال تطوير و نشر استخدام الطاقات المتجددة و ما نتج عن ذلك من تطور للخبرات العلمية و التقنية في هذا المجال إلا أن التطور يبقى دون المستوى المطلوب و ذلك نتيجة لبعض العوائق التي تحول دون تحقيق الاستخدام الاقتصادي الواسع للطاقات المتجددة نذكر منها :

✓ عدم إدراج سياسيات الطاقة المتجددة كجزء متكامل في السياسات العامة للطاقة ، أو ضمن السياسات القطاعية للدول فضلا عن الاعتقاد السائد لدى بعض الدول خاصة البترولية بأن تنمية هذه المصادر قد يؤثر على أسواق الطاقة و خاصة في سوق البترول .

✓ محدودية التمويل المخصص للطاقات المتجددة مقارنة بحكم الاستثمارات الضخمة في الطاقات التقليدية مع غياب السياسة الجاذبية في الاستثمار في هذا المجال .

✓ محدودية قواعد البيانات المقننة و الكافية التي ترصد الخبرات و الدروس المستفادة من المشروعات التي تم تنفيذها .

✓ ضعف مستوى التنسيق على المستوى الوطني بين الجهات المعنية لتطوير هذه المصادر و قصور برامج التنسيق و التعاون الإقليمي في هذا المجال بدءا بصانعي القرار و السياسات وصولا على المستهلك النهائي .

✓ ضعف الجانب التشريعي و المؤسسي الداعم للطاقة بمختلف أنواعها.

✓ ارتفاع تكلفة إنشاء مشاريع الطاقة مما ينعكس على أسعارها و جعلها غير تنافسية مقارنة مع الطاقة التقليدية .

✓ قلة الكادر البشري المتخصص و الخبير في مجال استخدامات الطاقة المتجددة .

✓ ضعف و قلة الوعي لدى المواطنين بأهمية استغلال الطاقة النظيفة .

IV / المنظومة المؤسسية و التشريعية في مجال الطاقات المتجددة في الجزائر:

لقد أظهرت الجزائر اهتمامها في استعمال الطاقة المتجددة في أولى سنوات الاستقلال وقد تجسدت تلك الرغبة في إنشاء عدد من الهيئات و المؤسسات المتخصصة في تشجيع البحث و التطوير ، وقد أكدت هذه الرغبة عبر القرارات الأخيرة لرئيس الجمهورية القاضية بضرورة تنويع مصادر الطاقة من خلال تنفيذ البرنامج الوطني للطاقات المتجددة كحتمية لضمان التنمية الاقتصادية المستدامة.

إن السياسة الوطنية لترقية الطاقة المتجددة و تطويرها مؤطرة بقوانين و نصوص تنظيمية كما أنها تركز على مجموعة من الهيئات و المؤسسات الاقتصادية بحيث تهم كل واحدة منها في حدود اختصاصها بتطوير الطاقة المتجددة .

حيث حظيت مسألة الطاقات المتجددة في الجزائر بالاهتمام منذ سنة ١٩٨٠ و ذلك إعطاء أهمية بالغة للملف الخاص بها من طرف اللجنة المركزية في المصادقة على ميلاد المحافظة السامية في سنة ١٩٨٠ و من ثم بدأت في إعداد الهياكل الأساسية فانطلقت بخمس مراكز تنمية و محطة تجريبية للوسائل التي توفر الدعامة التكنولوجية و الصناعية في مجال الطاقة المتجددة وفي هذا الإطار تم إنشاء الهيئات المؤسسية من ضمنها:

أولا/ المنظومة المؤسسية :

١-مركز تطوير الطاقات المتجددة (C.D.E.R) : و تتلخص مهام هذا المركز في جمع و معالجة المعطيات من أجل تقييم دقيق للطاقات الشمسية و الريحية و حرارة الأرض و الطاقة الجوفية و الكتلة الحيوية ، كما تعمل على صياغة أعمال البحث الضرورية لتطوير انتاج الطاقات المتجددة و استعمالها و صياغة معايير صناعة التجهيزات في ميدان الطاقات المتجددة و استعمالها.

٢-وحدة تطوير و تنمية التجهيزات الشمسية (U.D.E.S) : هذه الوحدة مكلفة بتطوير التجهيزات الشمسية و انجاز نماذج تجريبية تتعلق بالتجهيزات الشمسية ذات المفعول الحراري و ذات الاستعمال المنزلي أو الصناعي و الفلاحي ، التجهيزات الشمسية بفعل الإنارة الفولتية و ذات الاستعمال المنزلي و الفلاحي ، التجهيزات و الأنظمة الكهربائية الحرارية الميكانيكية و التي تدخل في تطوير التجهيزات الشمسية في الطاقة الشمسية.

3-وكالة ترقية و عقلنة استعمال الطاقة (APRUE) : تم إنشاؤها في ٢٥ أوت ١٩٨٥ بالجزائر تحت وصاية وزارة الطاقة و المناجم ، و هي تعمل من أجل تنشيط تنفيذ سياسة التحكم في الطاقة حيث يتمثل دورها الرئيسي في التنسيق و متابعة الإجراءات التحكم في الطاقة و في ترقية الطاقات المتجددة و تنفيذ مختلف البرامج التي تمت علمها في الإطار مع مختلف القطاعات .

٤- محطة تجريب التجهيزات الشمسية في أقصى الصحراء (SEESMS) : هي تابعة لوزارة التعليم العالي و البحث العلمي مهمتها تطوير و تجريب التجهيزات الشمسية في الإقليم الصحراوي .

٥- الوكالة الوطنية للطاقات المتجددة (NEAL) : و تتلخص مهامها في ترقية الطاقات الجديدة و المتجددة و تطويرها ، تعيين و إنجاز المشاريع المرتبطة بالطاقة الجديدة و المتجددة و التي تكون لديها فائدة مشتركة بالنسبة للشركاء داخل الجزائر و خارجها و من أهم المشاريع التي شرعت في تنفيذها خلال سنة ٢٠٠٥ .

-مشروع ١٥ ميغاواط تهجين شمسي غاز في حاسي الرمل يمثل الجزء الشمسي ٣ %.

-مشروع انجاز حظيرة هوائية بطاقة ١٠ % ميغاواط في منطقة تندوف ، و استعمال الطاقة الشمسية في الإنارة الريفية في تماراست و منطقة الجنوب الغربي^١.

ثانيا / المنظومة التشريعية :

إن السياسة الوطنية لترقية الطاقات المتجددة هي مؤطرة بقوانين و نصوص تشريعية تتمثل في:

-قانون التحكم في الطاقة و المتمثل في القانون رقم ٠٩٩٩ الصادر في ٢٨ جويلية ١٩٩٩ و المتعلق بالتحكم في الطاقة ، حيث يرسم هذا القانون الإطار العام للسياسة الوطنية في ميدان التحكم في الطاقة.

-قانون ترقية الطاقات المتجددة في طار التنمية المستدامة و يتعلق الأمر بالقانون رقم ٠٩٠٤ الصادر في ١٤ أوت ٢٠٠٥ و المتعلق بترقية الطاقات المتجددة في إطار التنمية المستدامة^١.

^١ خبابة عبد الله ، خبابة صهيب ، كعراي أحمد ، تطوير الطاقات المتجددة بين الأهداف الطموحة و التحديات البيئية ، مجلة العلوم الاقتصادية و التسيير و العلوم التجارية ، جامعة المسيلة ، العدد ١٠ ، ٢٠١٣ ، ص ٥١.

V / إنجازات و المشاريع المستقبلية في الطاقات المتجددة بالجزائر:

أولا / الإنجازات :

تبقى الجزائر من بين أبرز الدول المرشحة من قبل خبراء الطاقة في العالم للعب دور رئيسي ومهم في معادلة الطاقة نظرا لامتلاكها مصادر طبيعية هائلة في مجال إنتاج الطاقات البديلة لمصادر الطاقة الأحفورية السائرة في طريق النضوب .

تتوفر الجزائر على إمكانيات هائلة من الطاقات المتجددة وبالخصوص الطاقة الشمسية نظرا لشساعة مساحتها من جهة وموقعها الجغرافي من جهة ثانية حيث تعتبر أغنى الحقول الشمسية في العالم نظرا لكمية الطاقة الواردة إلى المتر المربع منها ٥ كيلواط / الساعة م^٢ على معظم أجزاء التراب الوطني وتصل أحيانا إلى ٧ كيلواط / الساعة م^٢ مما يتيح إشعاعا سنويا يتجاوز ٣٠٠ كيلواط / الساعة م^٢ للمتر المربع الواحد على مساحة تقدر بـ ٢.٣٨١ كلم^٢ هذه الإمكانيات الهائلة تسمح بتغطية ٦ مرة من احتياجات أوروبا الغربية و٤ مرات من الاستهلاك العالمي و٥٠٠ مرة الاستهلاك الوطني من الكهرباء.^٢

ففي مجال الطاقة الشمسية بدأت الجهود الأولى لاستغلال الطاقة الشمسية في الجزائر مع إنشاء المحافظة الجديدة في الثمانينات و اعتماد مخطط و انجاز محطة بأردار بقوة ١٠ كيلواط تغطي ١٠٠ نسمة في قرية ، كما تم توسيع نطاق نشاط مركز بوزريعة و إنشاء وحدة لإنتاج الخلايا الشمسية ووحدة لتطوير تقنية السيليسيوم بهذا المركز الذي كان يحوي على أكبر أفران الطاقة الشمسية و رغم الترسنة القانونية المعتمدة ما بين ١٩٩٦ و ٢٠٠٠ فلا يزال نصيب الطاقة الشمسية محدودا جدا بالجزائر و غير مستخدمة بالشكل المطلوب و إن كانت الجزائر قد اعتمدت قانونا خاصا بالطاقات المتجددة مع تحديد هدف الوصول إلى نسبة ٥% خلال سنة ٢٠١٠ و ١٠% سنة ٢٠٢٠ و يهدف تطوير الطاقات المتجددة في الجزائر إلى تقديم الخدمات الطاقوية في المناطق المعزولة و البعيدة عن شبكات توزيع الطاقة و يتمثل الهدف الأخر في المساهمة في إبقاء إحتياجات المحروقات و استغلال حقول موارد الطاقوية مجددة سيما الطاقة الشمسية منها.^٣

و يتضمن البرنامج الوطني للطاقات المتجددة الذي صادق عليه مجلس الوزراء في فيفري ٢٠١١ الإدخال التدريجي للطاقات البديلة لاسيما الشمسية بفرعها (الحرارية و الضوئية الفولطية) في إنتاج الكهرباء خلال العشرين سنة المقبلة. و ينتظر أن يبلغ إنتاج الكهرباء انطلاقا من مختلف الطاقات المتجددة التي تنوي الجزائر تطويرها خلال الفترة ٢٠٣٦-٢٠٠٠ نحو ٢٢.٠ ميغاواط في أفق 2030 أي ما يعادل ٤ بالمائة من إنتاج الكهرباء الإجمالي، كما تتطلع الجزائر إلى تصدير ١٠.٠ ميغاواط من ٢٢.٠٠٠ ميغاواط تم برمجتها خلال العقدين المقبلين، في حين توجه ١٢.٠ ميغاواط لتلبية الطلب الوطني على الكهرباء.

عرف مجال الطاقة المتجددة تطورا معتبرا خلال سنة ٢٠١١ التي تميزت بتحقيق العديد من الإنجازات من أجل تشجيع تطوير الطاقات البديلة خاصة فيما يتعلق باستعمال صفائح الطاقة الشمسية بالجنوب الكبير و الهضاب العليا. و تميزت سنة ٢٠١١ بتشغيل وزارة الطاقة لمحطة نموذجية متعددة التكنولوجيات لإنتاج الطاقة الشمسية بقدرة ١ ر١ ميغاواط بغرداية و محطة لإنتاج طاقة الرياح بقدرة ١ ميغاواط بأردار، كما قامت وزارة الفلاحة والتنمية الريفية بتعزيز تركيب

^١ خلفي أمينة ، النفط و الطاقات البديلة و غير المتجددة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٦ .

^٢ تكواشت عماد ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٦١ .

^٣ بوعشير مريم ، دور و أهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩١ .

اطقم الطاقة الشمسية لضمان الإنارة و ضخ المياه لصالح الهضاب العليا و المناطق المعزولة في حين قام المركز الوطني لتطوير الطاقات المتجددة بتركيب أكثر من ٢٥٠ طاقم طاقة شمسية للإنارة و ضخ المياه.

و حسب آخر الدراسات المتخصصة تتلقى الجزائر ما بين ٢٠٠ و ٣٩٠ ساعة من الشمس و متوسط كيلوواط في الساعة من الطاقة على مساحة ١ م^٢ عبر كامل التراب الوطني الجزائري ، أي أن القوة تصل إلى ١٧٠ كيلوواط م^٢ في السنة في الشمال و ٢٢٦ كيلوواط م^٢ في الجنوب لكن هذه الطاقة غير مستغلة بالشكل المطلوب باستثناء مشاريع حديثة منها انجاز محطات هوائية في فيفري ٢٠٠ بطاقة ١ ميغاواط في منطقة تندوف بالتعاون من مؤسسة سونطراك و سونلغاز و مجتمع سيم و استعمال الطاقة الشمسية في الإنارة الريفية بمنطقة اسكرام التابعة لولاية تمنراست الجنوبية بالإضافة إلى انجاز أول محطة هجينة لتوليد الكهرباء العاملة في شمال حاسي الرمل و هي بذلك تمثل أكبر حقل غازي في إفريقيا مرشحة لأن تكون مصدر طاقي بديل و نظيف و تتربع على مساحة ٦ هكتار حيث يوجد به ٢٢ جامع للطاقة يبلغ طول كل واحد منها ١٥ مترا كما تم برمجة محطتين أخريتين لسنة ٢٠١ و يتعلق الأمر بمحطة المغير بولاية الوادي شرق البلاد و محطة النعامة بولاية البيض غرب البلاد و في الفترة الممتدة بين ٢٠٢٠ و ٢٠٢٠ سيتم إنجاز أربعة محطات أخرى بطاقة ٣٠ ميغاواط لكل واحدة منها طاقة إضافية تقدر بـ ١٢ ميغاواط و برنامج يمتد إلى غاية ٢٠٣ بطاقة استعاب ٦٠ ميغاواط سنويا ابتداء من سنة ٢٠١.

و قد أعلنت الوكالة الفضائية الألمانية بعد دراسة حديثة قامت بها أن الصحراء الجزائرية هي أكبر خزان للطاقة الشمسية في العالم حيث تدوم الإشعاعات الشمسية في الصحراء الجزائرية ٣٠٠ ساعة اشعاع في السنة و هو أعلى مستوى لإشراق الشمس على المستوى العالمي و بناء عليه تم تقديم اتفاق بين الحكومتين في ديسمبر ٢٠٠ لإنتاج حوالي ٥% من الكهرباء بفضل الطاقة الشمسية و نقلها إلى ألمانيا من خلال ناقل كهربائي بحري عبر اسبانيا بالإضافة إلى المشروع المتعلق بصنع اللوائح الشمسية في منطقة روية و من المقرر أن يدخل هذا المشروع بطاقة سنوية تتراوح ما بين ٥ و ١٢ ميغاواط حيز الإنتاج سنة ٢٠١ و يسير هذا الاتجاه نحو التصدير مع مخطط آخر محلي لإنتاج ٢ بحلول سنة ٢٠٢. حيث تحتل الطاقة الشمسية المكانة الأولى من مصادر الطاقة المتجددة بالجزائر إذ تقدر بـ ٩٠% مقارنة بالطاقة الريحية التي تمثل سوى ٣%.

و الجدير بالذكر أن الجزائر تمتلك أكبر نسبة من الطاقة الشمسية في حوض البحر الأبيض المتوسط تقدر بـ ٤ مرات مجمل الاستهلاك العالمي للطاقة و لأجل ذلك شرعت الجزائر في إنشاء محطة للطاقة الهجينة تعتبر الأولى من نوعها على المستوى العالمي تعمل على مزج بين الغاز و الطاقة الشمسية بالإضافة إلى إنشاء ثلاث محطات أخرى للطاقة الهجينة بقوة ٤٠٠ ميغاواط شمسي و التي تكون موجهة للاستهلاك المحلي . أما طاقة المائية فإن حصة قدرات الري حظيرة الإنتاج الكهربائي هي ٥% أي حوالي ٢٨ جيغاواط و ترجع هذه الاستطاعة الضعيفة إلى العدد غير الكافي لواقع الري و إلى عدم استغلال مواقع الري الموجودة و خلال سنة ٢٠٠ تم إعادة تأصيل المحطة الكهرمائية بولاية جيجل بقدر ١٠ ميغاواط.

أما فيما يخص طاقة الرياح فتتوفر الجزائر على إمكانيات معتبرة حيث تهب الرياح على الجزائر تحمل معها الكثير من الهواء الطرب و القاري و الصحراوي بمتوسط سرعة تفوق ٧م/ثانية ، خصوصا المناطق الساحلية و هو ما يوفر إمكانية توليد

^١ ذنجي عقلية ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٢ .

^٢ مستقبل الطاقات المتجددة في الجزائر البوابة الجزائرية للطاقة المتجددة في الجزائر - portail.cder.dz

^٣ الطاقات المتجددة في الجزائر عملاق نائم مقال منشور في جريدة الخبر الإلكترونية www.elkhabar.com/press/article/5379

طاقة سنوية تقدر بـ ٦٧٣ مليون واط ساعي و قد تسمح بتزويد ١٠٠ مسكن من الطاقة. و نظرا لضخامة المشروع الموجهة في استغلال طاقة الرياح أسندت دراسات التقنية من أجل إنشاء مزارع هوائية لإنتاج الطاقة في الجزائر إلى مركز البحث و التنمية في الكهرباء و الغاز من أجل تحليل القدرات الطويلة ذات القيمة الهوائية التي سجلها المكتب الوطني الجزائري لأرصاد الجوية علما أن الجزائر نظام معتدلا للرياح من ٢ إلى ٦ م / ثانية لذلك تم تنصيب ١ محطات أرصاد جوية في عدة مناطق ذات نوعية خاصة منها منطقة بسكرة ، تندوف ، تيميمون ، دالي إبراهيم في الجزائر العاصمة و قد أبرزت الدراسات أهلية تلك المناطق خاصة المتواجدة في أقصى الجنوب^١.

بمعدل استعمال الطاقة بالجزائر مزال ضعيفا إذ يقدر بـ ٠.٧ ميغاواط في الوقت الحالي و تعمل الحكومة الجزائرية على وضع برامج للبحث في مواضع تنشط فيها الرياح من أجل تفعيل نشاطها المستقبلي كونها اقتصادية و أقل تكلفة من الطاقة الشمسية.

وبالنظر إلى أهمية السوق الجزائرية وخصوبتها تتسابق بلدان أوروبية عديدة لنيل فرص شراكة مع الجزائر في مجال تطوير واستثمار الطاقات المتجددة ، حيث أبرمت الجزائر العديد من عقود الشراكة مع الطرف الأوروبي حول الطاقة المتجددة و حماية البيئة في سنة ٢٠٠٠ ، بالإضافة إلى مشروع بناء محطة الطاقة الهجينة مع شركة "أينير الإسبانية".

إضافة إلى عقد الشراكة الجزائري الألماني الأخير القاضي بإنشاء وحدة إنتاجية بروفية لإنتاج الصفائح الشمسية وكذا مذكرة التفاهم الاخيرة الممضية بين سونلغاز ومفوضية الاتحاد الاوروبي التي تهدف إلى تعزيز مبادلات الخبرات التقنية و دراسة سبل و وسائل اقتحام الأسواق الخارجية و الترقية المشتركة لتطوير الطاقات المتجددة في الجزائر الداخل و الخارج.

ويوجد بالجزائر ١٤ محطة لرمال السيليس، الذي يعد المادة الأساسية الأولى لصناعة الصفائح الشمسية يجري استغلالها حاليا، و ١ مستثمرا، منهم ثمانية خواص وثلاث تابعين للقطاع العمومي. كما سجلت قائمة الباحثين الجزائريين المتواجدين في الخارج الراغبين في التنسيق والعمل على نقل توسعا لا سيما بعد الاعلان عن البرنامج الوطني للطاقات المتجددة كما تكثفت الاتصالات والعروض من متعاملين جزائريين لمرافقة هيئات البحث في تجسيد مشاريعهم الطاقوية من أجل صناعة الصفائح الشمسية و تشغيل اليد العاملة المؤهلة و ضرورة التحول من حلقة شراكة التسويق إلى معادلة رابح رابح من خلال استغلال طاقة نظيفة و خلق ثروة مستدامة .

أما بخصوص الطاقة الحرارية فتتوفر الجزائر على أكثر من ٢٠ مصدر حراري تتمركز في الشمال الشرقي و الشمال الغربي للوطن و تتجاوز درجة حرارتها ٤٠ و ٩٨ في حمام المسخوطين بولاية بسكرة لتصل إلى ١١٠ و هو ما يسمح بإنشاء محطات لتوليد الكهرباء إلا أنه لا يتم استغلالها حاليا سوى في تجفيف المنتجات الزراعية و تسخين البيوت الزراعية و الاستشفاء بمياه المعدنية^٢.

و فيما يتعلق بالطاقة الكهرومائية فإن الجزائر لا تستغل هذه الطاقة إلا بنسبة ٣% أما الباقية فيتم توليدها من الغاز الطبيعي ، لأن كميات الأمطار التي تسقط على الإقليم الجزائري تقدر بحوالي ٦٥ مليار م^٣ (سنويا) و الجزائر نظرا لمساحتها الشاسعة تتميز بندرة المياه السطحية التي تنحصر في الجزء الشمالي حيث تقدر الإمكانيات المائية في الجزائر بأقل من ٢٠ مليا م^٣.

^١ الطاقات المتجددة في الجزائر مقال منشور على الموقع الإلكتروني : www.usthb.dz

^٢ بوعشير مریم ، مرجع سبق ذكره، ١٩٨٠ .

تقدر الموارد الطاقوية من النفايات الحضرية والزراعية بـ ٥ مليون معادل النفط و هذا المورد يمثل حقلا نادرا على استعاب ١.٩٣ مليون طن معادل النفط و يقتضي تطوير إسغلال الطاقة العضوية (الطاقة الحيوية) في الجزائر على مزارع تربية المواشي و تحويل مخلفات التمور و مخلفات صناعة زيت الزيتون ما يمكن استغلال هذه الإمكانيات الكبيرة في توليد الطاقة الكهربائية.

وفي المجال التنظيمي، تم شهر أفريل ٢٠١١ إصدار نصوص قانونية تتعلق بأسعار اقتناء صفائح الطاقة الشمسية و الطاقة المولدة عن طريق الرياح بقدرة تفوق ١ ميغاواط. وعرفت الطاقات المتجددة قفزة نوعية خاصة من خلال تشغيل وحدة لإنتاج صفائح الطاقة الشمسية بقدرة ٥ ميغاواط بمبادرة من المؤسسة الخاصة "كوندور إلكترونيكس". كما تم فتح بإدراج الطاقات المتجددة في مجال التكوين المهني وتكثيف عروض التكوين في إطار الماستر و الدكتوراه بالجامعات و المدارس العليا.

ثانيا / المشاريع المتوقع تنفيذها في مجال الطاقة الشمسية في الجزائر :

يتوقع خبراء في مجال الطاقة أن الجزائر مكين أن تكون قوة و قطب اقتصادي واعد في منطقة البحر الأبيض المتوسط في مجال الطاقة المتجددة و ذلك في غضون سنة ٢٠٢٠ ، من أجل تدعيم مداخلها من المحروقات التي تشكل أساس الاقتصاد الوطني و المورد الرئيسي للخرينة العمومية بنسبة تتجاوز ٩٦ % حسب آخر الإحصائيات الصادرة عن بنك الجزائر .

١ - يعترزم معهد الطاقة لمنطقة "جوليف" الألمانية إنجاز مشروع أكبر برج طاقوي عالمي فريد من نوعه متخصص في توليد الطاقة الشمسية بجامعة سعد دحلب بولاية البليدة.

٢ - كما سيتم إنجاز أكبر برج عالمي للطاقة الشمسية الذي سيقام على أرضية سيدي عبد الله بالجزائر العاصمة الذي سيسمح بإنتاج كهرباء الطاقة الشمسية .

٣ - كما ستبادر كل من الحكومة الجزائرية بالشراكة مع وزارة البيئة الألمانية بإنجاز برج للطاقة الشمسية بولاية تيبازة و هو ثالث برج من نوعه في العالم ، حيث يتوفر البرج على محطة للبحث في مجال الطاقة الشمسية بمساحة قدرها ٢ هكتار و سيتم تمويل المشروع في حدود ٥ % لكن الطرفين.

كما يعترزم مجمع "سيفيتال" في الاستثمار في الطاقات المتجددة و ذلك من خلال إقامة مجمعات طاقوية في الجنوب الجزائري بالتعاون من مستثمرين أجنب قصد تصدير الكهرباء إلى دول الأوروبية^١

خاتمة :

يقول جون كريستينسين من مركز ريزو للمناخ والطاقة والتنمية المستدامة التابع لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (يونيب) "بالرغم من أن هناك العديد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجيدة التي تدعو للإسراع في تطوير مصادر الطاقة المتجددة، ليس أقلها التغير المناخي، فإن ما يعترض القطاع هو وجود العديد من المشاكل والعراقيل المؤسسية والمالية والاقتصادية".

انطلاقا من هذا القول يمكن أن نعتبر أن الطاقات المتجددة حتمية لا مفر منها و خيار اقتصادي و بيئي للعديد من الدول سواء المتقدمة و النامية خاصة الجزائر في ظل انهيار أسعار البترول و التداعيات الاقتصادية الحادة التي تشهدها الجزائر في الآونة الأخيرة .

^١ تكواشت عماد ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٨٥-١٨٦ .

و الجزائر غنية جدا بمصادر الطاقة لا سيما منها الطاقة الشمسية و طاقة العضوية مما يؤهلها أن تكون من الدول الرائدة في إنتاج و تصدير و تسويق هذه الطاقة النظيفة إلى الدول الأخرى. لأن إنتاجها للطاقة حسب رأي الخبراء يبقى دون المستوى المطلوب في ظل التنافس الشرس أمام الصين و ألمانيا

فليس أمام الجزائر سوى استغلال قطاع الطاقات المتجددة لأن الجزائر بحكم موقعها و مناخها الاستراتيجي يؤهلها لأن تكون في مصاف الدول المنتجة و المصدرة للطاقة النظيفة ، وما عليها إلا أن تستغل كل الإمكانيات و الخبرات و التجارب و السعي إلى القضاء على كل المشاكل و العراقيل التي تقف حجرة عثرة أمام قطاع الطاقات المتجددة.

قائمة المراجع :

- ١- أحمد مدحت ، الطاقة و تلوث البيئة، دار الفكر العربي ، مصر، ١٩٩٩.
 - ٢- أحمد رأفت اسماعيل رمضان ، علي جمعان الشكيل ، الطاقات المتجددة، جامعة طنطا ، دار الشروق ، مصر ، ١٩٨٨.
 - ٣- بوعشير مريم ، دور و أهمية الطاقات المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة ، مذكرة ماجستير في التحليل و الإستشراف الإقتصادي ، كلية العلوم الإقتصادية و علوم التسيير ، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠١١
 - ٤- تكواشت عماد ، واقع و آفاق الطاقة المتجددة و دورها في الجزائر ، مذكرة ماجستير في اقتصاد التنمية ، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير ، قسم العلوم الإقتصادية ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، ٢٠١٢.
 - ٥- خبابة عبد الله ، خبابة صهيب ، كعرار أحمد ، تطوير الطاقات المتجددة بين الأهداف الطموحة و التحديات البيئية ، مجلة العلوم الاقتصادية و التسيير و العلوم التجارية ، جامعة المسيلة ، العدد ١٠ ، ٢٠١٣ ،
 - ٦- دينا جلال ، إنتاج الوقود الحيوي في إطار الاقتصاد العالمي ، بحوث اقتصادية عربية ، جامعة بور سعيد ، العدد ٦٣/٦٤ ، مصر ، ٢٠١٣ .
 - ٧- صالح بن عبد الرحمان ، تكلفة الاستثمار و تكلفة الإنتاج لمصادر الطاقة المتجددة في المملكة العربية السعودية ، ورشة عمل من أجل توسيع نطاق استخدام الطاقة المتجددة في المناطق الريفية للبلدان الأعضاء في الإسكوا ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢.
 - ٨- فروحات حدة ، الطاقات المتجددة كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في الجزائر ، دراسة لواقع مشروع تطبيق الطاقة الشمسية في الجنوب الكبير بالجزائر ، مخبر المؤسسة و التنمية المحلية المستدامة ، كلية العلوم الإقتصادية و التجارية و علوم التسيير ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، مجلة الباحث ، عدد ١١ ، ٢٠١٢.
 - ٩- كاظم المقدادي ، المشكلات البيئية المعاصرة ، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك ، كلية الإدارة و الاقتصاد ، قسم إدارة البيئة ، ٢٠٠٧.
 - ١٠- محمد مصطفى محمد الخياط ، ماجد كرم الدين محمود ، سياسات الطاقة المتجددة إقليميا و عالميا ، هيئة الطاقة الجديدة و المتجددة ، مصر ، ٢٠٠٩.
- مخلفي أمينة ، النفط و الطاقات البديلة و غير المتجددة ، جامعة ورقلة ، مجلة الباحث ، العدد ٠٩ ، ٢٠١١



المواقع الإلكترونية .

- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

- طاقة الرياح في الجزائر-10979/.../www.aps.dz/طاقة
- مستقبل الطاقات المتجددة في الجزائر البوابة للطاقات المتجددة -> portail.cder.dz
- الطاقات المتجددة في الجزائر عملاق نائم 5379/press/article/www.elkhabar.com
- الطاقات المتجددة في الجزائر www.usthb.dz-

الاستشهادات المرجعية الورقية والإلكترونية وفقا للمعايير الدولية الأربعة (ISO 690- APA- MLA- CM) في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية

د.بوراس كاهينة/جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

ملخص:

تتعدد طرق التوثيق، تنقسم إلى أربعة طرق معترف بها عالميا، ويُعمل بها في جميع التخصصات العلمية، وهي الإستشهادات وفقا لمواصفة الأيزو ISO 690 الصادرة من منظمة التقييس الدولية وهي معدلة سنة 1996 بالإضافة إليها الإستشهادات المرجعية الإلكترونية، ونجد أيضا الإستشهادات المرجعية وفقا لنمط الجمعية النفسية الأمريكية APA وهي الأكثر استعمالا في العلوم الاجتماعية نظرا لسهولة استخدامها، وصياغة الإستشهادات المرجعية وفقا لنمط الحديث لجمعية اللغات MLA وهي أيضا مستعملة بكثرة سواء في العلوم الاجتماعية أو الإنسانية، وكذا طريقة الإستشهادات المرجعية وفقا لنمط أسلوب شيكاغو MC.

مقدمة:

إن كتابة المراجع في نهاية أية دراسة أو كتاب، تختلف عن كتابة الهوامش أو الحواشي كما أن الهدف من وضع قائمة بأسماء المراجع المتوفرة عن الموضوع، يختلف عن الهدف من الاقتباس، وإثراء البحث بأراء أخرى، بالدراسات المتوفرة والمنشورة عن موضوع البحث، وليس تلقي معلومات معينة، تخدم بحثه. ولذلك فهو يحرص على الاستعانة بالمراجع التي توجد فيها المعلومات التي يبحث عنها.

إما بالنسبة للمراجع، فهي تتصف بالشمولية والاهتمام بمواضيع متعددة في حقل معين. ولهذا: يتعين وضع قوائم كاملة بأسماء المراجع حتى يتسنى للباحثين الآخرين أن يختاروا الكتب والمقالات، التي تحمل عناوين مثيرة بالنسبة لهم.

1- كيفية ترتيب المراجع (في البيبليوغرافيا):

يحاول الباحث منذ البداية، تقسيم المراجع إلى قسمين: مراجع عربية، ومراجع باللغات الأجنبية، وهذا التقسيم الأولي يساعد على الإلمام بأهم الدراسات المتوفرة بالعربية وباللغات الأجنبية عن الموضوع الذي يرغب الباحث أن يكتب فيه- ولكن - من الناحية العلمية أن يصنف الوثائق حول موضوعه إلى عدة فئات:

أ - الكتب.

ب - المقالات.

ج- الوثائق الحكومية.

د- المواد غير المنشورة.¹

٢- أهمية كتابة مراجع البحث:

للبحث العلمي اتجاهين وهي الأمانة والدقة، فالأمانة تعني أن ننسب المعرفة أو المعلومة إلى صاحبها وأن نسجل إلا المراجع التي استخدمناها فعلا. والدقة تعني أن نشير إلى مصدر المعلومة سواء أخذناها من مقابلة شخصية أو من محاضرة غير منشورة أو من تقرير أو من كتاب منشور.

إذ ذكرنا قيمة المراجع في نهاية البحث العلمي يؤدي الوظائف التالية:

١- إبراز قيمة البحث من خلال الإشارة إلى المراجع والمصادر التي رجع إليها الباحث واستفاد منها، تعتبر هذه المراجع مؤشرا هاما على اطلاع الباحث وسعة خبراته وقراءته.

٢- توضيح مدى حداثة المعلومات التي رجع إليها الباحث، حيث توضح قائمة المراجع تاريخ كل مرجع، كما توضح مدى أصالة المراجع وقيمتها مع مراعاة أن المعلومات الحديثة تشير إلى وعي الباحث بأخر التطورات التي جرت في ميدان المعرفة، وهذا لا ينفي أن هناك كثير من المراجع الهامة تكتسب أهميتها من أصلاتها وقدمتها، وهذا يتوقف على طبيعة البحث وطبيعة المعرفة.

٣- تقديم قائمة بالمراجع إلى الباحثين والمهتمين بالبحث في موضوع البحث، حيث تعتبر هذه القائمة خلاصة جهد بحث، فوجود قائمة المراجع توفر على الباحثين الجهد والوقت والنفقات، شرط أن نحوي هذه القائمة وصفا تفصيليا كاملا لكل مرجع.²

٣- قواعد إعداد قائمة المراجع:

نكتب قائمة المراجع في نهاية البحث، وتراعي فيما القواعد التالية:

١- ألا تضم القائمة سوى المراجع الحديثة، إلا إذا اقتضت ذلك ظروف خاصة بالبحث ويعتبر المرجع حديثا إذا كان قد صدر خلال السنوات الخمس الأخيرة.

٢- تكتب بيانات المرجع بالعربية، بنفس الأسلوب الذي كتبت به في هامش الصفحة عند ذكرها المرجع لأول مرة.

٣- تكتب بيانات المرجع الأجنبي، بنفس الأسلوب الذي كتب به في هامش الصفحة عند ذكر المرجع الأول مرة.

٤- إذا لم يكن تاريخ النشر مذكورا على المرجع، يستبدل به وفي نفس المكان الحروف التالية (د.ت)، وتعني دون تاريخ.

٥- إذا لم يكن اسم الناشر مذكورا على المرجع، يستبدل به وفي مكانه الحروف التالية (د.ن)، وتعني دون ناشر.³

¹ عمار، بوحوش ومحمد محمود، الذنبيات. مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 2009. ص ١٧٥.

² ذوقان، عبيدات وآخرون. البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه. ط٧. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ٢٠٠١. ص ٢٩٣.

³ مبروكة، عمر محريق (٢٠٠٨). الدليل الشامل في البحث العملي. القاهرة: مجموعة النيل العربية. ٢٠٠٨. ص ٣٥٥

٤- التوثيق من الكتب المقدسة:

١٤- توثيق الآيات القرآنية:

في حالة التوثيق لآيات من كتاب الله سبحانه وتعالى فإنه يكتب البيانات التوثيقية للآيات والتي تتمثل في: اسم السورة، ورقم الآية الكريمة أو الآيات التي وردت في النص.

مثال: قال تعالى: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"^١.

٢٤- توثيق الأحاديث النبوية الشريفة:

بالنسبة لتوثيق الأحاديث النبوية الشريفة، فيشار للمصدر الأصلي لها من كتب الحديث المعروفة، مثل صحيح مسلم وصحيح البخاري وكتب السنة الأخرى. ولا يحذف نقل الحديث من مصادر ثانوية، كما لا ينصح القول: رواه مسلم، أو رواه البخاري... إلخ، وإنما يشار إلى مصدر الحديث باسم المؤلف والطبعة ورقم الجزء والصفحة، وبغير ذلك توثق كتب أي مصدر تربوي آخر.

مثال:

"خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة"^٢

٥- استشهادات المرجعية الورقية والإلكترونية وفقا للمعايير الدولية:

١٥- صياغة الاستشهادات وفقا لمواصفة الأيزو ٦٩ الصادرة عن منظمة التقييس الدولية عام ١٩٨٠ م:

١- الكتاب:

المسؤولية - العنوان - المسؤولية الثانوية (اختياري) - الطبعة (إن لم تكن الأولى) - مكان النشر والناشر (اختياري) - التاريخ - عدد الصفحات أو المجلدات (اختياري) - السلسلة (اختياري) - ملاحظات (اختياري) - ردمك (ISPM).

أمثلة:

* كتاب المؤلف واحد:

• بن يونس، عمر محمداً (٢٠٠٩). المجتمع المعلوماتي والحكومة الإلكترونية /مقدمة إلى العالم الافتراضي وقانونه. بنغازي: AKAKUS.

Kent, Allen (1985), Information strage and retrieval. University Press. New

١ سورة البقرة. الآية ٢٨٥.

٢ رواه أبو داود، الجزء الثاني، ص ٢٧٤.

*** كتاب مؤلفين:**

- عبد العزيز، شرف، محمد عبد المنعم، خفاجي (١٩٨٠). كيف تكتب بحثا جامعيًا. القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية.
- Denhier, G, Baudet, S (1992). Lecture, compréhension de texte et science cognitive. Paris : Presse universitaire de France.

*** كتابان المؤلف واحد:**

- خليفة، شعبان عبد العزيز (١٩٩٩). تشريعات الكتب والمكتبات والمعلومات في مصر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- خليفة، شعبان عبد العزيز (١٩٩٩). المحاورات في مناهج البحث في عالم المكتبات والمعلومات. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

ب- رسائل وأطروحات جامعية:

- عثمان، نور الدين عقل (١٩٩٩). "تحليل دور مشرف العلوم وعملية الإشراف ومشكلاتها والتطلعات المستقبلية لتحسينها من وجهة نظر مختلف الفئات التربوية الأردنية". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.¹

ج- مؤتمرات علمية:

- صالح، ناهد (تحرير) (١٩٩٩). مؤتمر أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. (٣ أجزاء).

- Akaike. H (1983) « Information measures and model selection ». Bulletin of the International Statistical Institute: Proceedings of the session.

المطبوعات الحكومية:

- اللجنة الوطنية للمناهج (٢٠٠٩). مناهج السنة الثانية من التعليم الابتدائي. الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات.²

د-ترجمة:

- فان دالين، فرانك ولس فريد. مناهج البحث العلمي في التربية وعلم النفس/ ترجمة محمد نبيل وسليمان الخضري (١٩٩٩). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

هـ- الدوريات:

- العنوان - المسؤولية- الطبعة (إن وحدت)- تحديد العدد (التواريخ) (أو الأرقام)- مكان النشر والناشر (اختياري)- التاريخ- السلسلة (اختياري)- ملاحظات (اختياري) ردمد (ISSN).

- مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س، ع، ١٩٨٠. الرياض: دار المريخ للنشر.

Library Trends /University of Illinois Graduate School of library science (1952). University of Illinois, Champaign, IL.

¹ سامي محمد، ملحم (٢٠١٠). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع. ٢٠١٠. ص ص ١٤٣ - ١٤٤.

² عبد الكريم، بوحفص (٢٠٠٦). دليل الطالب لإعداد وإخراج البحث العلمي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ٢٠٠٦. ص ٨٤.

*** المقالات في الروايات:**

- فرسوني، فؤاد حمد رزق، فهرسة المسلسلات الإلكترونية // دراسات عربية في المكتبات وعلم الهلوسات، مج ١، ع ١، (سبتمبر ٢٠٠٠). ص ١٤٦١٢.
- Lyon, J.Hanson. Ifocus on careers in the information lindustry, information World Review. Vol.114.(1996). PP12-20.

٢٥- صياغة الاستشهادات المرجعية الاللكترونية وفقا لمواصفة الأيزو ٦٩ ISO الصادرة في ١٩٩٧/١١ :

يجب تسجيل المعلومات الخاصة بتعريف وتحديد الموقع الشبكي للمصادر الاللكترونية عن بعد، وتنسيق بالمصطلح (متاح من (Available From- dispoible sur-

ويجب أن يدل الموقع الشبكي للمصدر الإلكتروني إلى المصدر الذي تمت رؤيته بالفعل، كما يجب أن يعكس العنوان الأسلوب المستخدم للوصول إلى الوثيقة (مثل بروتوكول نقل الملفات: FFP) بالإضافة إلى العنوان الشبكي بنفس علامات التقييم المستخدمة، ونفس حالة الأحرف الكبيرة والصغيرة تماما كما يظهر في العنوان الشبكي.

أما عن عناصر البيانات الخاصة بالملفات الاللكترونية المتاحة عن بعد، فقد حددتها المواصفة على النحو التالي:

-الشكل العام للإستشهاد المرجعي وعلامات التقييم المستخدمة:

المسؤولية الرئيسية. عنوان الوثيقة المضيفة (نوع الوسيط). المسؤولة الثانوية في الوثيقة المضيفة. الطبعة. مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر. تاريخ التحديث/ المراجعة. تاريخ الاستشهاد المرجعي. الفصل أو العلامة المشابهة للجزء. عنوان الجزء. التقييم داخل الوثيقة المضيفة. التبصرات. الإتاحة: (العنوان الإلكتروني). الرقم المعياري.

أمثلة:

منظمة مراقبة حقوق الإنسان: التقرير السنوي لعام ٢٠٠٠ (الخط المباشر). نيويورك:

منظمة مراقبة حقوق الإنسان، ٢٠٠٠. (تاريخ الزيارة) ١/٣/٢٠٠٠. صفحة مصر.

مصر: التطورات في مجال حقوق الإنسان. الإتاحة:

- < <http://www.hrw.org/arabic/1999/reports/wr2K/egypt.htm>>

-الدوريات الإلكترونية:

العنوان (نوع الوسيط). الطبعة. مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر. تاريخ التحديث/ المراجعة. (تاريخ الاستشهاد المرجعي). السلسلة. التبصرات. الإتاحة (العنوان الإلكتروني). الرقم المعياري.

أمثلة:

- Journal of technology education [online]. Blocks burg (vo.) : Virginia Polytechnic Institute and State University, 1989.

[cited 5-9-2006]. Semi-annual. Available from Internet :

<gopher://bong.lib.vt.edu:70/1/jtes>.ISSN1045-1064.

* المجلة الليبية للاتصالات (دورية على الخط المباشر). طرابلس: شركة ليبيا للاتصالات والتقنية، ع. ٢٠٠٧. [تاريخ الزيارة ٢٠١٧/٩/١٠]. متاحة على: www.mag.ltt.ly

ب- المقالات والإسهامات الأخرى:

المسؤولية الرئيسية في المقالة أو الإسهام. عنوان المقالة أو الإسهام. عنوان العمل الدوري (نوع الوسيط). الطبعة. تأشيرة العدد. تاريخ التحديث (المراجعة). تاريخ الاستشهاد المرجعي. الموقع داخل الوثيقة المضيفة. التبصرات. الإتاحة: (العنوان الإلكتروني). الرقم المعياري.

أمثلة:

- STONE, Nan. The Globalization of Europe. Harvard Business Review [online]. May. June 1989 [cited 18-9- 2006]. Available from : BRS Information Technologies .Melean (va).

ج- نظام الرسائل الإلكترونية الكاملة:

العنوان (نوع الوسيط). مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر. (تاريخ الاستشهاد المرجعي). التصورات. الإتاحة (العنوان الإلكتروني).

مثال:

عامر أبو ضاوية. تحول دور المنظمات الدولية والإقليمية في ظل متطلبات قواعد الحكومة الرشيدة (دورية على الخط المباشر)، غلاد ٢٠١٤. (تاريخ الزيارة ٢٠١٧-٩-٢٠). متاحة على: <http://dirosat.com.ly/2006/pages/b1htn>

٢- الاستشهادات المرجعية وفقا لنمط APA:

طريقة الجمعية النفسية الأمريكية: Style American Psychological Association

في توثيق APA، أن تكون الاستشهادات الواردة في النص مدرجة في قائمة المصادر المشار إليها في البحث، وتضم هذه القائمة المصادر المستشهد بها من تلخيصات وشروح واقتباسات من الممكن الرجوع إلى مصادرها الأصلية وينبغي ألا تضم هذه القائمة المصادر غير المتاحة للقراء مثل الخطابات الشخصية والاتصالات الهاتفية، ولتجنب هذا الخطأ تدرج المصادر الأخيرة في الإستشهادات المحصورة بين قوسين.

- تبدأ قائمة المراجع صفحة جديدة مرقمة بتسلسل مع باقي صفحات البحث.
- ترتب الإستشهادات حسب المقطع الأخير من اسم المؤلف.

١- الكتب:

* كتاب بمؤلف واحد:

يتم ترتيب البيانات إلى ثلاث وحدات رئيسية، تتبع كل منها بنقطة ومسافة.

أ - اسم المؤلف (الأخير أولاً).

ب - العنوان والعنوان الفرعي، موضوعاً تحته خط أو الكتابة بشكل مائل.

ج- مكان النشر، الناشر، تاريخ النشر.

تأخذ البيانات من المصدر الأساسي لمعلومات (صفحة العنوان) أو صفحة حق النشر، وليس ضرورياً أن يدرج الاسم الكامل للناشر.

مثال:

- الأفندي، محمد حامداً (١٩٧٤). الإشراف التربوي. ط٢. القاهرة: عالم الكتب.

- Fortanel, Jacque (2005). Evolution des politiques publiques. Alger : O.P.U¹

* كتاب لمؤلفين أو ثلاثة:

يتم وضع أسماء المؤلفين في ترتيب الذي تظهر به على صفحة العنوان، ويقلب الأول فقط، ويفصل بين أسماء المؤلفين بالعلامة (،)

- ياسين، سعد غالب والعلاق، بشيراً (٢٠٠٩). التجارة الإلكترونية. ط٣. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

- Smith, R.J.& Gibbs, M. (1994). Navigating the Internet. Indianapolis, IN: sans.

* كتاب ثلاثة مؤلفين أو أكثر:

يتم الاستشهاد باسم المؤلف الأول فقط مع قلب الإسم، متبوعاً باختصار "et" و "al" "خ" في الغربية وفي قائمة مراجع APA يتم ضم المقاطع الأخيرة والحروف الأولى من أسماء المؤلفين. بالرغم من أنه يمكن استخدام اسم المؤلف الأول فقط عندما يحتوي العمل على ست مؤلفين أو أكثر.

- جري، مايك وهيدسون، نويل وجوردن، جيلاً (٢٠٠٩). دليل العمل عن بعد. ترجمة عمر بن عبد الرحمن بن عبد العيسى. الرياض: معهد الإدارة العامة.

- Cameson, D& Frager. E & Rampton, M.B.H & Richardson, K (1992). Researching Language: Issues of pover and Method. London: Routledge.

* كتابان المؤلف واحد:

يكرر اسم المؤلف لكل مدخل، وترتب المداخل حسب التاريخ من القديم إلى الأحدث. والاستشهاد بكتابين أو أكثر لنفس المؤلف في نفس السنة، وترتب في ترتيب هجائي حسب العنوان، ثم يحدد حرف لكل سنة، مثال: (2001_أ, 2001_ب, 2001_ج) ، وفي الاستشهادات المحصورة بين قوسين، يميز الحرف التالي للسنة مصدر في نفس السنة عن مصدر آخر.

- توفيق، عبد الرحمن (٢٠٠٩). الإدارة الإلكترونية، القاهرة: بميك.

- توفيق، عبد الرحمن (٢٠٠٩). التدريب بالوسائل المتعددة. القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة.

¹ مصطفى عليان، رجي وآخرون (٢٠٠٨). أساليب البحث العلمي وتطبيقاته في التخطيط والإدارة. ط١. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع. ٢٠٠٨. ص ص ٢٢٢ - ٢٥٢.

- Una Gupta (2001). Information Systems Succes in the 21st Century Nj : Prentice- H all.
- Una Gupta (2001). Information Systems Succes in the 21st Century Nj : Prentice- H all, Upper Saddle River.

٢- الدوريات:

- المجلة العربية للمعلومات/المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (١٩٧٧). مج، ع. القاهرة: إدارة التوثيق والمعلومات، المنظمة.

- Philosophical Transactions (1995). Vol.1, N01.

* مقالات الدوريات:

فان دلين، ديوبوللا (١٩٧٧) مناهج البحث العلمي في التربية وعلم النفس ترجمة محمد نبيل نوفل. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية^١.

- حجازي، أحمد مجدي. (مارس ٢٠٠٠). العولمة والتدفق المعلومات: الأبعاد الاجتماعية والآثار السلبية. العربية، ٥، (١): ٢٧-٥٤.

٣- ترجمة:

يوضع المدخل تحت اسم المؤلف، ويبين تحت اسم المترجم بعد العنوان مع كتابة الاختصار "Trad"- "Trans" وكتابة اسم المترجم.

٤- الرسائل وأطروحات جامعية:

يبدأ الاستشهاد بالأطروحات غير المنشورة باسم صاحب الرسالة متبوعا بعنوان الرسالة في علامات تصنيف، أطروحة ماجستير أو أطروحة دكتوراه، واسم الجامعة التي منحت الرسالة التاريخية والتاريخ إجازه الرسالة.

- نايت سعيدي، إلهام. "العنف السياسي في الجزائر في ظل التعددية السياسية" ١٩٩٥-٩٨ رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، ٢٠٠٠^٢.

٥- مؤتمرات علمية:

عندما يضم عنوان النشرة نتائج مؤتمر واسم ومكان المؤتمر. لا تكرر هذه البيانات بعد العنوان، فقط يدرج اسم المؤلف وتفاصيل النشر.

- الهادي، محمد محمدا (١٩٩٩). نحو تطوير مصادر المعلومات الإلكترونية العربية لمواجهة التحدي الحضاري/ أبحاث ودراسات المؤتمر العلمي الرابع لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات- القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

٦- مطبوعات حكومية:

الجزائر. مجلس النواب. تعديل القانون الجزائري رقم ...، لسنة ...، الجريدة الرسمية، ١٣١، ٢٠٠٠.

^١ سعيد، التل وآخرون. مناهج البحث العلمي أساسيات البحث العلمي. ط ١. عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع. ٢٠٠٦. ص ٣٠٣.

^٢ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ١٨٤.

٧- التقارير:

- الجزائر، وزارة التربية والتعليم. التقرير السنوي، الجزائر، ١٩٩٩، ص ٣٧.

ب- صياغة الإستشهادات الإلكترونية وفقا لمعايير APA:

يشير دليل APA بأن تشمل مداخل الأعمال المستشهد بها عند توثيق المصادر الإلكترونية من WWW على كثير من البيانات كلما كان ذلك ممكنا أو متاحا وفقا لها الترتيب:

اسم المؤلف- تاريخ النشر أو تاريخ آخر إصداره (إذا كان معروفا) محصورا بين قوسين- عنوان الوثيقة - عنوان العمل (إذا كان متاحا) مكتوبا بشكل مائل أو موضوعا تحت خط- بعض البيانات الأخرى (رقم المجلد، أرقام الصفحات، ...) - تاريخ الوصول- عنوان URL

١- كتاب الإلكتروني:

المؤلف /المحرر. (السنة). العنوان. عنوان الدورية (نوع الوسيط). المجلد، (العدد)، الترقيم أو مؤشر الطول. الإتاحة: الموقع/ المسار/ الملف (تاريخ الزيارة).

- Bryant, P. (1999). Biodiversity and Conservation Retrieved June 8, 2006 from the world wide : darwin.bio.uci.edu/~sustain/bio 65/titl page.htm.

٢- مقالات الدوريات:

المؤلف/ المحرر. (السنة). العنوان الدورية (نوع الوسيط)، المجلد (العدد)، الترقيم أو مؤشر الطول. للإتاحة: الموقع/ المسار/ الملف (تاريخ الزيارة).

- Baker, Thomas. (2000). Agramma of Dublin Gori. D-Lib Magazine, G, -10). URL: <http://www.dlib.org/dlib/october00/boka/ 10 baker. html>. (November 2000).

٣- رسائل البريد الإلكترونية:

لصياغة الاستشهاد برسائل البريد الإلكتروني في نمط صياغة APA يشير هذا النمط بأن رسائل البريد الإلكتروني بالنسبة للأعمال الفردية يستشهد بها على أنها اتصالات شخصية ولهذا لا تدرج في قائمة المراجع بل تدرج ضمن الإستشهادات داخل النص، ولتوضيح ذلك:

- Bryan Burgin (personal communication, November 18, 1998).

٤- رسائل مناقشة الاجتماعات:

لصياغة الاستشهاد برسائل مناقشة الاجتماعات المتاحة على الانترنت تبعا لنمط صياغة APA، يمكن إدراج البيانات التالية وفقا لهذا الترتيب:

^١ سعيد التل وأخرون، المرجع السابق، ص ٣٠٦.



- اسم المؤلف- تاريخ الإرسال محصور بين قوسين – عنوان الرسالة- نوع المراسلة (إذا كان متاحا)- تاريخ الوصول- عنوان

URL

- Ables, T. (1999, May 21). Technology and the future of higher education. Formal discussion initiation. Retrieved March 11, 2007 from world wide web:

<http://1.fets.gnd.de/past-archives/archiv-150499-250899/0107.html>.

٥- رسائل خادم قوائم جماعات النقاش:

لصيغة الاستشهاد برسائل خادم قوائم جماعات النقاش تبعا لنمط صياغة APA، يمكن إدراج البيانات التالية وفقا لهذا الترتيب:

اسم المؤلف- تاريخ محصور بين قوسين- موضوع الرسالة- نوع المراسلة (إذا كان متاحا)- تاريخ الوصول.

- Parent, v. (1996, May 27). On expectations of class participation. Retrieved June 19, 2007 from the listern: philosed @sued.syr.edu.

٦- موقع شخصي¹:

- Pellegrino, Joseph. (1998, December 16). Home page. World poetry Audio Library. Retrieved June 18, 2006 from the world wide web:

<http://www.english.eku.edu/pellegrino/default.htm>.

٣- صياغة الاستشهادات المرجعية وفقا لنمط MLA:

Modern Language Association Style :

في توثيق MLA، أنه أن تصاحب الإستشهادات التي بداخل النص بقائمة بكل المصادر المشاركة إليها في البحث (قائمة الأعمال المستشهد بها)، وتضم هذه القائمة المصادر التي أشار إليها المؤلف سواء بالاختباس أو شرح أو التلخيص وتصاغ هذه القائمة بالقواعد التالية:

- عنوان القائمة: تدرج الاستشهادات تحت عنوان: "قائمة الأعمال المستشهد بها".
- موضع القائمة: تبدأ في صفحة جديدة في نهاية العمل مع باقي صفحات العمل.
- المسافات الخاصة بعلامات الترقيم: مساحة واحدة بعد نقطة نهاية وحدة البيانات
- ترتيب حسب المقطع الأخير المؤلف، فإذا لم توجد ترتب حسب الكلمة التي توضع في بداية العنوان.
- المعالجة الخاصة للعناوين: بوضع خط تحت العناوين الكبيرة.
- يذكر مكان النشر والناشر.

مبروكة محيريق، المرجع السابق، ص ٤٩٣ – ٤٩٩¹

- وتكوين اختصارات في شهور النشر مثلا: juil., oct.

١- كتاب لمؤلف واحد^١:

بالنسبة لمعظم الكتب، يتم ترتيب البيانات إلى ثلاث وحدات رئيسية، تتبع كل منها بنقطة ومسافة.

مثال:

عبيدات، ذوقان. البحث العلمي وأدواته وأساليبه، ط٣. عمان: دار الفكر، ١٩٩٠.

- Jacqueline, Roger. La personnalité de l'enfant à travers le dessin de bon homme, 2^{ème} ed, Belgique : édition Bruxelles, 1984.

٢- كتاب المؤلفين أو ثلاثة^٢:

يوضع أسماء المؤلفين بترتيب طبيعي الذي تظهر به على صفحة العنوان، ويقلب اسم المؤلف الأول فقط، ويفصل بين أسماء المؤلفين بعلامة {،}

مثلا:

الطجم، عبد الله بن عبد الغني و السواط، طلق بن عوض الله. السلوك التنظيمي. جدة: دار حافظ للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

٣- كتاب أكثر من ثلاث مؤلفين:

إذا تجاوز عدد المؤلفين ثلاثة يتعين على الباحث أن يختصر، ويكتفي بكتابة لقب واسم الكاتب الذي يرد اسمه في البداية.
- اسماك، محمد أزهر سعيد وأخ. الأصول في البحث العلمي. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣. (بوحوش، محمد الذينبيات، ١٧٦٢٠٩)

٤- الدوريات:

أ- المجالات:

البسام عبد العزيز. "مهمات الإشراف التربوي في العراق" مجلة الرسالة المعلم، ١٢. عمان-الأردن (نوفمبر-ديسمبر: ١٩٩٠) ص ٣٢٨-٣٢٩.

ب- الجرائد^٣:

كاتب المقال (إن وجد)- عنوان المقال كاملا، عنوان الجريدة وتحت خط، العدد والتاريخ (اليوم والشهر والسنة) الصفحة التي تم الاقتباس منها.

^١ عبد الكريم بوحفص، المرجع السابق، ص ٨٤.

^٢ بوحوش، محمود الذينبيات، المرجع السابق، ص ١٧٦.

^٣ ربحي مصطفى، المرجع السابق، ص ٢٢٤.

عوادي.أ. إرتفاع نسبة الإنتحار في المناطق الريفية بولاية تيزي وزو، جريدة الشعب، ص ٤٢ (٢٢ أكتوبر ٢٠٠٠)، ص ١٦.

٥- ترجمة:

بوضع المدخل تحت اسم المؤلف، وليس اسم المترجم بعد العنوان مع كتابة باختصار: تر، "Trad" "tans"، وكتابة اسم المترجم.

مثال:

ريتشارد، وليم. أساسيات إدارة الجودة الشاملة. ترجمة مكتبة جرير، الرياض: مكتبة جرير، ٢٠٠٠.

٦- الطباعات:

إذا تم الاقتباس بطبعة غير الطبعة الأولى نضم رقم الطبعة بعد العنوان: ط٢، ط٣.

وفي الفرنسية 2^{ème} et 3^{ème} ed وفي الإنجليزية: 2nd et ; 3rd ed

القيوتي، محمد قاسم. السلوك التنظيمي دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات الإدارية. ط٢. عمان: دار وائل للنشر، ١٩٨٩.

٧- رسائل وأطروحات جامعية:

يبدأ بالأطروحات غير منشورة باسم صاحب الرسالة متبوعاً بعنوان الرسالة أطروحة ماجستير أو دكتوراه واسم الجامعة التي منحت الرسالة وتاريخ إجازة الرسالة.

مثال:

عثمان، نور الدين عقل: تحليل دور مشرف العلوم وعلمية الإشراف ومشكلاتها والتطلعات المستقبلية لتحسينها من وجهة نظر مختلف الفئات التربوية الأردنية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، أربد-الأردن، ١٩٩٠.

٨- مؤتمرات علمية:

عندما يضم عنوان النشرة، نتائج مؤتمر واسم ومكان المؤتمر، لا نذكر هذه البيانات بعد العنوان، فقد يدرج اسم المؤلف/ المؤلفون تفاصيل النشر.

مثال:

صوفي/ عبد اللطيف، شبكات المعلومات- واقع تطلعات الندوة العلمية الرابعة- لجمعية "المهندسين العلمية. طرابلس"، مركز البحوث الصناعية، ١٩٩٤.

٩- المطبوعات الحكومية:

بالنسبة لهذه المراجع، نستخدم اسم الحكومة كبيانات أولية مثل (Fran, USA- Alger)، وعندما لا يوجد اسم المؤلفين يدرج اسم المؤسسة "الحكومية أو فروع الحكومة".

مثال:

المعهد الوطني للبحث في التربية. التقرير الوطني التربوي الجزائري، الجزائر: ٢٠٠٠. (مبروكة محيريق، ٢٠٠٠، ص ٤٥)

٣- صياغة الاستشهادات المرجعية وفقا لنمط MLA الإلكترونية^١:

ترتب وفق الترتيب الآتي:

- اسم المؤلف أو المحرر أو المترجم (إذا كان ممكنا أو متاحا) مرتبا هجائيا بالاسم الأخير ومتبوعا بالاختصار المناسب trd
- عنوان العمل (كتاب أو مقالة...) موضوعا في أقواس.
- عنوان الجزء المستشهد به بشكل مائل أو موضوعا تحت خط.
- بيانات النشر في حالة إذا كان المصدر الإلكتروني المستشهد به متاحا في شكل مطبوع.
- رقم الاصدار (إذا لم يكن جزء من العنوان) رقم المجلد، أي رقم تعريفي آخر.
- تاريخ النشر الإلكتروني، أو تاريخ التحديث (إذا كان متاحا).
- اسم المؤسسة أو المنظمة التي قامت على نشر الموقع.
- تاريخ الوصل.

١- كتاب الإلكتروني:

- Bird, Isabella L. Alody's Life in the Rocky Montains. New York, 1881 victorian Women writers Projets. Ed. Perry Willett. 27/5/1999. Indiana. 24/10/2006.
<[http:// www.indiana.edu/~lettrs/wwwp/bird/rocky.htmls](http://www.indiana.edu/~lettrs/wwwp/bird/rocky.htmls).

2- مقالات الدوريات:

- Joyce, Micheal. « On the Birthday of the Stranger (in memory of John Hawkes) ». Evergreen Review 5/3/1999. 12/5. 1999.
<[http:// www.evergreenreview. Com /102/evexite/joyce/nojoyce. Html](http://www.evergreenreview.com/102/evexite/joyce/nojoyce.html)>.

٣- رسائل البريد الإلكتروني:

اسم المؤلف- موضوع الرسالة موضوعا بين علامات تنصيصا- وصف الرسالة الذي يشتمل على اسم المرسل إليه- تاريخ الإرسال.

- Rleppinger, Eugene. « How to cite information from the web ». Email to Adrew Harnack. 10/ 1/ 1999.

٤- التوثيق من قرص مدمج (CD-ROM) وقرص مرن Diskettes:

الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول للمؤلف، عنوان المقالة بين أقواس صغيرة، طبعة، مكان النشر، الناشرة وتاريخ انتاج القرص.

^١ - مبروكة محيريق، المرجع السابق، ص ٥٠٣.

- Kennedy, Lauren. « Emily Dickinson ». Grolier Multimedia Encyclopedia, (CD-ROM Macintosh ed). 1997. Danbury. Cit. Grolier, 1997.

٤٥- صياغة الاستشهادات المرجعية وفقا لنمط CM:

The Chicago Manual of style :

حواشي توفيق النص المتصلة بأرقام المرجع في النص، حينما تطبع في هامش الصفحة، والحواشي حينما تطبع بنهاية مقالة دورية. يتم استخدام نظام الحشوية في الكتب والخاص بجامعة شيكاغو لأسباب اقتصادية بصفة عامة وأحيانا لأسباب جمالية، ويفضل أن يستخدم المؤلفون الحواشي السفلية عن الهوامش.

وتعد الاستشهادات المرجعية في نمط توثيق CM تحت عنوان "الهوامش" وترقيم الجوانب السفلية والحواشي في توثيق صفحة جديدة بتسلسل باقي البحث، بعد آخر صفحة من النص في البحث (تظهر الهوامش في أسفل البحث حيث يتم الاستشهاد بالمصادر).

- أسماء المؤلفين: تكتب كما هي في المصدر الأصلي (غير مقلوب).
 - كتابة العناوين بحروف كبيرة.
 - يوضع خط تحت الأعمال الطويلة، وتستخدم علامات تنصيص حول عناوين الأعمال القصيرة.
 - تضم بيانات النشر في أقواس، وتستخدم علامة { : } ومسافة واحدة بعد مدينة النشر، تدرج أسماء الناشرين كاملة أو تختصر طبقا لطبيعة الاختصارات في الكتب.
 - ينبغي تجنب استخدام حواشي المحتوى. وعندما يلزم استخدام واحدة أو اثنين، نستخدم الرموز (* +) بخف الأرقام.
- ١- الكتب:

* كتاب لمؤلف واحد:

تأخذ البيانات من المصدر الأساسي للمعلومات (صفحة العنوان) أو صفحة حق النشر، وليس ضروريا أن يدرج الاسم الكامل للنشر.

- حسناء محجوب. الطريق على مجتمع المعلومات. القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠٠٠.

- John Feather. **The information society**. (2nd ed). London : Llibrary.

* كتاب بمؤلفين أو ثلاثة:

يتم وضع أسماء المؤلفين الترتيب الطبيعي الذي تظهر به على الصفحة العنوان ويفصل بين أسماء المؤلفين بالعلامة { ، }.

- نبيل علي و نادية حجازي. الفجوة الرقمية، رؤية عربية لمجتمع المعرفة- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، (عالم المعرفة) ٣١، ٢٠٠٠.

* كتاب بثلاثة مؤلفين أو أكثر:

يتم الاستشهاد باسم المؤلف الأول فقط مع قلب الاسم، متبوعا بالاختصار And al. et autr والاختصار "أخ".

- أحمد حلمي جمعة وأخ. أساسيات البحث العلمي، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٢- الدوريات:

العربي/المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع ١، الكويت، ١٩٥٥.

- Journal des savants. Vol.1, N0.1-1965.

٣- البحوث والدراسات أو المقالات في دوريات متخصصة:

نوري جعفر. "دور الأدب والفنون في تكوين شخصية الفرد". مجلة آفاق عربية. ع ٢٤، أكتوبر ١٩٧٩، ص ٤٢. (سعيد التل والخب، ٢٠٠٤: ٣٠)

٤- ترجمة:

يوضع المدخل تحت اسم المؤلف، وليس تحت اسم المترجم بعد العنوان مع كتابة للاختصار "trad" وكتابة اسم المترجم.

- بيل جينس. المعلومات بعد الأنترنت: طريق المستقبل. ترجمة عبد السلام رضوان. سلسلة عالم المعرفة (٢٣). - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٥- الطباعات:

أبو بكر محمود الهموش. التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات: نحو استراتيجية عربية المستقبل مجتمع المعلومات. ط٢. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

٦- رسائل وأطروحات الجامعية:

- محمد أحمد المصري، "التكشيف وأهميته في عمليات استرجاع المعلومات". رسالة ماجستير، جامعة عبد الفتاح- ٢٠٠٥.

٧- المطبوعات:

- جامعة الدول العربية- نحو تفعيل خطة عمل جنيف: "رؤية إقليمية لرفع وتطوير مجتمع المعلومات في المنطقة العربية"، القاهرة: الجامعة، ٢٠٠٤.

-صياغة الاستشهادات الإلكترونية وفقا لنمط CM¹:

تدرج البيانات التالية وفقا لهذا الترتيب:

اسم المؤلف- عنوان الوثيقة موضوعا بين علامات تنصيص- عنوان العمل (إذا كان متاحا) مكتوب بشكل مائل أو تحته خط- تاريخ النشر أو تاريخ آخر إصداره- URL في أقواس جانبية- تاريخ محصورا بين قوسين.

١- كتاب الكتروني:

¹ مبروكة محيريق، المرجع السابق، ص ٥١٨ - ٥١٩.

- Peter J.Brant, « the Age of Mammals », in Biodiversity and conservation, April 1999.<<http://darwin.bio.uci.edu/~sustain/bio65/index.htm> (May 1999)
- Jonya: A journal for Teachers of writing in we bedded Environments 3, n0.1 (1997).<<http://english.ttu.edu/Kairos/2-1/features/browning/index.html>).

٣- موقع شخصي:

- Joseph Pellegrino, "Hanepage", 12-5-1999, <<http://www.english.edu/pellegrino/default.html>) (12-1-1999).

٤- موقع أكاديمي

- National Association of Invetors Corporation, NAIC online, 20-9-1999,

<http://www.better-investing.org> (1-10-1999).

تعددت طرق توثيق المراجع وتسميتها ، إلا أنها كلها لها معنى واحد وهو جمع الإستشهادات في قائمة واحدة ، وفق قواعد محددة تحدها كل طريقة، مهمتها هي مساعدة الباحث والمتطلع عليه في معرفة المراجع المستخدمة.

قائمة المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الحديث النبوي.
٣. ذوقان، عبيدات وآخرون .البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه . ط٧. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.٢٠٠١.
٤. سامي محمد، ملحم. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.٢٠١٠
٥. سعيد، التل وآخرون . مناهج البحث العلمي أساسيات البحث العلمي . ط١. عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.٢٠٠٦.
٦. عبد الكريم، بوحفص. دليل الطالب لإعداد وإخراج البحث العلمي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.٢٠٠٦.
٧. عمار، بوحوش ومحمد محمود، الذنبيات . مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث . ط٥. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.٢٠٠٩.
٨. مبروكة، عمر محيريق. الدليل الشامل في البحث العملي. ط. القاهرة: مجموعة النيل العربية.٢٠٠٨ .
٩. مصطفى عليان، ربي وآخرون . أساليب البحث العلمي وتطبيقاته في التخطيط والإدارة . ط١. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.٢٠٠٨.

الأخلاق والحضارة عند فرويد ودوركايم

أ.محمد خيدون/جامعة مولاي اسماعيل، المغرب

ملخص:

شكل سؤالي الأخلاق والحضارة مثارا للجدل بين مجموعة من المفكرين في أواخر القرن التاسع عشر، وقد وجد هذا الجدل بؤرة احتدامه بالنسبة إلينا في فلسفتي كل من فرويد ودوركايم. حيث التقى كل من هذين المفكرين البارزين في عدد من الإشكاليات الكبرى، إلا أن إجابتهما كانت مختلفة جدا، بحيث أنها لم تعكس فقط الاختلافات التي يمكن أن ينتجها كل علم عن غيره من العلوم الأخرى، بل عكست أيضا مجموعة من الاختلافات الجوهرية في قلب الفكر الغربي. ففرويد يرى أن الأخلاق والحضارة ما هي إلا نتيجة لكبت الغرائز الجنسية والعدوانية، ويصر على أن هناك صراعا شديدا قائما بين الفرد والمجتمع. أما دوركايم فيعتبر الحضارة شكلا متقدما من أشكال التضامن الإجتماعي، ويرفض في نفس الوقت، فكرة الصراع بين الفرد والمجتمع. وذلك لأن سعادة الفرد، حسبه، لا تتحقق إلا في ظل تكامل وظيفي بين كل أعضاء الجسد الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الحضارة، الكبت، التضامن الآلي، التضامن العضوي، الفرد، المجتمع.

تمهيد:

يعد القرن التاسع عشر من أهم الحقب التي عرفها تاريخ الفكر الأوروبي، والتي لا زالت تمارس نفوذها إلى اليوم. وقد تأثر هذا القرن بمجموعة من الظروف التي كان لها دور حاسم في تشكيله، لعل أهمها المناخ السياسي الذي خلفته الثورة الفرنسية، وما صاحبها من أفكار حول القومية والمساواة والديمقراطية وحق الشعوب في تقرير المصير، إضافة إلى التأثير الثقافي والفكري الملهم الذي خلفه عصر الأنوار، وكذا الثورة العلمية التي قادها نيوتن. ولا ننسى الدور الحاسم الذي لعبته الثورة التقنية والصناعية، حيث أدت إلى تحولات عميقة في بنية المجتمع الأوروبي، صاحبها ظهور عدد هائل من الكتابات التي حاولت تفسيرها، وتطرق في نفس الوقت إلى القضايا الاجتماعية التي طرحتها هذا التحول. وهكذا شهد القرن التاسع عشر ميلاد مجموعة من العلوم، كما شهد أيضا بروز مجموعة من الأسماء التي أثرت بشكل كبير في تاريخ الفكر الأوروبي خاصة، وتاريخ الفكر عامة (مثل ماركس وفيربر ودوركايم وفرويد ويونغ، ونيتشه، وسبنسر وبرغسون...).

صاحب ظهور المصانع في المدن خلال تلك الفترة هجرة مكثفة من البوادي، وفي ظل الظروف المزرية التي كان يشتغل فيها العمال، تضاعفت مشاكل الحضارة، وأصبحت مهددة بالإنهيار تحت ضغط الفئات الفقيرة التي كانت مستقرة في هوامش المدن، حيث ارتفعت شدة الفقر والبطالة والجريمة، وأصبحت ملامح الثورة بارزة في الأفق، خاصة بعد الانتشار الكبير الذي عرفته الأفكار الإشتراكية التي لم تتوقف عن التحريض للثورة، وسلطت في نفس الوقت الضوء على اللامساواة الاجتماعية، والاستغلال الذي تتعرض له الطبقة العاملة. ومن جهة أخرى، أدى التحول السريع من التقليد إلى الحداثة إلى ضياع الفرد داخل المدينة الكبيرة، فهذه الأخيرة عجزت عن تعويض القيم التقليدية بقيم أخرى، ونتج عن ذلك ظهور مجموعة من المشاكل النفسية والاجتماعية بشكل لم يسبق له مثيل.

لقد استأثرت المشاكل التي صاحبت ظهور التمدن والحضارة باهتمام كبار الباحثين والمفكرين في حقل العلوم الإنسانية، ويعد عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم، ومؤسس التحليل النفسي سيغموند فرويد أحد أبرز هؤلاء الباحثين. حيث أن كلاهما سعى من منظوره إلى فحص المجتمع وتشخيص أمراضه، وتطرق في نفس الوقت إلى مجموعة من الإشكاليات الكبرى المرتبطة بهذا السؤال الأساسي، من قبيل سؤال حقيقة الطبيعة البشرية، وعلة الحضارة والأساس الجوهري الذي تقوم عليه وكذا الأخطار التي تهددها، والأخلاق والسلطة الأخلاقية، ووضع الفرد داخل المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث، وشروط سعادة الأفراد... وغيرها من الأسئلة التي لازالت متداولة إلى وقتنا الحالي. وقد عكست الأجوبة التي قدمها كل منهما التباين الشديد في فلسفتها، ومنظورهما لمنجزات المجتمع الحديث، كما عكست أيضا التباين الذي يعكسه المنظورين السيكولوجي والسوسولوجي للمجتمع والظواهر الاجتماعية.

نبذة حول العالمين:

فرويد (١٩٣٩-١٨٨٩): تخرج سيغموند فرويد طبيبا سنة ١٨٨٨، وأمضى بعد تخرجه قرابة عشر أعوام بين فيينا وباريس منهمكا في سير أغوار الطب النفسي، وفي عام ١٨٩٦ نشر نظرياته في "أثر التنفيس الفعال الناجم عن استذكار الذكريات المؤلمة"، ومن تم أضاف عام ١٨٩٦ نظريته القائلة بأن قصص الحوادث المكتوبة التي مرت بالإنسان، ترتبط ارتباطا وثيقا بقضايا جنسية، ومن هنا انطلق بأبحاثه الشهيرة في الجنس، بما في ذلك خبرة الطفولة في الجنس، وقد بنى فرويد نظريته من خلال الخبرة التي كونها كطبيب يعالج الأمراض العقلية، حيث وجد أن المرضى حينما يكونون تحت تأثير التنويم المغناطيسي يروون قصصا عن حياتهم، وأن لهذه القصص أثرا فعالا في علاجهم، وبدا أن لرواية القصص وليس التنويم المغناطيسي، يعود الأثر الإيجابي الفعال في العلاج. فطور بناء على ذلك تقنية التداوي الحر، وأثبت الانفراج المذهل من العديد من الأمراض العصبية، نتيجة تحدث المرضى عن مكبوتاتهم، وانطلاقا من ذلك أقام نظرياته.^(١)

دأب فرويد على التسلسل إلى الطبقات العميقة من النفس الإنسانية، مقتفيا المسالك والشعاب التي تنضح عبرها ذكريات مرضاه حينما كان يطلق العنان لتداعياتهم في جلساته الطويلة والمتكررة معهم. وأيقن بفضل معطيات العمل التحليلي أن ثمة قوى نفسية باطنية وخفية تعمل بشكل دينامي ودائم مسببة متاعب للشخص، تتجسد في اضطرابات عضوية وسلوكية. لقد شبه فرويد النفس البشرية بجبل جليدي، ما يخفى منه أضخم وأعظم مما هو ظاهر بكثير. واللاوعي فوق ذلك كله، هو، برأي فرويد، جوهر النفس والأصل الذي يتكون منه الوعي تدريجيا مع تقدم الطفل في السن. وعلى هذا الأساس اعتبر فرويد أن العلاج يحصل فقط عندما يتم نقل المكبوتات من اللاوعي إلى الوعي. لكنه اعترف في نفس الوقت بشدة صعوبة هذه العملية، نظرا لما تقابله المكبوتات اللاواعية من رقابة ومقاومة تمنعها من أن تطفو إلى سطح الوعي.^(٢)

خلال العقد الأول من القرن العشرين بدأ شيء من الشهرة يحيط باسم فرويد، وخلال العشرينات كان يتابع أبحاثه ويعيد صياغة نظرياته وأسسها الفكرية، وبعد الحرب العالمية الأولى ازدادت شهرته ومنح جائزة غوتيه في عام ١٩٣٠.^(٣) فمع أن نظرياته ووجهت بالرفض والنقد الشديدين منذ البداية وطوال مساره العلمي، ظل فرويد صامدا ولم يتوقف عن الدفاع عن أفكاره وتطويرها، إلى أن تمكن في النهاية من إثارة اهتمام الجميع بالتحليل النفسي، فغزت أفكاره جميع حقول المعرفة

^١ رونالد سترومبورغ، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، ت أحمد الشيباني، ط ٣، (جمهورية مصر العربية: دار القارئ العربي، ١٩٩٤) ص ٤٩٨-٤٩٩.

^٢ بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين (الجزء الأول)، ط ١، (دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١)، ص ٢٦٢-٢٦٩.

^٣ بدر الدين، نفس المرجع، ص ٥٠١.

من علوم انسانية وفلسفة وأدب، كما أصبح أشهر الأسماء في علم النفس على الإطلاق.

دوركايم (1858-1917): ولد دوركايم عام 1858 في اينال من عائلة يهودية من أصل ألزاسي. وكان معدا ليصبح حاخاما كما كان والده وجدته، وهكذا أرسل إلى المدرسة الحاخامية وتعلم العبرية، لكنه سرعان ما غير وجهته. وفي عام 1877 دخل مدرسة المعلمين العليا التي كانت بيئة ثقافية دينامية إلى أقصى حد. وكفيلسوف بطبيعته توجه دوركايم بسرعة صوب مسائل الأخلاق راغبا في أن يعطيها أساسا علميا، وبعد أن أصبح أستاذا في بوردو عام 1888 حضر أطروحته المشهورة حول تقسيم العمل الاجتماعي وطبعها عام 1891.⁽¹⁾

يعتبر دوركايم رائدا لعلم الاجتماع إلى جانب كل من فيبر وماركس، كما يعد في نفس الوقت مؤسساً لعلم الاجتماع الفرنسي. ومع أن طموحه في تأسيس علم دقيق يهتم بداسة المجتمع كان قد سبقه إليه أستاذه أوغست كونت، إلا أن كتاباته خلفت أثرا أهم بكثير من كتابات هذا الأخير، وقد استعان دوركايم بجوانب من أعمال كونت، إلا أنه كان يعتقد أن كثيرا من الآراء التي طرحها أسلافه كانت تتسم بالزعة التأملية والغموض. وكان دوركايم يرى في علم الاجتماع علما يمكن استخدامه لإيضاح الأسئلة الفلسفية التقليدية، بتمحيصها على أسس امبريقية على غرار العلوم الطبيعية، وكان المبدأ الأول الذي وضعه هو التعامل مع الظواهر الاجتماعية كما لو كانت أشياء. وقد كانت كتاباته من الاتساع بحيث شملت عددا كبيرا من الموضوعات، إلا أن الذي استأثر بالقدر الأكبر من اهتمامه كان الموضوعات الثلاث: أهمية علم الاجتماع باعتباره علما امبريقيا تجريبيا، مسألة بروز الفرد ونشوء نظام اجتماعي جديد، والنظام الأخلاقي في المجتمع.⁽²⁾

لقد دافع دوركايم هو الآخر، طوال مساره العلمي عن أفكاره وناضل من أجل انتزاع الاعتراف بعلم الاجتماع كعلم قائم بذاته، له موضوعه ومنهجه ومفاهيمه، وفاعليته أيضا، وبالتالي يستحق أن يكون له مكان داخل الأوساط الأكاديمية، وقد قام في سبيل ذلك بمجهودات كبيرة حاول من خلالها أن يبرهن على أن الظاهرة الاجتماعية لها خصوصياتها التي تميزها عن سائر الظواهر الفردية، وذهب إلى أبعد من ذلك فاعتبر أن الاجتماعي هو المحدد لما هو فردي. وأن الاجتماعي يفسر كل شيء، لكن لا شيء يفسر الاجتماعي غير الاجتماعي. وقد ظهرت هذه القاعدة في أبرز تجلياتها في الدراسة التحليلية التي وضعها عن الإنتحار. فمع أن هذه الظاهرة قد تبدو عملا فرديا بحتا ونتاجا لحالة من أقصى درجات التعاسة الشخصية، لكن دوركايم أظهر أن عوامل اجتماعية تترك تأثيرا جوهريا على السلوك الإنتحاري.⁽³⁾ وقد كان هذا بمثابة تطبيق لمبادئه في علم الاجتماع، ودليلا ملموسا على أهمية العوامل الاجتماعية في تفسير الظواهر، حتى تلك التي نعتبرها سيكولوجية، ومرتبطة بالإرادة الفردية.

الحضارة والأساس الجوهري الذي تقوم عليه:

يعتبر دوركايم من بين أبرز الباحثين الذين حاولوا فهم التحولات التي شهدتها عصره، وقد تناول هذا الموضوع في أطروحته "في تقسيم العمل الاجتماعي". حيث ميز بين نمطين من التضامن (الآلي والعضوي)، يقابلهما نمطين اجتماعيين، وكما أن النوعين الأولين يتطوران بنسبة عكسية، فإن أحد النموذجين الاجتماعيين اللذين يقابلانهما، لا يتراجع إلا إذا تقدم

¹ فيليب كابان و جون فرونسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ت إياس حسن، ط 1، (دمشق، دار الفرق، 2010) ص 51.

² أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ت فايز الصياغ، ط 4، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005) ص 63.

³ غيدنز، نفس المرجع السابق، ص 68.

الأخر.⁽¹⁾ إنه (حسب دوركايم) قانون من قوانين التاريخ أن يتراجع التعاون الآلي بالتدرج- وهو التعاون الوحيد في الأصل أو شبه الوحيد- وأن يطغي عليه التضامن العضوي شيئاً فشيئاً. فعندما تصبح طريقة التعاون بين الناس على غير ما هي عليه، تضطر بنية المجتمعات لأن تتغير.⁽²⁾ والواقع أن العامل الأساسي والفاعل في هذه العملية، هو ليس إلا عدد الأفراد المتعلقين ببعضهم بعضاً، أي حجم المجتمع وكثافته. فكلما كان عدد الأفراد كبيراً، ازداد كبر الفعل الذي يحدثونه عن كثب على بعضهم بعضاً، وازدادت ردود أفعالهم قوة وسرعة، وأصبحت الحياة الاجتماعية بالتالي أكثر شدة، وإن هذه الشدة هي التي تكون الحضارة.⁽³⁾ إن الحضارة، هي نتيجة ضرورية للتغيرات التي تطرأ على حجم المجتمعات وكثافتها. فإذا نما العلم والفن والنشاط الاقتصادي، فإن هذا النمو نتيجة لضرورة مفروضة على البشر، إذ ليس أمام هؤلاء من أسلوب للحياة في الشروط الجديدة التي وجدوا فيها، غير هذا الأسلوب. ومنذ أن عظم عدد الأفراد الذين تقوم بينهم العلاقات الاجتماعية، لم يعد هؤلاء الأفراد يستطيعون البقاء إلا إذا تخصصوا أكثر فأكثر، واشتغلوا أكثر فأكثر، واستثاروا ملكاتهم. ومن هذه الإثارة العامة تنتج حتماً درجة أرقى من الثقافة. ومن هذه الزاوية تظهر الحضارة، لا هدفاً يحرك الشعوب بما يحدثه من جذب لها، ولا خيراً يتراعى لها وترغب فيه مسبقاً. بل تظهر على أنها نتيجة لسبب، وحاصلة ضرورية لحالة معينة.⁽⁴⁾

وهكذا فإنه يمكن القول أن المجتمع المتقدم حسب دوركايم، هو ذلك المجتمع الذي تجاوز، بفعل تزايد عدد السكان والكتلة الاجتماعية، التضامن الآلي، المتسم بالبساطة والقائم على التشابه بين أفراد، نحو التضامن العضوي الأكثر تعقيداً، والقائم على الاختلاف والتكامل بين الأفراد، حيث أن كل فرد داخله يختلف عن غيره من الأفراد، كما تختلف الأعضاء داخل الجسم، ويقوم بوظيفة معينة لا تقبل الاستبدال، لكن الوظائف كلها تتكامل في النهاية، كما تتكامل وظائف الأعضاء، لتحقيق هدفاً واحداً، وهو ضمان البقاء والاستقرار. إن التضامن هو جوهر الحضارة والحياة الحضارية. فالمدن المختلفة داخل المدينة الواحدة تستطيع التعايش دون أن تضطر إلى أن يؤذي بعضها بعضاً، وذلك لأنها تجري وراء غايات مختلفة، فالجندي يطمح إلى المجد الحربي، والراهب يحاول كسب السلطة المعنوية، ورجل الدولة يسعى إلى استلام الحكم، والصناعي إلى الثروة، والعالم إلى الشهرة العلمية، وكل واحد من هؤلاء قادر على بلوغ غايته من غير أن يمنع الآخرين من بلوغ غاياتهم، والأمر كذلك حتى عندما تكون الوظائف أقل تباعداً فيما بينها. فطبيب العيون لا يزاحم الطبيب المختص بالأمراض العقلية، والحذاء لا يقف في طريق صانع القبعات، والبناء لا يؤذي النجار، وعالم الطبيعة لا يعترض الكيميائي... الخ. ولما كانوا يقومون بخدمات مختلفة، فإنهم يستطيعون تقديمها معاً في صورة متوازنة.⁽⁵⁾

إن الحضارة، وهي أمر يرجع في حقيقة الأمر إلى اتحاد الناس وارتباطهم فيما بينهم وبين الأجيال المتعاقبة منهم، هي (حسب دوركايم دائماً) عمل اجتماعي في أساسه، والمجتمع هو صانع هذا العمل الباهر الرفيع، وهو الذي يقوم على حراسته، كما يقوم بمهمة نقله إلى الأفراد. والحضارة بعد، هي جملة التراث كله الذي نعلق عليه أعظم قيمة، بل إنها حصيلة لأرفع القيم الإنسانية إطلاقاً.⁽⁶⁾

¹ إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت حافظ الجمالي، ط ٢، (بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢) ص ٢٢١.

² دوركايم، نفس المرجع السابق، ص ٢٠١.

³ دوركايم، نفس المرجع السابق، ص ٢٨٣.

⁴ دوركايم، نفس المرجع السابق، ص ٣٨١.

⁵ دوركايم، نفس المرجع السابق، ص ٣٠٤.

⁶ إميل دوركايم، علم اجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، ط ١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦) ص ٩٤.

قد يكون لهذه الفكرة القائلة بأن الحضارة هي نتيجة لارتقاء المجتمع نحو شكل آخر من التضامن أكثر كمالاً قوتها ونصيبتها من الصحة، إلا أنها لا تجد لها أي أساس من الصحة عند فرويد. فهو يرى أنه من الخطأ الوقوع في حبال الرأي المسبق الذي يقول أن الثقافة تعادل التقدم وترسم للإنسان طريق الكمال. فتطور الحضارة يبدو أشبه ما يكون بسيرورة من نوع خاص تجري "فوق" الإنسانية، ولكنها سيرورة، كما توحي بذلك كثير من خصائصها، هي من الأشياء المألوفة لدينا. ويمكننا تمييز هذه السيرورة من خلال التعديلات التي تدخلها على العناصر الأساسية المعروفة عميق المعرفة، والمسلمات بغرائز البشر، تلك الغرائز التي تمثل تلبيتها المهمة الإقتصادية الكبرى لحياتنا.⁽¹⁾ وبالإحالة إلى تاريخ تطور الغريزة الجنسية، نستطيع تمييز ثلاث مراحل من الحضارة: مرحلة أولى يكون فيها نشاط الغريزة الجنسية حراً، حتى خارج نطاق الأهداف التناسلية، ومرحلة ثانية يقمع فيها كل شيء في الغريزة الجنسية خلا ما يفيد منها التناسل، ومرحلة ثالثة يكون فيها التناسل المشروع هو الهدف الجنسي الوحيد المأذون به، وتتطابق هذه المرحلة الثالثة مع الأخلاق الجنسية المتحضرة الراهنة.⁽²⁾

إن الثقافة الإنسانية، والتي تعني عند فرويد، كل ما أمكن للحياة البشرية أن ترتفع عن طريقه فوق الشروط الحيوانية وأن تتميز به عن الهائم، (وفرويد في هذا الصدد يرفض أي تمييز بين الحضارة والثقافة)، تتبدى للملاحظة بوجهين اثنين، فهي تتضمن من جهة أولى، كل المعرفة والمقدرة اللتين اكتسبهما بنو الإنسان ليسيطروا على قوى الطبيعة ولينتزعوا منها الخيرات القمينة بتلبية الحاجات الإنسانية، وتنطوي من الجهة الثانية على جميع الإستعدادات الضرورية لتنظيم علاقات البشر فيما بينهم، وبوجه خاص لتوزيع الخيرات المتاحة. وليست وجهتا الحضارة هاتان بمستقلتين احدهما عن الأخرى. في المقام الأول، لأن علاقات البشر المتبادلة تتأثر عميق التأثير بمدى ما تتيحه الثروات الحاضرة من تلبية للغرائز، وفي المقام الثاني، لأن الفرد بالذات يستطيع أن يدخل في علاقة ملكية مع فرد آخر، وذلك بمقدار ما يستخدم هذا الأخير قدرته على العمل، أو يتخذ منه موضوعاً جنسياً.⁽³⁾

إن الذي شكل الحضارة حسب فرويد، هو قمع الدوافع الغريزية، فقد تنازل كل فرد على جزء من ملكيته، من سلطانه المستقل، ومن نوازع شخصيته العدوانية وميولها الثأرية، ومن هذه التقدّمات تتألف الملكية الثقافية المشتركة للخيرات المادية والخيرات الفكرية، وإذا استثنينا إباحية الحياة، فإن العواطف العائلية النابعة من الإيروسية، هي التي دفعت بالأفراد فرادى إلى ذلك التنازل، وقد تم التنازل تدريجياً في مجرى تطور الحضارة.⁽⁴⁾ إن فرويد - خلافاً لدوركايم - لا يرى الحضارة كمرحلة متقدمة في مسار طبيعي نحو الكمال، وإنما يعتبرها حادثاً طرأ على الحياة الطبيعية. فالإنسان اضطر للسير في طريق الحضارة منذ أن بدأ باختيار موضوعه الجنسي (أي عندما حرم على نفسه أفراد قبيلته)، ولم يستطع بعدها منع نفسه من التقدم نحو مزيد من التضييق على الغريزة بشكل عام، وعلى غريزة اللبido بشكل خاص. إن جوهر الحضارة هو الكبت، فهو علة نشوئها، وهو الضامن الوحيد لاستمرارها.

المجتمع "البدائي" والسلطة الأخلاقية:

ذكر دوركايم خصائص المجتمع البدائي في أطروحته "في تقسيم العمل"، عندما حاول تحديد ما يميز المجتمعات المتقدمة، وكان الفرق بينهما بالنسبة إليه، هو نمط التضامن السائد، وكذا قوة الضمير الأخلاقي ومدى خضوع الفرد لسلطة الجماعة.

¹ سيغmond فرويد، قلق في الحضارة، ت جورج ترايشي، ط ٤، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦) ص ٥١.

^٢ سيغmond فرويد، الحياة الجنسية، ت جورج ترايشي، ط ٣، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩) ص ٤٦.

^٣ سيغmond فرويد، مستقبل وهم، ت جورج ترايشي، ط ٤، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨) ص ٨.

^٤ سيغmond فرويد، الحياة الجنسية، ت جورج ترايشي، ط ٣، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩) ص ٤٣.

فالفرد في نمط التضامن الآلي هو مجرد أداة في يد النموذج الجمعي، يتبع كل حركاته، كما يتبع الشيء المملوك كل الحركات التي يفرضها عليه المالك، فهو ليس ملك نفسه، بل هو شيء يتصرف به المجتمع.⁽¹⁾ إن القاعدة القائلة "بضرورة تحقق السمات الجمعية في كل فرد"، تبلغ عند "الشعوب الدنيا" أوج صرامتها، حيث أن أول واجب هنالك هو أن يشبه الفرد جميع الناس، وأن لا يكون له أي شيء شخصي.⁽²⁾

والواقع أن هذه الفكرة موجودة عند فرويد أيضا، فهو يرى أن الدوافع الجماعية هي الدوافع الوحيدة الممكنة في المجتمع البدائي، أما الإرادة الفردية فليس لها وجود، بل حتى أن التصور لا يجرؤ على التحول إلى إرادة، ويجد ضعف التصورات هذا، تفسيره في قوة الرابطة العاطفية التي تربط كل واحد بأقرانه جميعا، إضافة إلى تماثل شروط الحياة وغياب الملكية الخاصة، واللذان أسهما أيضا في توليد تلك التماثلية في الأفعال النفسية.⁽³⁾ ومع أن فرويد كان واضحا في تأكيده هذا، إلا أنه -عكس دوركايم- عاد ليعدله، مؤكدا على أنه يجب التسليم بأن السيكولوجيا الفردية قديمة هي الأخرى قدم السيكولوجيا الجمعية، إذ لا بد أن يكون قد وجد منذ البداية سيكولوجيتان، سيكولوجيا الأفراد المؤلفين للجمهور، وسيكولوجيا الأب، الزعيم، القائد، فأفراد الجمهور حسب فرويد، كانوا مربوطين إلى بعضهم بعضا، لكن أبا العشيرة البدائية كان حرا، وكانت أفعاله الفكرية، حتى في حال انعزاله، قوية ومستقلة، ولم تكن ارادته بحاجة لأن تعزز بإرادة الآخرين.⁽⁴⁾ بل كانت هي الإرادة الوحيدة السائدة، ومن خلالها تشكلت الإرادة الجمعية. فالأب البدائي كان يمنع أبناءه من إشباع دوافعهم الجنسية المباشرة، ويفرض عليهم التعفف، وترتب عن هذا قيام روابط عاطفية على سبيل التفرغ، تربطهم به وبعضهم بعضا، وبذلك يكون قد أدخلهم بالقوة، إن جاز القول، في السيكولوجيا الجمعية.⁽⁵⁾

إن هذه الصورة التي رسمها فرويد للمجتمع البدائي في شكل قبيلة خاضعة لسلطة لامحدودة لفرد واحد حر، تخالف المسلمة الأساسية في فكر دوركايم. فهذا الأخير يرى أنه سواء في الماضي أو الحاضر، لا شيء يسود المجتمع، غير إرادة المجتمع نفسه. فليس في وسع الأفراد أن يخضعوا إلا لاستبداد جمعي، ذلك أن أفراد مجتمع ما، لا يمكن أن يخضعوا إلا لقوة أعلى منهم، وليس هنالك إلا قوة واحدة تملك هذه الصفة، ألا وهي قوة الرهط، وأية شخصية مهما تكن قوية، لا تستطيع شيئا بمفردها ضد مجتمع بكامله، وإذن فلا يمكن أن تستعبد هذا المجتمع رغما عنه.⁽⁶⁾ فالعضو البارز في كل مجتمع، يحمل شيئا من طبيعة الكائن الجمعي الذي يمثله، وإذا وجدت مجتمعات تخضع لقوة حاكمة تملك سلطة كبيرة، فإن الأمر لا يرجع إلى أن هذه المجتمعات بحاجة إلى إرادة حازمة، بل لأن هذه السلطة كلها هي مجرد إشعاع للوجدان المشترك، وهذه السلطة كبيرة لأن الوجدان المشترك هو نفسه متضخم.⁽⁷⁾ أما إذا تعلق الأمر بالسلطة الأخلاقية تحديدا، فإن دوركايم يرى أن القواعد الأخلاقية مزودة بسلطة خاصة، من شأنها أن تجعل من هذه القواعد، أمرا مطاعا، باعتبارها قواعد تأمر.⁽⁸⁾

¹ إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت حافظ الجمالي، ط ٢، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢، ص ١٥٢.

^٢ دوركايم، نفس المرجع السابق، ٤٤٥.

^٣ سيغmond فرويد، علم نفس الجماهير، ت جورج طرايشي، ط ١، (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٦) ص ١٠٨.

^٤ فرويد، نفس المرجع السابق، ص ١٠٩.

^٥ فرويد، نفس المرجع السابق، ص ١١٠.

^٦ إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت حافظ الجمالي، ط ٢، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢، ص ٢٢٤.

^٧ دوركايم، نفس المرجع، ص ٢٠٨.

^٨ إميل دوركايم، علم اجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص ٦٨.

والواقع أنه يمكن رد هذا الإختلاف بين دوركايم وفرويد، إلى تصورات كل منهما لطبيعة العلاقات السائدة في المجتمع البدائي، والطبيعة البشرية بشكل عام. فحسب فرويد، الإنسان نزاع إلى تلبية حاجاته العدوانية على حساب قريبه، وإلى استغلال عمله بلا تعويض، وإلى استعماله جنسيا بغير مشيئته، وإلى وضع اليد على أملاكه وإذلاله، وإلى إنزال الآلام به واضطهاده وقتله، والتاريخ وتعاليم الحياة تؤكد كل هذا.⁽¹⁾ والواقع أن فرويد ليس وحده من كان يرى الطبيعة البشرية على هذا النحو، فقد كان كثيرون من ذوي التوجهات الإشتراكية يحملون تصورات مشابهة، لكنه كان يخالفهم الإعتقاد بأن الأمر سيُحل مع إلغاء الملكية. فهو يرى أن إلغاء الملكية الخاصة يجرّد العدوانية البشرية ولذّتها، من إحدى أدواتها، لكنه لا يغير شيئا في فروق القوة والنفوذ التي تسيئ العدوانية استغلالهما، ولا في طبيعة هذه الأخيرة، فالعدوانية لم تخلقها الملكية بل كانت تسود بلا منازع وبلا حدود في أزمنة بدائية كانت الملكية فيها غير ذات شأن.⁽²⁾ وعلى هذا الأساس فإن السلطة الأخلاقية لن تكون سوى قوة تمارسها أقلية من أجل ضمان توازن المجتمع. فالإنسان دائم الميل إلى الدفاع عن حقه في الحرية الفردية ضد إرادة الجموع، وكثيرة هي الصراعات التي تخاض ضمن نطاق البشرية وتتركز حول مهمة يتيمة، وهي إيجاد توازن مناسب وقيم بتأمين سعادة الجميع.⁽³⁾ والحق أنه لا يمكن الإستغناء عن الإكراه الذي يفرض مشاق الحضارة، وكذلك لا يمكن الإستغناء عن سيطرة أقلية ما على الجموع، وهذا لأن الجموع -حسب فرويد دائما- خاملة وعادمة الذكاء، لا تحب نكران الغريزة، ولا سبيل لإقناعها بحجج ضرورة هذا النكران وحتميته، ولا يتحمل الأفراد الذين تتألف منهم الجموع بعضهم بعضا، ويود كل واحد منهم لو يطلق العنان لشططه ومجونه.⁽⁴⁾ وبالتالي فإن الأمر يتطلب لتكون هناك أخلاق وتوازن داخل المجتمع، وجود أشخاص تجد فيهم الجموع قدوة وتتخذ منهم هداة مرشدين، ويسير كل شيء على ما يرام عندما يكون هؤلاء الزعماء أصحاب رؤية سامية للضرورات الحيوية وحين يسمون بأنفسهم إلى حد السيطرة على رغباتهم الغريزية الذاتية، لكن مع ذلك فإن الخطر موجود دائما ليهدد إنجازاتهم، ما يجعل من الضرورة بمكان أن توضع تحت تصرفهم وسائل ردع وتأديب قميّنة باستقلالهم عن الجموع.⁽⁵⁾

في الواقع، يقف دوركايم موقف المعارض المباشر لفكرة لأخلاقية الأفراد هذه، حيث يقول في كتابه "في تقسيم العمل الإجتماعي": "كم هي خاطئة تلك النظرية التي ترى أن الأنانية هي نقطة البدء في الإنسانية، وأن الغيرية، بالعكس، ليست إلا كسبا حديثا."⁽⁶⁾ فالغيرية موجودة منذ فجر الإنسانية، بل إننا لنجدها على صورة مفرطة حقا، فصور الحرمان التي يفرضها الرجل البدائي على نفسه خضوعا للتقاليد الدينية، ونكران الذات الذي يضحي معه بحياته منذ أن يطلب المجتمع إليه التضحية، هي نوع من الغيرية، والميل العنيف الذي يحمل الأرملة الهندية على اللحاق بزوجها في الموت، والرجل الغالي أن لا يرضى البقاء بعد رئيس عشيرته، هو أيضا غيرية.⁽⁷⁾ إن الدين يغمر كل الحياة الإجتماعية في هذه المجتمعات، وينشأ ذلك عن أن الحياة الإجتماعية هنا، تقوم كلها تقريبا على معتقدات وعادات مشتركة تستمد من الإيمان الجمعي، بها شدة من نوع

¹ سيغmond فرويد، قلق في الحضارة، ت جورج ترايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦، ص ٧٦.

² فرويد، نفس المرجع، ص ٧٥.

³ فرويد، نفس المرجع، ص ٥١.

⁴ سيغmond فرويد، مستقبل وهم، ت جورج ترايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨، ص ١٠ - ١١.

⁵ فرويد، نفس المرجع، ص ١١.

⁶ إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت حافظ الجمالي، ط ٢، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢، ص ٢٢٥.

⁷ دوركايم، نفس المرجع، ص ٢٢٦.

خاص.⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس فإن الأخلاق ليست قواعد صارمة تحتاج أقلية قوية تحرص على بقائها. فهي نابغة من المجتمع ذاته، وهو الذي يحافظ على بقائها. وقد تبدو فكرة المجتمع هذه عند دوركايم غامضة نوعا ما، لكنها تصبح أقل غموضا عندما نعلم أن الأفراد - حسب دوركايم - عندما يجتمعون، ينتج عن اجتماعهم كائن آخر من طبيعة أخرى مخالفة لكل فرد على حدة، وذلك لأن خصائص الكل تختلف عن خصائص الأجزاء، فكما تجتمع مجموعة من العناصر الكيميائية لتنتج شيئا آخر مختلفا تماما، ينتج تجمع الأفراد كائنا يسمو فوقهم نسميه "المجتمع".

إن الأخلاق حسب دوركايم هي منتوج اجتماعي أفرزته حاجة إليه، وهي مستمرة لأنها تؤدي وظيفة داخل المجتمع، أما الفرد فلا يشكل أي تهديد لها، وذلك لأنه لا يملك أي فاعلية مهمة داخل المجتمع. فالكائن الجمعي وحده الذي يقرر، بناء على ما يصب في مصلحة الجميع. ومن جهة أخرى فإن الأخلاق بفعل التنشئة الاجتماعية، لا تعود ذات صفة قاهرة، بل تغدو مثلا أعلى يلوح للنظر، يشوقنا ويجذبنا إليه تطلعا لغاية رفيعة تسمو بنفسها على الحواجز والحدود.⁽²⁾ وهكذا فإنه لا يكون هناك داع لأقلية تملك سلطة لا حدود لها، حتى تستطيع الأخلاق البقاء والحفاظ على استمرارها، فهي ذاتبة داخل الجماعة، بحيث أن كل فرد هو غير علمها ومستعد للدفاع عنها.

الحضارة وأمراض المجتمع الحديث:

لقد كان دوركايم، مقارنة بكثير من المفكرين غيره، متفائلا ومسرورا بمنجزات الحضارة الغربية في ذلك الحين، كما كان أيضا متأنيا ولا يتسرع في تشخيص أي مرض داخل المجتمع، حيث كان مبدأه يقتضي أنه لا يجب الحكم على شيء بأنه مرضي إلا إذا تجاوز حدا معين، حتى وإن تعلق الأمر بالجريمة أو أي شكل آخر من أشكال الإنحراف. وقد طبق دوركايم هذا المبدأ على الإنتحار، فاعتبر أن السرعة التي تزايدت فيها الإنتحارات لا تسمح بأي فرضية أخرى، فقد تضاعفت في أقل من خمسين عاما ثلاثة أضعاف، وحتى أربعة وخمسة، حسب البلدان. ولكون هذه الإنتحارات ترتبط بما هو متأصل بعمق في بنية المجتمعات، وتعبّر في نفس الوقت عن مزاجها، فإنه لا بد من أن تكون البنية الاجتماعية قد فسدت بعمق خلال هذه الفترة، كي تتمكن من التسبب بمثل هذه الزيادة في معدل الإنتحارات.⁽³⁾

شكل الإنتحار بالنسبة لدوركايم مدخلا لتحديد أمراض المجتمع بشكل عام، وقد لفتت هذه الظاهرة بالتحديد انتباهه دون غيرها، لكونها أصبحت متفشية أكثر من أي وقت مضى عندما تقدم المجتمع، وبالتالي فقد بدت كما لو أنها تشكل تجليا غريبا من التجليات المرضية للتحضر. وقد كان هذا ما دفع بدوركايم إلى طرح عدة تساؤلات، وعندما قام بتحليل مجموعة من المعطيات التي جمعها من عدد من البلدان الأوروبية التي كانت تعد الأكثر تقدما حينها، لاحظ أن التغيرات التي افترضتها احصاءات الإنتحارات لم تكن طبيعية أو اعتيادية، واعتبر أنه حتى من دون أن نعرف مما تتكون هذه الإحصاءات، يمكننا التأكيد مسبقا بأنها لا تنجم عن تطور مطرد، وإنما عن زلزلة مرضية أمكنها أن تجتث مؤسسات الماضي، ولكن من دون أن تضع مكانها أي شيء.⁽⁴⁾ وقد كان هذا تفسير دوركايم ليس فقط لتزايد نسبة الإنتحارات، وإنما لكل المشاكل الاجتماعية التي صاحبت التقدم. فمجتمع من المجتمعات لا يمكنه أن يغير بنيته بهذه الفجائية، وذلك لأن الأمر يتطلب سلسلة من

¹ دوركايم، نفس المرجع، ص ٢٠٦.

² إميل دوركايم، علم اجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص ١٢٢.

³ إميل دوركايم، الإنتحار، ت حسن عودة، ط ١، (دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١) ص ٤٨٠.

⁴ دوركايم، نفس المرجع السابق، ٤٨١.

التحولات البطيئة وغير المحسوسة تقريبا، حتى يتوصل إلى اكتساب خواص أخرى مختلفة⁽¹⁾. وهذا معناه أنه ليس هناك من داع للإعتقاد بأن هذا التناقض عائد إلى الطبيعة الجوهرية للتقدم، بل إلى الشروط الخاصة التي يتحقق داخلها في هذه الفترة، إذ لا يوجد ما يؤكد أنها شروط سوية طبيعية. فلا ينبغي إذن الإستسلام للإنهار بريق تطور العلوم والفنون والصناعة، إذ من المؤكد جدا بأنه يجري وسط هياج مرضي يستشعر الجميع عواقبه الوخيمة، ومن الممكن - حسب دوركايم دائما- أن الحركة التصاعدية للإنتحارات يعود أصلها إلى حالة مرضية تواكب سير المدينة، ولكن دون أن تكون الشرط الضروري لهذا السير⁽²⁾.

يتفق فرويد مع فكرة دوركايم في أن الحضارة قد جلبت الكثير من الأمراض للمجتمع، لكنه لا يرجع ذلك، على نحو ما فعل دوركايم، إلى سبب أن التغيير كان أسرع من قدرة المجتمع على التكيف، وإنما يرجعه إلى التعارض القائم بين جوهر الحضارة المبنية على الكبت، والطبيعة الإنسانية. فالمجتمع المتحضر - حسب فرويد- ينتزع السلوك الخير من الأفراد، ولا يقلقه شيء فيما يتعلق بالحوافز الكامنة وراءه، فيحصل على طاعة عدد كبير من الناس لا يحذون حذو ما تمليه طبيعتهم الخاصة. والمجتمع، الذي يشجعه هذا النجاح، يعاني لكي يصل إلى تشديد المستوى الأخلاقي إلى أعلى درجة ممكنة، فيجبر بذلك أعضائه على اغتراب أكبر عن استعداداتهم الغريزية⁽³⁾. إن الفرد، كما يرى فرويد، هو بالقوة والفرض عدو للحضارة، التي هي في الأساس لصالح البشرية قاطبة. فبني الإنسان لا يحسنون في المرة الحياة في عزلة وعلى انفراد، لكنهم مع ذلك، يشعرون بوطأة اضطهاد ثقيلة بحكم التضحيات التي تنتظرها الحضارة منهم، حتى تجعل حياتهم المشتركة ممكنة⁽⁴⁾.

يرى فرويد أن النزوع إلى العدوان يشكل العامل الرئيسي للخلل في علاقة الأفراد فيما بينهم، وهو الذي يفرض على الحضارة عبء جهود كثيرة، وبفعل هذه العدوانية الإبتدائية التي تؤلب بني الإنسان بعضهم على بعض، يجد المجتمع المتحضر نفسه مهددا باستمرار بالإنهييار والدمار. ولا يكفي للمحافظة عليه، الإهتمام بالعمل التضامني. فالأهواء الغريزية أقوى من الإهتمامات العقلية⁽⁵⁾.

من جهة أخرى يشكل الكبت الذي تقوم عليه الحضارة، بالنسبة لفرويد أصل كل أشكال الأمراض العصبية. وذلك لأن الكميات الكبيرة التي يتم تثبيتها داخل الأنا، تعمل ضد الذات على نحو تدميري، والشخص في سورة الغضب يبين كيف يتم الإنتقال من العدوان المقيد إلى تدمير الذات، وذلك بتحويل عدوانه على ذاته، فيجذب شعره أو يلطم وجهه⁽⁶⁾. والواقع أن هذا الإهتمام بالدوافع العدوانية لم يثر فرويد على نحو قوي حتى أواخر حياته، حيث تأثر بظروف الحرب العالمية الأولى. لكن هذا لا يعني أنه لم يكن يعتبر الحضارة سببا أساسيا في الأمراض العصبية من قبل، وإنما كان يولي الإهتمام الأكبر للدوافع الجنسية. ولا يعني هذا أيضا أن اهتمامه بالليبدو قد نقص في كتاباته الأخيرة، ففرويد ظل طوال حياته متمسكا بأهمية الدوافع الجنسية بالنسبة للصحة النفسية فوق كل شيء آخر. واعتبر أن مطالب الأخلاق الجنسية للحضارة الراهنة

¹ دوركايم، نفس المرجع، ص ٤٨٠.

² دوركايم، نفس المرجع، ص ٤٨٠.

³ سيغ蒙德 فرويد، أفكار لأزمة الحرب والموت، ت سيمر كرم، ط ٢، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١) ص ٢١.

⁴ سيغ蒙德 فرويد، مستقبل وهم، ت جورج ترايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨، ص ٩.

⁵ سيغ蒙德 فرويد، قلق في الحضارة، ت جورج ترايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦، ص ٧٣.

⁶ سيغ蒙德 فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ت سامي محمود علي - عبد السلام القفاش، ط ١ (مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠) ص ٣٢.

تدفع نحو أشكال من المرض أكثر تبكيرا وأشد خطورة.⁽¹⁾ فالحضارة الحديثة تحاول أن تكون واضحة وهي تحذر من أنها لن تسمح بأي نوع من العلاقات الجنسية، إلا ما كان أساسه إنشاء علاقة نهائية لا انفصام لها بين الرجل والمرأة، وهي تؤكد أيضا أنها لن تقبل بأي حال من الأحوال أن يكون إتيان الجنس كمصدر لتحصيل المتعة، وتصر على أنها لن تسمح به إلا بوصفه وسيلة تكاثر الجنس البشري.⁽²⁾ ونتيجة هذا حسب فرويد، هي توجه الرغبات الجنسية إلى شق طريقها للظفر بأشباع بديل عصابي في صورة عرض مرضي. ومن له إلمام بالشروط التي تتسبب في وقوع الإنسان ضحية المرض العصبي، لن يعز عليه أن يقتنع أن تزايد الأمراض العصبية في المجتمع المتحضر ناجم عن زيادة القيود الجنسية.⁽³⁾ فالفرد الذي عنده استعداد أولي للهستيريا، يصير هيستيريا بالفعل حين تلج عليه مطالبه الجنسية إلحاحا شديدا إثر البلوغ أو نتيجة لظروف خارجية، وبين ضغط الغريزة ومقاومة النفور الجنسي لها، يظهر المرض باعتباره حلا، يقوم بتحويل النوازع الجنسية إلى أعراض مرضية.⁽⁴⁾

إن فرويد يرى أن مبدأ اللذة هو وحده الذي يحدد هدف الحياة، ويتحكم من البدء بعمليات الجهاز النفسي، ولا يمكن لظل من الشك أن يحوم حول نفعه، ومع ذلك يقف الكون قاطبة من برنامجه موقف الخصام والتحدي، فهذا البرنامج غير قابل للتحقيق بالمرّة، ونظام الكون بأسره يقف في وجهه، حتى لتساور المرء الرغبة في القول أنه لم يدخل في خطة "الخلق" البتة أن يكون الإنسان "سعيدا".⁽⁵⁾ وهكذا فإن المجتمع يدفع ثمن الإنصياع لأوامره ونواهيه البعيدة المدى تزيادا في العصبية، ولا يمكنه تسجيل أي كسب لقاء التضحية، بل هو في الواقع لا يحرز أي كسب.⁽⁶⁾

إن دوركايم على خلاف فرويد، لم يرى في التناقض القائم بين رغبات الفرد وقيم المجتمع، سببا في تعاسة الأفراد. وفي كتابه حول الإنتحار، أشار دوركايم إلى منظوره حول العصاب وتشكل الأمراض العصابية، حيث توصل إلى خلاصة عامة مفادها: "الإنتحار يتغير عكسيا مع درجة اندماج الجماعات الإجتماعية، التي يشكل الفرد جزء منها".⁽⁷⁾ وقد كانت الافتراضات التي طرحها هي أن الإنتحار يتغير عكسيا مع درجة اندماج المجتمع الديني، ودرجة اندماج المجتمع العائلي، وكذا درجة اندماج المجتمع السياسي.⁽⁸⁾ فالقوة الجمعية هي أحد العوائق القوية التي يمكنها أن تكبح الإنتحار على أفضل نحو، فحين يكون المجتمع مندما بقوة، يضبط الأفراد داخل فلكه، معتبرا بأنهم موجودون من أجل خدمته، ولا يسمح لهم بالتالي بأن يتصرفوا حسب أهوائهم وأهوامهم، فهو يعارض إذن أن يتملصوا عبر الموت من واجباتهم تجاهه.⁽⁹⁾

وعلى هذا الأساس فإن الأمراض العصابية عند دوركايم لا تنشأ عن وقوف المجتمع في وجه رغبات المريض الغريزية، وإنما تنشأ عن ضعف تماسك المجتمع، وعجزه عن ادماج أفراد. وقد ميز دوركايم في بحثه حول الإنتحار بين ثلاث أنماط:

- ¹ سيغموند فرويد، الحياة الجنسية، ت جورج ترايشي، ط ٣، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩، ص ٥١.
- ² سيغموند فرويد، الحب والحرب والحضارة والموت، ت ع المنعم الحفني، ط ١، (القاهرة، دار الرشد، ١٩٩٢) ص ٧٠.
- ³ سيغموند فرويد، الحياة الجنسية، ت جورج ترايشي، ط ٣، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩، ص ٥٢.
- ⁴ سيغموند فرويد، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، ت جورج ترايشي، ط ٢، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٣) ص ٤١.
- ⁵ سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ت جورج ترايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦، ص ٢٣.
- ⁶ سيغموند فرويد، الحياة الجنسية، ت جورج ترايشي، ط ٣، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩، ص ٦٢.
- ⁷ إميل دوركايم، الإنتحار، ت حسن عودة، ط ١، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ص ٢٥٤.
- ⁸ دوركايم، نفس المرجع، ٢٥٣.
- ⁹ دوركايم، نفس المرجع، ص ٢٥٥.

الإنتحار الإيثاري، والإنتحار الأنومي أو الفوضوي (أي الذي ينجم عن فوضى ناجمة عن فقدان النظام الشرعي). ثم الإنتحار الأناني. والذي فسره دوركايم بالأنانية، حيث اعتبر أنها ليست عاملاً مساعداً من عوامله، وإنما هي السبب المولد له، فإذا ما تراخى الرابط الذي يشد الإنسان إلى الحياة في هذه الحالة، فلأن الرابط الذي يشد المجتمع هو نفسه قد تراخى، فالأمر لا يرجع إلى أحداث الحياة الخاصة، والتي تبدو أنها تحدث بشكل مباشر على الإنتحار، وبأنها تمثل الشروط الحاسمة له، وذلك لأنها ليست في الحقيقة سوى أسباب اتفافية، فإذا ما استسلم الفرد لأقل صدمة من صدمات الظروف المحيطة، فلأن الحالة التي يكون فيها المجتمع جعلت منه ضحية جاهزة للإنتحار.⁽¹⁾

ليس هناك شك في أن دوركايم اعتبر أن الحضارة قد جلبت معها بعض المآسي، وقدمت بعض الحسنات، التي لم تكن في النهاية إغناء إيجابياً، ولا زيادة في رأسمال السعادة، وإنما مجرد تعويض عن الخسائر التي سببتها هي نفسها.⁽²⁾ لكنه في الآن ذاته، رفض الاعتقاد بأن الحضارة تنتج هذه النتائج لضرورة في طبيعتها، فهي تنتجها فقط في ظروف استثنائية وشاذة، ولكي تتمكن من النمو دون أن تؤثر مثل هذا التأثير الهدام على الشعور الإنساني، ليس من الضروري أن تقام عليها تعديلات جذرية، بل يجب ويكفي أن تظل الأمور كما هي ولا يتدخل شيء من الخارج ليشوه طبيعتها.⁽³⁾ إن دوركايم مع أنه وجه مجموعة من الإنتقادات للمجتمع المتحضر، لكن لم يساوره أي شك فيما إذا كانت الحضارة تستحق التضحيات التي قدمت من أجلها، ولم يتصور أن الفرد قد يكون سعيداً خارج المجتمع. فسلامة الصحة النفسية، لا تتحقق بالنسبة له، إلا في ظل مجتمع متماسك، قادر على التحكم في سلوكيات أفرادهِ وتوجيهها. فبقدر ما يكون المجتمع ضعيفاً وغير قادر على التدخل في كل تفاصيل حياة الفرد، بقدر ما يكون هذا الأخير ضعيفاً أمام الأزمات، ومستعداً للتخلي عن الحياة.

على غرار دوركايم، قام فرويد هو الآخر بانتقاد الحضارة، حيث اعتبر أنها تفرض مجموعة من التضحيات الباهظة، لا على الجنسية فحسب، بل أيضاً على العدوانية، وهو ما يجعل من العسر على الإنسان غاية العسر أن يجد فيها سعادته.⁽⁴⁾ لكن خلافاً لدوركايم، كان فرويد متردداً باستمراره، وشكاً فيما إذا كانت كل المنجزات التي حققها المجتمع الغربي في عصره، تستحق مقايضتها بسعادة الأفراد، كما كان يرى أيضاً أن الخصومة بين الفرد والمجتمع لا تنتهي، حيث قال في أحد مؤلفاته: "أثناء تطور الإنسان الفرد المنعزل يبقى منهاج مبدأ اللذة، أي البحث عن السعادة، هو الهدف الرئيسي، بينما يبدو الاندماج أو التكيف في جماعة من الجماعات الإنسانية شرطاً شبه محتوم ولا مفر لنا من التقيد به تقيدنا بنشداننا للسعادة. ولو لم يكن لهذا الشرط من وجود، فلربما كانت الحال أحسن".⁽⁵⁾

خاتمة:

يكنم الإختلاف الجوهرى بين فرويد ودوركايم، في القيمة التي يمنحها كل منهما للمجتمع والحياة الإجتماعية، فدوركايم يرى أن المجتمع هو أسى تجل للوجود البشرى، فهو الذي خلص الإنسان من حياة الطبيعة، وأخرجه من منزلة الحيوان ومنحه قيمته كإنسان، وبالتالي فهو يدين له بالولاء والطاعة، أما الحضارة فهي أسى تجل للحياة الإجتماعية، وإذا كانت تتضمن بعض المشاكل، فذلك ليس نابعا من طبيعتها، وإنما هو ناجم عن الظروف التي تحدث ضمنها، فالتغير الإجتماعي يتطلب

¹ دوركايم، نفس المرجع، ص ٢٦٢.

² إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت حافظ الجمالي، ط ٢، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢، ص ٣٨٢.

³ دوركايم، نفس المرجع، ص ٤٢٠.

⁴ سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ت جورج ترايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦، ص ٧٧.

⁵ فرويد، نفس المرجع، ص ١١١.

وقتا طويلا حتى لا تنجم عنه أي عواقب، لكن في كل الأحوال يكون المجتمع والأفراد في حالة جيدة فقط، إذا كانت الأخلاق قوية بما يكفي لضبط سلوك الأفراد، فهي تشكل بالنسبة لدوركايم، المقياس الذي يظهر مدى سلامة المجتمع وبالتالي سلامة الأفراد. أما بالنسبة لفرويد فالأخلاق ليست دائما ذات أثر إيجابي ونافع في حياة الإنسان، فهي تشكل المصدر الأساسي لتعاسته، وذلك من خلال الكبت والقمع الذي تمارسه على الرغبات الجنسية (الليبدو)، والذي يشكل المصدر الأول لكل الأمراض النفسية، فالفرد بالنسبة لفرويد لا يمكنه على الإطلاق تحصيل السعادة والخضوع لضوابط المجتمع في نفس الوقت، لاسيما المجتمع المتحضر الذي لا يكف عن إضافة المزيد من القيود على الجنس، دون أن يعبر أي اهتمام لقدرة أفرادها على تحملها، وينجم عن هذا أن المجتمع يخلق أشد أعدائه داخل رحمه، فحيلولة المجتمع دون سعادة الفرد لا بد أن تنتهي بدمار أحدهما.

قائمة المراجع:

١. رونالد سترومبورغ، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، ت أحمد الشيباني، ط ٣، جمهورية مصر العربية: دار القارئ العربي، ١٩٩٤.
٢. بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين (الجزء الأول)، ط ١، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.
٣. فيليب كابان وجون فرونسا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ت إياس حسن، ط ١، دمشق، دار الفرقد، ٢٠١٠.
٤. أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ت فايز الصياغ، ط ٤، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥.
٥. ايميل دوركايم، الانتحار، ت حسن عودة، ط ١، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١.
٦. ايميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ت حافظ الجمالي، ط ٢، بيروت، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٢.
٧. ايميل دوركايم، علم اجتماع وفلسفة، ت حسن أنيس، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦.
٨. سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ت جورج ترايبشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦.
٩. سيغموند فرويد، الحياة الجنسية، ت جورج ترايبشي، ط ٣، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٩.
١٠. سيغموند فرويد، مستقبل وهم، ت جورج ترايبشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨.
١١. سيغموند فرويد، علم نفس الجماهير، ت جورج ترايبشي، ط ١، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٦.
١٢. سيغموند فرويد، أفكار لأزمة الحرب والموت، ت سمير كرم، ط ٢، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١.
١٣. سيغموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ت سامي محمود علي - عبد السلام القفاش، ط ١ مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠.
١٤. سيغموند فرويد، الحب والحرب والحضارة والموت، ت ع المنعم الحفني، ط ١، القاهرة، دار الرشد، ١٩٩٢.
١٥. سيغموند فرويد، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، ت جورج ترايبشي، ط ٢، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٣.

إشكالية البحث في التراث المعماري الواحي:

دراسة نموذجية للقصور والقصبات والمخازن الجماعية بواحات إقليم طاطا

د. امبارك بوعصبة، أستاذ التعليم العالي مساعد/المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، القنيطرة، المغرب

ملخص:

يكتسي التراث المعماري بالواحات أهمية بالغة، بالنظر لثرائه وأصالته وتنوع معالمه. وتعد القصور والقصبات المنتشرة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، أهم هذه المنشآت التي ما تزال شامخة بادية للعيان تشهد على فن معماري أصيل من كل جوانبه، وواحات إقليم طاطا من أهم المناطق احتضانا للقصور والمواقع الأثرية والتاريخية التي تميزت بتراثها وأبنيتها الفريدة من حيث التصميم والتنفيذ والتفاصيل، والتي تعكس هوية وحضارة المنطقة، والرابط بين ماضيها وحاضرها، والدليل الواضح على عراقتها وأصالتها، والذي أعطى للمنطقة أهميتها منذ قرون..

وبالرغم من هذه الأهمية؛ لم يحظى موضوع التراث المعماري بهذه المنطقة بالعناية الكافية من طرف الباحثين المغاربة، لذلك فهو يحتاج إلى مزيد من الاهتمام وتعميق البحث لاستجلاء كل الجوانب المرتبطة به، وإلى ترسيخ الوعي بأهمية هذا التراث؛ لما له من بعد أنساني وثقافي وحضاري، والسبب في ندرة الدراسات، حسب اعتقادنا، مرده إلى الإشكاليات الكثيرة التي غالبا ما تقف عائقا أمام الباحث في هذا الميدان.

وعلى هذا الأساس، فإن العرض من هذا المقال يتمثل في الوقوف عند مختلف الإشكاليات التي تعيق البحث في موضوع القصور، بهدف فتح مزيد من آفاق البحث لتجميع المعطيات التاريخية والمعمارية لهذه المعالم، وإثارة الانتباه إلى المخاطر التي تهددها وإلى ضرورة إنقاذها ورد الاعتبار لها، والتعرف عليها في أوساط الباحثين، ليس فقط كمباني وتراث معماري، ولكن كمؤسسات اجتماعية واقتصادية وثقافية، فكل قصر وقصبة يتطلب دراسة مفصلة؛ تروم فضلا عن تحديد أهميته التاريخية والمعمارية، التفكير في سبل حمايته ورد الاعتبار إليه، وإدماجه في التنمية.

الكلمات المفتاحية: إقليم طاطا - القصور - القصبات - التراث المعماري - الإنقاذ.

مقدمة:

يزخر إقليم طاطا¹ بالعديد من المنشآت المعمارية والمواقع الأثرية والتاريخية التي تميزت بتراثها وأبنيتها الفريدة من حيث التصميم والتنفيذ والتفاصيل، والتي تشكل في مجموعها تراثا معماريا غنيا ومتنوعا يميز الإقليم؛ وقد استطاع هذا التراث أن يصمد للبقاء والاستمرار، بينما نجد الكثير منه اندثر والبعض الآخر مهدد بالخطر.

¹ - يقع إقليم طاطا على الواجهة الجنوبية الغربية لسلسلة الأطلس الصغير الغربي ما بين خطي عرض 28° و 30° وخطي الطول 5° و 9° تغطي ساسلة جبال الأطلس الصغير مساحة مهمة وكذا سلسلة جبال باني وجبال الوركيز، وهما درعة، على مساحة تقدر ب 25925 كلم مربع، وتحترق هذه

وتشكل القصور والقصبات والمخازن الجماعية أهم الظواهر العمرانية بإقليم طاطا، والتي تبرز التطورات التاريخية التي عرفها هذا المجال، وقد اضطلعت قديما هذه المنشآت بوظائف عديدة وامتزجت بشتى مستويات الحياة، حتى انه ما من سبيل لفهم الجنوب المغربي والإحاطة بماضيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني إلا بتمثل ما كان لها من أدوار.

والقصور والقصبات بإقليم طاطا من أبرز المعالم العمرانية التي تعكس هوية وحضارة المنطقة، والرابط بين ماضيها وحاضرها، والدليل الواضح على عراققتها وأصالتها والذي أعطى للمنطقة أهميتها منذ قرون مضت وحتى اليوم. ولو تأملنا بدقة المظهر العام لهذا التراث المادي وهندسة بنائه ومكوناته المعمارية وعناصره الزخرفية، فإننا حتما سنجد أنفسنا أمام نتاج معماري فريد، يتجلى في الإبداع والأصالة والإتقان والبراعة في التخطيط وأساليب التزيين والزخرفة، فضلا عن القدرة في المزج بين هذه العناصر وتحقيق الانسجام التام فيما بينها. وقد ظل الطراز المعماري بخصائصه الفنية صامدا لفترة طويلة رغم تغير الظروف والأحوال، إلا أن التوجه نحو النمط العمراني الحديث والغريب عن البيئة المحلية، تحت مصوغات التحضر والتطور والبحث عن المتانة، دون إدراك ما يترتب عن ذلك من إضعاف وإهمال للموروث المعماري التقليدي¹، أوجد نظرة دونية تجاه العمارة الطينية عند الأجيال الجديدة مما يمكن أن يعمق العزلة بين الإنسان والبيئة

وبالرغم من هذه الأهمية؛ لم يحظى موضوع التراث المعماري بهذه المنطقة بالعناية الكافية من طرف الباحثين المغاربة، وتغطيته بشكل دقيق، وفهمه من خلال سياقه التاريخي والبيئي، في وقت تم فيه الاهتمام بالتراث المادي للحواضر المغربية خصوصا الوسيطة منها. وسعيا لتدارك ذلك، فإن هذا المقال يهدف إلى التنبيه إلى ضرورة وأهمية دراسة هذا التراث بمنهج علمي وتوثيقه² والحفاظ عليه وإعادة تأهيله ليتلاءم مع ظروف العصر والتحولت الحضارية المستمرة. ومعالجة الإشكاليات العلمية المرتبطة به والتي مازالت عالقة. انطلاقا من جرد المنشآت المعمارية التراثية لإقليم طاطا، والتعرف على مكوناتها المعمارية واستعراض خصائصها العمرانية والمعمارية، وتحليل العوامل البيئية والمناخية التي ساهمت في تشكيل نسيجها العمراني للتعرف على حيثياتها ومكوناتها والمساهمة في تأصيل قيمها الحضارية والثقافية والعمرانية، وما يرتبط بذلك من عناصر عمرانية ومعمارية ولمسات فنية وزخرفية تهدف إلى فهم النمط³ والتكوين العمراني للقصور والقصبات بالإقليم، وإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينها بهدف استخراج المعايير الواضحة لتصنيفها، وبيان الدور الوظيفي لها وذلك من خلال ربطها بمجموعة من المعطيات الاقتصادية والبشرية والسياسية والطبيعية. لذلك فهذا التراث المعماري لازال في حاجة إلى مزيد من الاهتمام وتعميق البحث لاستجلاء كل الجوانب المرتبطة به، وإلى ترسيخ الوعي بأهميته؛ لما له من بعد أنساني وثقافي وحضاري، والسبب في ندرة الدراسات، حسب اعتقادنا، مرده إلى الإشكاليات الكثيرة التي غالبا ما تقف عائقا أمام الباحث في هذا الميدان.

السلاسل الجبلية روافد وادي درعة ووادي طاطا وادي تمارت ووادي المالح ووادي فم زكيد. تحده أقاليم تيزنيت وكلميم غربا وإقليم تارودانت شمالا وإقليمي زاكورة و ورزازات في الشمال الشرقي وإقليم أسا الزاك جنوبا والحدود المغربية الجزائرية في الشرق والجنوب الشرقي. ويتوزع سكان الإقليم بين أربع بلديات: طاطا وأقا وفم الحصن وفم زكيد و ١٦ جماعة قروية وأزيد من ٢٥٠ مدشرا.

¹ - تنوع دلالات العمارة التقليدية بتنوع فئات مستخدميه، فيطلقه الآثاريون والمؤرخون على العمق الأثري والتاريخي لطراز العمارة المحل ية، أما المعمارون فيطلقونه على المباني التي أنشئت وفق التقاليد المعمارية المحلية.

² - عملية التوثيق المعماري هي إحدى عمليات البحث العلمي من حيث أنه عملية تسجيل الحقائق والمعلومات عن طريق وصف كل عنصر من العناصر الذي يتكون منها المبنى ورفعها وتصويرها.

³ - النمط العمراني هو مجموعة من الخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي تتفاعل فيما بينها فينتج عنها النمط أو الطابع العمراني الذي يتنوع بتنوع تلك الخصائص.

وعلى هذا الأساس، فإن الغرض من هذه الموضوع يتمثل في الوقوف عند مختلف الإشكاليات التي تعيق البحث في موضوع القصور، بهدف فتح مزيد من آفاق البحث لتجميع المعطيات التاريخية والمعمارية لهذه المعالم، وإثارة الانتباه إلى المخاطر التي تهددها وإلى ضرورة إنقاذها ورد الاعتبار لها، والتعرف عليها في أوساط الباحثين ليس فقط كمباني وتراث معماري، ولكن كمؤسسات اجتماعية واقتصادية وثقافية، فكل قصر أو قصبة أو حصن يتطلب دراسة مفصلة، تروم فضلا عن تحديد أهميته التاريخية والمعمارية، التفكير في سبل حمايته ورد الاعتبار إليه، وإدماجه في التنمية.

لذلك سيكون تركيزنا في هذا المقال على الإشكاليات التالية:

إشكالية البحث في الجانب التاريخي والعمراني للقصور والقصبات بمنطقة طاطا.

إشكالية التراث المعماري للقصور والقصبات وربطه بالتنمية.

إشكالية التدبير التقني والقانوني لهذا التراث المعماري.

إشكالية تنميط القصور والقصبات بمنطقة طاطا.

١. القصور والقصبات وإشكالية الدراسة التاريخية والعمرانية.

تعرف واحات بلاد المغرب انتشارا واسعا للقصور والقصبات ذات القيمة التاريخية والأثرية والعمرانية، تكاد تشكل حزاما فاصلا بين المناطق الجنوبية حيث تكثر الكتبان الرملية وبين المناطق الشمالية ذات الأراضي الزراعية الخصبة، وكان لهذا التعدد والثراء والتنوع في أشكال هذه المنشآت أثره البالغ على الباحثين، خاصة المستشرقين منهم وهو ما جعلهم يولون اهتماما كبيرا للمنشآت منذ أواخر القرن ١٩ م، باعتبارها حسب رأيهم، صورة لإبداع البربر الهندسي ونماذج حية للجغرافية البشرية والعمرانية البربرية^١.

وإزداد الاهتمام بها خلال العقود الأخيرة بنشر دراسات تميزت بالدقة والتركيز حول جوانب مختلفة من القصر، كدراسة الجانب التاريخي أو العمراني والمعماري؛ غير أن ما يلاحظ على هذه الدراسات أنها شملت عدد قليل من تلك المنشآت وركزت على ذات الأهمية التاريخية والمعمارية^٢، وما يلاحظ على هذه الدراسات أيضا؛ افتقارها للشمولية والمقارنة، وضعف التكامل بين التخصصات. وفي هذا الإطار نشير إلى أن المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية أصبحت تساهم بأبحاث حول القصور والقصبات مما وضع رهن إشارة الباحثين في التاريخ وغيرهم تصاميم للقصور^٣.

^١ - أيوب عبد الرحمان، من قصور الجنوب التونسي، القصر القديم، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨، ص: ١٣٠.

^٢ - من الدراسات التي تناولت بعض القصور نذكر:

- Jacques-Meunié (Djinn) et Meunié (Jacques): «Abbar, cité Royale du Tafilalet», Hespéris, Tome : XLVI, 1° et 2° trimestre, 1959, pp:7-72.

- Saidi Idriss: «étude architecturale des ksour du Tafilalet, dossier d'analyse et de diagnostic », Oasis Tafilalet, n° 1, 1999, pp: 3 - 34.

- Jacques-Meunié, (D) "Les oasis des Lektaoua et des Mehammid," Hesperis 27, 1947, pp: 399-429.

- تاوشيكح لحسن، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٨، جزءان.

- بوعصب امبارك، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين، التاريخ والمعمار والإنقاذ ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، ٢٠١٠-٢٠١١.

^٣ - من هذه الأبحاث نذكر:

وعليه، فإن التراث المعماري المتمثل في قصور وقصبات واحات المغرب ما تزال في حاجة إلى جهود الباحثين الأثريين والمؤرخين، ولعل السبب في قلة الدراسات حول هذه المناطق يعود إلى الإشكاليات العديدة التي تعيق الباحثين في هذا الميدان، والتي غالباً ما تكون إشكالية مركبة، غالباً ما يركز شقها الأول على استحضار البعد التاريخي للقصور عبر دراسته في محيطه الطبيعي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وشقها الثاني على استعراض الخصائص العمرانية والمعمارية للقصور، وذلك من خلال الوقوف على تخطيطها ومكوناتها المعمارية وعرض الأسس التي قام عليها هذا التخطيط، وتحديد ودراسة المرجعيات التي ساهمت في تشكيل هذه العمارة، فيما تركز الشق الثالث على الوضعية الراهنة لهذا التراث؛ من خلال البحث في مجموع التحولات التي عرفتها، وعوامل تدهوره، وكيفية المحافظة عليه وإدماجه في التنمية المحلية، وأخيراً إشكالية التدبير التقني والقانوني لهذا التراث.

١.١ الجانب التاريخي:

ويتعلق الأمر بتحديد الأصول التاريخية والمراحل الزمنية التي شيدت خلالها مكونات التراث المعماري بإقليم طاطا قصورا كانت أو قصبات أو مخازن أو غيرها، والقبائل التي سكنتها، مع استحضار صعوبة الحصول على هذه المعطيات في المصادر التاريخية وحتى إن وجدت فهي قليلة وتهم قصور وقصبات دون أخرى، فيما تكاد تكون منعدمة بالنسبة لغالبيتها. فالمصادر التاريخية لا تمدنا بالكثير من المعلومات عن عمارة القصور وقصبات طاطا، ما عدا بعض الحالات التي لفتت فيها هذه الأبنية نظر المؤرخين بعظمتها، أو بكبر مساحتها أو عدد سكانها أو أبنيتها، ومن أمثلة ذلك قصبة تكاديرت ن. اوكليد. ومن أهم هذه الكتابات ما ورد عند "المعسول" و"خلال جزولة" لمحمد المختار السوسي، وهي روايات جاءت في سياق الحديث عن وقائع وأنماط حياة تشهدها قبائل الأطلس، إذ نجد بين ثناياها إشارات لتواريخ تشييد بعض القصبات والمخازن الجماعية¹.

وبالرغم من هذه الإشارات المتفرقة، لم تتمكن مختلف الدراسات والبحوث المنجزة لحد الآن من تحديد تاريخ مضبوط لأصل هذه المخازن الجماعية سواء باعتبارها مؤسسات قبلية قائمة الذات، أو نماذج معمارية فريدة، فالموضوع لا يزال يثير أكثر من إشكالية². وحتى مجهودات وكتابات المستكشفين الأوروبيين من جغرافيين واثنوغرافيين وغيرهم الذين حاولوا النبش في بعض الإشكاليات المرتبطة بالقصور والقصبات لم تقدم الإجابات المقنعة، بحكم اهتمامهم بهذه المؤسسات ضمن حملات استكشافية منظمة ركزت على الإطار الجغرافي الذي تتواجد به هذه المعالم المعمارية³، رغم أن البعض حاول البحث في أصول وأسباب ظهور هذه القصور والقصبات والمخازن⁴، لكن غياب أدوات التحليل الكافية أحياناً؛ خصوصاً ما يرتبط بتنوع مصادر المعلومات والتمكن من فهم كل المعطيات الثقافية والتاريخية والجغرافية للمنطقة، حال دون تحقيق

- البلعشي عبد الرحمان، آيت حسانين ابراهيم، النخلي عبد اللطيف، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، ١٩٩٢.

¹ - السوسي محمد المختار، خلال جزولة، مطبعة المهديّة، تطوان، ج ٤.

- السوسي محمد المختار، المعسول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج ٣، ١٩٦١.

² - آوموس احمد، في الأصول التاريخية والخصائص المعمارية للمخازن الجماعية (إكودار) بمناطق الأطلس، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم ٣٧، ٢٠١٣، ص: ٧٩.

³ - Meunié, Dj.J, « Les Greniers-citadelles du Maroc, ed, Arts et Métiers Graphiques », 2 Volumes, 1952.p. 190.

⁴ - Montagne, R. « Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, l'agadir des Ikounka », Hespris, 1929, pp: 145-266.

الأهداف العلمية المنتظرة وبالرغم من ذلك يبقى لهم السبق في الكشف عن جوانب كثيرة من تاريخ هذه المؤسسات والتعريف بها. لكن يبقى البحث التاريخي والأثري مشروعا أمام الباحثين للمزيد من التعمق في كل ما له ارتباط بتاريخ هذه المؤسسات.

أمام هذا الوضع، فإن الرجوع إلى الرواية الشفوية يعد أمراً حتمياً رغم افتقارها إلى الدقة أحيانا أو تناقضها أحيانا أخرى، وهو ما لا يطمئن له الباحث كثيراً. كما أن العمق التاريخي لبعض القصور يجعل الباحث لا يعير اهتماماً كبيراً للرواية الشفوية؛ وبذلك تبقى العديد من الأسئلة صعبة الإجابة وخصوصاً المرتبطة بتاريخ ودوافع تشييد بعض القصور والأدوار التي كان يقوم بها.

١. ٢. الجانب العمراني:

إذا كانت الإشكالية التاريخية مهمة لمعرفة المراحل الزمنية للقصور والقصبات، فإن الإشكالية العمرانية لا تقل أهمية عنها، ويقصد بها معرفة مراحل البناء التي مر بها القصر، فهل بني كتلة واحدة أم عرف امتداداً عمرانياً مع توالي الزمن وزيادة الساكنة، أو تطور مع وفود مجموعات بشرية عبر فترات زمنية مختلفة. وما هي الأجزاء الأصيلة من الأجزاء المضافة، ناهيك عما تعرضت له القصور من هدم وإعادة بناء بسبب العوامل الطبيعية والبشرية، إذ يواجه الباحث في القصور الصحراوية، قصور تحمل نفس الاسم مع إضافة جديد أو قديم - فوقاني أو تحتاني - صغير أو كبير، وهو ما يضع الباحث في حيرة، هل هو في إطار الدراسة الوصفية للمعلمة التي تحدثت عنها المصادر التاريخية أم لبنانية شيدت مكانها في فترة متأخرة وتحمل نفس الاسم؛ خصوصاً أن هذه المصادر لم تتجاوز أحيانا كثيرة حدود الانهيار بالعمارة أو بكلفة بنائها ولم تبدي رأيها فيها، أو إثارة النقاش في أمور تدخل في صميم الوصف المعماري والفني الدقيقين والتذوق الجمالي.

أضف إلى ذلك ما خلفته بعض الدراسات الأجنبية من أحكام متناقضة أحيانا، مما يعيق إمكانية القيام بدراسة مقارنة لقصور الواحات الصحراوية؛ فعلى الرغم من أن "هنري طبراس"¹ في كتابه قصبات الأطلس والواحات، ميز بين مدارس معمارية وفنية مختلفة، وذكر "مدرسة درعة" و"مدرسة تافيلالت" على أساس فروق هندسية وخصوصيات تقنية وفنية ووظيفية في الفن المعماري للمنطقتين، إلا أن هناك من الباحثين من يرى عكس ذلك؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر لا يرى المبعوث الفرنسي "شارل دوفوكو" أي اختلاف يمكن أن يميز معمار قصور درعة عن معمار قصور تافيلالت، بل يؤكد على التشابه الواضح بينهما والذي يبلغ حد التطابق بين المعالم المعمارية والفنية لدرعة وتافيلالت وتودغة وفركلة وغريس وزيز، باستثناء ما أشار إليه من تفرد الفن المعماري لواحة غريس بالطابع الدفاعي الواضح والارتفاع البارز لأبواب القصور وأبراجها².

٢. التراث المعماري للقصور وربطه بالتنمية.

أصبح التراث المعماري في مجال الواحات يحظى بدراسات مهمة ومتعدد الاتجاهات؛ لكونه تراث غني ومتنوع وفريد من نوعه، ولارتباطه الوثيق بالمجتمع والاقتصاد المحلي، وهي أسس مفهوم التنمية المستدامة، إلا أن السمة الغالبة لمعظم هذه

¹ - Henri Terrasse, « Kasbahs berbères de l'atlas et des oasis, éd. Horizons », de France, 1938.

² - ينظر كتاب شارل دوفوكو "Reconnaissance au Maroc"، طبعة Challamel، ١٨٨٨، الفصل السابع، من الصفحة ٢١٨ إلى ٢٣٨.

المبادرات التنموية كونها تنطلق من مرجعيات مختلفة عن هموم الإنسان المحلي وحاجاته الأساسية، وتعتمد تصورات ومناهج عمل يغلب عليها الطابع التقني والبيروقراطي¹.

أما الدراسات الميدانية فيطغى عليها الطابع الأكاديمي التي تنتهي نتائجها إلى الركون في رفوف الجامعات ومراكز البحث، كما يغلب عليها الاقتباس والتكرار والأسلوب الوصفي، مع إغفال الأبعاد السوسولوجية والرهانات الاقتصادية والسياسية لعلاقة المعمار بالمجال. هذه العيوب جعلت إشكالية مقارنة المعمار في الواحات عرضة لتفسيرات وتأويلات تفتقر إلى الدقة والعمق الكافيين لمقاربة أزمة الهوية التي تزداد حدتها في المجتمع الواحي². فغالبية الأدبيات المتوفرة حول القصور والقصبات - خصوصا الأبحاث الجامعية - محدودة العمق وسطحية التحليل وقاصرة عن الإلمام بالرهانات الاقتصادية والسياسية والتنموية التي تحيط بأزمة الهوية الثقافية والمجالية، وتفتقر للمنظور النقدي والتحليلي وتغفل بسبب ذلك أبعادا كثيرة للمشكلات المعقدة التي تتصل بتدبير التراث المعماري³.

٣. إشكالية التدبير التقني والقانوني التراث المعماري للقصور.

تتفق كل الدراسات الميدانية التي استهدفت الوقوف على الوضع الحالي للقصور في المناطق الواحية على حقيقة التدهور السريع الذي تتعرض له منذ عقود، رغم اختلاف حدته من قصر لآخر، ورغم صدور النصوص القانونية المتعلقة بالمحافظة على التراث الثقافي منذ السنوات الأولى من الحقبة الاستعمارية (ظهيرا ٢٦ نونبر ١٩١١)⁴، وظهيرا ١٣ فبراير ١٩١١ والتي على أساسها بني القانون الوطني ٢٢-٨٠ الجاري به العمل اليوم، لاغرابة والحالة هذه أن تظل التبعية قائمة للمدرسة الفرنسية وأدواتها المعرفية والتقنية في حماية التراث الثقافي ومعالجة إشكالاته، هذه التبعية في حد ذاتها تطرح إشكالا كبيرا يتعلق بافتقار المغرب لحد الآن لتصور واضح ومنهجية مستقلة نابعة من الحاجات الحقيقية للمجتمع المغربي حول استثمار الرأسمال الأثري والمعماري الوطني وإيجاد أجوبة خاصة لإشكالات تدبيره وإنقاذه.

وهذا ما يجعل عملية التدخل للحفاظ على التراث المعماري- الذي يدخل ضمن اهتمامات مديرية التراث- يواجه صعوبات؛ فإذا كانت عملية المحافظة على المباني المسجلة تجري طبقا لمقتضيات القانون ٨٠٢٢، فإن الحفاظ على المعالم الأخرى، خصوصا القصور التي في ملك الخواص، يطرح صعوبة المحافظة عليها من طرف الإدارة لعدم تسجيلها في عداد الآثار.

كما أن ربط قوانين التراث بقوانين ووثائق التعمير، وكذا ضوابط التصنيف عقد من مساطر المحافظة على التراث المعماري لمناطق انتشار القصور، فرغم وجود البند ٤ من قانون ٨٠٢٢ المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، والمتضمن أو المتعلق بتنفيذه ظهير رقم ١٨٠٣٤ بتاريخ ٢٥ دجنبر ١٩٨٨⁵.

¹ - أبا صادقي، إشكالية التدبير التقني والقانوني للتراث المعماري لمنطقة محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي (نموذج القصور)، ضمن التراث

المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم ٣٧، ٢٠١٣، ص: ١٩٦.

² - أبا صادقي، م س، ص: ١٩٦.

³ - نفسه.

⁴ - ظهير ١٦ ذي الحجة ١٣٣٠هـ/٢٦ نونبر ١٩١٢، الجريدة الرسمية، عدد ٥، بتاريخ ٢٩ نونبر، ١٩١٢.

⁵ - ج.ر عدد ٣٥٦٤ بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٨١.

كما وافق عليه مجلس النواب في ١١ يونيو ١٩٨٨، المركز على ظهيرا ٢١ يوليو ١٩٤٤، والذي بموجبه سجلت^١ كل الواحات الصحراوية كمواقع تاريخية في الفترة ما بين ١٩٤٤ و ١٩٥٩^٢، إلا أن اعتبار القصر كتجمع سكاني ذو ملكية خاصة يعرقل إمكانية ومساطر الترتيب^٣.

كما أن وجود اغلب القصور خارج المجال الحضري يجعلها غير مدرجة في وثائق التعمير و حتى تلك المتواجدة فتم تحديدها كمنطقات محمية يتم التعامل معها كالأتي:

- عدم الترخيص بالبناء في المساحات التي لا تبعد عن أسوار القصر بأكثر من ٢ متر.
- كل أشغال البناء من داخل القصر يجب أن تحترم النمط المعماري الأصيل.
- منع البناء بالمواد الحديثة (الصلبة).
- عدم تجاوز الارتفاع المتعارف عليه والمحدد في طابقين.

٤. إشكالية تنميط القصور.

إن تنميط القصور وتصنيفها إلى مجموعات، حسب العناصر والخصائص المشتركة تكتنفه صعوبة كبيرة من الناحية المنهجية؛ فمثل هذا العمل يتطلب دراسة إحصائية وزيارات متكررة لكل قصور المجال المراد دراسته، والإلمام بجميع عناصرها ومن كافة الجوانب وهو ما نفتقده اغلب الدراسات في الوقت الحالي^٤.

وبالرغم من ذلك؛ هناك محاولات سابقة لتنميط القصور الصحراوية، وخلالها قام مجموعة من الباحثين بتصنيف القصور إلى عدة أنماط، دون التمكن من وضع سلم زمني مضبوط وموحد يساعد الدارسين في هذا الحقل على إرجاع كل نمط إلى فترة زمنية معينة، وقد أدى هذا الاختلاف في الرؤى إلى تعدد الأنماط، ففريق اعتمد في تنميطه على الشكل الخارجي للصور، وفريق آخر يرى أن التخطيط الداخلي للقصر كفيل بتحديد نمطه، أما الفريق الثالث فيعتقد أن تنميط القصور

^١ - عملية التسجيل Inscription فيتم بطلب يقدم إلى السلطات المكلفة بالشؤون الثقافية يوضح موقع المعلمة أو الموقع أو التحفة الفنية مع وصف دقيق لها، كما يتضمن نبذة تاريخية عنها والوضعية القانونية التي تتمتع بها ...، وعند المصادقة عليه لا يجوز تغيير طبيعتها أو إدخال تغيير عليها، أو ... كما يمكن لمالكي الموقع والمعلم أن يستفيدوا من إعانات مادية عند الترميم ويمكن للإدارة أن تتكفل بذلك.

^٢ - (ABA) sadki (Urbanisme et conservation du patrimoine culturel présaharien cas des ksours du Tafilalet, mémoire de troisième cycle, institut National d'Aménagement et d'urbanisme, Rabat, 2003, p.133.

^٣ - بالنسبة لعملية الترتيب Classement تتم وفق النصوص التنظيمية المعمول بها حيث "يجرى بحث بشأن المعلمة وذلك خلال مدة سنة تبدأ من التاريخ الذي ينشر فيه بالجريدة الرسمية المقرر الإداري الصادر بإجراء البحث المذكور مع وجوب إبداء المجلس الجماعي التابع له موقع القرار رأيه في مشروع الترتيب خلال مدة البحث... وعند المصادقة على ترتيب عقار ما لا يجوز هدمه ولو جزئيا ولا ترميمه أو تغييره أو إحداث بناء جديد فيه دون حصول على رخصة إدارية.

^٤ - تتطلب الدراسة التنميطية للقصور التركيز على العناصر التالية:

- الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشأتها.
- الإلمام بالمعلومات التاريخية المتعلقة بها والمستمدة من المصادر التاريخية والرواية الشفوية مع التدقيق فيها.
- الدراسة العمرانية والمعمارية الدقيقة لكل القصور التي يشتمل عليها المجال المدروس.
- دراسة اشتقاق أسماء القصور -microtoponymie- معرفة العمق التاريخي للمكان.

يعتمد بالدرجة الأولى على وجود القصبة بالقصر من عدمها، في حين ينتقد الطرف الرابع التقسيمات السابقة ويرى ضرورة اخذ المعايير السابقة مع إضافة الأدلة الأثرية¹.

❖ أنماط القصور حسب مارتان: فالمؤرخ مارتان (A. G. P Martin) الذي يعد من أقدم من صنف القصور القديمة بالصحراء، وتحديدًا بكل من توات وقورارة والتديكلت، وذلك بالاعتماد على الشكل العام للقصر مع استحضار النصوص التاريخية المتوفرة وإغفال الجانب التقني للمبنى، وقد توصل إلى تحديد ثلاث أنماط رئيسية: النوع الأول سماه "الجيتولي" والذي أرخه من ما قبل التاريخ إلى سنة ١٠ م، أما الصنف الثاني فقد سماه "اليهودي" والذي أرخه من ١٠ م إلى ٦٠ م. ويتكون من سور شبه دائري بني من حجارة مصطحة مرتبطة بشكل أفقي جد منظم، أما الصنف الثالث: فإنه يشمل القصور التي شيدت بعد القرن السابع الميلادي².

❖ أنماط القصور حسب كونار (Quenard): سلك في تصنيفه للقصور الصحراوية نفس المعيار، مع إضافة تقنية تتعلق بكل نمط؛ وعلى هذا الأساس جاء تقسيمه للقصور الصحراوية إلى ثلاثة أنماط³.

النمط الأول: يضم مجموعة الحصون التي تقع فوق قمم الجبال وتتخذ في تخطيطها شكلا مستطيلا تحيط بها أبراج من الحجر، أما بالنسبة للفترة الزمنية فإنها غير محددة لديه.

النمط الثاني: يشمل هذا الصنف المباني ذات الشكل المستدير التي تحتوي بداخلها على برج للمراقبة ويحيط بها سور مرتفع يتقدمه خندق ومبنية بالحجارة الموضوعية بشكل أفقي.

النمط الثالث: يضم هذا النمط مجموعة المباني المشيدة من الآجر غير المشوي وتحتوي على أضرحة تعلوها قباب دائرية الشكل.

❖ أنماط القصور حسب أيوب عبد الرحمان: اعتمد في تصنيفه للقصور على الشكل الخارجي وحددها في ثلاثة أصناف مثل سابقه؛ مع اختلاف من حيث التسميات، فذكر النمط المستطيل "البربري" وهو يتشكل من مجموعة من الغرف تتخذ شكلا مستطيلا تجاور الواحدة الأخرى. والنمط المربع "الروماني" شبه في تخطيطه الحصون البيزنطية والرباطات الإسلامية المبكرة. والنمط الدائري "العربي" وهو نمط متطور بالنسبة للأمثلة السابقة الذكر، وحدد تاريخ ظهوره بأواخر القرن ١٥ م⁴.

لكن معظم هذه التنميطات تعرضت للنقد من طرف (Echalier) بعد قيامه بدراسة ميدانية لثلاثمائة وثلاثة وثلاثون قصرا بالجنوب الغربي الجزائري سمحت له بتنميطها إلى ستة أنماط واغلب الأنماط مقسمة إلى نوعين، ويرى بأن الشكل الدائري هو الأقدم⁵.

¹ - حملاوي علي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ٢٠٠٦، ص: ٤٦.

² - Martin (A.G.P), « A la frontière du Maroc, les oasis sahariennes (Gourara, Touat, Tidikelt) », Alger, 1908. pp:25-59

³ - Quenard (C), «Recherches historiques dans le Touat Gourara », B.L.S N°:02, 1955, pp:19-29

⁴ - أيوب عبد الرحمن، من قصور الجنوب التونسي، م س، ص ١٣١.

⁵ - Echallier (j.C), « Villages désertes et structures agraires anciennes du Touat, Gourara (Sahara algérien) », A.M.G, Paris 1972, pp:27-87.

الملاحظة الأساسية على المحاولات السابقة تتمثل في مدى صعوبة الفصل بين هذه الأصناف اعتمادا على المعايير السابقة، وفي كون هذا الاختلاف في تنميط القصور يتبعه الاختلاف في تحديد أي الأشكال التي وردت في التنميط أسبق إلى الظهور هل الشكل المربع أو المستطيل أو الدائري..¹

٤. دراسة نموذجية لتنميط القصور والقصبات والمخازن الجماعية بمنطقة طاطا.

يمكن استعمال عدة معايير لتصنيف قصور وقصبات ومخازن منطقة طاطا؛ إذ يمكن التمييز بينها على مستوى التخطيط العام، والمكونات المعمارية والأبعاد الوظيفية، والخدمات التي يقدمها القصر والدور الذي ميزه تاريخيا؛ فقد اشتهر بعضها بارتفاع عدد سكانها وحجم بناياتها التي تفوق المعتاد في القصور والقصبات الأخرى، وامتازت أخرى بأهميتها الإستراتيجية أو الدينية أو الاجتماعية، أو الحرفية. كما يمكن التمييز بين الرئيسية منها والثانوية، الأولى تستقطب أنشطة اقتصادية مهمة، بينما تؤدي الثانية وظيفة سكنية محدودة، وعرفت المنطقة هذه الأصناف تبعا للطرفية التاريخية والأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة، ذلك أن لكل حقبة تاريخية في هذه العمارة سمات خاصة.

١٤ القصور والقصبات:

كان للنزاعات الكثيرة التي نشبت في ما مضى بين قبائل ودواوير المنطقة من أجل الاستحواذ على مصادر الماء والكلاً دور مهم في تشييد العديد من الأبنية ذات الطابع العسكري. ولعل من أبرزها القصور والقصبات التي تشكل مظهرا مثيرا من مظاهر العمارة بالإقليم؛ وهي عبارة عن قرى ومنازل محصنة محاطة بأسوار عالية نسبيا، تتخللها أبواب وأبراج مبنية وفق هندسة محكمة، تنتظم داخل هذه الأسوار مباني على طول ممرات ضيقة تارة وواسعة تارة أخرى مغطاة أو مكشوفة تنتهي بساحة وسط القرية.

ويظهر من خلال دراسة قصور وقصبات واحة طاطا، التباين والاختلاف بينها على مستوى الوظائف، نظرا للطرفية التي أسس فيها ومتطلبات واحتياجات ساكنتها، وقد أدى اختلاف هذه الحاجيات إلى تنوع العناصر والتفاصيل المعمارية، وجاء كل منها منسجما مع احتياجات ساكنته، كما اختلفت هذه الأصناف على مستوى جودة بناءاتها، وتزيينها وزخرفتها ودرجة تحصينها؛ إذ عملت بعض القصبات على إحاطة نفسها بخنادق عميقة لعرقلة تقدم العدو نحو أسوارها مثال تكاديرت أوغناج² بدوار تيبتي جماعة أديس جنوب مدينة طاطا. كما عززت أخرى حمايتها باختيار موقع محاط بالجبال مثل جماعة أيت وابلي، واختارت قصبات أخرى قمم المرتفعات كي تضمن لنفسها المزيد من الحماية مثال قصبه تداكوست وتمزرارت جنوب جماعة أيت وابلي. وفيما يلي وصف لنمطين مختلفين من أنماط البناء الخاص بالقصبات أو القصور بإقليم طاطا.

¹ - لمزيد من التفاصيل حول تنميط القصور راجع: بن صغير حاضري يمينه، القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد ١٥، ٢٠١١، ص: ١٤٢-١٤٤.

وأیضا: حملاوي، مرجع سابق، ص: ٤٦-٥٧.

^٢ - هو خليفة القائد عبد المالك بن محمد بن أبيه في تارودانت، عينه السلطان مولاي سليمان عاملا على تارودانت والتي كانت منطقة طاطا انذاك تدخل ضمن نفوذها الترابي، راجع معلمة المغرب ج٢، مادة أغناج، ص: ٥٤٢-٥٤٣.

النموذج الأول: القصبات المخزنية.

اشتهرت منطقة جنوب المغرب بقصبات وحصون مخزنية كثيرة¹ اعتبرت الدراسات التاريخية الأجنبية مؤسسات غريبة، بنيت لمراقبة قبائل المنطقة وتيسير استخلاص واجبات المخزن منها بعدما كانت تتحصن بمواقع منيعة تسمى إيكودار² ومن هذه القصبات:

✓ قصبه تكمي نؤكيد أو تكاديرت أوغناج "قصبه السلطان" توجد على الضفة اليمنى لوادي طاطا في الواجهة المقابلة لدوار تيبتي إلى الجنوب من مدينة طاطا على بعد حوالي سبعين ميلا من قصبه تامدولت التاريخية، وهي عبارة عن مبنى رباعي الشكل، محاط بأسوار عالية معززة بأبراج للمراقبة في زواياها الأربع. كما يحيط بها خندق عميق كان يلعب دور الحزام الأمني لهذه القلعة التاريخية. صمم مدخلها الرئيسي على شكل برج يتوسط واجهتها الجنوبية، وتتصل به قنطرة لعبور الخندق، وهناك بقايا أبنية كثيرة تغطي الأرضية الداخلية للقصبه من أبرزها مسجد ومنازل وبئر³. لا تقدم المصادر التاريخية معلومات مهمة حول المراحل التاريخية التي مرت بها هذه القصبه، كما أن اسمها لم يذكر ضمن قائمة القصبات المخزنية التي تحدثت عنها المصادر خلال فترة حكم السلطان مولاي إسماعيل⁴.

النموذج الثاني: قصبات سكنية.

✓ قرية أو قصبه الجباير: تقع على بعد ٢٠ كلمتر تقريبا من مدينة طاطا في اتجاه الواحات الجنوبية (تك الريح - أنغريف - تزارت - أم الكردان). بنيت القصبه في القرن السابع عشر الميلادي على يد سيدي علي بن أحمد أحد أحفاد أبي عبيد الله الشرقي مؤسس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، وزاد اتساعها في القرن التاسع عشر. احتضنت هذه القرية العديد من الأبنية الفخمة ذات الطوابق العلوية والأبواب والأقواس المزخرفة التي بناها تجار القصبه الذين اشتهروا بتجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان. كما تشتمل على أحياء أخرى قطنها العبيد وأسر من فلاحي القصبه. وتوجد بزوايتها الشمالية الغربية آثار مسجد وزاوية. يحيط بقصبه الجباير سور تخلله ثلاثة أبواب.

¹ - JACQUES MEUNIE, « Greniers collectifs », Hespriés 1-2, 1949, p : 99

² - آيت عدي مبارك، بعض وظائف القصبات السلطانية بجنوب المغرب تكاديرت. ن. اوكليد بطاطا نموذجا، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم ٣٧، ٢٠١٣، ص: ١٤١.

³ - لمزيد من التفاصيل حول موقع القصبه ومراحل بنائها المرافق الأساسية بما ووظائفها، راجع: آيت عدي مبارك، بعض وظائف القصبات السلطانية بجنوب المغرب، م س، ص: ١٤١ وما بعدها.

⁴ - الزباني أبو القاسم، الترجمة الكبرى في إخبار الجمور برا وبحرا. تحقيق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٩٩١.



تكاويرت أوغناج بدوار تيبتي جماعة أديس



قصة الجباير جماعة أم الكردان

انطلاقاً من المعطيات الميدانية يتضح أن القصبات السلطانية أو المخزنية هي الأكثر تواجداً، وأنها الأكثر تشابهاً في المجال مقارنة بالقصور والمخازن الجماعية، لأنها كانت تخضع لتصميم مسبق، كما أنها الأكثر تحصيناً وزخرفة.

٢٤ المخازن الجماعية:

تبنى على شكل قلاع ذات أبراج، وتتكون في الغالب من عدة طبقات، وتحتوي على عدة غرف تستعملها أسر القرية لخبز مدخراتها من الحبوب أو الأشياء النفيسة كالحلي والمجوهرات، كما تستعمل هذه الحصون لغايات دفاعية في حالة تعرض السكان لهجوم خارجي. ولا يزال بعضها قائماً إلى اليوم في بعض قرى الإقليم، محتفظاً ببعض وظائفه كما هو الشأن بالنسبة لقبائل جماعة إسافن وتكموت.

وبالرغم من تشابه هذه المخازن من حيث الوظيفة ووجود قواسم مشتركة بينها من خلاب حضور بعض العناصر المعمارية الأساسية، مثل الأبراج وخزانات الماء ومرطبات الدواب¹، إلا أنه يمكن تصنيفها بناءً على مجموعة من العناصر، إذ تتخذ أحجاماً وأشكالاً هندسية مختلفة: منها المستطيل والدائري والمربع، وذلك حسب الطبيعة الجغرافية للموقع وحجم السكان الذين يستعملونها والأنشطة التي يزاولونها²، كما تختلف هذه المخازن حسب الموقع الذي تحتله، ومواد البناء المستعملة، ونمط حياة هذه الجماعة ومدى أهميتها، وتختلف طريقة بناؤها الهندسي من منطقة إلى أخرى، فهناك بعض "الكيدار" ذات تصميم معقد، إذ أن أماكنها الداخلية صعبة الولوج ومخفية. بحيث لا يعرفها إلا من له دراية بمسالك الحصن الداخلية، وكان ذلك مقصوداً لحماية الممتلكات الجماعية من أي طارئ يحدث، أو أي هجوم عدواني متوقع خاصة في عهد كان الولاء للقبيلة والجماعة فحسب، ولا سلطة تحمي الناس إلا نظام القبيلة.

انطلاقاً من عناصر التشابه والاختلاف السالفة الذكر، اجتهد بعض الباحثين³ فقدموا لنا محاولات لتنميط هذا النموذج المعماري اعتماداً على تنوع أشكالها الهندسية فجاء التصنيف على الشكل التالي:

¹ - نفسه، ص: ٩٢ - ٩٣.

² - آموس احمد، في الأصول التاريخية والخصائص المعمارية للمخازن الجماعية (أكودار) بمناطق الأطلس، م س، ص: ٩٠.

³ - Meunié J, Architectures et habitats du Dadès - Maroc présaharien, Paris, 1962,p:58-61

- Nait.Balk, Approche archéologique et architecturale des Igoudar de l'Anti-Atlas et leur rôle socio-économique. D E A, Paris1, 1986, p:51

الشكل الدائري.

ذات الممرات الطويلة.

ذات المساحات المربعة الشكل.

بينما رأى احد الباحثين¹ أن هذا التصنيف لا يتأسس على معيار الشكل فقط بل كذلك على مواقع تواجدها و ميز في تصنيفه الأنماط التالية:

المخازن المغارات.

مخازن المرتفعات.

مخازن القرى.

وبالرغم من هذه المحاولات لتصنيف هذا المكون من التراث المعماري عموما وتراث إقليم طاطا خصوصا، فإن الأمر في حاجة إلى مزيد من البحث من خلال القيام بأبحاث أثرية ودراسات معمارية من أجل رصد تطور الأشكال الهندسية لهذه الأنواع من المخازن. كما انه من السابق لأوانه تحديد القصور أو القصبات التي تنتمي لكل صنف، فالموضوع يتطلب دراسة إحصائية شاملة لتلك المنشآت بجميع أشكالها ومكوناتها، كما يتطلب الإلمام بجميع عناصرها ومن كافة الجوانب، وهو ما نفتقده حتى اللحظة حول القصور والقصبات الصحراوية بمختلف واحات بلاد المغرب.

استنتاجات:

من خلال إثارة بعض الإشكاليات المرتبطة بدراسة وتنميط القصور والقصبات الصحراوية بالمجال المغربي عموما واقلية مطاطا تحديدا، نستنتج أن الباحث في قضايا القصور والقصبات سواء من الناحية التاريخية أو المعمارية أو موضوع الإنقاذ والتنمية، يواجه إشكاليات صعبة الإجابة؛ إما بسبب قلة المعطيات التاريخية، أو نتيجة التحولات التي عرفتها القصور من الناحية المعمارية. مما يستدعي مزيدا من البحث والتنقيب والاستعانة بما بنتائج الأبحاث حول المنطقة في المجال التاريخي والجغرافي والاثنوغرافي والأثري وغيرها، وضرورة تكاتف جهود الباحثين في إطار فرق بحث قادرة على المسك بخيوط الإشكالية من كل الجوانب كما تتطلبه الدراسة التنميطية.

كما أن هذا التراث المعماري يشكل قطب الرحي في تنمية هذا المجال الواحي، وان تنمية الواحة رهين بالمحافظة عليه وتثمينه، هذه المحافظة التي تبدأ من دراسته دراسة علمية دقيقة لفهم أبعاده التاريخية والوظيفية، إذ لا يمكن للترميم التقني الصرف لهذا المعمار أن يقود عملية إحياء التراث وتوظيفه في التنمية المحلية، في ظل إغفال ترميم البنى المادية والرمزية التي أنتجت هذا المعمار، فالقصور والقصبات والمخازن الجماعية لا تعني فقط تجمعات سكنية وأنماط معمارية، بل هي كذلك مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتفاعلات مع المجال التي استند عليها وجود هذا النمط المعماري، كما أن إنقاذ وترميم هذه المعالم التاريخية لا يقتصر على تدخل المهندسين المعماريين والتقنيين لأن ذلك لا يعيد الحياة لهذه المكون من تراثنا المعماري.

¹ - آوموس احمد، في الأصول التاريخية والخصائص المعمارية للمخازن الجماعية (إكودار) بمناطق الأطلس، م س، ص: ٩٦.

إن ما اشرنا إليه لا يعدو أن يكون سوى تحسيسا لمزيد من البحث في تراث هذا الإقليم الغني، بهدف تحقيق تراكم معرفي حول التراث المعماري الأمازيغي، وإلى ضرورة التعاون بين المؤرخ والأركيولوجي والمهندس المعماري وغيرهم حتى تلامس الدراسة كل جوانب المعمار قصد إظهار خصوصياته. لذلك فالحاجة ماسة لدراسة هذا التراث الواسع دراسة متكاملة بطريقة منهجية، وبفرق علمية متخصصة لمعالجة الإشكاليات الواردة في متن هذا المقال. ومن القضايا والمواضيع البحثية التي لازالت عالقة في هذا المجال السياسات الدفاعية للقبائل الواحية بالإقليم مادامت هناك بقايا أثرية، إضافة إلى وجود كم هائل من الأشكال التي تندرج ضمن البنيان الدفاعي؛ والتي قد تساعد على استيعاب كل هذه المعطيات. كما أن الخريطة الدينية لوحدات الإقليم وما ارتبط بها من معالم معمارية على شكل مساجد وزوايا وأضرحة بالمنطقة تيمة تحتاج إلى دراسات معمقة نظرا لقيمتها التاريخية.

المصادر والمراجع.

✓ باللغة العربية:

1. أبا صادقي، "إشكالية التدبير التقني والقانوني للتراث المعماري بمنطقة محمية المحيط الحيوي لوحدات الجنوب المغربي (نموذج القصور)"، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم 37، 2013.
2. ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مطابع إديال، الدار البيضاء. ج 5، الطبعة الثانية.
3. أعيف محمد، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي لوحدات الجنوب المغربي، توات في ق 16م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1982.
4. البلعشي عبد الرحمان، آيت حساين ابراهيم، النخلي عبد اللطيف، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، 1992.
5. البوزيدي احمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 مطلع القرن 20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أفاق متوسطة، 1994.
6. الزباني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في إخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1999.
7. السوسي محمد المختار، المعسول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج 3، 1961.
8. السوسي محمد المختار، خلال جزولة، مطبعة المهديّة، تطوان، ج 4.
9. الضعيف الرباطي محمد بن عبد السلام بن أحمد، تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043/1633-1238/1822)، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشخي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء.
10. الفقيه الإدريسي، "القصبات الإسماعيلية"، منشورات كلية الآداب، بني ملال ع 5، سنة، 2000.

١١. الكنسوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق احمد بن يوسف الكنسوسي ج ١.
١٢. الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ج ٦، ج ٧.
١٣. أوموس احمد، "في الأصول التاريخية والخصائص المعمارية للمخازن الجماعية (إكودار) بمناطق الأطلس" ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم ٣٧، ٢٠١٣.
١٤. آيت عدي مبارك، "بعض وظائف القصبات السلطانية بجنوب المغرب تكاديرت.ن. اوكليد بطاطا نموذجا"، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم ٣٧، ٢٠١٣.
١٥. أيوب عبد الرحمان، من قصور الجنوب التونسي، القصر القديم، النقائش وال كتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨.
١٦. بن صغير حاضري يمينية، "القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد ١٥، ٢٠١١.
١٧. بوعصب امبارك، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين، التاريخ والمعمار والإنقاذ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس سايس، ٢٠١٠-٢٠١١.
١٨. تاوشخت لحسن، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٨، جزءان.

باللغة الفرنسية:

19. ABA (sadki), **Urbanisme et conservation du patrimoine culturel présaharien cas des ksours du Tafilalet**, mémoire de troisième cycle, institut National d'Aménagement et d'urbanisme, Rabat, 2003.
20. Meunié, Dj.I., **Les Greniers-citadelles du Maroc**, ed, Arts et Métiers Graphiques, 2 Volumes, 1952.
21. Montagne, R. «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas, l'agadir des Ikounka», Hesperis, 1929.
22. -Brignon et autre, **histoire du Maroc**, Hatier, 1968.
23. -D. Jacques-Meunie, «Les oasis des Lektaoua et des Mehammid» Hesperis 27 (1947) ..
24. Dastuge (Henri): «quelques notes au sujet du Tafilet et Sidjilmassa» Bulletin de la Société de Géographie. Paris, Tome: XII, avril 1867.
25. -Echallier (j.C), « Villages désertes et structures agraires anciennes du Touat, Gourara (Sahara algérien) » A.M.G, Paris 1972.



26. -Jacques-Meunié (Djinn) et Meunié (Jacques) « Abbar, cité royale du Tafilalet », Hespéris. Tome : XLVI, 1^o et 2^o trimestre 1959.
27. -Laroui (Abdallah), **Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain 1830-1912**, Edition Maspero, Paris,1977.
28. -Martin (A.G.P), «A la frontière du Maroc, les oasis sahariennes (Gourara, Touat, Tidikelt) » Alger, 1908.
29. -Quenard (C), «Recherches historiques dans le Touat Gourara», B.L.S N°:02, 1955, pp:19-29.
30. -Saidi Idriss: « étude architecturale des ksour du Tafilalet, dossier d'analyse et de diagnostic », Oasis Tafilalet, n°1, 1999.

الصحافة بين قيم العولمة والهوية الإسلامية

أ/د. عبد القار سلامي/جامعة تلمسان، الجزائر /صالحة بلعالية/جامعة مستغانم، الجزائر

ملخص:

فلئن كان التشريع الإسلامي يقوم على صون النفس البشرية من منطلق مكارم الأخلاق، والتعايش السلمي بين البشر، والشباب أحد أهم شرائحه. ولما كانت الأخلاق الإسلامية والنواميس الفلسفية تعني بالروح و المادة، ليتمكن الإنسان وفق هذه الركيزة الإنسانية من تأدية الدور الذي أسنده الله إليه في الأرض على أحسن وجه، فإنّ المداخلة الموالية تسعى إلى الوقوف على أحد ركائز الإعلام ممثلاً في الصحافة بين متطلبات الهوية الإسلامية وقيم العولمة، وبما يكفلُ التدليل على دور الصحفي بأن ينتهج المنهج القويم في عملية التبليغ على الرغم من مدّ أهواء النفس وجزرها، وتعدّد الطّروحات الفكرية والفلسفية وتنوعها.

الكلمات المفتاحية: الصحافة- أخلاقيات المهنة-الهوية الإسلامية.

وعليه، فقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

المبحث الأول-من تعريفات العولمة.

المبحث الثاني- الثقافة والهوية الثقافية الإسلامية.

المبحث الثالث- العمل الصحفي بين المهنية واحترام الهوية.

المبحث الرابع-أهمية الأخلاق في ترسيخ الصحافة الإسلامية.

خاتمة.

المبحث الأول-من تعريفات العولمة:

يعدُّ هذا المبحث توقفاً عند الرؤية الغربية لماهية "العولمة" وأهمّ تعريفاتها:

فقد جاء في معجم (وبسترز) أنّ العولمة: هو أن نعمل "على إكساب الشيء وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً".¹

وهذا لا يعدّ تعريفاً بالمعنى الدقيق، إنّما هي إشارة إلى المن إذ لم تتوقّف فيه ملامح الحدّ المنطقي إن صحّ التعبير.²

1- ذياب عبد الكريم: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 99، ص 27.

2- كاظم عبد فريخ المولى: العالمية والعولمة، مجلة مآب، العدد 3، ص 117 - 118.

وعزفها بعضهم بقوله: "إنها نظامٌ عالميٌ جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات، والثقافات والقيم، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم".³

أو هي: "القوى التي يمكن السيطرة عليها للأسواق والشركات المتعددة الجنسية التي ليس لها ولائٌ لأيّ دولة قومية".⁴

ويرى آخرون أنّ لها معنيين، أو وجهين، الأول (ظاهري)، يعني: "ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار"، والثاني: (جوهرية)، وهو إنّها "تفكيك الأمم والدول، والجيوش، وتفكيك المجتمع، والأسرة، وتفكيك الفرد وتجريده من القيم والأخلاق والمبادئ الدينية المقدّسة".⁵

وقد سمّاها بعضهم (بالكونية)، أو (العالمية)، ويرون أنّها أصبحت من حقائق الحياة العصرية التي تعكس توصيفاً لمجتمع شديد التعقيد ذي تطوّر تقني، متعدّد الأبعاد، وحركة سريعة في العمل والانتشار، ومنافسة كبيرة على الفرص المتاحة في السوق العالمية.⁶

وهي كما يراها الفيلسوف الفرنسي المسلم (روجيه غارودي): "أشرس حروب الدّين، بطريقة غير مباشرة، من خلال الفكر والاقتصاد والثقافة، فهي مناقضة لعنوانها الرّئيس، فأصبحت مناقضة للحرية الإنسانية، والديمقراطية: لأنّها تعني حرية الأغنى والأقوى في افتراس الأفقر والأضعف، والاستيلاء على ثرواته وثقافته، وعقائده".¹

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ العولمة عملية تفوق القوى الفاعلة في النّظام العالمي حالياً، من أجل ترويج قيم المثال الغربي الرأسمالي الليبرالي وسلوكياته وسياساته وقيمه وثقافته.²

وإذا كان هذا ديدن العولمة، فماذا يكون من حال الصحافة الإعلامية في ظلّها؟ وماذا تملك في الوقت الرّاهن من مقوّمات تقييم خطرهما المحدق بالشباب المسلم؟

المبحث الثاني- الثقافة والهوية الثقافية الإسلامية:

الثقافة مفهوم واسع النطاق في دلالاته، ولكن نستطيع أن نقف على شيء من إرهاباته، فهو لم يكن دارجاً في الاستخدام في الدراسات الأدبية على الإطلاق؛ غير أنه من المؤكّد يكشف عن توجّه في الفكر الإنساني حديث نسبياً، حيث استخدمه في بداية الأمر الأنثروبولوجيون، وبصفة خاصة "إدوارد تيلور" في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بمعناه الواسع، فهو يعرفه بقوله: "إنّه الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وأي نوع آخر من القدرات، والعادات التي اكتسبها المرء بوصفه عضواً في المجتمع".³

3- صلاح الدين عمارنة: لعولمة، مجلة المهندس، العدد 65، ص 70.

4- محمد مسعد سماحة: العولمة الأمريكية والعولمة البديلة، مجلة النور، العدد 85، ص 22.

5- عبد العزيز التوجيري: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 99، ص 27.

6- المرجع نفسه، ص 27.

1- روجيه غارودي: نحو حروب دينية، ص 16.

2- كاظم عبد فريج المولى: العالمية والعولمة، ص 120.

3- عزّ الدين إسماعيل: مقدمة في النقد الأدبي، مجلة محاور، العدد 1، ص 25-26.

ولمّا كانت الثقافة "تشمل العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحَدَقُ فيها"⁴ : فإنها كذلك "العلم الذي يبحث كليات الدين في مختلف شؤون الحياة. فإذا وصفت بدين معين اختصت بكليات ذلك الدين". فالثقافة الإسلامية: "علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها بترابطها".⁵

ولئن لم يوجد حتى الآن تعريف محدد متفق عليه لمصطلح الثقافة الإسلامية ، وإنما هي اجتهادات من بعض العلماء والمفكرين ، من حيث تعددت التعريفات لهذا المصطلح تبعاً لتعدد اتجاهات هؤلاء العلماء والمفكرين إلاّ أنه يمكن الاطمئنان إلى التعريف السابق ، بوصفه جامعاً مانعاً ، من جهات عدّة⁶ :

فقولنا : (علم) يخرج به المفهوم العام للثقافة الذي يعني النشاط الأدبي والفني .

وقولنا (كليات الإسلام) : يعني أصوله ومقوماته في جميع نظمه فيخرج به فروع الإسلام في نظمه المتعددة لأن هذا من شأن العلوم المتخصصة كالعقيدة في النظام العقدي والعبادات ، والمعاملات في الفقه ، وهكذا بقية النظم الأخرى .

وقولنا (في نظم الحياة) : شمول واستقصاء لسائر نظم الحياة البشرية وهذه النظم هي العقيدة ، العبادة ، الدعوة والحسبة ، الأخلاق ، الاجتماع ، السياسة ، الاقتصاد ، العلم والمعرفة .

وقولنا (كلّها) : تخرج به العلوم الشرعية المتخصصة بنظام واحد أو بعض تلك النظم ، حيث تدرس أصول هذا النظام وفروعه كعلم الفقه مثلاً ، أما علم الثقافة فيبحث في نظم الإسلام كلها جميعاً دون تعمق في فروعه.

وقولنا (بترابطها) : تخرج به البحوث الإسلامية الموسوعية التي تجمع العلوم الإسلامية في مؤلف واحد لكن في استقلالها التخصصي وانفصالها ، أما علم الثقافة فيبحث ارتباط هذه النظم ببعضها ببعض وأثر كل منها على غيره .

على أنّ الهُويّة هي "جملة المعايير التي تمكن من تعريف فرد ما وهي شعور داخلي هذا الشعور بالهوية يتعدد إلى الشعور بالوحدة و الانسجام و الانتماء و بالقيمة و بالاستقالة و بالثقة . إنها مجموعة المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد¹ ومحددات الهوية تكمن في ارتباطها باليات اكتسابها و دور الأنا و الذات يعد بمثابة مبدأ التنظيم الذي بوساطته يحافظ الفرد على بقائه شخصية متماسكة مع ماهيته و استمرارية في تجربة الذاتية و واقعيته مع الآخر لذلك يعدّ الأنا من محددات الهوية ، هذا بالإضافة إلى الآخر الذي من خلاله نشعر بهويتنا .

ونجد أنفسنا اليوم بين ثلاث عوالم الأول هو العالم القديم بأصولياته الدينية و تصوراته اللاهوتية أما الثاني فهو العالم الحديث بفلسفاته العلمانية و الثالث و هو العالم الآخر في التشكل أي عالم العولمة هذه العوالم الثلاث تتجاذب الوعي بالهوية و تؤلّف ما يمكن تسميته ثلوث التقليد و الحدائث و ما بعد الحدائث بصيغة أدت ثلوث الأصولية و العالمية و العولمية و في المجال العربي الأخرى تسميته ثلوث الأُسلمة و الأنسنة و العولمة، و قد كان الارتباط وثيقاً بين الهوية و الثقافة لما كانت اللغة مظهر من مظاهر الثقافة و منه توصف اللغة بأنها مرجعية من مرجعيات الهُوية .

4- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ٩٨/١ مادة(خلق).

5- عبد الرحمن الزنيدي: مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢، ص ٨٩.

6 - علي بن حسن القرني: من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية ، ص ١٢-١٣ .

1 - علي حرب: حديث النهايات ، فتوحات العولمة و مازق الهوية، ص ٣٨ .

ومن هنا تكون الحاجة إلى إقامة التوازن بين آليات التحضّر وإبداعات الشباب و ليس المطلوب حضارة مسطّحة تجف فيها منابع المعنى ، و في المقابل ليس المطلوب ثقافة فردانية يهتم بها المرء في قوقعته و يعتزل عن سواه و إنما المطلوب الموازنة بين الأداة و القيمة أي بين الحضارة و التفرد على أن تكون هذه لموازنة بين لغة الشباب و الحضارة العربية الإسلامية صلة و صل بين معرفة تراثية معيارية و أخرى و صافية حدائية، الأمر الذي يبعث على بلورة معرفة التراث و الانتماء الحضاري وفق نظرة أصيلة تمكن من إنتاج خطابات إعلامية و تفجير طاقات الشباب التعبيرية دون عجز عن مجاراة الفكر الغربي في الميدان العلمي و التقني بالإجماع على لغة متداولة تسري على ألسنة الناطقين بها ، ووصل حاضرها بماضيها مع الإحساس بالانتماء إلى حضارة مؤثرة و متأثرة، قوامها لغة واحدة موحدة للأمة و منفتحة على غيرها من الحضارات دون استلاب أو عجز عن طرح البدائل و الإسهام في بلورة عولمة تقوم على احترام الهويات و الخصوصيات ، و منها الهوية العربية الإسلامية التي تملك أسباب انفتاحها على نفسها، و غيرها في آن واحد كونها من المقومات الذاتية ما يكفيها عن مجاراة نظيرتها تستظل بظل الإسلام و تغرب من ينابيع العروبة.¹

وفي نهاية هذا المفهوم للثقافة بصفة عامة و الثقافة الإسلامية و الهويّة بصفة خاصة أشير إلى أن المبحث القادم سيبين أهمية الهويّة في ترسيخ الثقافة الإسلامية بشكل أكبر و أوضح و ستزيد القارئ معرفة بأهميتها و حاجة المسلم عموماً و الشباب المسلم إليه على وجه الخصوص.

المبحث الثالث- العمل الصحفي بين المهنية واحترام الهويّة:

تنعت الصحافة بثلاثة ألقاب رئيسة كلّ منها يحمل مدلولاً خاصاً و باختلاف زوايا النّظر إلى هذه المهنة النبيلة، وهذه الألقاب هي: "مهنة المتاعب"، و"السلطة الرابعة"، و"صاحبة الجلالة".

فهي "مهنة المتاعب" نظراً إلى معاناة الصحفيين و توضيحاتهم من أجل الحصول على الخبر و اكتشاف حقيقته حيثما وجد الحدث و في أي ظرف مهما كان، مجازفين بحياتهم و من دون الاكتراث للأوضاع السائدة سلمية كانت أو حربية، و في حر الصيف أو قرّ الشتاء، في الحواضر أو في المناطق النائية و مسالكها الوعرة... متاعب و معاناة من أجل الحصول على النّبأ ثم نقله إلى عامة النّاس باستعمال كل الوسائل المتاحة. و الصحافة "سلطة رابعة"، إذ بفضلها يكفّ الكثيرون و الكثيرات عن بعض السلوكيات و عن ارتكاب المخالفات خوفاً من الفضيحة أو أداء الغرامة، و بذلك تكون الصحافة ضمير الأمم تشجع إنجازاتها و تؤنب أخطائها. أمّا "لقب صاحبة الجلالة" فيبقى اللقب الأفضل لمهنة الصحافة، إذ بذلك تتوج بوسام الفخر و الاعتراف و يمنحها الرقي و الرفعة بين باقي مكونات المجتمعات. غير أن هذا اللقب يلزم الانتباه لكونه يحمل التشريف و التكليف في الآن نفسه، فحين نقول بأنّ الصحافة "صاحبة الجلالة"، فالأمر يعني مكافأة لها على تلك الخدمات الجليلة التي تقدمها لكل الناس فهي تخاطب الجميع دون استثناء و في تناول الجميع كل حسب اهتماماته و ميولاته في مختلف المجالات و شتى الميادين.¹

كما توفرّ لهم فرصة الإطلاع على وقائع و أحداث سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو حتى العالمي. كما يتمّ بها التحسيس بالحيثيات و التفاصيل الممكنة لكل المستجدات الآتية و ذلك عبر تقارير و حوادث مع المختصين أو المعنيين بالحدث فتتم مناقشته و التعريف بأهميته أو بمخاطره إن استدعى الأمر الحذر. و الأكثر من هذا فالصحافة تساعد المرء على معرفته

1- ينظر: مصطفى أنشاصي: معركة المفاهيم- الحضارة.. الثقافة.. العولمة- هي الدين، مجلة شؤون العصر- العدد 24، ص 126-130.

1- الحسن اليماني : الصحافة و لقب صاحبة الجلالة www.dades_info.com

حضارته وتقاليده، تاريخه وثقافته وكل ما له علاقة بحياته اليومية. و بقيامها بكل هذا وغيره مما لم يسمح المقام بجرده فالصحافة تستحق وسام "صاحبة الجلالة" لكن بالمقابل هذا الوسام تكليف لها إذ يتحتم عليها أن تقوم بأدوار طلائعية في سبيل إحداث تنمية مستدامة في جميع القطاعات (الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والرياضية، وغيرها) فعلها ألا تقتصر على جلب الخبر ونشره فحسب وإنما بالإسهام في الكشف عن ايجابياته وسلبياته لتسهيل دوران عجلة التنمية.²

والصحافة أو صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة أو مهنة المتاعب، مهنة لها بريقها وتجذب العديد من الشباب الذي يحلم بان يطلّ على المجتمع من خلالها وأن يثبت وجوده في الحياة بالعمل فيها. وقد لعبت دورا مباشرا في توجيه الرأي العام والتأثير عليه وإثراء الفكر وإطلاع الجمهور على القضايا التي تدور حول العالم، وإغنائه بمعارف وثقافات الشعوب مهما كان مستواها الحضاري والثقافي والسياسي والاجتماعي، فهي الباب الذي يسمح بنشر رأي السلطة وفكر الشعب ونبضه، ولها و لها تأثيرٌ مباشرٌ على الشعوب شأنها في ذلك شأن الفنون بمختلف مذاهبها وأشكالها ناهيك عن دورها التواصلية (الثقافي) وفي التعارف والتقارب والاحتكاك بتجارب الحضارات الراقية والمهارات في الأداء والتشكيل. وهي بذلك تبقى الصناعة البسيطة داخل الكوخ الصغير التي تعتمد على إنسان يجد البحث عما يدور حوله ليخبره للآخرين برغم الأجهزة الإلكترونية المستحدثة إنها عالم فسيح لهؤلاء الذين تلهب نفوسهم بنار الحماسة.³

فالصحافة ليست مهنة كل من له ميلٌ للكتابة، كما أن الطب لا يمكن أن يمارسه من لديه بعض المعلومات عن الإسعافات الأولية، وفي عصرنا هذا الذي يتميز بالمتغيرات السريعة المذهلة في تكنولوجيا المعلومات أصبحت الصحافة مكانا للجدية والتنافس، وكذا التدريب على المهارات المختلفة يساعد الصحفي الناشئ على تذليل الكثير من الصعاب، فصّحفي المبتدئ الذي لم يتلق تدريبات داخل كليته قبل الاحتراف يبقى دوما في مرتبة أقل نسبة لمستويات الوظائف داخل أي صحيفة يومية أو حتى أسبوعية.⁴

لمهنة الصحافة خصوصية كبيرة تختلف عن باقي المهن الأخرى كونها تخاطب العقول بمختلف مستوياتها، فهي الكلمة المطبوعة الموثقة والمقروءة التي يطالعها القراء كل يوم¹ بمختلف المقالات والأعمدة والتحقيقات والأخبار، فضلا عما تحتويه الجريدة من أبواب ثابتة وغير ثابتة وترجمة وتقارير وغيرها من الفنون الصحفية المختلفة. وتؤدي مهمة الصحافة خدمة اجتماعية كبيرة لكونها تتضمن شروطا وخصائص عدة اتفق عليها عدد من العلماء والدارسين المتخصصين، وهي:²

- ١- للمهنة أهداف مجتمعية أي بمعنى أنها تقوم من اجل إشباع أو مواجهة احتياج مجتمعي، وتستمد شرعية وجودها من إحساس الناس بضرورة القيام بنشاط معين من شأنه أن يشبع لهم احتياجاتهم.
- ٢- تستند المهمة إلى أسلوب علمي ومواكبة التطور العلمي.

2 - المرجع نفسه.

3 - ينظر: ليونارد راي تيل و رون تيلور: مدخل إلى الصحافة-جولة في قاعة التحرير-، ص ٠٩ .

4 - المرجع نفسه، ص ١٩

1- محمد سيد فهمي: الإعلام من المنظور الاجتماعي، ص ٨٢.

2- المرجع نفسه، ص ٨٢.

٣- للمهنة قاعدة معرفية تستند إلى العلم، أي قاعدة من المعرفة العلمية والنظريات والقوانين والمبادئ العلمية لفهم المشكلة وتحديد الحل المناسب لها.³

وإذا ما انتقلنا إلى تحديد مدى خطورة المهنة الصحفية، فيمكن تأشيرها ببعدين أساسيين هما: خطورة المهنة على من يمارس الصحافة من الصحفيين أولاً، كونها تتطلب القيام بمهام كبيرة وخطيرة قد يدفع الصحفي حياته من أجلها. والثانية ما تشكله الصحافة من خطورة على المجتمع عند ابتعاد من يمارسها عن أخلاقيات المهنة الصحفية والواجبات المهمة والكبيرة المنوطة بها، لذا يتطلب لمن يزاولها صفات مهمة وكثيرة.

فقد أجمع الكثير من الكتاب والصحفيين في العالم على أن مهنة الصحافة تعدّ من المهن الصعبة بل الشاقة، ووصفها بعضهم: "إنها الشفاء اللذيذ والانتحار البديع".⁴

ولمهنة الصحافة مطالب خاصة لمن يريد أن يزاولها، فالشخص الذي لا مبادئ له لا يصلح أن يكون صحفياً، والشخص الذي لا أخلاق له يفسد المهنة، و الصحفي عليه أن يتدرب على الأعمال التي يقوم بها، ويكون واسع الإطلاع عارفاً بكل ما يدور حوله، وعلى الشاب المبتدئ أن يضع نصب عينه أن الصحافة مهنة شاقة، مهنة لا تعرف الراحة ولا تعترف بها. ولا تكفي الشهادة الأكاديمية لأن تكون صحافياً ناجحاً، لأن الصحافة استعداد قبل كل شيء.⁵

والصحافة ميدان واسع يمارس به الصحفيون أعمالهم كل حسب كفاءته وما يتمتع به قلمه من مواصفات مميّزة ومميّزة، فالصحافة مهنة لا تقبل الضعفاء والبُلداء، وإن حدثت وقبلتهم خطأ أسرعته إلى نبذهم حتى لا يكونوا عالة عليها. إنها المهنة التي لا تعترف بالوساطة¹، وهي رسالة قبل أن تكون مهنة فمنذ أن وجدت الصحافة وهي جزء من مشاريع المجتمعات، وهي في الوقت نفسه أداة هامة في بناء المجتمع عند كل أمة ومقياس لحضارة الأمم على اختلافها، ومرآة صادقة لنشاطها في شتى الميادين.²

أما الأخلاقيات المهنية فإن موثيق الشرف أو موثيق الأخلاق المهنية تعدّت مكمّلة للحقوق والضمانات المكفولة، إذ تعكس وتحدّد الحقوق والضمانات التي يتعين توفيرها للمجتمع أو للبيئة التي تمارس فيها العملية الإعلامية ذاتها في مواجهة القائمين بالاتصال والتواصل، ومن ثم تبلور هذه المواثيق والمسؤوليات الاجتماعية والأخلاقية لرجال الإعلام حيال المجتمع الذي يعملون فيه، وحيال المجتمع العربي ككلّ، وحيال المجتمع الدولي ذاته، وتبني على أساس أن الإعلام وإن كان حقاً للفرد، فهو أيضاً حق للمجتمع، وينبغي حماية حقّ المجتمع في الوقت ذاته الذي تحمي فيه حقوق الأفراد، وعلى ذلك فكلما نضج النظام الإعلامي، ارتفع المستوى المهني للعاملين فيه، وتزايدت الحاجة إلى تحديد هذه القواعد والالتزامات الاجتماعية لرجال الإعلام.³

3- محمد محمد البادي: الإطار التربوي لقضية الأخلاقيات المهنية في وسائل الاتصال الجماهيرية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد ١، ص ٢٨.

4- عزيز السيد جاسم: مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، العدد ٤، ص ٠٨.

5- خليل صابات: الصحافة رسالة، استعداد، فن، علم، ص ٣٠.

1- المرجع نفسه، ص ٣١.

2- همزة عبد اللطيف: أزمة الضمير الصحفي، ص ٢٤.

3- راسم محمد الجمال: الاتصال والإعلام في الوطن العربي، ص ٦١.

وتؤدي الإدارة دوراً أساسياً في ترجمة سياسات المؤسسة إلى واقع عملي، فهي لا غنى عنها في هذا المجال إذ تعرف بأنها: عملية اتخاذ القرارات التي من شأنها توجيه القوى البشرية والمادية المتاحة لجماعة منظمة من الناس لتحقيق أهداف مرغوبة على أساس أحسن وجه وبأقل تكلفة في إطار الظروف البيئية المحيطة.⁴

والإدارة تمثل أحد المكونات الرئيسية للتدريب الفعال، وتكوين المدير الناجح لا سيما على مستوى تدريب القيادات والمستويات العليا في المجالات الإعلامية، وإذا لم يتبع المتدربون نظامهم وعملهم ومسؤولياتهم الاجتماعية، فإن الأمر يهبط لديهم إلى مجرد وظائف وتتركز أهدافهم على أنفسهم، وتنفصل عن أهداف المنظمات التي يريدونها لحساب المجتمع وبذلك يقع الانفصال بين أهدافهم وأهداف المجتمع.⁵

ومن هذا نصل إلى حقيقة أن سياسة الصحافة لها تأثير كبير في اختيار المادة الصحفية المراد نشرها وبما ينسجم مع سياستها والسياسة الإعلامية للدولة.

ومما أكده الباحثون أهمية التشخيص الدقيق للأمراض الوظيفية التي تصيب الإدارة العامة وهي موضحة على ثلاث أشكال:

١- البيروقراطية الإدارية كداء وظيفي إداري، دالّة على الإدارة السيئة المعوقة، والمدير السيئ الذي يؤدي من العمل حده الأدنى بغية توخي الأخطاء، والخوف من المسؤولية.

٢- الانحرافات القيادية: إذ يعرف الفساد في مجال الخدمة المدنية بأن استعمال السلطة الرسمية، لأجل تحقيق مكاسب شخصية للموظف نفسه أو لأتباعه، وذلك بطريقة مخالفة للقوانين أو الأنظمة أو المعايير الأخلاقية.

٣- النفاق الإداري: ويصاحب هذه الظاهرة المرضية في الإدارة (جماعة الأصدقاء) أو (جماعة المنتفعين)، وتعدّ ظاهرة النفاق الإداري من أخطر الأمراض العصرية التي تصيب الأجهزة الإدارية فتجعلها كسيحة عن النهوض عن أعبائها ومسؤولياتها.

وفحوى هذه الظاهرة أن تنبهي جماعة من المرؤوسين ضعفاء النفوس بالظهور أمام القيادات والرؤساء بمظهر الأمناء المخلصين الغيورين على مصلحة العمل والنهوض بمستواه. ويرى المتخصصون بعلم الإدارة أن هناك أشكالاً عدة للقوة يستخدمها القائد للتأثير في عملية الإقناع ودفع التابعين للتمركز حول القوة وفتنة القائد، وهي:

١- المكافأة: وهي التي تتركز على عنصر المفاجأة للتابع، وذلك عن طريق تقديم هدية له أو توجيه شكر أو زيادة في دخله.

٢- القانونية: القوة المستخلصة من قوة الفرد في المجموعة أو في النظام الإداري المتسلسل في المؤسسة الحكومية، فالذي يتمتع بمستوى أعلى من غيره بقربه من المراكز العليا يكون أكثر قوة من البعيد عنها، لأن القائد هنا يتمتع بالسلطة القانونية العليا.

٣- المهارة الفنية (الثقة): هنا تتمركز القوة على مهارة خاصة هي الثقة بالنفس أو المعرفة العليا، إذ يدرك الأتباع أن الشخص الذي يتمتع بالمهارة العالية هو المتفوق عليهم بها.

4- محمد مجت كاشك: الاتصال ووسائله في الخدمة الاجتماعية، ص ١٣٨.

5- سمير محمد حسن: الإعلام و الاتصال بالجمهير والرأي العام، ص ٣٠٤ .

1 - L, James. Glbson. et.al organizations Behavior structure processes, Business, publications, INC, Sussex. U.S.A 1976. P181

٤- الإعجاب: نعي به قوة الجاذبية وحب الآخرين له بشكل يثير إعجابهم لما يمتلك من نقاط قوة في سماته الشخصية مما يؤدي إلى تمتعه بشعبية بين أتباعه.

وبعد أن وضعنا نقاط القوة في القيادة والضعف المتمثلة بأمراض البيروقراطية التي تصيب القيادات و الإدارة في المؤسسات الصحفية لابد لنا من تسليط الضوء على موضوع مهم آل وهو خلق الولاء للمؤسسة الذي يعد أحد الضمانات الأساسية للتمسك بأخلاقيات العمل الصحفي، إذ أن الصحفي الذي يشعر أنه يعمل لغيره وأن رئيس التحرير لا يحترمه ولا يفسح المجال لإبراز ابتكاراته وآرائه ينتهي به المطاف إلى الخروج عن قيم المؤسسة وأهدافها لاسيما إذ اقترن هذا بشعوره بوقوع الظلم عليه ممن هو أعلى منه يوهمه بأنه هو الآخر عليه أن يتعدى الحدود ويتجاوز القيم الأخلاقية ويخرج عنها بحجة أن من هو أعلى منه يستحوذ على المكافآت والهدايا ويجحد حق العاملين فيسهل كل ذلك فساد ضمير من هو على إيمان ضعيف وخلق مهمل. وانطلاقا من هذا الفهم فإن المدير الفعال لأي مؤسسة يستطيع أن يربي لدى منتسبي إدارته القيم والمثل العليا التي يدعم من خلالها اتجاهاتهم في الولاء للمؤسسة التي يعملون فيها ليكون قادرا على تحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح في قيادة مؤسسته.¹

إن الاهتمام بالناس مهم للغاية، يقترن في القدرة على مقابلة أصناف مختلفة منهم ومحاورتهم بطلاقة، وهذه الأهمية يجب أن تساعد المراسل في أن يلبس الثقة لدى الآخرين، والتخفيف من إخراجهم عند مقابلته لهم، يضاف إلى ذلك استعداد مطلق من جانبه لاحترام الثقة وحفظ الالتزامات والتمسك بالمواعيد. إن من الأهمية التي تحوزها الصحافة أنها تؤدي دورا مركزيا في الانتقال الاجتماعي من المجتمع بصفته تجمعا سكانيا إلى المجتمع بوصفه رأيا عاما مؤثرا، أي أن الصحف تسهم إسهاما رائدا في التنقية النوعية للمجتمع وتحرره من الأمية المترسبة في واقعه بصورة وعي متخلف.²

ويرى آخرون أن نجاح أي عملية التواصلية يرتبط أساسا بمدى معرفتنا بنوعية الجمهور الذي يستقبل الرسالة، ولذا فإن معرفة الخصائص الديمغرافية والخصائص الشخصية للجمهور أساسية لمعرفة لتوجه الرسائل الملائمة إليهم، والنوع الأول من الخصائص يشمل على متغيرات مثل العمر، الجنس، الدخل والوضع الاجتماعي والعرق والانتماء الديني، وغيرها، بينما تشمل الخصائص الشخصية والسيكولوجية على خصائص مثل: الذكاء، والسلوك، والآراء، والقلق، والانفتاحية، والثقة بالنفس، وغيرها، تلك الخصائص تعتبر هامة في عملية الإقناع.³

ويمثل الصحفي دور اختصاصي الجماعة في أثناء تأديته لمسؤولياته المهنية والتواصلية تجاه الأفراد والجماعات والمجتمعات لكي يحقق أغراضه المجتمعية، ومن أهم هذه الأغراض: مساعدة الأفراد على النضج وتنمية شخصياتهم ومقابلة حاجياتهم إلى أقصى حد ممكن، وكذلك إتاحة الفرصة للأفراد لاكتساب المهارات المختلفة التي تزيد من قدرتهم الإنتاجية وتنمية قدرتهم الإبتكارية. كما تهدف إلى غرس القيم الاجتماعية كالعدل والأمانة ومراعاة آداب السلوك والقواعد العامة والقوانين في الأفراد ليتكيفوا مع المجتمع، وكذلك تنمية القدرة على القيادة وتمسك الأفراد بحقوقهم والمطالبة بها.⁴

لذا، يجب على الصحفي الناجح أن يضمن رسالته الاتصالية ما يتسم بالذوق الرفيع الذي يعني ميول ورغبات الجمهور التي لا تخرج عن الإطار الأخلاقي للمجتمع لأن هذا الأسلوب يرفع المستويات، وإنه تعليمي وملهم بشكل ما، ويدخل تحت هذه

1- عبد الباري الدرة: من هو المدير العربي الفعال؟، نحو نظرة متكاملة لفعاليته، مجلة الإدارة العامة، العدد ٤٢، ص ٠٠٨.

2- عزيز السيد جاسم: مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، العدد ٤، دار أفق عربية للصحافة والنشر، عمان ١٩٩٥، ص ١٣.

3- صالح خليل أبو أصبع: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، دط، ١٩٩٥، ص ١٥٢.

4- أبو النجا محمد العمري: الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار المعارف الإسكندرية، دط، ١٩٨٦، ص ٢٦٧.

الفتة على سبيل المثال: الموسيقى الجادة، والمناقشات السياسية، والأفلام الفنية، أو المجالات المتخصصة للتعليق السياسي. إذن الرسالة الإعلامية الهادفة هي التي تضع جميع الاعتبارات المجتمعية والثقافية والسياسية والدينية التي تربي الأخلاق وتقوي السلوك القويم لدى جميع أفراد المجتمع.¹

وفي الإطار الاختصاصي للمهنة فإن الممارسة العملية تشكل للصحفي المبتدئ أهمية كبيرة في كسب المعرفة، ليضع أولى خطواته على الطريق الصحيح، وتحديد نوع العمل المطلوب منه أو الاختصاص الذي يمارسه في تلك الصحيفة أو المجلة.

ويكسب الصحفي فضلا عن تأهيله الأكاديمي خبرة مهنية تتيح له ولوج ميدان الصحافة والاحتراف الصحفي مستقبلا، فالمعرفة هي رأس المال الصحفي والمصدر الأساس لطاقتها المتجددة، وكلما نبضت معرفته تقلصت حدود ممارسته وازدادت فقرا، ويتولى التأهيل تطوير مدارك الصحفي ومعارفه، كما أن التجربة العلمية هي خير محرك فعال ومؤثر قوي لإمداده بالمعارف الضرورية لإنجاح عمله.²

وتعد معرفة الصحفي المهنية معرفة مركبة وموسوعية مما يميزها عن باقي المهن الأخرى كونها مستمدة أصلا من الممارسة الصحفية يعدها المنطق، وهذه الممارسة تأتي من المعرفة الدقيقة للاختصاص أي نوعية النشاط الذي يزاوله الصحفي سواء كان إخباريا، تحريريا، أم فنيا، أم إداريا أو غيره، وتشمل ثلاثة جوانب: الأولى ما يتصل بالمزايا الشخصية المتمثلة بالعقلية والعاطفة والخبرة والعلاقات والدينامية الاجتماعية، وغيرها. والثانية تأتي من تطوير الخبرة العملية في الممارسة الصحفية المحددة بالذات، إذ تتكون الخبرة من التكثيف النوعي وليس الكمي للممارسة اليومية والمستمرة بلا انقطاع، أما الثالثة فهي الاستفادة من خبرات الآخرين من العاملين المبدعين في الصحافة. فالممارسة الصحفية هي مزاوله الصحفي للمهنة الصحفية بكل ما تنطوي عليه من حقوق وواجبات... ويكتسب الصحفي خبرته فضلا عن تأهيله الأكاديمي عن طريقتين هما: أولهما كسب المعرفة من خلال الممارسة وثانئهما المعرفة الدقيقة بالاختصاص الذي يمارسه.³

من هنا، فالصحفي هو العنصر الأساس في صناعة الصحافة، فهو المسؤول في النهاية عن جميع المعلومات ومراجعتها واستكمالها وصياغتها ثم اختيار الصالح منها للنشر، ولذلك نجد أن رسالة الصحافة أو مهمتها تقع على عاتقه، وليس هناك أشق من مهنة الصحافة بالنسبة للمسؤولية، وما يترتب عليه من واجبات وما ينبغي أن يتمتع به من كفاءات وقدرات وموهبة، لأن الصحفي يحتل مركز القيادة والتوجيه بالنسبة للرأي العام.

ولذلك ينبغي عليه أن يكون واسع الثقافة، على جانب كبير من اللباقة والذكاء ومعرفة نفسية الجمهور، وإدراكه لمتطلباته، فضلا عن تحليه بعقيدة راسخة، وقلم بليغ يفرض عليه مخاطبة الجمهور كل يوم بأسلوب سهل مشوق.

فالصحفي فتان موهوب بطبيعته، لأن من يجمع هذه الصفات كلها لابد أن يكون قد نالها من طريق الموهبة والدراسة، وقد لا تنفع الدراسة في إعداد صحفي ناجح كالممارسة والموهبة.⁴ والصحفي قبل كل شيء ينبغي أن يكون دقيق الملاحظة ويعرف ما يثير اهتمام الرأي العام، وكيف يقتنص الأخبار المهمة، ويكشف عن الحقائق التي غالبا ما تكون مستورة بطريقة رقيقة، والفرق بينه والرجل العادي، أن الرجل العادي يمر أحيانا بحادثة أو ظاهرة معينة قد يجدها عادية أو تافهة لا قيمة لها،

1- جيهان أحمد رشقي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، ط1، 1978، ص229-230.

2- عزيز السيد جاسم: مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، العدد/4، دار أفق عربية للصحافة والنشر، عمان 1995م، ص93.

3- المرجع نفسه، ص99.

1- محمود علم الدين: الصحافة في عصر المعلومات، الأساسيات والمستحدثات، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000م، ص37.

بينما يستطيع الصحفي أن يجد في هذه الحادثة أو الظاهرة ما يلفت الأنظار، ويثير الانتباه أو يعبر عن قضية تهم الرأي العام، ويحتاج الصحفي إلى سعة الحيلة والجرأة والشجاعة، كما ينبغي عليه أن يكون قادراً على التعبير المؤثر.¹ ولكي يكون الإنسان صحفياً وجب عليه أن يستجيب للنداء الصادر من أعماقه، وأن يتوافر فيه المهوبة والرغبة الملحة وقد أصبحت طبيعة ثانية فيه في ملاحظة الحياة والناس، وإن الصحفي مهما اتسع حقول تجاربه فإنه لا يمكن أن يصبح صحافياً بمعنى الكلمة، إن لم تكن فيه تلك العبقرية أو تلك الشعلة المقدسة التي تميز الصحفي الذي يولد على هذه الشاكلة.²

والممارسة الصحفية تتأثر بضغوطات كثيرة تنعكس على القوة الإقناعية للرسالة التي تتمثل بمصادقية المصدر أو الثقة في المصدر والثانية نية المصدر وقدرته على تغيير اتجاهات الجمهور، على صعيد آخر تقوم وكالات الأنباء بتقديم خدمات إخبارية ومصورة وفيلمية لمشتركها من الصحف وتحصل على نسبة كبيرة من الأخبار من خلال هذا الاشتراك لاسيما وكالات الأنباء الرئيسية في العالم، ففي الجزائر مثلاً تشتري جميع الصحف المحلية بوكالة الأنباء الجزائرية التي تعد المرشحة الرئيسية لجميع الأخبار المحلية والعربية والدولية وتبث أخبارها إلى هذه الصحف بعد أن تخضع لسلسلة حراس البوابة لديها، مما يعني أن الخدمات التي تقدمها الوكالة للصحف هي التي تقرّر ما هو متاح من اختيارات أمام إدارة المؤسسة الإعلامية فيما يتعلق بالأخبار، ومن ثم فإنها تفرض قيوداً لما ينشر وما لا ينشر من خلال قراراتها الأولية كحارس بوابة للمواد التي ترسلها إلى مشتركها.³

إن هذه القيود تؤثر في الممارسة الصحفية لحارس البوابة في اتخاذ قرارات النشر، لما تشكّله وكالة الأنباء من سيطرة مباشرة على المعلومات التي تصل إلى الجمهور.

أما عن تأثير الصحف في بعضها بعضاً، فإن الصحفيين العاملين فيها يكونوا عادة قراء جيدين لما ينشر من أخبار وموضوعات مختلفة لدى الصحف الأخرى وهذا يعني أنهم يضعون في حساباتهم عدم تكرار الموضوعات التي سبق نشرها في إحداها، وهي أحد النقاط المهمة لما يتعلق بموضوع التغطية الخيرية. وفي السياق نفسه فإن الموضوع المهم في الممارسة الصحفية هو قلق الصحفي المشروع من احتمال انفراد وسيلة أخرى بسبق صحفي يظل هاجساً ضاغطاً على المحرر أو المندوب أو المراسل محور العمل الصحفي في التسابق للحصول على الخبر والإنفراد به.¹

ومن محددات الممارسة أيضاً هو امتلاك الدول المتقدمة صناعياً لتكنولوجيا متطورة للاتصالات السريعة في نقل الأخبار وإداعتها مباشرة من مواقع الأحداث بما يخلق نوعاً من الاختلال في التوازن في بث الأخبار بين الدول المتقدمة والمتخلفة التي لا تمتلك مثل هذه التقنيات، وتشكّل أيضاً ضغوطاً على الممارسة الصحفية لها والتقنية لدول معينة في المسار التواصلي لدول أخرى، وتسمى هذه العملية "الهيمنة الإعلامية" التي تعني تحكم نظم اتصالية من حيث المضمون كماً وكيفاً.²

ويعتد أغلب الباحثين في مجال العلوم الإعلامية أن المعالجة الإعلامية للأحداث وعملية تحويلها إلى نصوص صحفية، تعطي صورة واضحة عن توجه هذه الصحيفة أو تلك، كما أنها تبين خطها السياسي أو العقدي، خاصة وأن الأنواع الصحفية

١- فتحي الأبياري: صحافة المستقبل والتنظيم السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، ١٩٨٥، ص ١٧.

٢- فاروق أبو زيد: مدخل إلى علم الصحافة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط ١٩٩٨، ص ١٦.

٣- ينظر: صالح خليل أبو أصعب: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ص ٩٧.

1- المرجع نفسه، ص ٩٨.

2- محمد نجيب الصرايرة: الهيمنة الاتصالية: المفهوم والمظاهر، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٠٢، ص ١٣٦.

تحمل ضمن شكلها بعضاً من التوضيح عن مضمونها والعلاقة بين الشكل والمضمون هي علاقة عضوية لا يمكن فصلها إلا لغايات دراسية بحتة.

وقد كتب مؤلف تشيكوسلوفاكيا ما مضمونه: إنّ الأنواع الصحفية مختلفة وثمة حدود معينة تميز النوع الواحد عن الآخر، ولا يرجع السبب في ذلك إلى أن المرء لمس ضرورة استخدام أشكال وأنواع مختلفة من الكتابة، وإنما لأنه لا يمكن التعبير بصدق عن مضمون محدد ملموس وبصورة منسجمة مع الواقع، إلا بوساطة المقال الاستفتاحي على سبيل المثال وليس بوساطة التعليق أو الريبورتاج أو المقال.³

ويؤكد تقرير منظمة الصحفيين العالمية أنّ المرء لا يستطيع أن يفهم النوع الصحفي فهماً صحيحاً إلا عندما يراقبها من خلال علاقاتها بالسياسة الإعلامية التي تستند إلى مبادئ وأهداف معينة تطمح إلى تحقيقها.⁴

و تظطلع الأنواع الصحفية بمهام تتوافق وخصوصياتها: فالخبر والتقارير والمقابلة، تقوم بصفة أساسية على تقديم المعلومات والمقال، والمقال الاستفتاحي والتعليق يعتمدُ أساساً البراهين والأدلة والتحليل، أما الريبورتاج والصورة الصحفية والعمود فيرتكز على الطابع الجمالي.⁵

المبحث الرابع-أهمية الأخلاق في ترسيخ الصحافة الإسلامية:

لم تكن مبادئ العمل الصحفي وأخلاقياته بما فيها الواجبات والمسؤوليات لأصحاب العمل والعاملين في الصحافة في اهتمامات العمل الصحفي في بداية ظهوره وفي مراحلها الأولى، ولم تكن هناك أسباب تبرز وضع القواعد العامة للسلوك الصحفي سواء ما تعلق منها بالناشر أو بالكاتب لأنه لم تكن دافعا للدعوة إلى الحد من النقاش والتسابق بين الناشرين على نشر الأخبار بصرف النظر عن صحتها أو وسيلة الحصول عليها.

وقد خاض الناشرون والصحفيون معارك عنيفة بين بعضهم البعض لاختلافهم حول بعض القضايا التي تعلق بممارسة العمل بما فيها القضايا المهنية كانت تنتهي في أحيان كثيرة بعمليات التصفية الجسدية، كما استعمل العاملون معهم مختلف الوسائل بما فيها الشتائم في مقالاتهم ونشراتهم على معارضهم في الصحف والنشرات الأخرى وتسابقوا في جمع الأخبار مستعملين كل الوسائل غير الأخلاقية والدموية.¹

لقد كانت حرية الصحافة شيئاً مقدساً، وقد نصت دساتير تسع ولايات من ثلاث عشرة ولاية على حرية الصحافة، وتجاوزت بعض الصحف الحد في هذه الحرية وحتى الصحفيين لم ينجوا من قسوة هذه الحرية ومضى يشتم بعضهم بعض بأقذع الألفاظ والعبارات.²

فبدايات التجديد في الصحافة العربية قد انتشرت لغة الكتابة من وهدتها وبثت روح الحياة فيها وإن ظلت الصحافة تكتب بطريقة أدبية عالية، مما جعل الفاصل بين الصحف الأدبية والصحف الخبرية غير واضح تماماً في هذا الجيل، لأن معظم

3 - ينظر: أحمد حمدي: دراسات في الصحافة الجزائرية، ص 33.

4 - منظمة الصحفيين العالمية، المرشد في عالم الصحافة، ص 210-211.

5 - أحمد حمدي: دراسات في الصحافة الجزائرية، ص 34.

1- طارق موسى الخوري: أخلاقيات الصحافة، النظرية والواقع، الدساتير ومواثيق الشرف في خمسين دولة، ص 17.

2- المرجع نفسه، ص 21.

المحررين كانوا يكتبون بلفظة أدبية.³ فوسائل الصحافة والإعلام تمتاز بوجود عوامل تنظيمية خاصة بها تتصف بالمرونة والحرية باعتبار أن حرية الرأي والتعبير والحصول على المعلومات جزء ثابت من حقوق الشعوب والأفراد وأن الحرية الصحفية ركيزة أساسية من ركائز العمل الصحفي،⁴ وكلما عرف الصحفي دقائق الموضوع الذي يكتب عنه، وأحاط ببطانته وخباياه كان ذلك أدعى لتحقيق النجاح المطلوب.⁵

ويبدو من الممارسة العملية لمهنة الصحافة منذ أن بدأت تعد مهنة قبل حوالي ثلاثمائة عام وحتى يومنا هذا أن الالتزام بأخلاقيات المهنة سواء أكان متفق عليه شفاهاة أو كتابة قد تم الإخلال به في معظم الدول.⁶

فالصّحفي الممتن، مهما كان وضعه هو الشخص الذي يكون عمله المنتظم والرئيس المدفوع من ممارسة المهنة في واحدة من وسائل الإعلام أو أكثر، التي منها يأخذ الجزء الأكبر من دخله الحق في المعلومات والحرية وفي الكلام والنقد، وهي واحدة من الحريات الأساسية التي تشارك في الدفاع عن الديمقراطية والتعددية الإعلامية. ومن هذا الحق في المعرفة ونشر الحقائق والآراء، تنبثق جميع واجبات وحقوق الصحفيين.

إن مسؤولية الصحفي اتجاه الناس أكثر أهمية من أي مسؤولية أخرى، خاصة مسؤوليته تجاه الذي يعمل لديه وتجاه السلطات السياسية، إن مسؤولية الإعلام تتضمن حدودا على الصحفيين أن يفرضوها على أنفسهم بحرية.¹ هذا، وتبقى الأصالة أحد أعمدة الثبات التي يقوم عليها الصحفي بناء شواهد عمارته، والأسلوب الخاص، المتميز أو المتفرد، مطلوب يعززه حسّ مهرف، وثقافة عامة وتوجه إنساني نبيل.

فاشترط الصدق والأصالة، والتبيل في الصحفي قبل اشتراطها في الكاتب الأديب منطقي. ففرصة قراءة كلماته وأفكاره التي تعانق عيون القراء كل يوم، ومن هنا تأتي أهمية الصحفي وتقدير مهماته ورسائلته الأخلاقية الجليلة التي تقع على عاتقه. ذلك أنّ الأخلاق من الخلق وهو حال النفس به يفعل الإنسان أفعاله بلا رؤية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد وقد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمد كالشجاعة والعلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة وكثير من الناس من يوجد فيهم ذلك. أمّا الأخلاق المذمومة فإنها موجودة في كثير من الناس كالبخل والجبن والشرّ فإن هذه العادات غالبية على أكثر الناس مالكة لهم.²

ولئن كانت الأخلاق: جمع خُلُق وإن ارتبطت في أصل وضعها بمعانٍ منها: التقدير و الدّين والطبع والسجّية و المروءة،³ فإنّ حقيقتها الاصطلاحية أنها وصف لصورة الإنسان الباطنية وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة⁴ وقيل الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً.⁴

3- عبد العزيز شرف: الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية، ص 66

4- طارق موسى الخوري: أخلاقيات الصحافة، ص 61.

5- سلام خياط: صناعة الكتابة وأسرار اللغة، ص 180.

6- طارق موسى الخوري أخلاقيات الصحافة، ص 42.

1- طارق موسى الخوري أخلاقيات الصحافة، ص 83.

2- ماجد فخري: الفكر الأخلاقي العربي، ص 11.

3- ابن منظور: لسان العرب 11/86 مادة خلق وينظر : القيروزي: القاموس المحيط، 3/236 مادة خلق).

4- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين 3/53.

وذهب بعضهم إلى أن الأخلاق هي علم الواجبات أي العلم الذي يعرف الإنسان الواجبات كما يجب أن يفعلها ومن ثم كان إطلاق الأخلاق على الدين في اللغة كما سبق في الاصطلاح أحيانا كما بيّنّا. والأخلاق في الإسلام مبادئ وقواعد منظّمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتحديد حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.⁵

خاتمة:

لئن كانت الأخلاق نظاماً من العمل من أجل الحياة الخيرة كطريقة التعامل مع أي كان إنساناً أو حيواناً، فإنّها لا تقتصر الأخلاق في الإسلام على الجانب النظري فقط بل هي تكامل بين الجانبين النظري والعلمي. كما أن النظام الصّحفي بأخلاقياته المهنية ليس جزءاً من النظام الإسلامي العام فحسب بل إنّ الأخلاق جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه، فالنظام الإسلامي عموماً مبني على فلسفته الخلقية أساساً ومصداق ذلك قول الرسول-صلى الله عليه وسلّم: (إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)¹ ويؤكد ذلك قول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلّم- أيضاً: (إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)²، والخلق والعمل سواء كان لخدمة الذات أو لخدمة الإنسانية. ولم يكتف الإسلام بإضافة الصفة الأخلاقية على نوع السلوك ولو لم يتسم بصفة النفع أو الضرورة، لأن الأخلاق في نظر الإسلام لا تحل معنى النفع فحسب بل تحمل إلى جانب ذلك المعنى التحسيني والجمالي³ ويتّضح أخيراً أنّ الأخلاق الإسلامية تحاول إخضاع كل سلوك ما ظهر منه وما بطن لروح الأخلاق التي جاء بها، وهي تستهدف من وراء ذلك صلاح الإنسان وسعادته في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى. ومن ثم لم يكن هدفه تحقيق النّفع للإنسان فقط بل تحقيق الحياة الأدبية التي تمتاز بها حياة الإنسان على حياة الحيوان والكلمة الطيبة إحداها، بما يحقّق كمال الفرد والمجتمع وترقية إعلامه وصحافته.

المصادر والمراجع:

العربية:

-القرآن الكريم .

١. أبو أصعب، صالح خليل ، :الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٥م.
٢. الأبياري، فتحي : صحافة المستقبل والتنظيم السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
٣. أبو زيد، فاروق: مدخل إلى علم الصحافة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.
٤. أحمد رشتي، جيهان : الأسس العلمية لنظريات الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ، دار العربي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٧٠م.

5 - موسوعة أخلاق القرآن ، ١/ص أ.

1- محمد المدعو الرؤوف المناوي: فيض القدير، شرح الجامع الصغير ط١، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٠٦ هـ - ١٩٣٨م، ٥٧٢/٢.
 2- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٢٢/٤.
 3 - :مقداد يلجن: الاتجاه الأخلاقي في القرآن(دراسة مقارنة)، ط١، ١٩٧٣م، ص ٨٢.

٥. إسماعيل ،عز الدين : مقدمة في النقد الأدبي، مجلة محاور : مجلة النقد الأدبي والدراسات الثقافية، تصدرها الجمعية المصرية للنقد الأدبي، العدد ١ ، ٢٠٠٤ م.
٦. -أنشاصي، مصطفى :معركة المفاهيم- الحضارة..الثقافة..العولمة-هي الدين ، مجلة شؤون العصر- المركز اليمني للدراسات الإستراتيجية، العدد ٢٤، السنة الحادية عشرة، محرم-ربيع أول ١٤٢٨هـ-يناير-مارس ٢٠٠٧م.
٧. أنيس، إبراهيم ، وآخرون:المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت. 7.
٨. راي تيل، ليونارد و تيلور رون ، :مدخل إلى الصحافة- جولة في قاعة التحرير- تر:حمدي عباس،الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ١٩٩٠م.
٩. -البادي، محمد :الإطار التربوي لقضية الأخلاقيات المهنية في وسائل الاتصال الجماهيرية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الأول ١٩٩٧م.
١٠. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :لسان العرب ،دار التراث للطباعة والنشر.
١١. -بهجت، حمزة وكشك ، محمد:الاتصال ووسائله في الخدمة الاجتماعية،المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية١٩٨٢م.
١٢. -الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣. التويجري، عبد العزيز:العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد ٩٩، السنة العاشرة، ١٩٩٨م.
١٤. حرب ،على: حديث النهايات ، فتوحات العولمة ومزق الهوية، بيروت، ٢٠٠٠ م.
١٥. حمدي، أحمد:دراسات في الصحافة الجزائرية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع،بوزريعة الجزائر ر، دط، ٢٠٠٠م.- شرف، عبد العزيز :الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية، دار عالم الكتب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤، ١.
- a. خياط، سلام :صناعة الكتابة وأسرار اللغة، شركة رياض الرّيس للكتب والنشر، ط١، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
١٦. الدرة، عبد الباري :من هو المدير العر بي الفعال؟،نحو نظرة متكاملة لفعاليتها،مجلة الإدارة العامة،العدد ٤٢ ،الكويت، لسنة ١٩٩٢م عبد الباري ٨٢م.
١٧. الزبيدي عبد الرحمن: مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية،مجلة علمية تابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود،العدد الثاني، ١٤١٠ هـ.
١٨. سماحة، محمد مسعد: العولمة الأمريكية والعولمة البديلة ، مجلة النور،العدد ٨٥،السنة التاسعة، ١٩٩٨ م .
١٩. -سيد فهيم، محمد :الإعلام من المنظور الاجتماعي،دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٤م.
٢٠. الشرباصي، أحمد(دت)،موسوعة أخلاق القرآن، ، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي.
٢١. صابات، خليل :الصحافة رسالة، استعداد، فن، علم، دار المعارف بمصر القاهرة، دط، ١٩٥٩م.

٢٢. -الصريرة، محمد نجيب :الهيمنة الاتصالية : المفهوم والمظاهر، مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت، المجلد ١٨، العدد ١٩٩٠، ٢٠٠٢ م.
٢٣. عمارنة، صلاح الدين ،:العولمة، مجلة المهندس ، العدد ٦٥.
٢٤. -عبد فريح المولى، كاظم :العالمية والعولمة، مجلة مآب، العدد ٣، السنة الأولى، ٢٠٠٧ م.
٢٥. -عزيز السيد، جاسم: مبادئ الصحافة في عالم المتغيرات، دار أفاق عربية للصحافة والنشر، عمان ١٩٩٥ م.
٢٦. عبد الكريم، ذياب :العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مجلة الفرقان ، العدد ٩٩، السنة العاشرة، ١٩٩٨ م.
٢٧. عبد اللطيف حمزة ،: أزمة الضمير الصحفي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.
٢٨. علم الدين ،محمود : الصحافة في عصر المعلومات، الأساسيات والمستحدثات، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
٢٩. فخري، ماجد الفكر الأخلاقي العربي، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٨ م.
٣٠. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب :القاموس المحيط، مؤسسة فن الطباعة، مصر.
٣١. غارودي، روجيه: نحو حروب دينية، ترجمة صياح الهميم، دار عطية بيروت، ١٩٩٦ م.
٣٢. القرني علي بن حسن: من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية ، الرياض. المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٥ م.
٣٣. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد : إحياء علوم الدين:، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣٤. -محمد الجمال، راسم: الاتصال والإعلام في الوطن العربي، دار الوحدة العربية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١ م.
٣٥. -محمد حسن، سمير ، :الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤ م.
٣٦. - محمد العمري، أبو النجا ، :الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار المعارف الإسكندرية ، ١٩٨٦ م.
٣٧. منظمة الصحفيين العالمية، المرشد في عالم الصحافة، براغ، ١٩٨٧ م.
٣٨. موسى الخوري، طارق: أخلاقيات الصحافة، النظرية والواقع، الدساتير ومواثيق الشرف في خمسين دولة، دار الكنوز والمعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٤ م.
٣٩. يلجن ،مقداد :الاتجاه الأخلاقي في الإسلام (دراسة مقارنة) ، ط١، ١٩٧٣ م.
٤٠. المناوي، محمد الرؤوف : فيض القدير شرح الجامع الصغير مطبعة مصطفى محمد، ط١، ١٣٠٦ هـ - ١٩٣٨ م.
٤١. اليماني، الحسن: الصحافة ولقب صاحبة الجلالة ، السبت ٢٠ جويلية ٢٠١٣ م ، في الس اعة ٣٠: ١٠.

www.dades_info.com

الأجنبية:

Glbson. L.James. et.al organizations Behavior structure processes, Business, publications, INC, Sussex. U.S.A 1976.



تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري: دراسة ميدانية لطلبة جامعة مستغانم أنموذجاً الباحثة أسمهان كسيرة/جامعة مستغانم

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجزائري، بحيث تزايد الاهتمام مؤخراً بالانترنت، نظراً للمكانة التي أصبحت تحتلها هذه الوسيلة بين الشباب، فنجدها قد بلغت درجة هامة في القدرة على الاستجابة لمختلف اهتمامات الشباب الجامعي، فمن توفير المعلومات العلمية والمهنية المتخصصة إلى خدمات التسلية والترفيه وصولاً إلى الاتصال الشخصي بين الأفراد لتكون الانترنت قد اختصت باستعمال مدمج وشمولي من شأنه أن يدعم الاستخدامات الاجتماعية لبنيات المنظومة الاتصالية.

وقد تبين من خلال الدراسة الميدانية، بأن الانترنت كوسيلة رقمية تكنولوجية قد استجابت لرغبات وحاجات الشباب الجامعي التي تتمثل في التزود بالمعلومات وكذا التثقيف والتفتح على ثقافة العالم الآخر، وبذلك نجد أن الانترنت قد ساهمت في غرس ثقافة جديدة لدى الطالب الجامعي وذلك نتيجة للاستخدام المتكرر لهذه الوسيلة.

الكلمات المفتاحية: التأثير، الانترنت، ثقافة الشباب.

مقدمة:

إن الانترنت كوسيلة اتصال تعد المظهر الأكثر تجلياً لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، وبمجرد الحديث عن هذه التكنولوجيات نذكر شبكة الانترنت في المقام الأول كأهم وأحدث تقنية اتصالية أنشأها الإنسان لتعزيز تفاعله و ترابطه مع غيره من بني البشر، وذلك لما له من مميزات منها تيسر عملية التواصل الاجتماعي بين الأفراد وتمكنهم من اختصار المسافات و الفضاءات و تعزيز إمكانيات الاتصال الإنساني، فتخلق فضاءات افتراضية لتواصل الأفراد.¹

وفي سياق متصل، تبرز أهمية الانترنت في حياة الشباب من خلال طبيعتها ومادتها المتنوعة وطريقة اتصالها التي تبنى أساساً على الحياة الافتراضية التي تؤثر في حياة الشباب بدرجة كبيرة فتؤثر في كيانهم و اتجاهاتهم وتدمجهم في بنية افتراضية عالمية.²

فنجد الشباب العربي (و الجزائري خاصة)، يتعرض بصورة خاصة لمضامين الانترنت و كيفية تأثره بها، سواء إيجابياً أو سلبياً على مستوى تكوين اتجاهاتهم أو تغييرها وتعديلها، وخصصنا بالدراسة فئة الشباب تحديداً لأن هذه الفئة هي أكثر

¹ يامين بودهان، اتجاهات الشباب العربي نحو مضامين شبكة الانترنت، مجلة الإذاعات العربية، الصادرة بالأردن، العدد ٢٠٠٦، ص ٩٥.

² المرجع نفسه، ص ٩٦.

فئات المجتمع تلقيا و استخداما لشبكة الانترنت وسائر التطبيقات المختلفة للتكنولوجيات الجديدة ، على اعتبار أنها توفر لهم إمكانات وخدمات اتصالية تشبع حاجاتهم النفسية و الاجتماعية ، وتمكنهم من إثبات ذواتهم وتمنحهم الإحساس بالإثارة والمتعة¹.

وفي سياق متصل يرى "عزي عبد الرحمن" أن كل اكتشاف في الاتصالات يحدث هزة ثقافية خاصة ، فاكتشاف الكتابة أوجد لغة الرموز، واكتشاف الطباعة نقل الثقافة من الحالة الشفوية إلى المكتوب واكتشاف الإذاعة و التلفزيون أدخل ثقافة سمعية بصرية، وأخيرا أدى اكتشاف الحاسوب و الشبكات المعلوماتية إلى بروز الثقافة التفاعلية، هذا التجاذب و إن كان يمس شكل الثقافة و ليس محتواها بالضرورة، فإنه يبرز مدى التفاعل الجدي بين الثقافة ووسائل الاتصال².

وتختلف ثقافة الشباب عادة عن الثقافات الفرعية الأخرى التي توجد بين الفئات العمرية الأكبر على الأخص أجيال الآباء، كما أن هذه الثقافة غالبا ما تكون ذات طابع راديكالي يرفض القديم.

وعلى هذا تم اختيار فئة الشباب خاصة الشباب الجامعي باعتباره يعيش فترة متميزة تستحق التركيز بالبحث و الدراسة و كان إحساسنا بالمشكلة و مدى أهميتها دفعنا إلى دراسة موضوع تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري "دراسة ميدانية بجامعة مستغانم" محاولين بذلك دراسة تبني الشباب لعادات و سلوكيات جديدة جراء استخدام الانترنت و تأثيره على ثقافتهم وانعكاسها على ثقافتهم المحلية و ثقافة مجتمعهم الأصلي.

و مما تقدم يمكن لنا الانطلاق من سؤال مركزي يتمثل في :

- ما مدى تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري ؟

و للإجابة عن هذا التساؤل الرئيسي نطرح التساؤلات الفرعية الآتية :

١- كيف يؤثر استخدام الانترنت على الأنساق الثقافية للطلبة الجامعيين ؟

٢- هل تخلق الانترنت ثقافة جديدة لدى الشباب ؟

ضبط بعض المفاهيم الأساسية:

١- التأثير:

يعرف التأثير بأنه ترك الأثر في الحياة اليومية للأفراد دون تخصيص لجانب من جوانبه فقد يكون الأثر حاصلًا في طريقة تفكيرهم أو في عاداتهم أو في سلوكياتهم³.

و هذا يعني ترك الأثر في حياة الفرد بصفة عامة تشمل جميع الجوانب دون التخصيص.

¹ نفس المرجع، ص ٩٦.

² بورحلة سليمان: أثر استخدام الانترنت على اتجاهات الطلبة الجامعيين وسلوكياتهم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، إشراف: أحسن بومالي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٠٨.

³ عاطف عدلي العبد، الاتصال والرأي العام، القاهرة، دار الفكر العربي، ب ط، ١٩٩٣، ص ٣١.

وفي سياق متصل يعرف التأثير من منظور آخر، أنه عبارة عن التغيير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة الإعلامية حيث يمكن من خلاله لفت الانتباه و يستطيع إدراكها و فهم معانيها فهي تضيف إليه معلومات جديدة وتدفعه إلى العمل على تعديل اتجاهاته القديمة و خلق اتجاهات جديدة.¹

٢- الانترنت:

تعرف الموسوعة الإعلامية الانترنت أنها شبكة عملاقة تمثل الحاضر و المستقبل معا، تختصر الزمن، و تنشر العلم و الثقافة و المعلومات و الأفكار و الآراء و الأخبار، و تشارك في إعادة صياغة حياة الإنسان و حياة المجتمع ، بل و حياة المجتمعات بأسرها، و هي تتيح لأجهزة الكمبيوتر في جميع أنحاء العالم الاتصال ببعضها من أجل تبادل المعلومات بل و المشاركة في صنعها أيضا، و بذلك أصبحت شبكة الانترنت نافذة عريضة نطل منها على العالم عبر شاشة كمبيوتر لا تتوقف عن العمل.²

من هذا التعريف يتبين أن الانترنت هي شبكة من المعلومات والأخبار تساعد الفرد في تعامله مع الحياة اليومية.

أما الباحث "محمد عبد الحميد" يعرف الانترنت بأنها نظام للبنية الأساسية التي توفر الربط و تدعيم الاتصال و نقل البيانات بين الشبكات، بينما الشبكات الأخرى أيا كان موقعها من شبكة الانترنت فإنها تنظيم للمحتوى و إدارته، و تحكمه للمعايير الخاصة بإدارة المحتوى و نشره على شبكة الانترنت.³

٣- ثقافة الشباب:

يمكن تعريف ثقافة الشباب على أنها مجموعة من القيم و معايير السلوك و أنماطه ذات رموز لها دلالتها، لعدد من الفاعلين يقوم بينهم تفاعل فعال وتواجههم مشكلات توافقية مشتركة و لا يجدون حلا فعال لما يصادفهم من مشكلات مشتركة.⁴

يعرف "السيد عبد العاطي" ثقافة الشباب بقوله: "إن ثقافة الشباب هيكل من القيم و الاتجاهات و المعتقدات و معايير و أنماط السلوك التي يصنعها جيل الشباب كحلول يتصورها لبعض المشاكل البنائية".⁵

منهج الدراسة وأدواته:

باعتبار مناهج البحث متعددة و متنوعة فإنه يتحتم على باحث اختيار المنهج المناسب الذي يخدم بحثه بطريقة علمية و منهجية سليمة، وكما نعلم بأن هناك العديد من الدراسات في العلوم الاجتماعية و الثقافية و كل دراسة تتطلب مناهج معينة من أجل الوصول الأهداف المسطرة في بداية البحث.⁶

¹ جميل صليب، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ب ط، ١٩٨٢، ص ٣٧.

² محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، المجلد الرابع، بدون بلد، دار الفجر للنشر والتوزيع، ب ط، ٢٠٠٣، ص ٦٤، ٦٥.

³ محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت، القاهرة، عالم الكتب، ب ط، ٢٠٠٧، ص ١٤.

⁴ السيد عبد العاطي، صراخ الأجيال، دراسة في ثقافة الشباب، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، ١٩٩٠، ص ١٢٥.

⁵ نفس المرجع، ص ٥٥.

⁶ سمير محمد حسن، بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، القاهرة، عالم الكتب، ب ط، ١٩٩٥، ص ١٣.

فالباحث ملزم باختيار نوع المنهج الذي يصب فيه تحليل معطياته وعلى هذا الأساس اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعتمد فيه الباحث على التحليل بجمع البيانات الدقيقة وذلك للخروج بتعميمات وكذا جمع الحقائق و تفسيرها واستنباط كل النتائج أي تصوير الواقع الاجتماعي وتحليله، بحيث يعرفه الباحثين بأنه: وصف ظاهرة معينة ماثلة في الوضع الراهن، فيقوم بتحليل خصائص تلك الظاهرة و العوامل المؤثرة فيها¹.

بحيث يركز المنهج الوصفي التحليلي على وصف الظاهرة أو طبيعة مجتمع معين أو سلوك أفراد و يدرس العلاقة الموجودة بين المتغيرات².

ويمكن تعريفه أيضا على أنه: « أسلوب من أساليب التحليل المتمركز على معلومات كافية و دقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة و ذلك من أجل الحصول على نتائج عملية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة³ » .

وعليه فدراستنا تندرج ضمن الأبحاث الوصفية التي تستهدف توصيف وتحليل خصائص مجموعة معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التحديد، أو دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الحقائق و الأوضاع وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها دون الدخول في أسباب التحكم فيها⁴.

من أجل أن تكون المقاربة المنهجية الوصفية على مستوى معين وكبير من الدقة و البعد العلمي الموضوعي فهي تحتاج إلى توظيف و استخدام أداة الاستمارة (الاستبيان) و الملاحظة كأداة مساعدة إلى جانب الاستبيان التي تتمظهر- أي هذه الأخيرة - من خلال تفرغ البيانات و المعطيات الميدانية وذلك وفقا و تماشيا مع تنظيم المتغيرات و المؤشرات، و تحويلها إلى بيانات رقمية في شكل جداول إحصائية بسيطة بهدف قراءتها قراءة تحليلية نقدية وذلك بتحويل الأرقام إلى جملة من الدلالات الإحصائية تسمع لنا بتوخي التفسير و الفهم الصحيحين.

بحيث تعتبر الاستمارة تقنية أساسية في جمع المعلومات التي يتطلها البحث الميداني ، و بناء على طبيعة الموضوع فإنه يفرض علينا نوع الأدوات المناسبة لذلك، لهذا سوف يكون اعتمادنا على أداة الاستمارة التي سيكون استخدامها في دراستنا هذه كأداة لجمع البيانات حتى يتسنى لنا من خلالها الكشف عن مدى تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري.

ومن هنا قد شملت الاستمارة التي قمنا بتصميمها على ثلاثة محاور تتماشى وفق الأسئلة المطروحة في الإشكالية وذلك لإيجاد إجابة موضوعية ودقيقة، وقد تضمنت الاستمارة^٢ سؤالاً موزعا على المحاور الآتية:

المحور الأول: يتمثل في البيانات الشخصية وتضمن مجموعة من الأسئلة وهي: الجنس، السن، المستوى الجامعي، التخصص العلمي، وشمل هذا المحور على أربع^٥ أسئلة.

^١ أحمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٣، ص ٢٩١.

^٢ أحمد بدوي، مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والإعلام الدولي، بدون بلد، دار القبة للطباعة والنشر والتوزيع، ب ط، ١٩٩٨، ص ٢٩١.

^٣ محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، عمان، دار وائل للنشر، ١٩٩٩، ص ٤٦.

^٤ سمير محمد حسن، مرجع سبق ذكره، ص ١٣.

المحور الثاني: وتضمن هذا المحور مجموعة من الأسئلة للتعرف على استخدام الطلبة لشبكة الانترنت (أوقات الاستخدام، أماكن الاستخدام، التفضيلات الزمنية، المدة المخصصة للانترنت يوميا وأسبوعيا، المحتويات و الخدمات المفضلة) والذي شمل على عشرة (١) أسئلة.

المحور الثالث: وفي هذا المحور قدمنا مجموعة من الأسئلة التي تربط الانترنت بثقافة الشباب ، و مدى مساهمة الانترنت في تطوير القدرات الفكرية و الإدراكية و المعرفية للمستخدم ، والذي احتوى على عشرة (١) أسئلة.

ويعتبر أفراد هذه العينة كطلبة ممثلين للمجتمع الكلي، فهي تعد أداة إجرائية وجزئية مدعمة ومكملة تعمل على تدعيم وإثراء بقية الأدوات المنهجية المستعملة في جمع البيانات.

وعليه فقد تم اختيار أو الاعتماد على عينة غير احتمالية قصدية، والتي تستخدم عموما في الدراسات التي تتطلب القياس أو اختيار فرضيات محددة وبخاصة إذا كان مجتمع البحث غير مضبوط الأبعاد، ففي مثل هذه البحوث يلجأ الباحث لاختيار مجموعة من الوحدات التي تلاءم أغراض بحثه^١.

ومن الدواعي المنهجية التي دعت إلى اختيار العينة ما يلي:

- أهمية الطلبة الجامعيين في المجتمع، وذلك على اعتبار أنها الفئة المثقفة بالإضافة إلى حجمها الكبير في الجزائر.

- سهولة التواصل مع هذه الفئة.

- تعامل الطلبة مع التكنولوجيا الحديثة سواء للبحث العلمي أو لاعتبارات أخرى.

- بما أن الشباب الجامعي هو من الفئة التي تحب التجديد والتغيير وتميل إلى التكنولوجيا الجديدة، فالانترنت توفر لهم كامل المعلومات التي تناسب خصائص الشباب الجامعي.

ومن أجل السعي إلى بلوغ الدقة إلى حد ما، فإننا نستطيع أن نأخذ حجم العينة مقياسا أساسيا لتمثيل المجتمع الكلي تمثيلا جيدا لأن العينة لا تعيننا حجمها، بل تعيننا تلك المعطيات التي تمثل سوسيولوجية حقيقية.

وبما أن موضوعنا يبحث في تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري، فهو بذلك يسعى إلى معرفة مدى تأثير الانترنت كوسيلة تكنولوجية على ثقافة الشباب من خلال الاستخدام والتفاعل مع هذه الشبكة.

نتائج الدراسة:

^١ رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨، ص ٢٧٦.

جدول رقم (٥): مدة استخدام الانترنت

النسب المئوية	التكرارات	التكرارات والنسب الإجابة
١٣,٣٣%	٥٦	أكثر من ١٠ سنوات
١٧,٧٧%	٥٨	من ٥ إلى ١٠ سنوات
٥٣,٣٣%	٢٤	من سنة إلى ٥ سنوات
١٥,٥٥%	٥٧	أقل من سنة
١٠٠%	٤٥	المجموع

فمن القراءة الإحصائية للجدول رقم (٥) يتبين أن أغلبية أفراد عينة البحث بدؤوا استخدام الانترنت منذ سنة إلى ٥ سنوات بنسبة (٣٣,٣٣, ٣٥%) في حين تمثل نسبة الطلبة الذين يستخدمون الانترنت من ٥ إلى ١٠ سنوات تقدر نسبتهم ب(١٧,٧٧) ونجد هناك تقارب في النسب ما بين الذين يستخدمون الشبكة العالمية أقل من سنة بنسبة (١٥,٥٥) وأكثر من ١٠ سنوات (١٣,٣٣).

بحيث يتبين من خلال هذه النسب أن أغلبية الطلبة لم يبدؤوا التعامل مع الانترنت إلا منذ ٥ سنوات فقط، ويعود سبب تأخر الطلبة في الالتحاق - في تقديرنا- بركب مستخدمي الانترنت إلى عدة أسباب منها:

- حداثة هذه الوسيلة مقارنة بالوسائل الأخرى.

- تأخر انتشار الانترنت في المجتمع الجزائري بصفة عامة.

- عدم انتشار الانترنت في المؤسسات التعليمية السابقة كالثانويات مثلا من حيث كان الطلبة يزاولون دراستهم قبل أن يلتحقوا بالجامعة.

جدول رقم (٠٢) : مكان ارتباط الطالب بشبكة الانترنت

النسب المئوية	التكرارات	التكرارات والنسب الإيجابية
٥١,١١%	٢٣	من المنزل
٢,٢٢%	٠١	من مكان العمل
١٧,٧٧%	٠٨	من مكان الدراسة
٢٢,٢٢%	١٠	من مقهى الانترنت
٤,٤٤%	٠٢	الإقامة الجامعية
٢,٢٢%	٠١	المكتبة
١٠٠%	٤٥	المجموع

كشفت الدراسة أن أكبر نسبة من المبحوثين - الطلبة- يستخدمون الانترنت من المنزل بنسبة (٢٣, ١-٥١%)، حسب إجابات المبحوثين، ويعود هذا- في تقديرنا- بسبب توفر شبكة الانترنت في الفضاء الأسري الجزائري وأهمية هذه الوسيلة في حياة الطالب الجامعي التي تسهل عليه عملية البحث وتوفر الجهد والمال، ومن جهة أخرى انتشار الانترنت داخل المنازل في الجزائر يبقى محدودا على عكس ما هو حاصل في العالم المتقدم حيث أصبح وجود الانترنت في المنزل مثله مثل جهاز التلفزيون.

ثم تأتي الجامعة أو مكان الدراسة كمكان ثاني يوفر للطلبة استخدام الانترنت بنسبة (٧٧,٨-١٧%)، وذلك بحكم توفر أجهزة الكمبيوتر الشخصي للطالب الجامعي الذي يساعده في أبحاثه العلمية إضافة إلى مبادرة الجامعة بفتح الأبواب أمام الطلبة لاستخدام الانترنت مجانا، ولكن يبقى هناك نقص من ناحية توفر الانترنت في الجامعات الجزائرية .

وفي ظل هذه الظروف تبقى مقاهي الانترنت المكان الأكثر توفرا للطلبة بنسبة (٢٢, ٢-٢٢%) وهذا راجع إلى أن أغلبية الطلبة لا يمتلكون إمكانيات مادية كافية لإدخال الانترنت إلى البيت وعلى اعتبار أن البعض منهم يلجئون إلى المقاهي الافتراضية هروبا من الرقابة الأسرية.

إضافة إلى الأماكن التي حددت في أسئلة استمارة الاستبيان، فقد ترك مجال أو فضاء مفتوح لتحديد أماكن أخرى قد يرتبط بها الطالب أثناء استخدامه للانترنت، فالبعض من المبحوثين حددوا مكان الإقامة الجامعية وقدرت نسبتهم ب(٠٢-٤,٤%) وهذا راجع إلى إقامة البعض من الطلبة والطالبات بالأحياء الجامعية. أما من مكان العمل والمكتبة فقد تقاربت نسبتهم ب(٢,٢٠-٢%)، وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة مع باقي النسب.

جدول رقم ٣ (٠): استعمال شبكة الانترنت

النسب المئوية	التكرارات	التكرارات والنسب الإيجابية
٢٨,٨%	١٣	دائما
٤٢,٢%	١٩	أحيانا
٢٨,٨%	١٣	حسب الظروف
١٠%	٤٥	المجموع

إن أغلبية المبحوثين يستخدمون الانترنت أحيانا بنسبة (٢٢,٢, ٤٢%) ، وهذا راجع - في تقديرنا - إلى تفرغ الطلبة للإبحار في الشبكة العالمية، فكل حسب ظروفه وحسب حاجاته، ثم تليها بنسب متقاربة من يستعملون الانترنت بصفة دائمة وحسب الظروف بنسبة تمثل (٢٨,٨, ٢٨%).

جدول رقم ٤ (٠): مدة استعمال شبكة الانترنت

النسب المئوية	التكرارات	التكرارات والنسب الإيجابية
٣٣,٣٣%	١٥	أقل من ساعة
٤٠%	١٨	ساعتان
١١,١١%	٥	أكثر من ٤ ساعات
١٥,٥٥%	٧	حسب الظروف
١٠٠%	٤٥	المجموع

مما هو ملاحظ من خلال إجابات المبحوثين، أن أغلبية أفراد عينة البحث يستخدمون الانترنت لمدة ساعتان يوميا بنسبة (٤٠,١٨%)، فهذه المدة قليلة مقارنة مع الكم الهائل الذي توفره الانترنت من معلومات ومن جهة أخرى نلاحظ من خلال هذه النسبة أن الطلبة الجامعيين ليسوا بمدمنين على استعمال الانترنت بل هم منتظمين في تقسيم أوقاتهم ومحاولة التوفيق بين وقت الدراسة ووقت الدخول إلى فضاء الانترنت، ثم تليها مدة أقل من ساعة بنسبة (٣٣,٣٣, ٣٣%) من إجابات المبحوثين،

وهذا دليل على أن الطلبة هم من الفئة الواعية والمتزنة في استخدام الشبكة العالمية الرقمية وهم بذلك يختارون أوقات مناسبة لذلك، ثم يأتي توجد نسبة معتبرة من الطلبة الذين يستعملون هذا الفضاء الافتراضي حسب ظروفهم بنسبة تمثل (١٥,٥٥٧%) وكأخر مدة يقضيها الطال أمام الكمبيوتر تتمثل في ١٩, ١١) وهي مدة أكثر من ٤ ساعات في اليوم.

جدول رقم (٠٦): اكتساب الطالب ثقافة جديدة من خلال استخدام الانترنت

التكرارات والنسب	التكرارات	النسب المئوية
الإجابة		
نعم	٤١	٩١,١%
لا	٠٤	٨,٨%
المجموع	٤٥	١٠٠%

فمن خلال البيانات الواردة في الجدول ، يتضح أن الانترنت تكسب الطالب ثقافة جديدة بنسبة إحصائية تمثل (١٠٩,١%) من إجابات الباحثين، وهي نسبة كبيرة جدا ، أما نسبة الطلبة الذين لا تكسبهم الانترنت ثقافة جديدة فتتمثل بنسبتهم ب (٨,٨٨%).

فالثقافة الجديدة التي يكتسبها الطالب أثناء استخدامه للانترنت تتمثل بالدرجة الأولى في التعرف على ثقافة العالم الآخر بنسبة إحصائية (٣٥,٥٥٦%) من إجابات الباحثين، وتحتل الثقافة المعرفية العلمية المرتبة الثانية بنسبة (٢٠,٩%)، أما الثقافة الاجتماعية تمثل (١٧,٧٧٨%)، ونجد هناك توافق في النسب ما بين الثقافة الدينية، الثقافة الفكرية التواصلية والثقافة السياسية بنسبة تقدر ب (١١,١-١٥,١%)، وبنسبة ضئيلة جدا الثقافة الإعلامية (٤,٤٤٠٢%)، وفي المرتبة الأخيرة الثقافة الأدبية (٢,٢٠١%).

إن الشباب يمتلك نسق ثقافي خاص به، فهم يسعون دائما لتطويره حيث يعبر عنه بمفهوم ثقافة الشباب، وهي مجموعة من الرموز التي تعبر عن تحد صريح لقيم المجتمع وثقافته العامة وكل الأنساق الاجتماعية السائدة فيه^١.

وفي سياق متصل نجد أن فئة الشباب تمتلك ثقافة خاصة بها، وهي وإن كانت تنبثق من الثقافة العامة للمجتمع إلا أنها تتميز عنها في الشكل وبعض المضامين وبصعب الدخول في عالمها بسهولة، كما أن لهذه الثقافة مفردات وتعبيرات قد لا تكون مفهومة عند الآخرين من الأعمار الأخرى، وتسمح هذه الثقافة الفرعية بالتحرك بمرونة أكثر في إطار عالم لا يدركه الكبار بسهولة. وقد تتطور هذه الثقافة الفرعية فتعزل الشباب عن الثقافة المجتمعية العامة، فالانترنت نجدها قد عززت هذه الثقافة الفرعية وأعطتها مجالا مستقلا بعيدا عن تأثير وإشراف الثقافة التي ينتمي إليها الشباب^٢.

^١ ماجد الزويد، الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦، ص ٣٩.

^٢ عزي عبد الرحمن، السعيد بومعيزة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧١.

فالانترنت وسيلة تثقيفية مثالية لتوسيع الثقافة العامة والحصول على أكبر قدر ممكن من المعارف في شتى المجالات، لذلك فالطلبة يجدون فيها ما يشبع حاجاتهم للمعرفة بالدرجة الأولى، وبهذا فالانترنت تخلق ثقافة جديدة للطالب وذلك من خلال غرس ثقافة جديدة سواء كانت معرفية أو فكرية، فهي تساعدهم بشكل كبير في إنجاز البحوث الدراسية نظرا لاحتوائها على كم هائل من مصادر المعلومات بالإضافة إلى المكتبات الافتراضية، ومن الملاحظ أيضا الاشباعات المعرفية التي تحققها هذه الوسيلة .

جدول رقم (٠): تأثير الانترنت على نمط عيش الطالب

النسب المئوية	التكرارات	التكرارات والنسب الإجابة
١٧,٧%	٠٨	نعم
٨٢,٢%	٣٧	لا
١٠%	٤٥	المجموع

مما هو ملاحظ من خلال الجدول، أن أغلبية الطلبة لم تأثر الانترنت على نمط عيشهم في البيت بنسبة (٨٢,٢, ٣٧%)، وهذا راجع إلى أن الشباب الجامعي متأثر بتنشئته الاجتماعية التي يمكن اعتبارها بأنها عملية جد مهمة في حياة الفرد ولها وظيفة هامة تتمثل في صقل الثقافة وتركيبها لشخصية الفرد، فهي بذلك عملية تعلم وتعليم وتربية، تستند على التفاعل الاجتماعي، وغرضها الأساسي إكساب الفرد سلوكيات ومعايير واتجاهات تتناسب مع الأدوار الاجتماعية المحددة له داخل جماعته والتوافق معها^١.

والطلبة الذين أثرت الانترنت على نمط عيشهم فنسبتهم تمثل (١٧,٧, ٠٨%).

وهذا ما يدل على أن الطلبة فئة واعية وناضجة قادرة على اختيار ما يناسبها وينفعها، وبذلك نجد أن الانترنت يساهم في التنشئة الاجتماعية للفرد بحيث تخلق لديه مناعة ضد التأثير بالانترنت.

فالانترنت قد تأثر على نمط عيش الطالب داخل البيت من خلال قلة التواصل مع الأهل، فكثرة استخدام الانترنت تجعل الفرد يخصص وقتا محدودا للتواصل مع الأهل، كما نجد تغيير وقت الدخول إلى المنزل، إهمال بعض المهام المنزلية، التأثير على الدراسة، أما الجانب الإيجابي فتمثل في تطوير نمط العيش، تغيير طريقة التصرف مع الأهل، الإطلاع على أخبار ومعارف جديدة تساعد في الحوار الأسري.

^١ عبد العزيز خواجه، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ١٥.

جدول رقم (٥): توافق ما يعرض عبر الشبكة مع القيم الثقافية والدينية والاجتماعية

النسب المئوية	التكرارات	التكرارات والنسب الإجابة
١٧,٧%	٥٨	نعم
٨٢,٢%	٣٧	لا
١٠%	٤٥	المجموع

إن أغلبية الطلبة يجدون أن ما يعرض في الانترنت لا يتوافق مع قيمنا الثقافية والاجتماعية والدينية في المجتمع، بنسبة إحصائية (٣٧-٨٢%)، وذلك بسبب أن ما يعرض عبر الشبكة العنكبوتية ما هو إلا ثقافة غربية مسوقة من خلال الشبكة، ومنها ما يتعارض مع القيم الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع بنسبة قدرت بـ (٣٣,٣-٣٩%) من إجابات المبحوثين، وبعضها الآخر هي مواقع مخلة بالحياء وبعيدة عن قيمنا الدينية.

إن ما يعرض عبر شبكة الانترنت من صور وفيديوهات نجده قد يتعارض وفق القيم الثقافية والاجتماعية والدينية المرتبطة بالمجتمع الجزائري، وفي بعض الأحيان لا يتعارض معها، فالقيم في أي مجتمع تعتبر كمجموعة من المبادئ والقواعد التي توجه التفاعل داخل المجتمع وتضبط سلوكياته، وهي عنصر رئيسي ثقافة أي مجتمع^١.

وفي ذات السياق، يمكننا القول بأن نظام القيم السائد في كل مجتمع والقائم في كل بيت وعند كل شخص هو محرك لسلوك الإنسان^٢.

نتائج الدراسة النهائية:

من خلال الدراسة، وفي نهاية أي بحث علمي يعود الباحث إلى فرضياته وتساؤلاته كي يعرف إلى أي مدى كانت صادقة، وذلك على ضوء النتائج التي توصل إليها في بحثه.

ولأن الدراسة كانت تحتاج إلى تفكيك الظاهرة في الواقع، فلقد جاءت الإجابة على الأسئلة المطروحة من خلال إعادة تركيب الظاهرة وفق كل المعطيات والمؤشرات والأنساق الخفية التي يحملها البعد التأثيري لها، وعليه فإننا بحاجة إلى تأويل وقراءة النتائج من خلال إبراز العلاقة الترابطية بين مختلف مؤشرات الظاهرة المدروسة.

لقد تطلبت مرحلة الإجابة على التساؤل المركزي والذي جاء كالآتي:

^١ السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، إشراف: بلقاسم بن روان، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص ١٨٥.

^٢ نفس المرجع، ص ١٨٧.

- ما مدى تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري- جامعة مستغانم- تفكيك هذا السؤال المركزي إلى طرح سؤالين إثنيين فرعيين محاولين من خلالها البحث والكشف عن أبعاد الظاهرة ومؤشراتها، وعلى ضوءها كانت النتائج العامة للدراسة كالآتي:

لقد تبين من خلال عرض الخلفية النظرية والأدبيات المتعلقة بالموضوع تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري مدى التوافق بين ما جاء في النظري والتطبيق إلى حد من خلال الاستخدامات المتنوعة لشبكة الانترنت وقدرة هذه الأخيرة على تثقيف الشباب.

ويتبين من خلال الخلفية الاجتماعية للمبشرين أن معظمهم يغلب عليهم السن ما بين ٢٢ إلى ٢٤ سنة ، وذلك اعتباراً لأهمية هذه الشريحة أو الفئة العمرية في المجتمع ويتبين بذلك مدى إقبال هذه الفئة على استخدام الانترنت.

كما توصلت الدراسة إلى أن الشباب الجامعي (ذكورا وإناثا) يستخدمون الانترنت منذ سنة ٥ إلى سنوات)، وهذا راجع إلى حداثة هذه الوسيلة مقارنة بباقي الوسائل الأخرى ونظراً لتأخر انتشارها في الجزائر مقارنة مع باقي المجتمعات.

وكشفت الدراسة أن الشباب الجامعي يفضل الارتباط بالانترنت من المنزل، وهذا يعود إلى مدى وعي الأسر الجزائرية بتوفير الانترنت في البيت خاصة مع الخدمات والخصائص التي تتوفر عليها هذه الوسيلة الرقمية ومدى تلبيةها لرغبات الشباب واحتياجاتهم المعرفية الفكرية.

وأظهرت الدراسة أن الشباب الجامعي يستخدم الانترنت أحياناً ، وبهذا يتبين لنا بأنه لا يوجد إدمان مفرط في استخدام الشبكة والطلبة لهم أولويات أو سلم قيمي تنظيمي يتم إتباعه ويتجلى ذلك من خلال عدد الساعات المخصصة للدخول في عالم الانترنت التي تتمثل في مدة ساعتان يومياً، وبالتالي هذا ما يفسر محاولة الطلبة التوفيق ما بين وقت الدراسة ووقت الدخول إلى فضاء الانترنت.

كما اتضح من خلال الدراسة أن أغلبية الشباب الجامعي يستعمل مزيج من الدارجة واللغة الفرنسية وهذه ما، وهذا ما يدل على أن الانترنت قد خلقت لغة جديدة لدى الطلبة والتي أصبحت متداولة بينهم على مواقع الانترنت والمدونات وغرف المحادثات وكذا البريد الإلكتروني، بحيث تعتبر هذه اللغة الجديدة بمثابة الوجه الجديد للثقافة الشبابية والمرآة العاكسة لواقع الشباب واهتماماتهم.

ونجد أن الدراسة قد خلصت إلى أن أغلبية الشباب الجامعي يستخدمون الانترنت في الفترة المسائية ، فهي الأكثر تناسبا مع ظروف الطلبة، فما هو مميز في شبكة الانترنت أنها لا تشترط في استخدامها اختيار وقت محدد، فهي بوابة مفتوحة لخدمة المستخدم ونتيجة لذلك نجدها تتوافق مع اختيارات ورغبات واهتمامات الطلبة.

وما هو ظاهر ، أن أغلبية المبحوثين من الطلبة يتصفحون الانترنت بمفردهم وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الانترنت قد عززت خصوصية الطالب وجعلت منه كفرد منعزل عن العائلة والأصدقاء أثناء استخدامه للانترنت.

أما فيما تعلق بالصعوبات التي يواجهها الشباب الجامعي أثناء استخدامهم للانترنت نجدها متعددة ولكن يغلب عليها بطء الاتصال بالانترنت ، ولكن أغلبية المبحوثين لا يواجهون صعوبات في الاستخدام وذلك راجع إلى تأقلم الشباب وفق هذه الوسيلة التكنولوجية التي أتاحت له مختلف الخدمات وبأسهل الطرق وعلى اعتبار أن الشباب في هذه المرحلة يتطلع لكل ما هو جديد ويحب الاكتشاف ويتغلب على مختلف العوائق التي تحول دون تقدمه وتطوره.

وعليه، ومن خلال ما سبق تقديمه من نتائج يتضح بأن استخدام الانترنت قد أثر على الطلبة الجامعيين في شتى المجالات، من بينها تلك المتعلقة بالاستخدام الفردي للانترنت مما يساهم في تعزيز العزلة الاجتماعية وابتعاد الطالب عن الفضاء الأسري وتقليص العلاقة الأسرية، ليصبح الطالب الجامعي سهل التأثر بتكنولوجية الإعلام والاتصال الحديثة التي أضحت تلقي بظلالها السلبية على الشباب بصفة عامة والمجتمع بصفة عامة.

كما نجد أن الانترنت قد أثرت على لغة الشباب الجامعي بنسبة معتبرة، فهي منذ ظهورها خلقت ثقافة ولغة موازية لدى هؤلاء الشباب مما يجعلهم يتمردون على النظام الاجتماعي ويخترقون الثوابت اللغوية للمجتمع الجزائري مما ينعكس على قيمه الاجتماعية والثقافية وبالتالي على أنساقه الثقافية.

وبينت الدراسة أن أغلبية المبحوثين يقبلون على زيارة موقع التواصل الاجتماعي " Facebook "، فهذا الموقع الاجتماعي الذي خلق ثقافة تفاعلية تواصلية ما بين الشباب وذلك من خلال الفضاء الاتصالي الذي يوفره للطالب والذي نجده يخلق له علاقات جديدة تساعده في التعرف على ثقافات جديدة وعادات وسلوكات تختلف من عالم لآخر.

وبالتالي نجد أن الانترنت يساهم في فائدة الشباب الجامعي من خلال تزويده بمعلومات متنوعة، وذلك لما توفره الانترنت من إمكانات فيما يخص المعرفة والبحث العلمي وهذا ما يتوافق مع رغبات واحتياجات الطلبة الجامعيين الذين هم بحاجة إلى المعلومات الجديدة والمتميزة.

أما فيما تعلق بالبريد الإلكتروني الذي يعتبر كوسيلة سهلة وسريعة الاتصال تتيح للمستخدم إرسال واستقبال مختلف الرسائل الإلكترونية، فهي بذلك تساعد الطلبة في تبادل المعلومات التي تفيدهم في دراستهم، وعليه يتضح بأن هذه الفئة تبحث دائما عما يفيدها في المجال العلمي المعرفي بالدرجة الأولى، وكعامل آخر يتمثل في أن الطلبة يتناولون المواضيع الاجتماعية من خلال الدردشة مع غيرهم، وكذا المواضيع الثقافية التي تشكل عاملا أساسيا في التحاور، وهذا يدل على أن الطلبة الجامعيين من سلم اهتماماتهم المواضيع التي لها علاقة بالمجتمع والثقافة خاصة تلك المتعلقة بالحياة اليومية والاجتماعية وحتى الثقافية التي تعبر عن مستوى الطالب.

كما أظهرت الدراسة أن الشباب الجامعي يفضل استخدام المواقع ذات المحتوى العلمي والثقافي، وعليه فالطلبة يفضلون المواقع الإلكترونية التي تفيدهم معرفيا وعلميا وتزيد من ثقافتهم وتحصيلهم العلمي خاصة وأن الانترنت قد أصبحت فضاء الكتروني مهم في حياة الطالب الجامعي الذي يبحث دائما عما هو جديد في الدراسات والأبحاث العلمية.

أما من ناحية الانتماء الجغرافي، فأغلبية الشباب الجامعي يفضل المواقع الدولية بالدرجة الأولى، وذلك نظرا لقدرة الشبكة العنكبوتية على تغطية كم هائل من الأحداث وعليه يحاول الطالب الاحتكاك بالمحتويات العالمية الدولية التي ترتبط بالمجتمعات الأكثر حضورا وإنتاجية للمادة الإعلامية على الشبكة.

كما نجد أن الانترنت وسيلة تثقيفية مثالية لتوسيع الثقافة العامة والحصول على أكبر قدر ممكن من المعارف، لذلك فالطلبة يجدون فيها ما يشبع حاجاتهم للمعرفة، أن الانترنت تكسب الطالب ثقافة جديدة تتمثل في التعرف على ثقافة العالم الآخر وبالتالي خلق ثقافة معرفية علمية، فالشباب الجامعي يتطلع إلى معرفة العالم الآخر بحكم التطور التكنولوجي والاجتماعي والفكري والعلمي، بحيث نجده أول من يكتشف هذه التكنولوجيا ويحاول أن يتعرف على محتوياتها وطرق استخدامها.

وفي سياق متصل، أوضحت الدراسة أن أغلبية الشباب الجامعي لم يؤثر الانترنت على نمط عيشهم في البيت، وهذا راجع إلى أن الطلبة متأثرين بتدشنتهم الاجتماعية التي تمثل لهم عامل أساسي أقوى من أي اعتبار آخر، وبالتالي هي فئة واعية وناضجة قادرة على اختيار ما يناسبها، ولا تؤثر حتى على طريقة لباسهم وسلوكهم مع الآخرين.

كما نجد أيضا أن الدراسة أظهرت أن أغلبية المبحوثين يرون أن ما يعرض عبر الانترنت من مواقع وصور لا يتوافق مع قيمنا الثقافية والاجتماعية والدينية السائدة في المجتمع، ويرجعون السبب في ذلك إلى أن ما يعرض عبر الشبكة ما هو إلا تسويق للثقافة الغربية.

ومما سبق عرضه يتضح لنا بأن الانترنت قد أثرت على ثقافة الشباب الجامعي من خلال إكسابه ثقافة جديدة تتمثل في التعرف على ثقافة العالم الآخر، وكذا الثقافة المعرفية الفكرية.

خاتمة:

شكلت هذه الدراسة محاولة للتعرف على مدى تأثير الانترنت على ثقافة الشباب الجامعي الجزائري، وكذا التعرف على استخدامات الطلبة للانترنت، وهذا - طبعاً - في حدود متطلبات إشكالية البحث.

ومما لا شك فيه أن شبكة الانترنت واستخداماتها قد أحدثت تقدماً علمياً كبيراً وثورة معلوماتية هائلة، وتنوعاً منظماً في مواقعها وبرمجياتها، مما جعل استخداماتها ضرورة حياتية ولغة العصر التي لا يمكن الاستغناء عنها.

على أنه من المهم الإشارة في خاتمة هذه الدراسة إلى مسألة جد هامة في تقدير الباحث، وتكمن في أن قضية تأثير الانترنت على ثقافة الشباب لا تخص الشباب الجامعي فحسب بل تشمل جميع الفئات الاجتماعية المتواجدة في المجتمع.

ومن هذا المنطلق، فإنه من المفيد التأكيد على ما يلي:

١- يجب على المؤسسات الرسمية وغير الرسمية مثل الأسرة والمدرسة وحتى النوادي الثقافية والاجتماعية المختلفة أن تلعب دورها على أحسن وجه أكثر من ذي قبل باعتبارها المؤسسات الأولى للتنشئة الاجتماعية قبل الانترنت، وهي المسئولة الأولى على تكوين الاتجاهات والسلوكيات والقيم والمعتقدات.

٢- ضرورة توعية الطلبة على حسن استخدام الانترنت في رفع مستواهم العلمي والثقافي والتربوي والتحصيل العلمي والتأهيل الوظيفي بصورة مبكرة في برامج علمية تطبيقية لإبراز الفائدة الحقيقية من استخدام الانترنت.

٣- تنظيم دورات تنظيمية في توعية وتأهيل الشباب بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة على حسن استخدام الانترنت واستثمار الفوائد العلمية والثقافية والاجتماعية والدينية من خلال مواقع الانترنت المتنوعة النافعة.

٤- الاهتمام بثقافة الشباب الجامعي وذلك من خلال تخصيص

٥- تشجيع المشاركة الإيجابية في الانترنت عن طريق إنشاء محتوى معلوماتي عربي يخدم الشباب والطلبة مما يجعلهم يستغنون عن الاستخدام السلبي للانترنت التي تهدم كيانهم وقيمهم.

٦- توفير مختصين في الجامعات لتوجيه الطلبة وتأطيرهم بهدف الاستخدام الإيجابي للانترنت.

٧- توفير الجامعات الجزائرية ومختلف المؤسسات العلمية والأكاديمية والبحثية على نشر بحوثها ودراساتها في مواقع يستطيع الطلبة الشباب للإطلاع عليها.

ولهذا فمهما تكن النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، فإننا لا نزعم أن الباب قد سد في وجه الدارسين، خاصة وأن هذا الموضوع لا يزال قيد اهتمام الكثير من الباحثين خاصة وأن الانترنت تمثل مجالاً هاماً وأساسياً في المجتمع.

قائمة المراجع:

- ١- يامين بودهان، اتجاهات الشباب العربي نحو مضامين شبكة الانترنت، مجلة الإذاعات العربية، الصادرة بالأردن، العدد ٢٠٠٦.
- ٢- بورحلة سليمان: أثر استخدام الانترنت على اتجاهات الطلبة الجامعيين وسلوكياتهم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، إشراف: أحسن بومالي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- ٣- عاطف عدلي العبد، الاتصال والرأي العام، القاهرة، دار الفكر العربي، ب ط، ١٩٩٣.
- ٤- جميل صليب، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ب ط، ١٩٨٢.
- ٥- محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، المجلد الرابع، بدون بلد، دار الفجر للنشر والتوزيع، ب ط، ٢٠٠٣.
- ٦- محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت، القاهرة، عالم الكتب، ب ط، ٢٠٠٧.
- ٧- السيد عبد العاصي، صراع الأجيال، دراسة في ثقافة الشباب، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، ١٩٩٠.
- ٨- سمير محمد حسن، بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، القاهرة، عالم الكتب، ب ط، ١٩٩٥.
- ٩- أحمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٣.
- ١٠- أحمد بدوي، مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والإعلام الدولي، بدون بلد، دار القبة للطباعة والنشر والتوزيع، ب ط، ١٩٩٨.
- ١١- محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، عمان، دار وائل للنشر، ١٩٩٩.
- ١٢- عبد العزيز خواجه، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
- ١٣- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦.

ظاهرة عمالة الأطفال في الجزائر من منظور نفسي اجتماعي

أ.فرحات بن ناصر/جامعة محمد بوضياف، المسيلة أ.بوجمعة حريزي/جامعة محمد بوضياف، المسيلة

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان خطورة ظاهرة عمالة الأطفال في الجزائر من منظور نفسي اجتماعي من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة المتعلقة بأسبابها والواقع النفسي والاجتماعي الناتج عنها، مع بيان الآثار الخطيرة التي تتركها على الطفل وعلى المجتمع والتنمية كونها تضعف وترهق بل تشيخ إمكانيات وقدرات جيل المستقبل، وتؤثر على تنمية الموارد البشرية وقدراتها التنموية، وبالتالي يجب الحد من عمالة الأطفال في الجزائر من خلال المقترحات والتوصيات المقدمة.

الكلمات المفتاحية: الطفل، عمالة الأطفال.

مقدمة:

تعتبر عمالة الأطفال من المشكلات التي تعاني منها الطفولة في مختلف بلدان العالم المتقدمة منها والمتخلفة، حيث تجبرهم الظروف القاسية لأسرهم خاصة ومجتمعاتهم عموماً على اقتحام عالم الشغل والتخلي عن طفولتهم سعياً وراء لقمة العيش، حيث يمارس الأطفال أعمال الكبار بشروط السوق أين يتعرضون للعنف والاستغلال من طرف أرباب العمل فتضيع طاقة المستقبل ورجال الغد هدرًا.

كما تعد عمالة الأطفال مشكلة عالمية خطيرة تتباين من حيث الحجم والمخاطر ومستويات المراقبة من بلد لآخر، لذلك يميز بعض خبراء منظمة العمل الدولية، بأن هذه الظاهرة تتناول أنواعاً معينة من العمل غير المقبول، كالعمل في الصناعات والمهن الخطيرة، التي تؤثر على صحة الطفل ونموه البدني والذهني وتحرمه من التمتع بطفولته وتلحق أضراراً دائمة به لدرجة يشيخ ويهرم قبل الأوان!

وهذه الظاهرة مرتبطة بالوجود البشري فوق هذه البسيطة، ولقد شهدتها المجتمعات الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية والوجود الفرنسي بالجزائر، لكنها في الوقت الراهن بدأت تنتشر وتتوسع بحدّة بين أطفال الجزائر نتيجة لتعقد حياة الطفل وصعوبتها وتعدد مشكلاتها، وازدياد متطلباتها لدرجة أصبح الطفل في كثير من بلدان العالم خاصة النامية منها كبلدنا مصدراً من مصادر دخل الأسرة نتيجة الحرمان المادي (الفقر) وعدم القدرة على تلبية الحاجات الأساسية التي تتطلبها الحياة الكريمة للأسرة، كما أن انخفاض المستوى التعليمي للوالدين الذي بدوره يؤدي إلى قلة الوعي بمستقبل الطفل من بين ما ساهم وساعد على انتشار هذه الظاهرة في العالم عموماً وفي الجزائر خاصة. فظاهرة عمالة الأطفال تعد من الظواهر السلبية في المجتمع، لأنها تُحَمِلُ الطفل أعباءً ثقيلة تهدد سلامته ورفاهيته وتضر بصحته، وتنتهك حقوقه، وهذا ما أثار

¹ كريم محمد حمزة، عمل الأطفال.

اهتمام الباحثين لتناول هذا الموضوع في هذه الورقة البحثية من منظور نفسي اجتماعي، وابرار انعكاساتها وأثارها السلبية على الطفل رجل الغد.

١- مشكلة الدراسة:

تعتبر الطفولة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في مختلف أطوار حياته التي تتسم بالتغير والتجدد المستمرين والارتقاء في درجات الصعود نحو الكمال الإنساني الرشيد؛ وما تتسم به من تغيرات في مظاهر النمو المختلفة (جسمية، نفسية، واجتماعية)، وصراعات متعددة على المستوى الداخلي والخارجي. وهذه المرحلة من عمر الإنسان شغلت ولا تزال تشغل اهتمامات الباحثين والعلماء في شتى الميادين، وخاصة المختصين منهم في النمو الإنساني، ذلك لما لها من أهمية في حياة الفرد، ولأنها غالبا ما تكون حاسمة بالنسبة لحياته المستقبلية. لذا وجب الاهتمام والرعاية والعناية بمرحلة الطفولة لتحقيق نمو متكامل للطفل وإعداده للمستقبل وحمايته من المخاطر، الشيء الذي يوحى بحجم المسؤولية الملقاة على عاتق المجتمع بمختلف مؤسساته.

وتُعرف مرحلة الطفولة بأنها الحركية نحو الأمام، وأنّ نمو الطفل هو نتاج لاستعدادات وراثية، ونضج فيزيولوجي، وإطار عائلي ثقافي واجتماعي واقتصادي، فمفعول المثيرات الخارجية هام لتنبيه الطفل وتعليمه وتدريبه على كيفية استعمال كفاءاته، وإنّ العنصر البشري لاسيما الناشئة أو الطفولة من العوامل الرئيسية التي تستثمر فيها الأمم الطموحة، وتعول عليها في رسم معالم استراتيجياتها المستقبلية.

وأمام التعارض الصارخ بين متطلبات مرحلة الطفولة والواقع المؤلم الذي يعيشه الطفل في العالم عموما وفي الجزائر خصوصا، فإنّ الطفل يجد نفسه في وضع يحتاج أكثر من ذي قبل إلى رعاية خاصة، وإلى دراسة وتحليل معمقين من قبل الباحثين والدارسين والأكاديميين والمهتمين بحياة الطفولة، بغية الكشف عن تأثير التغيرات التي تحدثها مختلف الظواهر الاجتماعية عامة وظاهرة عمالة الأطفال خاصة في الجانبين النفسي والاجتماعي للطفل.

ويمثّل عمل الطفل مشكلة ملّحة من النّاحية السّيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية، فالعمل الذي يؤدّيه الطفل دون مراعاة لسنّه وقدراته البدنية، يمكن أن يعيق نموّه النّفسي والبدني والتّعليمي، ففي هذه المرحلة يكون الطفل في حالة نموّ جسدي وعقلي وعاطفي، ويحتاج إلى الرّعاية والاهتمام، ولا يكون قادرا على تحمل المسؤوليات، فيصاب بالانهيار في مختلف الجوانب النفسية. ذلك أنّ الأطفال يختلفون من النّاحية البيولوجية عن البالغين في سماتهم الفيزيولوجية والنّفسية والجسمية ممّا يجعلهم أكثر عرضة للمخاطر المهنية^١.

وبالرغم من الجهود التي تقوم بها بعض الحكومات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، وكذا بعض الجمعيات للحدّ من هذه الظاهرة، لما لها من انعكاسات سلبية خطيرة سواءً على الطفل في مستويات عدّة (تربوية، وتعليمية، وصحّية، ونفسية)، أو على المجتمع لاسيما اقتصاديا، إلّا أنّ ما يعرفه الواقع من تزايد واتّساع للظاهرة تعدّى الدّول النّامية لتصبح الدّول المتقدمة معنية بالظاهرة، وهذا ما تمّ التعرّض إليه في هذه الورقة البحثية من تفشي هذه الظاهرة بالجزائر من منظور نفسي واجتماعي، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم عمالة الأطفال من المنظور النفسي والاجتماعي ؟

١ بزراوي نور الهدى، عمل الطفل وتأثيره على تقدير الذات وظهور الاكتئاب عند الطفل العامل ، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، العدد العشر، أبريل ٢٠١٤، ص ٧٥.

٢ - ما واقع عمالة الأطفال في الجزائر؟

٣ - ماهي الأسباب المؤدية لعمالة الأطفال في الجزائر؟

٤ - ماهي الانعكاسات النفسية والاجتماعية لهذه الظاهرة على الطفل الجزائري؟

٥ - ماهي المقترحات لمعالجة هذه الظاهرة؟

٢ - التعريف بمفاهيم الدراسة:

١.٢ - الطفل:

الطفل في اللغة هو المولود، وتطلق كلمة طفل على كل جزء من شيء، أو معنى الطفولة "هي مرحلة من مراحل عمر الإنسان وتكون من الميلاد إلى البلوغ"^١.

والطفولة وفقا للمادة الأولى من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأطفال "هي كل إنسان يخضع للضبط والسيطرة والتوجيه التربوي للأطفال"^٢.

ومفهوم الطفل من المنظور النفسي والاجتماعي فهو الصغير منذ ولادته حتى يتم له النضج النفسي والاجتماعي، ووفقا لقدرات كل فرد وظروفه الاجتماعية، ودرجة نموه العقلي بالشكل الذي يجعله قادرا على التفاعل الإيجابي مع مجتمعه.

ومنه: فالطفل هو ذلك الفرد الذي لا يتجاوز عمره ١٨ سنة، ويسمى بالطفل الحدث لحدثة سنه وصغرها، فهو غير مسؤول عن نفسه وإنما يقع تحت كفالة والديه أو أحدهما أو فرد آخر في حالات استثنائية.

٢٢ - عمالة الأطفال:

"هو العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الأطفال، ويهدد سلامتهم وصحتهم ورفاهيتهم، ويستفيد من ضعفهم وعدم قدرتهم عن الدفاع عن حقوقهم، ويستغل عملهم كعمالة رخيصة بديلة عن عمل الكبار، ويستخدم وجودهم ولا يساهم في تنميتهم، ويعيق تعليمهم وتدريبهم ويغير حياتهم ومستقبلهم".

كما تعرف أيضا "بأنها كل جهد فكري أو جسماني يبذله الطفل مقابل أجر أو بدون أجر سواء كان بشكل دائم أو مؤقت أو عرضي أو موسمي ويعتبر ضارا له، ويتم على المستوى العقلي، والجسمي، والاجتماعي، والأخلاقي، والمعنوي، والذي يعترض دراسته ويُجرمه من فرص المواظبة على التعلم والدراسة من خلال إجباره على ترك المدرسة قبل فوات الأوان، أو أن يستلزم منه محاولة الجمع ما بين الدوام المدرسي والعمل المكثف الطويل لساعات"^٣.

١ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٣، القاهرة، مصر، ١٩٨٤، ص ١٢٠.

٢ مختار حمزة جمال، عمالة الأطفال، مجلة علم النفس، العدد ٤٠، ٤١، أكتوبر ١٩٩٦، مارس ١٩٩٧، مصر، ص ١٥٢.

٣ المجلس الوطني لشؤون الأسرة، الإطار الوطني لمكافحة عمل الأطفال، الأردن، ٢٠١١، ص ٣٢.

٣-٢ - مفهوم عمالة الأطفال من المنظور النفسي والاجتماعي:

تعرف عمالة الأطفال عموماً بتلك الأفعال والممارسات لمختلف النشاطات التي يقوم بها الأطفال في سن مبكرة، وقد جاء في مشروع الاتفاقية رقم (١٣) "أنَّ عمالة الأطفال هو ذلك العمل أو الشغل مهما كانت شروطه وطبيعته، والذي يعود بالضرر على الأطفال في مختلف النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية والأمنية"^١.

وعليه يمكن تعريف عمالة الأطفال بأنها "كل نشاط يقوم به أي فرد في المجتمع في سن غير قانونية، كما تتميز هذه النشاطات بمفهوم غير الرسمية وغير المنتظمة"

كما نجد هؤلاء الأطفال الذين يقومون بالعمل في سن مبكرة يعرضون صحتهم الجسمية والنفسية وتطورهم الاجتماعي وحياتهم ككل للخطر، من خلال ظروف العمل التي يعملون تحتها وتمثل في:

- العمل طوال ساعات اليوم وحتى في الليل.

- الأجر الرخيص والعائد المالي المحدود جداً.

- عدم القدرة على الهروب من العمل .

- عدم القدرة على مجابهة صاحب العمل والمطالبة بالحقوق^٢.

وعليه فظاهرة عمالة الأطفال من المواضيع التي شاع الاهتمام بها نظراً لما تعكسه من آثار نفسية على حياة الطفل بالدرجة الأولى، ثم على الأسرة والمجتمع ككل، ولقد تعددت الدراسات في شتى المجالات، منها الاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والصحية، والانثروبولوجية والنفسية...، وبالرغم من الاختلافات الدراسية التي تناولت هذا الموضوع، إلا أنَّها تبقى متكاملة كونها استطاعت أن تظهر واقع الظاهرة وما ينجم عنها من آثار على الصحة النفسية والجسمية والاجتماعية للطفل وما تخلفه من انعكاسات على الأسرة والمجتمع.

لذا نجد معظم الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة باختلاف مشكلاتها ومقارباتها قد أوضحت أنَّ الانخراط المبكر للطفل في عالم الشغل تنجر عنه آثار نفسية اجتماعية سلبية كثيرة مختلفة ومتعددة مقارنة بالآثار الايجابية؛ والتي تعد قليلة نوعاً ما، حيث تضمنت تلك الدراسات في طياتها دراسة شخصية الطفل العامل، والتكيف، والتواصل، والتفاعل الاجتماعي، والثقة بالنفس، والصحة النفسية، والإحباط... فمنها دراسة منى علي منصور أحملاً (٢٠٩) والتي هي دراسة اجتماعية ميدانية عن واقع عمالة الأطفال في مدينة عدن اليمينية، حيث أجريت على عينة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (١٢ و١٤) سنة، وقد أسفرت نتائجها على وجود آثار صحية وجسمية ونفسية واجتماعية يمكن تلخيصها فيما يلي: يعاني أغلب هؤلاء الأطفال من حالة إرهاق، إصابتهم بحوادث أثناء ممارستهم العمل، منها ضيق التنفس، جروح بسيطة، حروق، حالة تسمم، حروق بليغة، كسور، كما أقر (٧٥%) منهم عدم تعرضهم للإساءة في العمل، في حين أفاد (٢٢%) منهم بتعرضهم للإساءة، الأمر الذي يؤثر على نموهم النفسي والاجتماعي.

١ علي جغدلي، واقع الطفل الجزائري بين الدراسة والعمل في الوسط الحضري، رسالة ماجستير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٧٦.

٢ لمياء مجادي، العوامل المؤدية إلى تشغيل الطفل الجزائري، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ٢٠٠٢، ص ١٥.

كما توصلت دراسة محمد عبدالله آل ناجي التي حملت عنوان "ظاهرة تشغيل الأطفال في المملكة السعودية" والتي أقيمت بهدف تحديد نسبة شيوع تشغيل الأطفال في المملكة العربية السعودية، وحصر المجالات التي يعمل بها الأطفال، إضافة إلى تحديد الأسباب الكامنة وراء تشغيل الأطفال، ورصد الآثار التربوية والنفسية و الاجتماعية الناتجة عن تشغيلهم. إلا أنّ حجم ظاهرة عمل الأطفال قد بلغ نسبة (٩,١)، وأنّ مستوى الصحة النفسية للأطفال العاملين أعلى من غير العاملين، أمّا مستوى التكيّف الاجتماعي للأطفال المنتظمين في الدّراسة (العاملين وغير العاملين) فكان أعلى من مستوى التكيّف الاجتماعي للأطفال غير المنتظمين في الدّراسة، وأنّ العمل لا يمثل خطورة على الصحة الجسمية للأطفال العاملين، وأنّ الأطفال العاملين يعملون برغبتهم، ومنسجمون مع العمل^١.

كما بينت دراسة اجتماعية حول عمالة الأطفال في الرّزقاء (١٩٩) والتي قام بها مركز التّوعية والإرشاد الأسري بالأردن، حيث أجريت الدّراسة على (٢٦) طفل وطفلة، جميعهم يعملون تحت السنّ القانوني، حيث تبين أنّ غالبية الأطفال ينتمون لأسر مستواها التّعليمي متدنّي ومن ذوي الدّخل المتدنّي أو المنعدم، بالإضافة إلى وجود تفكّك عائلي ومشاكل أسرية لدى العديد من هذه الأسر، وأنّ معظم الأطفال الذين شملتهم الدّراسة جاءت نظرتهم للحياة سوداوية ولا يفكّرون بمستقبل زاهر ولا يحلمون بشيء يسعددهم ويشجعهم^٢.

٣- واقع عمالة الأطفال في الجزائر:

عمالة الأطفال ظاهرة قديمة برزت في المجتمعات الأوروبية في أوائل عصر الثورة الصناعية، حين شاع الاستغلال الظالم للطفولة كعمال في المصانع والمناجم، ولكن الإحساس بأهمية هذه الظاهرة وضرورة وضع حد لها ظهر في أوائل الستينات من القرن الماضي، حين ظهر مقال لأطباء نفسانيين أثار الاهتمام في وسائل الإعلام الأمريكية بهذه الظاهرة، مما دفع لوضع قوانين تجرم استغلال الأطفال والإساءة إليهم في أعمال مهنية^٣.

وفي الجزائر عرفت هذه الظاهرة نموا كبيرا وانتشارا واسعا في مختلف ولايات الوطن خاصة مع العشرية السوداء التي عاشتها الدولة بفعل غياب الأمن، والذي أدى إلى نزوح سكان الأرياف إلى المدن، ولم يكن أمام أطفال تلك العائلات إلا الانخراط في عالم الشغل لمواجهة ظروف حياة المدن التي لم يألفوها، وبالرغم من أن المشرع الجزائري تصدى لهذه الظاهرة بالنص في "تشريع العمل" رقم ١١٩ الصادر عام ١٩٩٦، على الحد الأدنى لسن العمل وهو ١٥ سنة، واستثنى من ذلك حالة التمهين، وذلك في المادة ١ منه^٤.

كما نصت المادة (٢) من ذات القانون على عدم جواز تشغيل العمال من الجنسين لمنتقل أعمارهم عن ١٥ سنة في أي عمل ليلي. وذهبت المادة ١٤ من نفس القانون إلى أبعد من ذلك، حيث جرمت هذه الظاهرة (عمالة الأطفال) ورصدت عقوبات تمثلت في غرامة مالية من ١٠٠ ديناراً إلى ٢٠٠ ديناراً، لمن يُشغّل قاصراً لم يبلغ ١٥ سنة، وفي حالة العودة يمكن توقيع عقوبة الحبس من ١٥ يوماً إلى شهرين دون المساس بالغرامة التي ترفع إلى الضعف^٥.

١ نادية الفوز، ١,٥٤% نسبة تشغيل الأطفال بالمملكة العربية السعودية، ٢٠١٠.

٢ عاكف المعايطة، عمالة الأطفال، ٢٠٠٩.

٣ محمد فتحي الحريري، عمالة الأطفال في الوطن العربي، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية، الكويت، ٢٠٠٠، ص ٥٨.

٤ دليلة المباركي، عمالة الأطفال بين الواقع والنصوص الجزائر نموذجاً، مقال منشور، ص ٣٢٢.

٥ المرجع نفسه، ص ٣٢٣.

ومن هذا المنطلق، يتبين لنا أن عمل الأطفال أصبح ظاهرة عالمية بسبب الفقر وغياب الأمن، فضلا عن التقاليد القائمة، ففي مجتمعات كثيرة يسهم عمل الأطفال في زيادة دخل الأسرة، وينظر إليه كمصدر نفع لا كمصدر ضرر، فالأطفال بما يحصلون عليه من أجور مقابل عملهم، يمكنهم من تقديم المساعدات الاقتصادية لأسرهم، فتحولوا من أفراد معالين إلى مشاركين في الإعالة الأسرية¹.

ومن خلال العمل قد يتعلمون ويكتسبون مهارات الحياة ويدعمون احترامهم لأنفسهم، إضافة إلى تحسين وضعهم داخل الأسرة، وعمل الأطفال الحميد من هذا النوع يختلف اختلافا تاما عن عمالة الأطفال، وعليه فموضوع عمالة الأطفال موضوع هام وحساس توليه المنظمات الحكومية وغير الحكومية غاية خاصة، لأن العالم كله يؤمن بأن أطفال اليوم هم رجال الغد في أي مجتمع².

فالحديث عن الواقع الذي يعيشه أطفال الجزائر يقودنا إلى الكلام عن تفشي وتنامي هذه الظاهرة بشكل لافت للانتباه، وإن كانت الأسباب الرئيسية التي تدفع هؤلاء الأطفال إلى عالم يفترض أن يكون للكبار فقط في مختلف ولايات الوطن تكاد تكون واحدة، وإن كان هناك اختلاف فهو في الدرجة وليس في النوع، وتكمن في الوضعية المزرية للكثير من العائلات والأسر الجزائرية، وانتشار البطالة والفقر في صفوف عدد كبير من أرباب الأسر، وإمكانية إيجاد بدائل ليضمنوا بها قوتهم اليومي قد تصل أحيانا إلى حد إرسال فلذات أكبادهم للعمل خارج أوقات الدراسة والتخلي عنها.

ففي ولاية المسيلة كمثال أو نموذج لهذه الظاهرة وفي عاصمة الولاية بالضبط باعتبار الباحثين من هذه المدينة، نجد الأطفال دون السن القانوني المسموح به للعمل يمتنون ببيع الأكياس البلاستيكية بسوق الكدية المشهور بالمسيلة، وبيع السجائر في أزقة شوارع المدينة والتجمعات السكنية، وبيع البقايا النحاسية والحديدية والبلاستيكية لأصحاب السيارات التي تجوب الأحياء مستغلة براءة الأطفال، كما انتشرت حرفة تكاد تكون غريبة وهي جمع بقايا الخبز من الأزقة ومن أمام البيوت والمطاعم، ثم إعادة بيعها لمربي المواشي خارج المدينة، كما انتشرت ظاهرة أخرى هي أغرب، تمثلت في استخدام الأطفال الصغار كعمالة في التسول، وذلك بتوزيعهم على أبواب مساجد المدينة وأمام محلاتها وفي طرقها الرئيسية وأمام المقابر لاستعطاف المصلين والمتسوقين والمارة والزائرين خاصة يوم الجمعة، وقد يصل بهم الحال لاستعمالهم في ترويج المخدرات وغيرها.

وعموما فالجزائر تحتل المرتبة الأولى في منطقة المغرب العربي بـ 1,1 مليون طفلا عاملا، من بينهم 1,3 مليون طفل تتراوح أعمارهم بين 6 سنوات و 13 سنة منهم 56% إناث و 24% لا يتعدى سنهم 15 سنة، و 10%، و 4% أيتاما لأحد الوالدين³، لكن الدراسات والإحصائيات التي تقام لا تعكس الحقيقة المطلقة لواقع عمالة الأطفال، لأنه من الصعب الإحاطة بمدى تفشي هذه الظاهرة والخروج بإحصائيات واقعية عن عدد الأطفال الذين ينخرطون في أعمال تدخل ضمن واجب منع الطفل من خوض غمارها ويعود ذلك إلى مايلي :

- عدم استقرار ظاهرة عمالة الأطفال مما يجعل حصرها أمرا في غاية الصعوبة، نظرا لانتقال الأطفال من عمل لآخر بسهولة .

١ ناهد رمزي، ظاهرة عمالة الأطفال في الدول العربية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، 1998، ص 19.

٢ أماني عبد الفتاح، عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص 23.

٣ بلقاسم حوام، 1,8 مليون طفل عامل في الجزائر نصفهم إناث، جريدة الشروق اليومي، العدد 2085، الجزائر، 30 أوت 2007، ص 21.

- انخراط أغلبية الأطفال في أعمال اقتصادية غير منتظمة، ما يجعل الوصول إليهم صعبا.

٤- الأسباب المؤدية لظاهرة عمالة الأطفال بالجزائر:

من خلال إطلاع الباحثين على الأدبيات المتعلقة بالموضوع وخبرتهما المعيشية والواقعية كرتباً أسرتين وكمواطنين من المجتمع الجزائري، ونتيجة للعديد من الدراسات والإحصائيات في هذا المجال أمكن لهما حصر الأسباب التي تؤدي إلى هذه الظاهرة كالآتي :

٤-١- الأسباب الاقتصادية:

- التفاوت في المستويات الاجتماعية والاقتصادية للأسر الجزائرية ، وخاصة ما ترتب عن العشرية السوداء التي شهدتها الجزائر.

- حاجة الأسر الفقيرة لدخل إضافي لتسديد حاجاتها اليومية، وفرص العمل المتاحة.

- تفاقم البطالة وانعكاساتها السلبية على الدخل الأسري واقتصاد الأسرة الجزائرية.

- ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية، والتضخم المالي الذي تشهده بلادنا نتيجة لانخفاض سعر البترول.

- الفقر السبب الرئيسي الداعم لعمالة الأطفال بالجزائر، والظروف المعيشية المزرية لأسر الأطفال العاملين.

- الهجرة من الريف إلى المدينة.

٤-٢- الأسباب الاجتماعية:

- الاعتقاد الخاطئ السائد عند العديد من أولياء الأطفال بعدم جدوى التعليم من الناحية المادية.

- عدم وعي الأولياء بحق الطفل في التعليم .

- عدم وعي الأولياء بالمخاطر النفسية والاجتماعية التي تنجم عن التحاق أطفالهم بعالم الشغل في سن مبكر.

- التسرب المدرسي المبكر لأبناء بسبب عدم قدرة الآباء على توفير المصاريف المدرسية خاصة بالنسبة للقاطنين بعيدا عن المؤسسات التربوية وفي القرى والمداشر.

- تأثر الأطفال بالأزمات الأسرية والعائلية، والكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والأعاصير، فيكونون عرضة للاستغلال والعنف والمعاملة السيئة.

٤-٣- الأسباب التعليمية:

يرتبط عمل الأطفال بعدم الالتحاق بالمدارس ارتباطا وثيقا، وتدل الإحصائيات على أن ١٤ مليون طفل محرومين من التعليم الابتدائي في العالم؛ منهم ١% في الدول النامية في الفئة العمرية (١٧/١) سنة لم يلتحقوا بالتعليم أبدا، وهناك ١٣ مليون طفل لا يتردد على المدرسة بانتظام بسبب التزامهم بالعمل، كما ينقطع طفل من أصل ٤ أطفال دون إكمال ٥ أعوام من التعليم الأساسي^١، وعموما يمكن تلخيص الأسباب التعليمية فيما يأتي:

- عدم متابعة الأطفال لدراساتهم بسبب الرغبة في تعليمهم مهنة تؤمن لهم مستقبل آمن.

^١ منظمة العمل الدولية، مجلة عالم الشغل، عدد ٤٣، أوت ٢٠٠٢، ص ٥٠.

- الهجرة من الريف إلى المدينة حيث يعمل الأطفال في مهن مثل (الحلاقة، الخياطة، الميكانيك، المخازن، الصباغة...)
- وخاصة في أطراف المدن الكبرى ومناطق السكن العشوائي التي تعتبر يؤر لمخالفة القانون.
- سيطرة فكرة تعليم الأبناء حرفة ومهنة الآباء والأجداد في المجتمع العربي عامة وفي الجزائر خاصة للمحافظة عليها مستقبلا، وبالتالي التأثير المطلق على تـمدرس الأطفال.
- سياسات التعليم السائدة، ووضع المعلمين الاجتماعي والاقتصادي المتردي.
- تعتبر مناهج وأساليب التعليم المطبقة في البلدان العربية مسؤولة مسؤولة مباشرة على تسرب الأطفال من المدارس، واللجوء إلى العمل في سن مبكرة (طرائق التدريس، الاختبارات، التقويم...).
- ٥- الانعكاسات النفسية والاجتماعية الناتجة من ظاهرة عمالة الأطفال:

توجد هناك جوانب أساسية للطفل تتأثر سلبا باستغلاله اقتصاديا للعمل، وهي جانب النمو الجسدي، وجانب الصحة الجسدية من ناحية التناسق العضوي والقوة والبصر والسمع، وذلك نتيجة الجروح والكدمات الجسدية، أو نتيجة الوقوع من أماكن مرتفعة أثناء العمل، وهناك حالات الخنق الناتجة عن التعرض للغازات السامة وصعوبة التنفس أو التزيف.

مما لا شك فيه أن ظاهرة عمالة الأطفال تترك أثراً سلبية للغاية، وتلك الآثار باتت تنعكس على الأطفال بشكل خاص وعلى المجتمع بشكل عام، حيث يتم تشغيل الأطفال وتسخيرهم في أعمال وهم ما زالوا غير مؤهلين جسدياً ونفسياً للقيام بها، علماً أن العديد من الاتفاقيات الدولية قد جرمت بدورها الاستغلال الاقتصادي للأطفال، ونصت على حق الطفل في الحماية من الاستغلال الاقتصادي، ومن أداء أي عمل يمكن أن يمثل إعاقة أو يكون ضاراً بصحته أو بنموه البدني أو العقلي أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي.

كما يتأثر أيضاً النمو الاجتماعي والأخلاقي للطفل العامل، بما في ذلك تدني شعوره بالانتماء للجماعة وتدني القدرة على التعاون مع الآخرين، وتتأثر لديه القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، ويزداد التأثير رويداً رويداً إلى أن يصبح الطفل مثله مثل العبد لدى صاحب العمل، ويؤكد الباحثون منذ وقت طويل على أن هذه الظاهرة تسبب مشاكل نفسية واجتماعية خطيرة للأطفال، ويمكن إيجازها فيما يلي:

٥ ١- الانعكاسات النفسية:

توصلت العديد من الدراسات إلى أنّ عمالة الأطفال تؤدي إلى مجموعة من الأمراض النفسية نذكر منها:

- تؤثر عمالة الأطفال في سن مبكرة على النمو العاطفي والمعرفي والسلوكي لدى الأطفال، فيفقدون إحرامهم وتقديرهم لذواتهم، والشعور بالدونية والاختلاف عن أقرانهم، فيصابون بالتوتر والقلق، واضطراب السلوك.
- معاناة الأطفال الذين يعملون في سن مبكرة من عدم النمو الجسدي بسبب المخاطر التي يتعرضون لها في عملهم مثل الجروح والإصابات واستنشاق الغازات السامة.
- انعدام العاطفة وتبلد الإحساس للأطفال العاملين في وقت مبكر، كما يحرمون الاستمتاع بمرحلة طفولتهم، وتكون حياتهم جافة قاسية، خاصة لما يرون أقرانهم قد أكملوا تعليمهم وتبوؤوا أماكن مرموقة في المجتمع.
- تعرض الأطفال أثناء عملهم المبكر للقسوة والعنف والاعتداءات من طرف أصحاب العمل، مما يؤثر في نفسياتهم فيتولد لديهم عدم الثقة بالآخرين، وشعورهم بالمهانة والذل والاحتقار، وبالتالي الشعور بالنقص والدونية.

- العلاقة الفاترة مع المجتمع الناتجة من أنّ الأطفال العاملين مبكرا يقضون أوقاتهم مع أشخاص أكبر منهم سنا، فيتأثرون بهم وبالتالي تكون علاقاتهم مع أقرانهم مقطوعة، ومع المجتمع مشوهة، وتراجع أخلاقهم وقيمهم ممّا ينعكس على سلوكهم فيساعد ذلك على تنشئتهم تنشئة عدوانية.
- الاكتئاب والانطواء والشيخوخة المبكرة للأطفال العاملين في سن مبكرة.

٢-٥ - الانعكاسات الاجتماعية:

تتمثل الانعكاسات الاجتماعية الناجمة عن عمالة الأطفال فيما يلي:

- ارتفاع نسبة البطالة بين البالغين لانعدام فرص العمل للكبار ممن هم في سن العمل، حيث أنّ أصحاب العمل يفضلون الأطفال للعديد من الاعتبارات الاقتصادية (انخفاض الأجور، والطاعة العمياء، وعدم المطالبة بالحقوق).
- فقدان فرص التعليم والتسرب من المدرسة والتعرض للعنف بمختلف أشكاله، واكتساب العادات السيئة كالتدخين وغيره، والتي قد تصل إلى حد الانحراف والانخراط في تعاطي المخدرات والجريمة، والتعرض للاستغلال الاقتصادي والجنسي.
- ارتفاع حجم الظاهرة في الوطن العربي عموما وفي الجزائر خصوصا يزداد معه عدد الأميين والمهمشين في المجتمع، وفي الأجيال القادمة ممّا سيؤدي إلى نتائج لا أمنية واجتماعية خطيرة.
- تفشي الأمراض الاجتماعية واستفحالها كالسرقة، والكذب، والغش، والحسد، وارتكاب الجرائم بمختلف أنواعها.

٦ - بعض المقترحات للحد من ظاهرة عمالة الأطفال بالجزائر:

بناء على ما سبق يتجلى لنا بأنّ ظاهرة عمالة الأطفال من الظواهر الاجتماعية التي تعرف تزايدا مستمرا في الآونة الأخيرة، خاصة مع تزايد ظاهرة الفقر، وبالتالي دفع الأبناء إلى سوق العمل، أو إلى التسول كما نلاحظه عيانا، هذا ما جعل هذه الفئة من المجتمع الجزائري تستحق الاهتمام من طرف المجتمع والدولة، والبحث في آليات فاعلة للتكفل بها أمرا ضروريا وعاجلا للحد من هذه الظاهرة حتى يتسنى لأطفالنا بناء الغد ومستقبل الجزائر أن يؤدوا الرسالة التي تنتظرهم اتجاه وطنهم، وعليه يقترح الباحثان مايلي:

- إجراء دراسات ميدانية تكاملية حول الظاهرة لاستخدام نتائجها في الحد من عمالة الأطفال.
- رفع مستوى دخل أسر الأطفال العاملين.
- زيادة عدد مفتشي العمل المتخصصين بالتفتيش عن عمالة الأطفال لضبط الظاهرة والحد من استفحالها.
- تعزيز وعي المجتمع الجزائري بظاهرة عمالة الأطفال وتأثيراتها السلبية على نموهم النفسي وتطورهم الاجتماعي.
- محاولة تعزيز شخصية الطفل من طرف المجتمع المدني، وتوجيه طاقاته وقدراته نحو العلم والتعلم.
- تنفيذ برامج تعليمية للتلاميذ بالمؤسسات التربوية لتعريفهم بحقوقهم كأطفال وبيان الجوانب السلبية لعمالة الأطفال من خلال النشاطات المدرسية الصفية واللاصفية.
- القيام بتحسين إعادة تأهيل الأطفال العاملين الذين تعرضوا لمشكلات اجتماعية أو نفسية، ودمجهم في المجتمع وحمايتهم من الإيذاء النفسي والجسدي أو العنف.
- توفير الحماية للأطفال العاملين من الاستغلال الاقتصادي.

- وضع وتنفيذ برامج ثقافية وإعلامية حول ظاهرة عمالة الأطفال باستخدام الوسائل الإعلامية المختلفة (الإذاعة، التلفزيون،...).

خاتمة:

إنّ ظاهرة عمالة الأطفال تنجم عنها آثارا سلبية نفسية واجتماعية تؤثر على بقية مراحل حياة الأطفال، بالرغم من بعض الأفكار التي ترى في هذه الظاهرة جوانب إيجابية، لكن مرحلة الطفولة هي المرحلة الحاسمة في حياة الفرد و بناء شخصيته. فعمالة الأطفال مهما كانت طبيعتها فهي انتهاك لحقوقهم، وعليه فما ينتج عنها في الغالب آثارا سلبية بمختلف أنواعها النفسية والاجتماعية، فما على الجميع إلا التصدي لهذه الظاهرة وذلك بتظافر الجهود من طرف المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني وكل من له علاقة بحماية الأطفال وتربيتهم وتنشئتهم تنشئة صالحة، حتى يتسنى لنا بناء جيل المستقبل ذو شخصية سوية متكاملة، وذلك عن طريق الرعاية والحماية اللازمتين لذلك.

قائمة المراجع:

١. بلقاسم حوام، ١,٨ مليون طفل عامل في الجزائر نصفهم إناث ، جريدة الشروق اليومي، العدد ٢٠٨٥، الجزائر، ٣٠ أوت ٢٠٠٧.
٢. جمال، مختار حمزة (عمالة الأطفال)، مجلة علم النفس، العدد ٤٠، ٤١، أكتوبر ١٩٩٦، مارس ١٩٩٧، مصر.
٣. دليلة المباركي، عمالة الأطفال بين القانون والنصوص الجزائرنموذجا . متاح على الرابط : <http://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/>
٤. رمزي ناهد، ظاهرة عمالة الأطفال في الدول العربية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، ١٩٩٨.
٥. عاكف المعايطه، عمالة الأطفال، ٢٠٠٩. متاح على الرابط: WWW.electionsjo.com
٦. عبد الفتاح أماني، عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١.
٧. علي جغدلي، واقع الطفل الجزائري بين الدراسة والعمل في الوسط الحضري ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨.
٨. لمياء مجادي، العوامل المؤدية إلى تشغيل الطفل الجزائري ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ٢٠٠٢.
٩. المجلس الوطني لشؤون الأسرة، الإطار الوطني لمكافحة عمل الأطفال، الأردن، ٢٠١١.
١٠. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٣، القاهرة، مصر، ١٩٨٤.
١١. محمد عبد القادر قواسمية، جنوح الأحداث في التشريع الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٢.
١٢. محمد فتحي الحريري، عمالة الأطفال في الوطن العربي، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، ٢٠٠٠.
١٣. منظمة العمل الدولية، مجلة عالم الشغل، عدد ٤٣، أوت ٢٠٠٢.
١٤. نادية الفوز، % ١,٥٤ نسبة تشغيل الأطفال بالمملكة السعودية، ٢٠١٠. متاح على الرابط: <http://saudiinfocus.com/ar/forum/forum>
١٥. كريم محمد حمزة، عمل الأطفال: متاح على الرابط: www.google.com



١٦. نور الهدى بزراوي ، عمل الطفل وتأثيره على تقدير الذات وظهور الاكتئاب عند الطفل العامل ، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، العدد العشرون، أبريل ٢٠١٤.
١٧. وكيبيديا الموسوعة الحرة، عمالة الأطفال. متاح على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84

مفهوم الجودة في التعليم العالي

أ.قاصدي فايضة/جامعة عبد الرحمن ابن خلدون، تيارت. أ.طبيب فتيحة/جامعة عبد الرحمن ابن خلدون، تيارت

ملخص:

لقد بلغ التقدم التكنولوجي وتزايد التكنولوجيا الاتصال والإعلام الآن درجة كبيرة من التطور، والذي ساهم في التسريع في وتيرة العولمة و ذلك في شكل تبادلات تجارية وحركة رؤوس الأموال وتنقل الأفراد والأشخاص، وانتقال القناعات والثقافات . ولقد كان لهذا التطور أثر واضح على التعليم العالي، لاسيما في الدول النامية و التي هي بحاجة ماسة إلى تنويع مؤسسات التعليم و تكييف برامجه بما يتماشى مع تنوع احتياجات الطلبة و متطلبات السوق الوطنية.

فعصرنا عصر العلم والثورات العلمية، وسر التفوق ومفتاح النجاح يكمن في العلم والابتكار، وتعزيز القدرة التنافسية والتسلح بثقافة الإبداع والتطوير، والأداء الجماعي، وإتاحة الفرصة للتعلم أمام العاملين في الجامعة من أجل تنمية المعلومات واستخدام تكنولوجيا متطورة، لأن الوضع العام للتعليم العالي أصبح يتميز بمعضلات كبيرة وعصبية نظرا للمتغيرات والابتكارات التكنولوجية المتسارعة التي أثرت على عملية التعليم والتعلم بمختلف الأطوار التعليمية، وبالخصوص التعليم العالي الذي أصبح يواجه حتمية الانخراط في العالم الرقمي- الافتراضي-.

لهذا أصبح "التميز" هو حجر الزاوية في كل الجامعات، و السعي نحو الحصول على الجودة، اكتسب طابعا ملحا في الآونة الأخيرة، هذا من جهة وزيادة قدرات ومهارات التعلم من جهة أخرى وبالتالي التنوع في البدائل العلمية والتعليمية مع الأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية المادية (الجسمية) والمعنوية(النفسية) وكذا العملية في هذه القضية.

الكلمات المفتاحية: تعليم عال متميز. التطور التكنولوجي. تقنية المعلومات. القدرة على الإبداع. القيادة الإدارية.

من خلال هذه الورقة البحثية نحاول الإجابة عن الإشكالية الرئيسة التالية:

فيم يتمثل الإطار النظري الأنسب لدراسة مفهوم الجودة؟.

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة إشكاليات فرعية ثلاث:

١- ما مفهوم الجودة ؟.

٢- ما هي المتطلبات الضرورية لما يعرف بالجودة في المؤسسات الجامعية ؟

٣- وفيما تتمثل أهم التحديات التي تحول دون بلوغ درجة الجودة في التعليم العالي ؟

وللإجابة عن الإشكالية الرئيسة والإشكاليات الفرعية تمّ طرح الفرضيات التالية:

الفرضيات :

- كلما تمّ الالتزام بمبادئ ومتطلبات الجودة في التعليم كلما تمّ تحقيق غاية الرضا على المؤسسات الجامعية بمختلف مكوناتها.

- لتحقيق درجة التميز في أي مجال لابد من انتهاج نهج الجودة وإتباعها كوسيلة وكمنهج، بل كفلسفة حتمية للخروج من الظلمات إلى نور العلم والرفق .

أهمية الموضوع: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف:

- إبراز التطورات العامة المواكبة لعملية إصلاح المنظومة التعليمية في مجال ضمان الجودة، مع تحديد الفجوة القائمة بين الواقع الفعلي للجامعة الجزائرية و بين الكليات العالمية التي قطعت أشواطاً بعيدة في إدارة الجودة.

- دراسة استراتيجيات التميز، مكافأة التميز، و تنمية و تدريب الموارد البشرية و الهياكل التعليمية باعتبارها ضرورة ملحة في الوقت الراهن.

- ترويج ثقافة التميز في التعليم العالي باعتباره نشاطاً جوهرياً و ذلك من أجل خلق و نقل المعرفة المستدامة .

منهجية الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على:

- المنهج التاريخي: وذلك لسرد مختلف المراحل التاريخية المواكبة لعملية دمج ما يعرف بمصطلح الجودة بالتعليم العالي والغاية الكبرى من البحث العلمي، و كيف تم تحويل كل الكشوف النظرية الجديدة إلى مشروعات قابلة للتطبيق، من خلال الإسقاط الجانب النظري وإضفاء الصبغة الفعلية عليه .

- المنهج الوصفي التحليلي: و هو الأسلوب الذي يحاول وصف و تقييم واقع دور القيادة الإدارية في تحقيق تعليم عال متميز في الجامعات العربية بصفة عامة و الجامعة الجزائرية بصفة خاصة.

- أهمية الدراسة: تعتبر هذه الدراسة من الدراسات المهمة في العالم العربي موضوعها "نحو تعليم عال متميز"، حيث تنصرف إلى البحث في مسائل تعتبر هامة جداً سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية.

- فمن الناحية النظرية تبرز أهمية الموضوع من خلال إعداد دراسة تهتم بتتبع المراحل التاريخية لعملية إصلاح المنظومة التعليمية و ربطها بمنهج تحقيق القدرة على الإبداع ، وذلك من أجل إظهار الخصائص الرئيسة لعملية تحسين الجودة من خلال التقويم المستمر .

بالإضافة إلى التعرض للنظرية الاتصالية ودورها في تزويد التعليم العالي بمختلف المناهج والوسائل التكنولوجية وتوضيح أهميتها واستعمالاتها.

- كما أنّ لهذا الموضوع أهمية عملية، تتمثل أساساً في إعداد دراسة تطوير استراتيجيات التميز في التعليم العالي من خلال تحديد مواطن التحسن اللازمة في إطار الأداء المؤسسي، المحاضر، والطالب على المستوى القبلي، أما على المستوى البعدي فيتمثل في إطار تحسين بدائل العامل أو الموظف .

وستتناول كل هذا من خلال ما يأتي:

خطة الدراسة:

مقدمة.

المحور الأول: الإطار مفاهيمي للجودة في إطار التعليم العالي.

المحور الثاني: متطلبات تطبيق الجودة في المؤسسات الجامعية.

المحور الثالث: جودة التعليم العالي في الجزائر بين الآمال والتحديات .

خاتمة.

المحور الأول: الإطار مفاهيمي للجودة في إطار التعليم العالي.

١ - مفهوم الجودة

ظهر الانشغال بالجودة في بادئ الأمر بالمؤسسة الاقتصادية ضمن احترام التنافس والاتجاه نحو إرضاء الزبون، فركمت المؤسسات الخاصة (اليابانية والأمريكية) خبرات معتبرة من خلال تبنيها استراتيجيات قائمة على الجودة الشاملة وأضحت هذه الأخيرة تكوّن أحد أهم المواضيع اهتماما في علم إدارة الأعمال (management) في العقدين الأخيرين. وتبعاً لهذا النجاح امتدّ استخدام مبادئ الجودة إلى المؤسسات المقدمة للخدمة العمومية ومنها التعليم العالي¹. كما تعرف الجودة التعليمية بأنها مجموعة من الخصائص التي تعبر بدقة وشمولية عن التربية متضمنة الأبعاد المختلفة لعملية الجودة من مدخلات وعمليات ومخرجات، والتي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة للمجتمع². وبمعنى آخر فإن جودة التعليم العالي هي "استراتيجيه إدارية مستمرة التطوير تنتهجها المؤسسة التعليمية معتمدة على مجموعة من المبادئ. وذلك من أجل تخرج مدخلها الرئيسي وهو الطالب على أعلى مستوى من الجودة من كافة جوانب النمو العقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية، وذلك بغية إرضاء الطالب بأن يصبح مطلوباً بعد تخرجه في سوق العمل وإرضاء كافة أجهزة المجتمع المستفيدة من هذا المخرج³.

ومن كل هذا نستخلص أن مفهوم الجودة مرتبط بالتميز وبالتالي الرقي والازدهار على جميع الأصعدة، أما في المجال التعليمي فيتناول مفهوم جودة التعليم العالي من خلال الأهداف المرجوة منه والمتمثلة أساساً في التميز والتميز عن الآخرين، عن طريق الملاءمة مع الغايات أو المدخلات مع الطموحات لتحقيق درجة الرضا، سواء من حيث الطلبة الوافدين أو المتخرجين وحتى في علاقة مؤسسات التعليم العالي مع المؤسسات الأخرى خاصة المؤسسات الاقتصادية أو متطلبات السوق الداخلية والدولية، لأن عملية الجودة التعليمية أصبحت مرتبطة بمتغيرات خارجية لها تأثير مباشر وغير مباشر على المؤسسات التعليمية. وبالتالي يمكن القول أن الجودة كمصطلح رغم التداول المتزايد عليه يصعب تحديد مفهوم متفق عليه لمعنى الجودة، لأن هذه المفردة تشتمل على مجموعة من الأفكار والأبعاد والأهداف المختلفة والمتأثرة بعوامل إيديولوجية، عقائدية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، أمنية، وبالتالي ينبغي الارتكاز على خلاصة نسبية المفهوم.

¹ زين الدين بروش ويوسف بركان ، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الواقع والآفاق ، ورقة مقدمة في المؤتمر العربي الثاني الدولي لضمان جودة التعليم العالي ، ٢٠١٢، ص ١٢.

^٢ فاروق عبده فليح، اقتصاديات التعليم: مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، ط ٢، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٧، ص ٣٤٣.

^٣ أحمد إبراهيم أحمد، الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ١٦٦.

٢ - مفهوم ضمان الجودة :

حتى تتحقق الجودة في الخدمات التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي يجب أن تقوم هذه الأخيرة باتخاذ إجراءات متعددة تسمى بـ **ضمان الجودة** . وقد ظهر مفهوم الجودة والاهتمام بضمانها كأحد المنهجيات للاقتصاد الناجح في الدول الغربية خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي ، فالمؤسسة الناجحة من وجهة نظرهم هي التي تلبّي معايير الجودة .

إن المتتبع لحركة تطور مفهوم الجودة، يلاحظ أنها استخدمت لأول مرة خلال الحرب العالمية الثانية، وقد اقتصر مفهومها في ذلك الوقت على كشف العيوب بعد الانتهاء من عملية التصنيع. ومع بداية الثلاثينيات من القرن الماضي ظهر نظام رقابي عرف بنظام ضمان الجودة الإحصائي الذي يرى بأن الجودة تتحقق من خلال رقابة وحدة الإنتاج، غير أن هذا النظام أظهر العديد من القصور من أهمها ظهور منتجات معيبة في الأسواق. ومع نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، أصبح المعنى الحقيقي لضمان الجودة معروفا وأكثر تطورا ليظهر ما يعرف بنظام ISO 9000¹، بهدف الوصول إلى منتج يحظى بثقة العميل. وفي عام ١٩٨٨ تم تأسيس منظمة المعايير العالمية التي قامت بوضع مجموعة من المعايير لنظام ضمان الجودة استخدمت في تسعين دولة، واعتبرت هذه المعايير أشهر المعايير لضمان الجودة، وقد تمّ فيما بعد تطوير هذا النظام، ففي عام ١٩٩٩ توفرت ثلاث أنظمة لمعايير ضمان الجودة هي: ISO 9001، ISO 9002، ISO 9003، وفي سنة ٢٠٠٠ أصدرت منظمة المعايير العالمية إصدارا جديدا حلّ محلّ الأنظمة الثلاثة سميّ ب: ISO 9001 وقد أتاح هذا النظام الفرصة لأكثر عدد من المنظمات إمكانية الحصول على شهادة ضمان الجودة حيث استبعد مجال التصميم من مجالات الحكم. ومنذ عام ٢٠٠٣ أصبح من الضروري على المنظمات التي ترغب في الحصول على الاعتراف سواء كانت إنتاجية، خدماتية، صحية، تعليمية،... أو غيرها، تلبية متطلباتها والعمل على تحقيق المعايير التي تطرحها².

وضمان الجودة في ميدان التعليم العالي مصطلح عام، يعبر عن العملية الدائمة والمستمرة التي تستهدف مراقبة وضمان جودة نظام مؤسسات التعليم العالي، ويعدّ ضمان الجودة آلية قانونية تركز على مسؤولية التحسين كمحور أساسي³.

ويعرّف أيضا ضمان جودة التعليم على أنه: "عملية منظمة لتفحص النوعية تقتضي التأكد من وفاء المؤسسة التعليمية بالمعايير، ومن قدرتها على التحسين المستمر والوفاء بها لاحقا، بحيث أن المؤسسة تضمن جودة التعليم لنفسها وللجمهور العام"⁴.

وقد عرّفت لجنة ضمان جودة التعليم العالي ضمان التعليم على أساس أنه: " فحص إجرائي نظامي للمؤسسة وبرامجها الأكاديمية لقياس المنهجية من حيث مناسبة الترتيبات المخططة لتحقيق أهدافها، والتطبيق من حيث توافق الممارسة

¹ الإيزو : كلمة إغريقية ISOS تعني التساوي وهي مشتقة من الحروف الثلاثة لاسم المنظمة الدولية للمواصفات والمقاييس ،التي تأسست في أعقاب

الحرب العالمية الثانية، بعد لقاء ضم ٢٥ دولة في لندن عام ١٩٤٧ ومقرها بسويسرا .

² زين الدين بروش ويوسف بركان ، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الواقع والآفاق ،مرجع سبق ذكره،

ص ١٥ .

³ القرار الوزاري رقم ٧٣٩ المؤرخ في ١٨ أكتوبر ٢٠١٠ المتضمن هيكله اللجنة الوطنية للتقويم (CNE) .

⁴ عماد أبو الرب وآخرون، ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي ، ط١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ٣١٥ .

الفعلية مع الترتيبات المخططة، والنتائج من حيث تحقيق الترتيبات والإجراءات للنتائج المطلوبة، والتقييم والمراجعة من حيث قيام المؤسسة بالتعليم والتحسين، من خلال تقييمها الذاتي للترتيبات والطرق والتنفيذ والنتائج¹.
ومن كل هذا يمكن القول بأن مصطلح ضمان جودة التعليم هو تلك الأنظمة أو المقاييس التي يتم من خلالها قياس درجة جودة المؤسسة وجودة برامجها ودرجة الرضا المتمحور حولها.

٣- مفهوم نظام ضمان الجودة

يتضمن مفهوم نظام ضمان الجودة مجموعة من التعاريف ندرج بعضها كالتالي:

نظام ضمان الجودة هو: "نظام عالمي موحد لمقاييس الجودة، اتفق عليه عالميا ليكون وثيقة دولية لضمان جودة الإدارة"².
وعرف أيضا على أنه: "ذلك النظام الذي يقوم بالتحقق على أن ما تقوم به من أعمال يتطابق مع الإجراءات والسياسات التي قمت بكتابتها واعتمادها"³.

وبطريقة أشمل عرف نظام ضمان الجودة على أنه: "مجموعة من الخطط والأنشطة تطبقها إدارة المؤسسة في كافة الأقسام وفي جميع المستويات بهدف ضمان أن ناتج العمليات سوف يلبي حاجات الزبائن وتوقعاتهم، وذلك من خلال التأثير على الطريقة التي يتم وفقها تصميم المنتجات وتصنيعها وتفتيشها واختبارها وتركيبها وتسليمها وخدمتها، ويهدف نظام الجودة إلى تزويد الثقة بمنتجات المؤسسة"⁴.

وفيما يتعلق بالتعليم فإن نظام ضمان جودة التعليم العالي تتمحور في: "جودة عناصر العملية التعليمية المكوّنة من الطالب، عضو هيئة التدريس، جودة المادة التعليمية، بما فيها من برامج وكتب جامعية وطرائق التدريس وجودة مكان التعلم في الجامعات والمخابر ومراكز الحاسوب والورشات والقاعات التعليمية من سياسات وفلسفات إدارية، وما تعدّاه من هياكل تنظيمية ووسائل تمويل وتسويق وأخيرا جودة التقييم الذي يلبي احتياجات سوق العمل"⁵.

يمكن القول أن نظام ضمان جودة التعليم يمكن حصره في جملة مركبة ومتشابكة من العوامل المتعلقة بتهيئة البيئة الفعلية لبلوغ درجات التميز والجودة في التعليم التي تقاس على أساس عدة معايير تعرف بالإيزو.

¹ زين الدين بروش ويوسف بركان ، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الواقع والآفاق ، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

² يوسف حجيم الطائي ، محمد فوزي العبادي، هاشم فوزي العبادي، إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي ، ط١، عمان : مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ٣٠٩.

³ أحمد الخطيب ورداح الخطيب، الإعتقاد وضبط الجودة في الجامعات العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦.

⁴ زين الدين بروش ويوسف بركان ، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الواقع والآفاق ، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠.

⁵ رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة: دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة"، مذكرة ماجستير ، شعبة: تسيير مؤسسات ، تخصص: تسيير الموارد البشرية، جامعة: منتوري قسنطينة، ٢٠١٠، ص ١٢١.

المحور الثاني : متطلبات الجودة في التعليم العالي وفق أهم المتغيرات.

المتغير الأول جودة الطلبة: وهم من أبرز عوامل تحسين جودة الخدمة التعليمية، وتتلخص تحته العناصر التالية:

-انتقاء الطلبة: تتمثل عملية انتقاء الطلبة لقبولهم للالتحاق بالتعليم العالي إحدى الممارسات الشائعة في الجامعات والكليات، باعتبار الجامعات والكليات التي تنتقي طلبتها تتميز عن مثيلاتها الأقل انتقاء، حيث إن انتقاء الطلبة وقبولهم يمثل الخطوة الأولى في جودة التعليم الجامعي¹.

-نسبة عدد الطلبة: من بين مظاهر جودة الخدمة التعليمية الأخذ بعين الاعتبار نسبة عدد الطلبة لعضو هيئة التدريس، إذ يجب أن تكون هذه النسبة مقبولة بالدرجة التي تضمن تحقيق فعالية العملية التعليمية...فكلما كان عدد الطلبة قليلا كان ذلك أفضل في رفع حيوية الدرس، وإتاحة فرصة أكبر للمشاركة وتبادل الأفكار، بالإضافة لعنصر مهم وهو دافعية الطلبة واستعدادهم للتعلم وسعهم للمعرفة وحبّ الاطلاع والاستكشاف والرغبة في الحصول على ثراء معلوماتي².

المتغير الثاني جودة هيئة التدريس: و يقصد بجودة عضو هيئة التدريس تأهيله العلمي، الأمر الذي يسهم حقا في إثراء العملية التعليمية وفق الفلسفة التربوية التي يرسمها المجتمع.

ويحتلّ عضو هيئة التدريس المركز الأول من حيث أهميته في نجاح العملية التعليمية، فمهما بلغت البرامج التعليمية من تطوّر في الخدمات التربوية والتعليمية ومهما بلغت هذه البرامج من الجودة، فإنها لا تحقق الفائدة المرجوة منها إذا لم يجب توافر عدد من السمات لدى عضو هيئة التدريس منها جملة من السمات الشخصية والنفسية والقدرة على الاتصال بالإضافة إلى الالتزام بالمنهج العلمي والعمل على تنمية المهارات الفكرية التنافسية بين الطلبة خدمة للجامعة التي ينتهي إليها زيادة على خدمة المجتمع والوطن³.و بالتالي تصنف أدوار عضو هيئة التدريس وفق هذا المفهوم إلى⁴:

-أدوار اتجاه طلابه.

-أدوار اتجاه المؤسسة التي يعمل فيها.

-أدوار اتجاه المجتمع المحيط به.

-أدوار اتجاه نفسه.

المتغير الثالث جودة المناهج : تعدّ الموازنة بين الأصالة والمعاصرة في إعداد المناهج، من حيث المحتوى والأسلوب من العوامل المرتبطة بجودة الخدمة التعليمية، ويرتبط هذا الجزء من المعايير بالمدى الذي تستطيع فيه هذه المناهج الدراسية

¹ رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة: دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة" نفس المرجع، ص ١٢٢-١٢١.

^٢ بن اعمارة منصور، الإبداع والابتكار كوسيلة لتحقيق الجودة في التعليم العالي، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي : الابداع والتغيير التنظيمي في المؤسسات الحديثة، المنظم من قبل : كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باجي مختار، عنابة، بتاريخ: ١٨-١٩ ماي ٢٠١١، ص ١٦.

^٣ عازة حسن فتح الرحمن، تأهيل و إعداد عضو هيئة التدريس الجامعي، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الرابع: للبحث العلمي في العصر الرقمي، مركز

البحوث والإستشارات الإجتماعية بلندن والمركز الاحتواء الاجتماعي، دولة قطر، يومي ١٥-١٦ مارس ٢٠١٥، ص ١٨٠.

^٤ رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة: دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة"، مرجع سابق، ص ١٢٣.

أن تعمل على تنمية قدرة الطالب على تحديد المشكلات وحلها، إذ أن أولوية جودة الخدمات التعليمية تستدعي تحسين المناهج¹. ويتم ذلك من خلال الخطوات التالية:

١- تحديد إستراتيجية التعليم: وذلك بوضع إطار لسياسات يستهدف المحافظة عليها في تكامل وتوقيت ملائمين وتوجيهها الوجهة الصحيحة وينبغي مراعاة خاصيتين عند تحديد إستراتيجية التعليم هما:

أ- وجوب التركيز على العلاقات بين الأشياء: وذلك بإيجاد سلسلة كاملة من العلاقات الداخلية في النظام التعليمي الموجودة بين مستوياته المختلفة، بين النظام التعليمي ككل والبيئة التي يتواجد فيها.

ب- وجوب التركيز على التجديد: بحيث يكون شاملا لجميع جوانب العملية التعليمية بهدف إحداث التوافقات التي يحتاج إليها النظام .

٢ - دراسة الواقع الحالي في ضوء الإستراتيجية المرسومة: حيث تتضمن هذه الدراسة طرق التدريس ووسائله وأساليب التقويم، وإعداد الأستاذ وتدريبه بالإضافة إلى الإدارة الجامعية.

٣ - التخطيط: عبارة عن عملية تتضمن اتخاذ مجموعة من القرارات للوصول إلى أهداف محددة وعلى مراحل معينة، وخلال فترة زمنية معينة مستعينا بالإمكانات المادية والبشرية والمعنوية المتاحة والهدف من ذلك أنها تسهل عملية التنفيذ والتمويل والتغيير في العملية التعليمية².

المتغير الرابع جودة القيادة الإدارية:

أولاً: تعريف القيادة: لقد بذلت عدة محاولات لإعطاء مفهوم صحيح لظاهرة القيادة، وفيما يلي بعض الأمثلة التي حاولت التعرض لهذا المفهوم:

فالقائد على سبيل الاشتقاق هو كائن في المقدمة أو بالأحرى هو الرأس المفكر الذي ينظر ويحسن التصرف لصالح سائر الجسم (أي مرؤوسيه)³، والقيادة سلوك يقوم به القائد للمساعدة على بلوغ الأهداف الجماعية وتحريك الجماعة نحوها، وتحسين التفاعل الاجتماعي بين الأعضاء، والحفاظ على تماسك الجماعة، وتسيير مواردها، وهكذا يمكن النظر للقيادة أيضا كعملية سلوكية⁴.

كما يعرفها الدكتور جمال الدين عويسات على أنها: عبارة عن استقطاب قدرات الآخرين من أجل أداء الأعمال المنوط بهم بحماس وثقة. وقد أثبتت الأبحاث أن الشخص الذي تتم قيادته بشكل جيد يمكن أن يزداد جهده بحوالي ٤٠ بالمائة⁵.

ولقد تطور مفهوم القيادة الإدارية عبر مرحلتين متعاقبتين⁶:

¹ بن اعمارة منصور، الابداع والإبتكار كوسيلة لتحقيق الجودة في التعليم العالي، مرجع سبق ذكره.

² بن اعمارة منصور، الابداع والإبتكار كوسيلة لتحقيق الجودة في التعليم العالي، مرجع سبق ذكره.

³ جيم كور تواء، الطريق إلى القيادة و التنمية الشخصية، ترجمة سالم لعيسى، الطبعة الأولى، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩، ص ٠٧.

⁴ شفيق رضوان، السلوكية و الإدارة، الطبعة الثانية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١٨.

⁵ جمال الدين عويسات، مبادئ الإدارة، الطبعة الأولى، دار الهومة، الجزائر، ٢٠٠٥، ص ٢٠.

⁶ محمود شحماط، المخل إلى العلوم الإدارية - أسس و مبادئ علم الإدارة العامة، دار العلوم، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٩٧.

المرحلة الأولى: والتي تمثل المعنى التقليدي للقيادة الإدارية، والذي يرتبط بفكرة السلطة السلمية داخل التنظيم الإداري، فالقائد الإداري هو كل رئيس إداري يتمتع بحق إصدار أوامر السلطة، والتي يتعين على التابعين تنفيذها وطاعتها، وإلا تعرضوا للجزاء، فعناصر القيادة الإدارية إذن هي: الأوامر والطاعة والجزاء.

المرحلة الثانية: و التي تمثل المعنى الحديث للقيادة الإدارية، والذي يعتمد على فكرة العلاقات الإنسانية التي تربط بين القائد وأعضاء التنظيم ليس بوصفهم أتباعا بل كيان، فتتحدد سلطة القائد في قدرته على التأثير على العاملين من أعضاء التنظيم، و خلق الولاء بينهم، وغرس روح الفريق الواحد من أجل بلوغ الأهداف المشتركة للمنظمة.

ما نخلص إليه إذن أن القائد الإداري هو الذي يعرف كيف يجعل الآخرين يحبونه، ويمتتون إليه بالطاعة، فهو الذي يوجب الاحترام، وليس الذي يفرض الاحترام.

ومن هنا يظهر الفرق بين القائد الإداري، والرئيس الإداري¹، فالقائد على خلاف الرئيس لا يستمد نفوذه من السلطة السلمية الرسمية، وإنما يستمد نفوذه من اختيار الجماعة له كقائد، ويصبحون أتباعا له.

ثانيا: صفات القائد الإداري: يجب أن يتحلى القادة الإداريون في كل المستويات بالصفات الأخلاقية الأساسية كالنزاهة، الأمانة، الشرف، الكرامة، بحيث يمثلون قدوة أخلاقية لتابعيهم ومرؤوسهم. فليست هناك جدوى أو قيمة لرئيس يملك مهارات استثنائية وعلم وثقافة إذا لم يكن على هذا المستوى المطلوب من النزاهة والشرف، ثم إنه لو كان كذلك سيكون قدوة سيئة، ولا شك في أهمية القدوة الطيبة الحسنة بالذات في القائد الإداري الأعلى². وكما يجب على القائد الإداري أن يكون متمتعا بالاستقرار الروحية التي شعارها (خدمة الآخرين، خدمة نزيهة دائمة، والشجاعة)، والتي تتطلب الذمة واليقين والحماسة والأخلاق³. وعلى القائد الإداري الناجح أن يأخذ الأمور بقوة ليس فيها شدة وليس فيها ضعف، بحيث يستطيع أن يغرس فضائل الأخلاق في نفوس المرؤوسين، و أن يكون خادما للمصالح العامة، أي انه لا يتمسك برعاية الفوائد الخاصة على حساب الفوائد العامة، وهي مهمة رئيسية ملزمة وغير قابلة للاستبدال، فإذا ما اكتسب هذه الأخلاق من رؤسائه سيسبقها بدوره حتما لمرؤوسيه⁴.

ثالثا: متطلبات القيادة الجامعية: يتطلب من القيادة الجامعية امتلاكهم مجموعة من المهارات الفنية والإنسانية والإدراكية كي يتمكنوا من القيام بأدوارهم الأكاديمية والإدارية والتربوية بحيث يجب أن تكون هذه الأدوار مقنعة وواضحة، إذ لا تكفي السلطة الرسمية التي تمنحها اللوائح في تحقيق المهام القيادية وخاصة في البيئة الأكاديمية التي تتسم بحساسية عالية اتجاه الأنماط التسلطية في اتخاذ القرارات والتي تقود إلى فشل محقق إزاء أشكال المقاومة المختلفة⁵. فجودة الإدارة

¹ جيم كورتوا، الطريق إلى القيادة و التنمية الشخصية، ترجمة سالم لعيسى، الطبعة الأولى، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩، ص ٠٧.

² صوفي إيمان، قوراري مريم، أخلاقيات العمل كأداة للحد من ظاهرة الفساد الإداري في الدول النامية، ورقة مقدمة في: الملتقى الوطني حول حكومة الشركات كآلية للحد من ظاهرة الفساد المالي والإداري، جامعة محمد نخبصر، بسكرة، ٠٦-٠٧ ماي ٢٠١٢، ص ٠٢.

³ رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة :دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة"، مرجع سابق، ص ١٢٥.

⁴ صوفي إيمان، قوراري مريم، المرجع السابق، ص ٠٢.

⁵ رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة :دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة"، مرجع سابق، ص ١٢٥.

ترتكز على جودة القائد الذي ينبغي عليه الالتزام بجودة التخطيط الاستراتيجي ومتابعة الأنشطة من ملتقيات ودورات تدريبية... التي تساهم في خلق وكشف الضمور عن ثقافة الجودة.

إضافة إلى ذلك تتلخص جودة القيادة الإدارية في المعايير الأكاديمية و مناهج جديدة مواكبة لتغيرات البيئية، وتنمية وترقية البحث العلمي، وكذلك المعايير التربوية المتمثلة في انخفاض معدلات المشاكل سواء للطلبة أو الأساتذة أو الاثنين معا، وأيضا معايير الإدارة المتمثلة في انخفاض معدلات المخالفات الإدارية، وعنصر التحفيز، وسهولة تنفيذ المعاملات الإدارية... فالمؤسسة التعليمية إذن، تستطيع أن تلعب دورا مهما في إعداد الطلبة للدخول في المجال الوظيفي حيث تستطيع توجيههم وتوعيتهم وتدريبهم على بعض مسائل الأخلاق، والعلاقات العامة حتى تنجح في تنمية سلوك الطالب اتجاه المسؤولية والإخلاص¹. وفي عصر العولمة وآليات السوق يجب إعداد خريجي الجامعات تبعاً لمواصفات الجودة الشاملة في الجانبين: الجانب المعرفي، والجانب الوجداني. والذي يجب أن يتسق مع أخلاقيات المهنة التي يعدّ من أجلها هذا الخريج في صورتها الثلاثية (معرفي- مهاري- وجداني)، ولن يكون هناك تطوير حقيقي أو جودة شاملة في منظومة التعليم، والتعلم في غيبة الجانب الوجداني.

فلا يمكن لخريج جامعة أيّا كان تخصصه أن يكون لصاً أو مزوراً أو مرتشياً إلا إذا كان هناك تقصير كبير في الإعداد، يركّز على التدريس دون التعلم، وعلى المعرفة والمهارة دون السلوك، وعلى الكم دون الكيف.

لذا يجب على أساتذة التعليم الجامعي أن يكونوا على قدر كبير من الانضباط في السلوك والدقة والأمانة والولاء، حتى يكونوا قدوة في أعين طلابهم. يجب أن يكونوا قيمة تربوية سامية لا يعلوها لغط وشوائب يسكنون في محراب العلم في تواضع يشعون نوراً ساطعاً، وثقافة واعية على طلابهم وأوطانهم يسعدهم أن يزداد رصيدهم من الحب والاحترام والقيم في نفوس طلابهم².

المتغير الخامس جودة الإنفاق والتمويل (الإمكانات المادية):

يمثل تمويل التعليم مدخلا بالغ الأهمية من مدخلات أي نظام تعليمي، وبدون التمويل اللازم يقف نظام التعليم عاجزا عن أداء مهامه الأساسية، أما إذا توافرت له الموارد المالية الكافية قلّت مشكلاته، وصار من السهل حلها، ولاشك أن جودة التعليم على وجه العموم تمثل متغيرا تابعا لقدرة التمويل التعليمي في كل مجال من مجالات النشاط، ويعدّ تدبير الأموال اللازمة للوفاء بتمويل التعليم أمرا له أثره الكبير في تنفيذ البرامج التعليمية المخطط لها، وكذلك فإن سوء استخدام الأموال سيؤدي إلى تغيير خطط وبرامج التعليم، الأمر الذي يؤثر حتما على جودة التعليم والتي تحتاج غالبا إلى تمويل دائم، مصادره من التمويل الحكومي والذاتي، وعائد الخدمات ومراكز البحوث والاستشارات والتدريب³.

وتتعدّد الإمكانات المادية في مؤسسات التعليم العالي حيث تشمل جميع أنواع الأثاث، والتجهيزات والمختبرات

¹ بن اعمارة منصور، الإبداع والإبتكار كوسيلة لتحقيق الجودة في التعليم العالي، مرجع سبق ذكره.

² رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة: دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة" مرجع سابق، ص 127.

³ حبيبة شهرة، فجوة البحث العلمي بين الغرب و العرب ، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الرابع : للبحث العلمي في العصر الرقمي، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية بلندن والمركز الاحتواء الاجتماعي دولة قطر، يومي 15-16 مارس 2015، ص 90.

والمكتبات...ويتضمن هذا المتغير مجموعة من المؤشرات¹:

- مرونة المبنى والإمكانات المتوفرة فيه ودرجة الاستيعاب.

- مدى استفادة أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة من مكتبة الكلية من خلال توفيرها للمصادر التخصصية، وغير التخصصية من كتب ومجلات وحواسيب وجودة عمال المكتبة من خلال تنظيمهم وتسهيلهم الوصول للمعلومة.

- حجم الاعتماد المالي.

وبالرجوع للإحصائيات السنوية يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى في الإنفاق، مقارنة مع الدول العربية التي تعد من بين الدول الأقل في العالم في التخطيطات المالية للغرض نفسه. فقد ذكرت (منظمة التنمية و التعاون الاقتصادي) أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى منذ سنوات و تصل نفقاتها إلى ٤٨ مليار دولار كما في أرقام سنة ٢٠٠٢، تليها الصين التي وصل إنفاقها في نفس العام إلى ١٣ مليار دولار، ومن ثم اليابان بمبلغ ١٣ مليار دولار أمريكي. فحين أن البلدان العربية مجتمعة خصصت عالم ٢٠٠٠ مبلغ ٧٥ مليون دولار فقط أي حوالي ٠.٣ بالمائة من إجمالي نتاجها الوطني للبحث و التطوير².

المحور الثالث : جودة التعليم العالي بين الآمال والتحديات

١ - فوائد تطبيق فلسفة الجودة في التعليم العالي:

إن المتتبع لمسار تطور التعليم العالي من مرحلة مرحلة يكتشف مدى الصراع لبلوغ الآمال الذي ترجو المؤسسات التعليمية تحقيقها من طلبة وأساتذة وإداريين. وبحسب التطورات الحالية والثورة المعلوماتية لن يتأتى ذلك إلا بمطرح ما يسعى بالجودة، والتي يجب الأخذ بها وتبنيها كفكر ومنهج يثمر عمّا يأتي:

-توسيع أفق القيادة الإدارية العليا بحيث يصبح كل تفكيرها في التخطيط الاستراتيجي واتخاذ قرارات ممتازة.

-المحافظة على حيوية وسمعة المؤسسة التعليمية من خلال التطوير والتجديد والتحسين المستمر والتعليم والتدريب والتكيف مع المتغيرات البيئية الجامعية.

-تقوية مركز المنافسة للمؤسسة التعليمية من خلال تقديم خدمات ذات جودة عالية في الوقت المناسب لكسب رضا وثقة العملاء بالتميز على المنافسين.

-تبني المشاركة الجامعية بتحسين الأداء والإنتاجية من خلال تبني أسلوب فرق العمل.

-تحسين رضا الطلاب وزيادة ثقتهم بمستوى جودة خدمة التعليم المقدمة لهم من قبل الكليات الجامعية.

-تحقيق رضا أعضاء هيئة التدريس والإداريين وتطوير كفاءة أداءهم من خلال ورشات عمل وبشكل منظم.

¹ اسلم أحمد الجعباري، متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة من وجهة نظر : عينة من أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب والعلوم الخمس ومسلاتة بجامعة المرقب، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي الرابع للبحث العلمي في العصر الرقمي، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية بلندن ومركز الاحتواء الاجتماعي بقطر، ١٥-١٦ مارس ٢٠١٥، ص ٤٣.

² زين الدين بروش ويوسف بركان، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الواقع والآفاق، مرجع سبق ذكره، ص ١٢.

- تحقيق متطلبات سوق العمل من خلال تلبية احتياجاتهم من مخرجات التعليم المطلوبة من الشركات ومؤسسات العمل في المجتمع.

- تعظيم دور الجامعة وتحسين مركزها التنافسي بين الجامعات المحلية والعالمية، بالمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية وتطوير المجتمع المحيط بالجامعة.

- تحسين جودة الخريجين من الجامعات بما يساهم في زيادة الطلب على مخرجات الجامعات.

- تكوين ثقافة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، هدفها التحسين باستمرار في جميع أقسام الكليات.

- إبراز العمل الجماعي وتحسين الاتصالات وبناء الإحساس بالولاء للجامعة، والشعور بالمسؤولية لجميع العاملين بالمؤسسة الجامعية¹.

٢ - تحديات تطبيق الجودة بالتعليم العالي:

تواجه مسألة تحسين جودة التعليم العالي عدة عراقيل تحدّ من الوصول إلى الأهداف المرجوة، وتصعب الطريق للوصول إلى تحقيق نظام الجودة خاصة بقطاع التعليم العالي. وسنحاول وضع النقاط على الحروف وتحديد التحديات الحقيقية التي سنكشف الستار عنها من خلال العناصر التالية:

- غياب ثقافة الجودة بالتعليم العالي: إن المتتبع لمسار التعليم العالي في الجزائر يدرك أن عنصر الجودة لم يكن هدفا معلنًا في سياسة الجامعة، وبالتالي لم يكن مؤشر قياس نجاعة وفعالية المؤسسة الجامعية. فكل المؤشرات الدالة على كفاءة المؤسسة موجّهة نحو الكم²، لا الجودة بسبب التزايد غير المحسوب لأعداد الطلبة الملتحقين بالتكوين الجامعي، حيث أصبح قبول الطلبة وسيلة تلجأ إليه الجامعة لاستجلاب الترضية الاجتماعية³.

- ضعف عملية التأطير الخاصة بالأستاذ الجامعي والتي تتمحور في:

- النشاطات المقامة من أجل التكوين في الجامعات الجزائرية عبارة عن تجارب ذاتية، غالبًا ما تخلق تفاوت بين التكوين النظري في الدراسات ما بعد التدرج والاكْتساب الفعلي للبيداغوجيا من أجل التدريس. ولا يتم إعداد الأستاذ الجامعي في الجزائر لمهنة التدريس تربويًا ومهنيًا، والذي يحدث هو أنه أثناء التحاق الطالب ببرنامج الماجستير يتلقى دروسًا متعلقة بالجانب النظري في غياب الشق الميداني والعملي، فلا وجود لدورات أو ورشات حول هذا الموضوع، وكذلك التنظيم المعمول به حاليًا في الجامعة الجزائرية لا يلزم الأستاذ على تلقي تكوين في أساسيات التدريس قبل التحاقه بالمهنة.
- ضعف الموازنة بين مخرجات التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل التي تعود إلى تدني مستوى المعارف المحصلة والتأهيل المتخصص وضعف القدرات التحليلية والابتكارية والتطبيقية، وهي المتطلبات الأساسية التي يفترض أن تتوفر في المخرجات الجامعية، لكن ما نلاحظه هو مخرجات في تخصصات لا يحتاجها سوق العمل.

¹ محمد بوعشة، أزمة التعليم العالي في الجزائر والعالم العربي: بين الضياع وأمل المستقبل، بيروت: دار الجبل، ٢٠٠٠، ص ٣٣.

² دلال سلامي و إيمان عزي، تكوين الأستاذ الجامعي الواقع والآفاق، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الثالث، ديسمبر ٢٠١٣، ص ١٥٩.

³ حاجي العلي، جودة الخدمة التعليمية في قطاع التعليم العالي في الجزائر بين الواقع والآفاق: دراسة تحليلية تقييمية للإصلاحات الجديدة ل.م.د، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، العدد ١٠، جوان ٢٠١٣، ص ٣٤-٣٥.

- تعليم يطغى عليه أسلوب التلقين وليس المقاربة بالكفاءات كما هو موجود عالميا.

خاتمة:

من خلال كل ما تمّ طرحه نستنتج أن مصطلح الجودة مصطلح عميق بالمفهوم والذي يمس كل الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية والتنموية، ومفهوم الجودة فلسفة ينبغي على كل شخص يسعى للرفي والتميز في كل المجالات اتخاذه نمطا ينبغي العيش عليه والنمو من خلاله سواء بالنسبة للأفراد أو المؤسسات. ومن خلال هذه الورقة البسيطة نستنتج ما يأتي:

- الجودة في التعليم العالي مفهوم ينبغي على المؤسسات التعليمية إتباعه سواء من حيث الطاقم الإداري أو الهيئة التدريسية أو الطلبة وحتى أبسط عامل .

- لبلوغ درجة الجودة الشاملة ينبغي الالتزام بمجموعة من المعايير أو المداخل لتحقيق الغاية والهدف الأسسى ألا وهو استمرارية الرضا.

- من أهم أهداف ومظاهر ومطالب الجودة بالتعليم العالي، التوافق بين مخرجات المؤسسات التعليمية وبين سوق العمل.

- المحافظة على استمرارية الجودة والتميز هي أهمّ سمة من سمات نجاح المؤسسات التعليمية.

- لتحقيق أي تنمية في أي قطاع لابدّ من الالتزام بالجودة ومتطلباتها لتحقيق منافع للمجتمع والوطن.

قائمة المراجع:

الكتب:

١. أحمد إبراهيم أحمد، الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدريسة، الإسكندرية: دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٣.
٢. جمال الدين عويدات، مبادئ الإدارة، الطبعة الأولى، دار الهومة، الجزائر، ٢٠٠٥.
٣. جيم كورتوا،، الطريق إلى القيادة والتنمية الشخصية، ترجمة سالم لعيسى، الطبعة الأولى، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩.
٤. محمود شحماط، المخل إلى العلوم الإدارية- أسس ومبادئ علم الإدارة العامة، دار العلوم، الجزائر، ٢٠١٠.
٥. محمد بوعشة، أزمة التعليم العالي في الجزائر والعالم العربي: بين الضياع وأمل المستقبل، بيروت: دار الجبل، ٢٠٠٠.
٦. فاروق عبده فليه، اقتصاديات التعليم: مبادئ راسخة واتجاهات حديثة، ط ٢، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٧.
٧. عماد أبو الرب وآخرون، ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي، ط ١، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
٨. شفيق رضوان، السلوكية والإدارة، الطبعة الثانية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ٢٠٠٢.
٩. يوسف حجيم الطائي، محمد فوزي العبادي، هاشم فوزي العبادي، إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي، ط ١، عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

الدوريات والمجلات :

- ١ - حاجي العليجة ، جودة الخدمة التعليمية في قطاع التعليم العالي في الجزائر بين الواقع والآفاق:دراسة تحليلية تقييمية للاصلاحات الجديدة ل.م.د.، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، العدد ١٠، جوان ٢٠١٣.
- ٢ - دلال سلامي و إيمان عزي، تكوين الأستاذ الجامعي الواقع والآفاق، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الثالث، ديسمبر ٢٠١٣ .

الوثائق الحكومية:

١. القرار الوزاري رقم ٧٣٩ المؤرخ في ١٨ أكتوبر ٢٠١٠ المتضمن هيكل اللجنة الوطنية للتقويم (CNE) .

المذكرات:

- ١.رزق الله حنان "أثر التمكين على تحسين جودة الخدمة التعليمية بالجامعة:دراسة ميدانية لعينة لكليات جامعة منتوري قسنطينة"، مذكرة ماجستير ،شعبة: تسيير مؤسسات ، تخصص: تسيير الموارد البشرية، جامعة:منتوري قسنطينة، ٢٠١٠، ص١٢١.

الندوات والأيام الدراسية :

١. امسلم أحمد الجعباري، متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة من وجهة نظر: عينة من أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب والعلوم الخمس ومسلانة بجامعة المرقب، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي الرابع للبحث العلمي في العصر الرقمي، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية بلندن ومركز الاحتواء الاجتماعي بقطر، ١٥-١٦ مارس ٢٠١٥.
٢. بن اعمارة منصور ،الإبداع والابتكار كوسيلة لتحقيق الجودة في التعليم العالي،ورقة مقدمة في الملتقى الدولي:الابداع والتغيير التنظيمي في المؤسسات الحديثة ، المنظم من قبل:كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باجي مختار، عنابة ، بتاريخ: ١٨-١٩ ماي ٢٠١١.
٣. حبيبة شهرة، فجوة البحث العلمي بين الغرب والعرب، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الرابع: للبحث العلمي في العصر الرقمي، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية بلندن والمركز الاحتواء الاجتماعي دولة قطر، يومي ١٥-١٦ مارس ٢٠١٥.
٤. زين الدين بروش ويوسف بركان ، مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر الواقع والآفاق ،ورقة مقدمة في: المؤتمر العربي الثاني الدولي لضمان جودة التعليم العالي، ٢٠١٢.
٥. عازة حسن فتح الرحمن، تأهيل وإعداد عضو هيئة التدريس الجامعي، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الرابع: للبحث العلمي في العصر الرقمي، مركز البحوث والإستشارات الاجتماعية بلندن والمركز الاحتواء الاجتماعي، دولة قطر، يومي ١٥-١٦ مارس ٢٠١٥.
٦. صوفي إيمان، قوراري مريم، أخلاقيات العمل كأداة للحد من ظاهرة الفساد الإداري في الدول النامية، ورقة مقدمة في:الملتقى الوطني حول حكومة الشركات كآلية للحد من ظاهرة الفساد المالي والإداري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٠٦-٠٧ ماي ٢٠١٢.

ظاهرة جريمة الاغتصاب بين علم الاجتماع والقانون

د.عاقلي فضيلة/جامعة باتنة1، الجزائر

ملخص:

يدور موضوع هذا البحث حول تفشي جريمة الإغتصاب باعتبارها من المواضيع التي تثير الاهتمام في العصر الراهن لما تسببه من مشاكل و مخاطر اجتماعية ونفسية وحتى قانونية، وقد اخترنا جريمة الإغتصاب نموذجا بحيث تُعد واحدة من أبشع الجرائم الإنسانية، لانفجار هذه الجريمة بصورة غير مسبوقة وحدثت نوعيات جديدة من الجرائم غير المألوفة، كاغتصاب الأطفال والمسنين، بل واغتصاب الرجال أيضاً وعلى وجه الخصوص المرأة، وقد أدى تفاقم هذا الجرم إلى تخوُّف العلماء وقلقهم في مختلف المجالات من ازدياد هذه الظاهرة وما تخلفه من آثار مضرّة على المستوى الفردي والجماعي.

الكلمات المفتاحية: الجريمة، اغتصاب، دوافع، آثار اجتماعية، نفسية.

مقدمة:

لقد شهد المجتمع أشكالاً مختلفة للعنف الذي تزايدت معدلاته حتى أصبح في شكل جرائم ترتكب ضد الأفراد، ومن بين أعنف جرائم العنف، والتي انتشرت في وقتنا الحاضر الجرائم الجنسية بشكل عام وجريمة الاغتصاب بشكل خاص، فقد شهد العصر الحديث انفجار هذه الجريمة بصورة غير مسبوقة، وحدثت نوعيات جديدة من الجرائم غير المألوفة، كاغتصاب الأطفال والمسنين، بل واغتصاب الرجال أيضاً، وقد أدى تفاقم هذا الجرم إلى تخوُّف العلماء في مختلف المجالات من ازدياد هذه الظاهرة وما تخلفه من آثار مضرّة على المستوى الفردي والجماعي.

تُعد جريمة الاغتصاب واحدة من أبشع الجرائم الإنسانية؛ حيث أن ضياع الكرامة والمهانة التي يتعرض لها المغتصب، رجلا كان أو امرأة أو طفلاً - تفوق كثيراً أن يُسلب ماله أو يتعرض لحادث غش أو تدليس، وربما لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن جريمة الاغتصاب أسوأ من التعرض لمحاولة قتل فاشلة، فالجروح التي على الجسد يأتي عليها يوم وتندمل، بينما تبقى الروح مُثقلة بأغلال المهانة أثر التجربة الأليمة للاغتصاب.

جريمة الإغتصاب تتميز بالعدوانية الناتجة عن رغبة جنسية مكبوتة يهدف المغتصب إلى إشباعها بشتى الوسائل، فتسيطر عليه هذه الرغبة وتتحكم في تصرفاته وبالتالي يصبح غير قادر على مقاومتها. حيث لفتت جرائم الاغتصاب انتباه الرأي العام نتيجة تزايد معدلات نموها، فغدت ظاهرة اجتماعية مرضية في المجتمع، فإن حوادث هتك العرض والاعتصاب التي تتسم بأقصى أساليب العنف والوحشية نحو المرأة باتت على رأس قائمة الجرائم الخفية لاعتبارات وقيم سائدة في المجتمع و لحساسية هذه الجريمة وارتباطها بالفضيحة والعار مما يؤدي إلى عدم وجود أرقام وإحصائيات حقيقية.

وجريمة الاغتصاب ليست حديثة العهد⁽¹⁾، ولقد تم تجريم هذه الأفعال لعدة اعتبارات فهناك اعتبارات دينية باعتبار أن جميع الأديان السماوية تحرم المساس بالأعراض ومباشرة الفحشاء وتدعوا إلى إتباع الزواج كطريق مشروع للعلاقات الجنسية حماية للإنسان ومبادئ الأخلاق، كون أن سلوك هذه الجرائم يهدد أمن الأفراد و استقرار المجتمعات ، ولذلك اهتمت المجتمعات قديما و حديثا بموضوع التصدي للجريمة ومكافحتها ، ولم يخل مجتمع ما من آلية لمكافحة الجريمة ، وفي خضم هذا باتت جريمة الاغتصاب ظاهرة تهدد استقرار المجتمع، مما يملئ علينا البحث في عوامل حدوثها وما يترتب عليها من آثار بغية تشخيص الظاهرة وتقديم الحلول الممكنة. وعلى أساس ما تقدم قسمت هذا البحث المتواضع إلى المباحث التالية.

المبحث الأول: ماهية جريمة الإغتصاب وأهم الدوافع المؤدية لإرتكابها:

المبحث الثاني: أنواع الاغتصاب:

المبحث الثالث: العوامل المسؤولة عن جريمة الاغتصاب:

المبحث الرابع: خصائص جرائم الاغتصاب:

المبحث الخامس: آثار جريمة الاغتصاب على الضحية.

المبحث الأول: ماهية جريمة الإغتصاب وأهم الدوافع المؤدية لإرتكابها.

المطلب الأول: ماهية جريمة الإغتصاب :

الفرع الأول: تعريف الجريمة في التشريع الجزائري:

يعد الاغتصاب أخطر الجرائم الماسة بالعرض و أشعبها مما حدا بالمجتمع الدولي إلى اعتبارها من جرائم الحرب و من الجرائم الخطيرة التي تختص محكمة الجزاء الدولي بالنظر فيها حيث عرفها القضاء الفرنسي : بأنها المعاشرة الجنسية بالإكراه وبدون رغبة المجني عليها.

ويحمي المشرع عرض الأفراد بحمايته للحرية الجنسية، وحظر الاعتداء عليها بوضع قيود معينة ورتب على خرق هذه القيود عقوبات رادعة، وفي حياة الإنسان دائرة من المحرمات تشمل أنواع السلوك الاجتماعي التي يستنكرها المجتمع سواء كانت من المعاصي التي تنهى عنها الأخلاق أو التي تنهى عنها الآداب.

وقد خصص المشرع الجزائري لجرائم الاعتداء على العرض و الفاحشة القسمين السادس و السابع من الفصل الثاني الذي يحمل عنوان الجنائيات و الجنح ضد الأسرة و الآداب العامة من الباب الثاني الذي يحمل عنوان الجنائيات و الجنح ضد الأفراد من الكتاب الثالث ، الجزء الثاني من قانون العقوبات.

فقد عرف القانون الجزائري جريمة الاغتصاب في المادة ٣٣ من قانون عقوبات ضمن جرائم انتهاك الآداب بصفة عامة في القسم السادس، من الفصل الثاني، من الباب الثاني، من الكتاب الثالث، من الجزء الثاني، من قانون العقوبات.

(١) راجي سعد ، الزواج في العالم عادات وتقاليد ، الطبعة الأولى ، دار الشواف للنشر ، الرياض ، ١٩٩٢ م ، ص ١٧ .

وينظر كذلك : دانيلسون بنغل ، تقاليد الحب والزواج في جزر هاواي والمحيط الهادىء ، دار الحمراء ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ م ، ص ١١٠ .

وبرجعنا للقانون الجزائري نجده لم يعطي أي تعريف لجريمة الاغتصاب كما لم يحدد أركانها مما يجبرنا للرجوع إلى الفقه والقضاء من أجل تحديد المفهوم القانوني لها والبحث عن ذلك في التشريعات المقارنة.

وما يستشف من أحكام القضاء الجزائري أن الاغتصاب هو: "مواقعه رجل لامرأة بغير رضاها"، ولكن بعض الفقه يعتبر الاغتصاب هو إتيان امرأة بغير رضاها وممارسة العملية الجنسية الطبيعية ممارسة كاملة.

ونصت المادة ٣٣ ق ع ج بأن: "كل من ارتكب جناية هتك عرض يعاقب بالسجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات وإذا وقع هتك العرض ضد قاصرة لم تكمل السادسة عشر فتكون العقوبة السجن المؤقت من عشرة إلى عشرين سنة."

ونجد المشرع الجزائري استعمل لفظ هتك العرض للتعبير عن الاغتصاب لأن النص الفرنسي للمادة ٣٣٦ قانون عقوبات تنص على ((Qui conque a commis le crime de viol ومنه فإن المشرع الجزائري لم يوفق في ضبط المصطلحات المقررة للجريمة ونجد أنفسنا أمام قانون وضعي فكان يتعين عليه أن يسمى الأشياء بأسمائها وحتى إذا نظرنا إلى التشريعات المقارنة وخاصة منها التشريع المصري، نجدها تستعمل مصطلح الاغتصاب لأن هتك العرض يقصد به الفعل المخل بالحياء مع استعمال العنف.

أما تعريف القانون الدولي، فطبقاً للمادة السابعة الفقرة الأولى من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الدائمة (روما) التي وصفت جريمة الاغتصاب بكافة أشكالها على أنها جريمة ضد الإنسانية عندما ترتكب بطريقة منظمة ضد مجموعة من السكان المدنيين، كذلك أشارت إليها العديد من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية في موادها، إلا أن جريمة الاغتصاب رغم خطورتها على المجتمع الدولي والتي تمس شرف وإحساس الإنسان إلا أنها لم تحظ باتفاقية خاصة بها.

لقد حظر القانون الدولي الاغتصاب وغيره من أشكال الاعتداء الجنسي، كما ورد حظر الاغتصاب ضمنياً والاعتداء الجنسي في المادة ٤ الفقرة ١ من البروتوكول الإضافي الثاني المتعلق بالتزاعات المسلحة التي تنص على أنه «لجميع الأشخاص الحق في احترام شخصيتهم وشرفهم» وكذا المادة ٤ من اتفاقية لاهاي لسنة ١٩٠٧ والمادة ٧ الفقرة ١ من البروتوكول الإضافي الأول التي تقضي بحماية النساء من الاغتصاب وأخيراً يحظر الاغتصاب بصفته جريمة ضد الإنسانية بموجب المادة ٥ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا (السابقة) وكذا بموجب المادة ٣ من نظام المحكمة الجنائية الدولية برواندا ومن أكثر الأحكام صلة بالموضوع هي اتفاقية جنيف التي أشارت في المادة ٢ الفقرة ٢ من الباب الرابع "يجب حماية النساء بصفة خاصة ضد أي اعتداء على شرفهن ولا سيما ضد الاغتصاب والإكراه على الدعارة وأي هتك لحرمتهم."

الفرع الثاني: أركان الجريمة:

أولاً: الركن المادي:

01 فعل الوطء:

يتحقق فعل الوطء بإيلاج الرجل عضو تذكيره في فرج المرأة باعتباره المكان الطبيعي في جسم المرأة المخصص لممارسة العملية الجنسية العادية، فإذا تحقق الإيلاج كان ذلك كافياً لتمام الجريمة. ويستوي أن يكون الإيلاج كاملاً أو جزئياً مرة واحدة أو عدة مرات بلغ به شهوته بقذف المني أو لم يبلغ ذلك، تمزق بسببه غشاء البكارة أم لم يتأثر، فالإيلاج وحده كاف ولو لم يتم إنزال السائل المنوي.

ولا يقع الاغتصاب إلا من رجل على امرأة فلا يعد اغتصابا إتيان المرأة كرها من الخلف أي الدبر أو إيلاج أي جسم آخر في فرج المرأة كوضع الأصبع أو عصا أو أي شيء آخر ولو كان قاصدا من ذلك فض بكارتها وفضها فعلا، وإنما تعد هذه الأفعال إخلال بالحياء فجميع الأفعال الماسة بالحرية الجنسية للمرأة التي لم تبلغ مبلغ الاتصال الجنسي الكامل وذلك أيا كانت درجة الفحش التي تنطوي عليها، فعبت يد الجاني كرها بالأعضاء التناسلية للمرأة لا يعد اغتصابا ولو بلغ حد إدخال أصبعه في فرجها وإزالته لبيكارتها.

كما لا يعد اغتصابا من عبث بعضو تذكيره في جزء من جسم المرأة يعتبر عورة كالثدي مثلا وإنما تقوم بذلك جريمة الفعل المخل بالحياء ولا تقوم هذه الجريمة بتلقيح امرأة صناعيا ضد إرادتها ولو أفضى إلى حملها، إذ لا يصدق على هذا الفعل أنه اتصال جنسي.

كما يلزم أن يأخذ شكل الإيلاج أي الإدخال، فإذا اتخذ شكل الاحتكاك على فرج المرأة من الخارج حتى أمتى عليه، فلا تقوم الجريمة ونكون بصدد فعل مخل بالحياء إلا أن مثل هذه الأفعال تعد اغتصابا في القانون الفرنسي وهذا منذ إصلاح قانون العقوبات لسنة ١٩٨٠، حيث عرف الاغتصاب على أنه كل إيلاج جنسي مهما كانت طبيعته.

ويشترط أن يقع فعل الوطء بين رجل وامرأة فلا تقوم جريمة الاغتصاب إذا وقع فعل الوطء من رجل على رجل كاللواط أو من امرأة على امرأة كالسحاق، حتى لو حدث باستخدام العنف أو مع انعدام الرضا بل تعتبر تلك الأفعال من قبيل الأفعال المخلة بالحياء.

ويشترط أن تكون المرأة التي وقع عليها فعل الوطء حية فلا تقوم هذه الجريمة إلا على الأحياء ومن ثم يخرج من نطاق الاغتصاب فسق الرجل بجثة امرأة، ويستوي أن تكون المرأة بكرا أو ثيبا أو متزوجة أو مطلقة أو أرملة أو عجوز ولو كانت قد بلغت سن اليأس ولا عبرة بدرجة أخلاق المرأة فقد تكون عريقة الأصل والنسب

02 استعمال العنف:

أ/ العنف المادي : يقصد بها أعمال العنف التي توجه لجسم المجني عليها بهدف إحباط مقاومتها التي تعترض بها فعل الجاني وكذا العنف الذي يستهدف تخويف المجني عليها حتى لا تبدي مقاومة .

قد يتخذ العنف صورة الضرب أو الجرح أو التقييد بالحبال أو الإمساك بالأعضاء محل الحركة من المرأة للسيطرة عليها و يجب أن يؤدي هذا العنف إلى شل مقاومة المجني عليها أو شل إرادتها و لا يتطلب القانون أن يستمر الإكراه طوال فترة الواقعة بل يكفي أن يكون المتهم قد استعمل الإكراه ابتداء للتغلب على مقاومة المجني عليها فإذا فقدت المجني عليها قواها و استسلمت، حيث أصبحت لا تستطيع المقاومة تحقق الإكراه

ب/ العنف المعنوي: يقصد به التهديد بشر أو أذى جسيم وحال يوجه من الجاني إلى إرادة المجني عليها لحملها على القيام بعمل أو الامتناع عنه، من قبيل شهر سكين في وجه المرأة، أو بسلاح ناري أو بتهديدها بفضيحة، كفضح أمرها لدى ذويها عن علاقة غير مشروعة وإفشاء سر تحرص عن كتمانها أو تهديد بإطلاق حيوان شرس عليها، علما أن الخطر هنا لا يشترط فيه أن يكون حقيقيا بل يجوز أن يكون وهميا.

ج/ الحالات الأخرى: كما قد توجد عوامل تأخذ حكم الإكراه و بها ينعدم الرضا وتفقد الشعور ومثالها أن تكون المجني عليها وقت الواقعة غير قادرة على التعبير عن إرادتها ولا تستطيع رفض الواقعة الجنسية، بحيث لو كانت في كامل وعيها لرفضت

هذا الاتصال الجنسي ويرجع هذا العجز في التعبير إلى عاهة العقل أو الإعياء أو المرض أو النوم أو السكر أو المخدر ، و بالتالي تفتقد الإرادة.

ثانيا: الركن المعنوي:

لا تقوم جناية الاغتصاب قانونا من مجرد إيلاج رجل لقضيبه في فرج المرأة بدون رضاها دون موجب شرعي و إنما لا بد من توافر القصد الجنائي لدي الجاني القائم على عنصري، العلم و الإرادة و لكن لا يكفي لقيامها القصد العام و إنما يجب أن يتوافر إلى جانبه قصدا خاصا.

أ/ القصد الجنائي العام : يتوفر القصد الجنائي العام لدي الجاني بانصراف إرادته إلى ارتكاب فعل الإيلاج بدون رضي المجني عليها و منه فان مجرد واقعة المرأة يعني العلم بالواقعة و أن وقوع الإكراه من الجاني يعني انعدام رضا المرأة، غير أنه ينعدم توافر القصد الجنائي رغم استعمال الإكراه و ذلك إذا كان الجاني مع استعماله القوة و ممانعة المجني عليها و مقاومتها يعتقد أنها كانت غير جادة في هذه الممانعة.

ب/ القصد الجنائي الخاص: جريمة الاغتصاب من الجرائم العمدية، والرأي الغالب فقها و قضاء أن القصد الجنائي اللازم توافره لدى الجاني في هذه الجريمة هو القصد الجنائي الخاص.

ويثبت هذا القصد باتجاه إرادة الجاني إلى وطء المجني عليها بغير رضاها مع علمه وقت ارتكاب الفعل بأن هذا الوطاء غير مشروع، واستعمال القوة أو التهديد ما هي إلا قرائن على توافر القصد الجنائي في أغلب الأحوال. كما أنه لا يستبعد أن يكون الجاني معتقدا بأن مقاومة المرأة له لم تكن جدية ولكنها من قبيل التمتع غير الجاد مما يعد غلط في الواقعة ولذا يلزم لإدانة الجاني أن يثبت علمه بعدم رضا المرأة ولا يعتد في هذا الصدد، بأن يدفع المتهم هذا العنصر بأنه قد سبق له واقعة هذه المرأة حتى لو كان قد أنجب منها طفلا في علاقات سابقة غير مشروعة، كما لا يعتد بأن المرأة من البغايا اللاتي اعتدن الممارسات الجنسية لأن العبرة بالواقعة موضوع الدعوى بغض النظر عن سلوك المرأة قبل ارتكاب الاغتصاب.

الفرع الثالث : العقوبة و الظروف المشددة.

تعرف العقوبة بأنها جزاء يوقع باسم المجتمع تنفيذاً لحكم قضائي على من تثبت مسؤوليته عن الجريمة^(١). واعتبار العقوبة جزاء للجريمة يخلع عليها طابعا جنائيا فيميز بينها وبين جزاءات أخرى كالتعويض والجزاء التأديبي ، وهي ذات طابع اجتماعي عام ، حيث أنها مقررة لمصلحة المجتمع الذي ناله ضرر الجريمة ، « و يترتب على ذلك أن المجتمع وحده هو صاحب الحق والصفة في المطالبة بتوقيعها عن طريق الأجهزة التي تمثله ووفقا للأوضاع والإجراءات التي يحددها القانون»^(٢). والعقوبة جزاء ينص عليه القانون ، فلا يجوز توقيع عقوبة إلا إذا كان ينص عليها القانون ، كما أن العقوبة لا يجوز توقيعها إلا بناء على حكم قضائي .

إلا أن هذا لا يعني أنه يجب أن يوقع على كل من يرتكب جريمة من نوع معين عقوبة بعينها ، لا تختلف في نوعها ولا في مقدارها ، فللقاضي عند تقدير عقوبة الاغتصاب التي يقضي بها ، أن يراعي حالة كل متهم ودرجة تحملها العقوبة وأثرها في

(٢) ماهر عبد شويش ، الأحكام العامة في قانون العقوبات ، الطبعة الاولى ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٩٠ م ، ص ٤٥٣ .

(٣) أحمد فتحي سرور ، أصول السياسة الجنائية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ٤٥٤ .

نفسه ، وهذا ما يسمى بتفريد العقاب ، أي تقدير العقوبة حسب حالة الفرد المعروض أمره عليه . وللقاضي وسائل متعددة في هذا السبيل ، منها تعيين قدرها الذي يراه ملائما في حدود الحدين الأدنى والأعلى ، واستعمال ظروف الرأفة والنزول بالعقوبة إلى أقل من الحد الأدنى ، وعند اللزوم يلجأ القاضي إلى وقف تنفيذ العقوبة عند توافر الشروط الخاصة بها ، كما أن المشرع أوجب حالات تقضي فيها تشديد العقوبة وهي الظروف المشددة ومنها ما يتعلق بتخفيف العقوبة وهي الأعذار القانونية المخففة .

ومن هذا المنطلق يحدد القانون الجزائري العقوبات الآتية :

حسب نص المادة ٣٣٣ ق ع ج ، يعاقب على جريمة الاغتصاب بالسجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات غير أن الظروف المشددة تقتزن بما يلي :

أ/ صغر سن المجني عليه: إذا كان المجني عليه قاصرا لم يبلغ سن السادسة عشر تكون العقوبة السجن المؤقت من ١٠ سنوات إلى ٢٠ سنة (حسب نص المادة ٣٣٣ ق ع ج)

ب/ صفة الجاني : إذا كان الجاني من الأصول أو من الفئة التي لها سلطة على الضحية كان معلما له أو ممن يخدمونه أو كان خادما بأجر أو موظفا أو أحد رجال الدين ترفع العقوبة في هذه الحالة إلى السجن المؤبد (حسب نص المادة ٣٣٣ ق ع ج)

ج / تعدد الجناة: إذا استعان الجاني بشخص أو أكثر ترفع العقوبة كذلك إلى السجن المؤبد وتقتضي العقوبة للاغتصاب في القانون الجزائري الملاحظتين الآتيتين :

-إن العقوبة المقررة لجريمة الاغتصاب هي عقوبات ملطفة مقارنة بما هو في بعض التشريعات سواء في محيطنا العربي أو الغرب ففي تونس على سبيل المثال يعاقب على الاغتصاب بالسجن المؤبد و ترفع العقوبة لتصبح الإعدام حال توافر استعمال العنف أو السلاح أو التهديد ، كما يعاقب القانون الفرنسي على نفس الفعل بالسجن مدة عشرون سنة .

- لم يأخذ المشرع الجزائري بعين الاعتبار الآثار التي تنتج عن جرم الاغتصاب مثل فض البكارة و الحمل في حين أن المشرع المغربي أخذ بمثل هذه الآثار فاعتبرها ظروفًا مشددة تغلظ فيها العقوبة.

الفرع الرابع: وسائل إثبات جريمة الاغتصاب :

لقد نصت المادة ٢١١ ق.إ.ج على بأنه " يجوز إثبات الجرائم بأي طريق من طرق الإثبات ماعدا الأحوال التي ينص فيها القانون على غير ذلك وللقاضي أن يصدر حكمه تبعا لاقتناعه الخاص ولا يسوغ للقاضي أن يبني قراره إلا على الأدلة المقدمة له في معرض المرافعات والتي حصلت المناقشة فيها حضوريا أمامه. "

ولذا فإن وسائل الإثبات في المواد الجزائية متعددة ومختلفة إلا أنه ليس بالأمر السهل إثبات جريمة الاغتصاب، فما عدا الحالات التي يعترف فيها الجاني بنفسه تلقائيا أو يضبط في حالة تلبس تثبت جريمة الاغتصاب بمعاينة مسرح الجريمة، وكذا التفتيش بالإضافة إلى شهادة الشهود إذا كانت مطابقة لأقوال الضحية هذا مع إثباتها بواسطة الدليل الفني أي تقرير الطبيب الشرعي والملاحظ عمليا أن معظم القضاة يعتمدون في أحكامهم على أساس الشهادة الطبية التي تظهر آثار العنف الممارس على الضحية كون أن الخبرة الطبية دليل قوي وقاطع حيث يقوم الطبيب الخبير بمعاينة ملابس الضحية للكشف عن آثار المقاومة كتمزق الملابس أو وجود بقع دموية أو نطاق أو أية علامة تدل على مكان وقوع الفعل كالحشائش و الطين ثم يقوم بفحص الضحية و ذلك على مرحلتين:

أ/الفحص العام: للبحث عن آثار المقاومة و العنف الجسدي كالكدمات و سحجات الأظافر حول الفم و العنق لمنع الضحية من الصراخ و حول المعصمين و الذراعين و الوجه الداخلي للفخذ.

ب/- الفحص الجنسي: يخص الأعضاء التناسلية و كذا فحص غشاء البكارة بالنسبة للبكر فإذا كان إفتضاض البكارة جزئي أو كلي دليل قاطع على حصول الإيلاج ، أما بالنسبة للثيب فمن الصعب معرفة وقوع الاغتصاب إذا لم تكن هناك آثار عنف خارجية واضحة لانعدام العلامات الداخلية .

المطلب الثاني: أهم الدوافع المؤدية لإرتكاب جريمة الاغتصاب:

لقد دلت الدراسات المختلفة المغتصبين وبيئاتهم، أن هناك دوافع عديدة تتفاعل فيما بينها لتجعل المجرم يقدم على ارتكاب جريمة الاغتصاب، وإن معرفتنا لهذه الدوافع يساعدنا ويفيدنا في معرفة مختلف أنماط المغتصبين وأنواعهم، ومن أهم هذه الدراسات نذكر ما قام به أبل سنة ١٩٧٦ في فهم دوافع الاغتصاب، والتي تتمثل فيما يلي:

١- الإزاحة للعدوان: بهدف إثبات السيطرة والتحكم في الضحية، كما يعمل على إسئائها وإذلالها، وتكون الدوافع الجنسية أقل، ويتميز الاعتداء الناشئ عن هذا الدافع نوع من القسوة في التعامل مع الضحية.^(١)

فالعدوان هنا يعتبر عاملاً أو دافعاً أساسياً في الاغتصاب، والذي ينشأ عن طريق كراهية المغتصب وعدوانيته إزاء المرأة. وغالباً ما يكون هذا العدوان مكبوتاً في نفسه لمدة طويلة، ما يلبث أن يتفجر في شكل جريمة اغتصاب تترك آثاراً وخيمة على الضحية نتيجة القسوة التي تتلقاها الضحية من جراء الاعتداء.

٢- العدوان الجنسي السادي: وهو من أعنف وأشد دوافع الاغتصاب وأنواعه أيضاً، إذ تعتبر السادية دافعاً أساسياً يثبت من خلاله المغتصب عدوانيته اتجاه المرأة ويجد في مقاومة الضحية له متعة وإثارة.

٣- التعويض: ويهدف المغتصب من وراء تحقيق هذا الدافع، المتمثل في التعويض عن مشاعر النقص والدونية التي يحس بها المغتصب، فيحاول إثبات عكس ذلك، فيحاول تحسين صورته عن نفسه وإثبات رجولته، ويكون دافع العدائية أقل تقريبا فإذا قاومته الضحية فإنه يتركها.^(٢)

٤- الاستحواذ: يعتبر سلوك الاستحواذ خاصية من خصائص حياة الشخصية السيسوبائية، حيث تعتبر موضوعاً اجتماعياً، إذ يشير المصطلح إلى أي فرد يسلك سلوكاً ما اتفق عليه بين أفراد المجتمع، أي لا يخضع للمعايير والأعراف والعادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والدينية للمجتمع، وذلك ينشأ من خلال عدم اتزان نفسي أو انحلال أخلاقي، أو تنشئة الفرد في بيئة منحلة أخلاقياً، كما تضم كلمة سيسوبائية تحتها السلوك اللا اجتماعي والانحراف الجنسي والإدمان والسلوك الشاذ اجتماعياً. والفرق بين اللا اجتماعي والشاذ اجتماعياً، في أن الشخص لا ولاء له لأي فرد أو قيمة أو مبدأ، لا يقيم وزناً لأية التزامات اجتماعية، أما الثاني فهو شخص عاش حياته كله في بيئة منحلة، وهو يحمل الولاء لبيئته الأولى ومعاييرها اللا اجتماعية، ولكنه لا يستطيع أن يمثل لمعايير المجتمع ككل، ويعتبر الأحداث المنحرفون من هذا النوع الأخير.^(١)

^١ / توفيق عبد المنعم توفيق: سيكولوجية الاغتصاب، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٦ ص ٣٢.

^٢ / نفس المرجع ، ص ٣٤.

نستخلص مما سبق أن الاستحواذ ينشأ من خلال تفاعل عدة عوامل نفسية تتمثل في عدم الاتزان النفسي للمغتصب، وعوامل اجتماعية تتمثل في التنشئة الاجتماعية السيئة وعدم الامتثال للمعايير والقيم الأخلاقية والدينية في المجتمع الذي يعيش فيه، وكذا انحلال أسرته أخلاقيا، فكل العوامل تتفاعل فيما بينها وتجعل المغتصب يسعى إلى تحقيق كل ما تلقاه في تنشئته الاجتماعية السيئة، وعدم مثوله لمعايير وقيم هذا المجتمع، مجسدا إياها في شكل من أشكال السلوك الإجرامي ومن بينها جريمة الاغتصاب. كما تتخذ جريمة الاغتصاب أشكالا معينة نذكرها على النحو التالي:

١- الاغتصاب الغضبي: وفي هذا النوع من الاغتصاب، يكون الجنس وسيلة للتعبير وللتخلص من مشاعر الغضب والثورة والانتقام والثأر.⁽²⁾ ويتميز هذا النوع بما يلي:

أ- يتميز بالقوة الجسدية، حيث تكون قوة الجاني تزيد على قوة الضحية بدرجة ملحوظة.

ب- يعتبر الجنس في هذه الحالة وسيلة يهين بها الجاني ضحيته، بالحط من شأنها واحتقارها.

ج- إن هذا النوع يكون غير مخطط له واندفاعيا ومتهورا، حيث يكون الجاني في حالة من الغضب ويعاني من الإحباط.

د- يستخدم الجاني لغة بذئية مع ضحيته وعبارات فاحشة.

هـ- إن الاعتداء في هذا النوع لا يستغرق إلا وقتا قصيرا نسبيا، وأحيانا يتم خلال دقائق قليلة، ولكن مع ذلك يتخلص المغتصب من الغضب المكبوت بداخله.⁽³⁾

٢- الاغتصاب بالقوة: تعتبر القوة عاملا بارزا يدفع المجرم إلى ارتكاب الجريمة ولكن قصده لا يتجه إلى إيذاء الضحية بل إلى إخضاعها جنسيا، كما بينا سابقا وعموما يتميز هذا النوع بما يلي:

أ- يشعر المغتصب بعدم التأكد من دوره الجنسي، ويحتاج إلى إثبات رجولته.

ب- يحتقر نفسه ويكرهها ويشعر بأنه مخنث، كما يكره المرأة والرجال الأقوياء.

ج- يكون متوافقا اجتماعيا بصفة عامة، ويعرف على أنه هادئ ولطيف مع عائلته وجيرانه، ولكنه متردد انفعاليا.

د- يقوم بالاغتصاب عن طريق التهديد أو الإرهاب، وينتظر العطف والقبول من الضحية.

هـ- في هذا النوع من الجرائم يجري التخطيط لها.

٣- الاغتصاب السادي: وفي هذا النمط من الاغتصاب يكون العدوان والرغبة الجنسية ممتزجين في تعبير جنسي واحد، ويطلق عليه اصطلاح السادية. والتي تعتبر الحالة التي تكون فيها اللذة الجنسية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالدافع نحو إصابة الشخص الذي يمارس معه السادي نشاطه الجنسي بالجراح أو التعذيب أو القتل.

ويتميز هذا النوع من الاغتصاب بالخصائص التالية:

^{1/} نفس المرجع السابق، ص ٣٥.

^{2/} د/ أحمد على الجندوب: اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٢٣

^{3/} نفس المرجع، ص ٢٢٤ - ٢٢٥

- أ- إن العدوان في هذا النمط يكون شهوانيا أي مرتبط بالرغبة الجنسية الشهوانية لدى الجاني.
- ب- يتميز الاغتصاب السادي بأعمال وطقوس رمزية أثناء الاعتداء على الضحية كالتعذيب بالآلات حادة.
- ج- يتميز المغتصب بفساد جنسي، وبميل واضح إلى تعذيب الضحية.
- د- يجد متعة في مقاومة الضحية له، فيمعن في إيلاهما وتعذيبها.
- هـ- يباليغ في فرض سيطرته وتحكمه في ضحيته، ويحرص على أن يجعل الممارسة خاضعة له تماما.
- و- يترك آثارا جسدية للاغتصاب على الضحية بجرحها في مناطق مختلفة من جسمها بألة حادة، وحرقتها بسيجارة أيضا، وإذا بلغ أوج سيادته عند عدم مقاومة الضحية له فإنه يلجأ إلى قتلها.⁽¹⁾
- وان الإنسان المصاب بالسادية يعاني من اضطرابات نفسية مختلفة كالعصاب الذهان بدرجات مختلفة، وتسيطر عليهم الأوهام والتخيلات.
- وما تجدر الإشارة إليه أن الساديين لا تبدو عليهم أي مظاهر تدل على عما يعانون منه من اضطرابات نفسية.⁽²⁾ ويظهر هذا النمط من الاغتصاب والذي يعتبر من أقسى الأنواع ووحشتها في الحروب التي تنشب بين الدول وداخلها أيضا، حيث توجد قسوة جماعية ترهب الجماهير فتطلق العنان لعدوانيتها وفسوتها، فلا يتورعون عن أعمال القتل والتعذيب والتنكيل والاغتصاب مثل ما حدث في البوسنة والهرسك.
- ٤- اغتصاب المراهقات بدون إكراه: ويسمى هذا النوع من الاغتصاب، ب: هيفليا ويقصد به النشاط الجنسي بأي نوع مع أي شريكة من الإناث في مرحلة المراهقة. ويتميز الرجل في هذا النمط باندماجه في الحياة الاجتماعية بشكل جيد، والسبب الرئيسي في اتجاه الرجال إلى إقامة علاقة جنسية مع المراهقات، هو إصابتهم باضطراب في التحكم في مشاعرهم نشأ عن حالة انفصام، أو سوء تكيف، حيث تصبح المراهقات موضوعا مفضلا للاتجاهات الجنسية داخل هذه المجموعة، وقد ظهر أن ١١ شخصا من بين ٢٣ شخصا ارتكبوا جريمة الزنا بالمحارم كانوا في هذه المجموعة. وتبين من خلال ما سبق أن المغتصب يلجأ إلى إقامة علاقة جنسية مع المراهقة نتيجة عوامل عديدة تدفعه في ذلك من بينها اضطراب مشاعرهم، أو سوء تكيفهم.
- ٥- اغتصاب المحارم: تتكون هذه المجموعة من المجرمين من أشخاص من مختلف المجموعات الأخرى، ولكنهم ارتكبوا إلى جانب جرائم الاغتصاب جرائم الزنا بالمحارم، والشيء الوحيد الذين يختلفون فيه عن بقية المجموعات طبقا لما كشف عنه علم الإجرام أن المرض الذي يدفع إلى ارتكاب الجريمة الجنسية يبلغ أقصاه عند هذه المجموعة، فهم غير أسوياء نفسيا وعصبيا، ومضطربون عاطفيا⁽³⁾

^{1/} أحمد علي المدوب: مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢

^{2/} نفس المرجع، ص ٢٢٣.

^{3/} نفس المرجع، ص ٢٣٦.

نستنتج من خلال ما سبق أن الهدف من معرفة دوافع الاغتصاب، ومختلف أنماطه وأنواعه لا ينحصر فقط في الدراسة والجانب المعرفي، وإنما يكمن أيضا في تصنيفهم بهدف تقديم العلاج لهم، لتحقيق الهدف الأسمى المتمثل في علاج ظاهرة الاغتصاب والحد من انتشارها في المجتمعات، وأهم العوامل المسؤولة عن جريمة الاغتصاب:

١- العوامل الاجتماعية:

أ- العامل الاجتماعي الاقتصادي:

يتمثل العامل الاقتصادي والاجتماعي في مفهوم الطبقة الاجتماعية، التي يتم تحديدها في ضوء المستويين الاقتصادي والاجتماعي للجماعات التي يتكون منها السكان في دولة ما.

فقد دلت البحوث والدراسات التي أجريت في المجتمعات الغربية حول ظاهرة الاغتصاب أن غالبية المغتصبين ينتمون إلى الطبقة الدنيا. وقبل تعرضنا لهذا العامل، تجدر بنا الإشارة إلى بيان بعض التحفظات التي ترد على الارتفاع الشديد في نسبة المغتصبين من أبناء الطبقة الدنيا.^(١)

والمتمثلة فيما يلي:

أولاً: تزايد نسبة جرائم الاغتصاب المرتكبة من طرف أبناء الطبقة الدنيا عنه من أبناء الطبقتين الوسطى والعليا، لأن مرتكبي الاغتصاب من الطبقة الدنيا يرتكبونها بطريقة وظروف تجعل الكشف عنها سهل، على خلاف أبناء الطبقتين الأخرتين الذين يفعلون ذلك بطريقة صعبة ولا يمكن الكشف عنها.

ثانياً: يلعب اختلاف الانتماء الطبقي للمغتصبين والضحايا دورا مهما في ارتفاع نسبة ما يتم الإبلاغ عنه الجرائم، حيث تنظر أسر الضحايا من الطبقتين الوسطى والعليا إلى جريمة المغتصب الذي ينتمي إلى الطبقة الدنيا باعتبارها مهانة ومساسا بمكانة العائلة وغالبا ما تكون الحلول بين الطرفين بعيدا عن الشرطة والقضايا، ويكون سهلا إذا كان الجاني ينتمي إلى الطبقة العليا أو الوسطى.

ثالثاً: إن الشرطة عادة ما تجد في أثر مرتكبي الجريمة من أبناء الطبقة الدنيا، ولا تفلح مساعيهم مما يجعل الشرطة تصرف النظر عن الجريمة، أو تتصرف بطريقة أكثر مرونة، بخلاف ما إذا كان المغتصب من أبناء إحدى الطبقتين الأخرتين فإن الوساطة كثيرا ما تنجح في إيجاد حلول بعيدا عن المحاكم. لكن ليس أغلب المغتصبين ينحدرون من أسر فقيرة وينتمون إلى طبقات دنيا فهناك أيضا المغتصبين الذين ينتمون إلى الطبقتين الوسطى والعليا، كما بيناه سابقا.

ب- التنشئة الاجتماعية ودورها في جريمة الاغتصاب:

تتجه معظم الأسر في تربيتهما لأبنائها إلى التفرقة بين الذكر والأنثى نظرا للفروق الجسمانية بين الجنسين، فتعلم الذكر أن يكون مسيطرا ومتفوقا على الأنثى في شتى المجالات، وهذا ما يجعله عدوانيا في بعض الأحيان، في حين تتعلم الأنثى أن تكون خاضعة لأوامر الذكر وأقل تفوقا منه يل يعتمد عليه في إدارة شؤونها وكل ما يتعلق بها والخصوصيات منها.

^{١/} نفس المرجع، ص ١٦٠.

فقد ذهبت ويلما سكوت هايد إلى القول: " إن انتفاء مجالات العمل والتحيز القانوني الاجتماعي وتوقع نمو الكفاءة عند البلوغ وامتداد هذه الكفاءة إلى البيت وخارجه كانت كلها امتيازات الذكر".⁽¹⁾

وتمتد هذه الفكرة إلى عصور قديمة، حيث يربط الفرق بين الذكر والأنثى في تفاوت القوى العضلية والوظائف الفزيولوجية بينهما. ولقد أوضحت العديد من الدراسات أن من عوامل الإقدام على ارتكاب الجرائم الجنسية تنشئة المجرم في بيئة انغلاقية، تحرم الاختلاط بين الجنسين، أو البيئة التي تحتقر البنات والأطفال وصغار السن بصفة عامة.

ومن هنا يتبين لنا أن احتلال التنشئة الاجتماعية مرتبط باختلال دور كل من الأسرة والمدرسة والمجتمع.

أولاً: الأسرة: فباعتبار الأسرة تؤدي دوراً هاماً في تنشئة أبنائها تنشئة سليمة لحياتهم من مخاطر الانحراف، وعند اختلال هذا الدور تفشل الأسرة في تحقيق هدفها الأسمى فكثير من الأسر كانت عاملاً من عوامل لجوء الفرد إلى الاغتصاب وذلك من خلال ما يلي:

- التحدث في الأمور الجنسية أمام الطفل، وعدم الحرص على ستر الأجساد وإهمال وإخفاء الأماكن الحساسة من الجسم، هذا ما يؤدي إلى تنشئة الأطفال وقد اعتادوا على الاستخفاف بالقيود والضوابط والمعايير التي تحكم مجتمعهم.

- إهمال التربية الدينية والروحية للطفل وتعريفه بما هو مباح وما هو محرم، وعدم ترسيخ المبادئ والتوجيهات الروحية والأخلاقية الرفيعة التي تحمي الفرد من التردّي في الدرك الأسفل من العلاقات الجنسية الذميمة.

ثانياً: المدرسة: في حين أن المدرسة لا يقل دورها عن الأسرة، فعندما لا تقوم الأسرة بدورها كما ينبغي في تنشئة أبنائها، فإنه يلقي على عاتق المدرسة عبئاً مضاعفاً، إذ أنها مطالبة بتأدية دورين في هذا المجال في الوقت نفسه، فالمدرسة تستطيع أن تساهم في تنشئة الطفل تنشئة سليمة من خلال المناهج التربوية، وعن طريق المربين والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين ومعلمي التربية.

ثالثاً: المجتمع: كما للمجتمع دوره بما يملكه من مؤسسات اجتماعية ودور عبادة ووسائل الإعلام فله دور رئيسي في تنشئة الأفراد وحياتهم من الانحراف وارتكاب الجرائم فالرسالة التي يبلغها المجتمع يجب أن تكون وقائية وعلاجية في نفس الوقت، كما تعمل على تنمية قدرات الفرد، واستغلالها فيما يفيد. كما ينحصر دور المجتمع في مواجهة ظاهرة الاغتصاب سن القوانين والتشريعات التي تسلط العقوبة القاسية على المغتصبين وردع أفراد المجتمع، بعدم إقدامهم على هذا الفعل.

ج- دور الهجرة الداخلية:

المقصود بالهجرة الداخلية، انتقال أعداد من الناس داخل الدولة الواحدة من المناطق التي يقيمون بها إلى مناطق أخرى، وغالباً ما تكون من الريف إلى الحضر، لأن التصنيع أدى إلى ازدهار المدن على حساب الريف، خاصة في الدول النامية هذا ما أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من سكان الريف إلى المدن، فينجم عنه ازدحام شديد وإقامة مناطق سكنية جديدة تفتقر إلى الخدمات الأساسية، وفي مقدمتها انعدام الأمن في هذه السكنات المقامة على أطراف المدن.⁽²⁾

¹ / أحمد علي المجدوب، المرجع السابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.

² أحمد علي المجدوب، المرجع السابق، ص ١٧٢.

يتبين من خلال ما سبق أن الهجرة الداخلية تؤدي إلى ازدياد عدد الرجال على عدد النساء في المدن، ذلك أن المهاجرين من الريف مجبرون على ترك زوجاتهم وأولادهم في القرى حتى يؤمنوا مسكنا لهم، وفي أغلب الأحيان يكون المهاجرين من غير المتزوجين. وبالتالي يواجهون ظروفًا تختلف تماما عن الظروف ضالة الدخل، ارتفاع الأسعار ضخامة التطلعات التي لا تقابلها كفاءة ملحوظة أو موهبة واضحة، يضاف إلى ذلك ما يسود حياة المدن من عادات وتقاليد ومظاهر كثيرا ما تخلب لب المهاجر. وعادة ما يعاني المهاجرون من سوء تكيف اجتماعي في البيئة الجديدة مما قد يكون له دور في ارتكاب الجرائم.

د- رفع سن الزواج:

يعتبر من العوامل التي تلعب دورا هاما في زيادة جرائم الاغتصاب في كثير من المجتمعات سواء بموجب القوانين التي لا تبيح الزواج لمن لم يبلغوا سنا معينة، أو نتيجة للأوضاع الاقتصادية السيئة في بعض الدول، وضغوط بعض العادات والأفكار التي تتعارض مع زواج الشباب الصغار كالتعليم. فبعد أن كان الشاب قديما يتزوج بعد أن ينخرط في مرحلة الشباب وكانت الشابة تتزوج في سن السادسة عشر، فإن الزواج اليوم صار يتم بعد الانخراط في الثلاثينات، أي بعد أن ينتهي الشباب من إكمال تعليمهم والحصول على وظيفة، أي التخطيط للمستقبل فكلما تقدمت الحضارة كان الإقبال على الزواج يزداد صعوبة.⁽¹⁾

نفهم من ذلك أنه على الشباب أن يتجاهلوا نوازعهم الجنسية، وأن يعزفوا عن النشاط الجنسي إلى أن يتزوجوا، وهذا ما أدى إلى استشارة الشباب باستمرار وخضوعهم لرغباتهم الجنسية بشكل مطلق نظرا للتطور التكنولوجي الذي شهدته المجتمعات المعاصرة.

ويعلق "كينت ووكر" على الاتجاه إلى رفع سن الزواج في المجتمعات الغربية قائلا: "مع تأخر سن الزواج وهو ما يمكن أن تعتبره إغلاقا لإحدى القنوات الهامة للتفريغ الجنسي، فإن المدينة الغربية تثير وتحفز الشهوانية والجنسية، مما ينشأ عنه خلق حالة من التهييج والإثارة المتتابة التي تجد كل سبل التفريغ المشروعة مغلقة أمامها وهذا ما من شأنه أن يتسبب في كثير من أشكال الانحرافات الجنسية...".⁽²⁾

هـ- أصدقاء السوء: تلعب جماعة الرفاق دورا كبيرا في انحراف الفرد بصفة عامة، وميله إلى ارتكاب جريمة الإغتصاب بصفة خاصة، ذلك أن ما يميز رفاق السوء دعوتهم إلى الهمجية والتنكر للأخلاق والتعاليم الدينية والقوانين والأعراف التي يخضع لها أفراد المجتمع، كما يدعون إلى ممارسة هتك العرض والاعتصاب.⁽³⁾

كما أن الفرد عندما ينخرط في جماعة رفاق السوء كانوا على سلوك سوي أو سلوك شاذ، فإنه يتنازل عن عدة مبادئ وقيم يمكن أن تؤدي إلى انحرافه، ومن شأنها أن تخل بقواعد الصداقة وتزعزع توازنها وكيانها ومن بينها.⁽⁴⁾

^{1/} يوسف ميخائيل: أسعد: سيكولوجية الجرائم الجنسية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٥٤.

^٢ أحمد علي المجدوب، المرجع السابق، ص ١٩٨.

^٣ يوسف ميخائيل أسعد، المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦.

^٤ نفس المرجع، ص ٦٧-٦٩.

أولاً: رفع الكلفة بين الأصدقاء من شأنها أن تزيل الفروق بينهم، مما يؤدي إلى الالتزام بمبادئ وأخلاق منافية للمبادئ والقيم والأخلاق العامة.

ثانياً: إعلان الثورة والعصيان على القيم التقليدية، فالعقل الجمعي لدى أصدقاء السوء يعلن عن عصيانه الفكري على ما يعتبره المجتمع خيراً وصواباً وحقاً، فيذهبون إلى القول بأن القيم الأخلاقية هي نسبية، وأنها تتطور بتطور الحضارة متناسين أن القيم الأخلاقية تستمد قوتها من التعاليم الدينية وترتكز علمياً ارتكازاً كاملاً وبشكل مطلق، ومن هنا فإن كل ما يتعلق بالعفّة والطهارة وغيرها من القيم الدينية والأخلاقية تظل ثابتة حتى يوم القيامة فالزاني سوف يبقى بغيضاً ومردولاً إلى الأبد. وعليه يجب على الآباء والأمهات العمل على تجنب اختلاط أبنائهم واندماجهم ضمن جماعات رفاق السوء وبالتالي لأبد من اتخاذ الإجراءات التربوية التي تحول دون سقوط الأبناء في المهالك ومن ضمنها: ⁽¹⁾

- التوجيه الجنسي، فعلى الأم القيام بالتوجيه الجنسي إزاء بناتها والأب إزاء أبنائها الذكور ويكون هذا التوجيه قائماً على أسس علمية. والواقع أن إغفال التوجيه الجنسي للأبناء يترك المجال مفتوحاً أمام أصدقاء السوء لبث أفكارهم المشبوهة والشاذة في عقول البنين والبنات.

- الأب الصديق والأم الصديقة، إن الذكور والإناث يحتاجون إلى شخص يصغي إليهم خاصة في مرحلة المراهقة، فعلى الآباء والأمهات أن يكونوا أصدقاء لأولادهم، لأن غير ذلك يؤدي إلى بث الأفكار الدنيئة في عقولهم وقلوبهم من جانب أصدقاء السوء.

و- تحرير المرأة:

ترجع المحاولات الأولى لتحرير المرأة إلى الصنف الأول من القرن التاسع عشر حيث دعى سان سيمون وفورييه وكابيه، إلى منح المرأة الحق في العمل وفي الحصول على أجر يساوي ما يحصل عليه الرجل، لتحقيق العدل والمساواة بينهما وهدفهم في ذلك هو القضاء على الفقر، الذي قد يدفع بالمرأة إلى احتراف الدعارة، أو الزواج في سن مبكرة قبل نضجهم، كما دعى سان سيمون إلى إلغاء الزواج ومنح المرأة الحرية الجنسية الكاملة وإلغاء الأسرة التقليدية.

وهذا ما أدى بالعلماء والباحثين إلى اعتبار أن تحرير المرأة ساهم بشكل كبير في زيادة معدلات جرائم الاغتصاب، فحسب جرمهوت تتمثل هذه المساهمة في جانبين هما:

أولاً: إن تحرر النساء جعل الوصول إليهن سهلاً من جانب المغامرين، كما أعطى حرية مطلقة في إقامة العلاقات المتداخلة بين الجنسين، إضافة إلى وجود كم معتبر من الذكور الذين يعانون من أمراض نفسية كالانطواء، والإحباط والإحساس بالدونية، والرغبة في الانتقام من الأسوياء، نتيجة العدائية التي يحملونها اتجاههم، وكانت نظراتهم إلى النساء المتحررات أنهم عدوات لهن، وهذا ما حفزهم للإقدام على اغتصابهن.

ثانياً: لم يقتنع الرجل باستقلال المرأة اقتصادياً، والتصرف في شؤون حياتها دون الاعتماد عليه نتيجة تحررها، وظل ينظر إليها أنها لا تستطيع أن تستغني عليه جنسياً ولإثبات ذلك إقدامه على اغتصابها. ⁽²⁾

^{1/} يوسف ميخائيل أسعد: مرجع سابق، ص 67 - 69

^{2/} أحمد علي المجدوب: مرجع سابق، ص 200 - 205.

ولكن لا يمكن التسليم بان تحرير المرأة ينحصر في حصولها على منصب عمل أو سيارة أو سكن واقتناء ما تشتهييه، وإنما تحرر المرأة يجب أن ينطوي على ما تدخره من مواهب وقدرات تعمل على تنميتها واستغلالها فيما يفيد مجتمعا، كما تؤمن بالدور الذي تؤديه في المجتمع باعتباره نصفه، وتجنبا من إبراز مفاتها أمام الرجال حتى لا تكون عرضة للاعتداء.

ز- تعاطي الخمر والمخدرات:

أثبتت الدراسات المختلفة أن الإدمان على الخمر والمخدرات لها دور هام في ارتكاب جريمة الاغتصاب، إذا أن لديها تأثير على القيام بهذا السلوك الإجرامي وتعتبران العامل المسؤول عن نشوء هذا السلوك المنحرف فتؤديان إلى فقدان المجرم - تحت تأثيرها - لعقله وعدم تقديره للمسؤولية مما ينجر عنه كثير من الاعتداءات الجنسية ومن بينها جريمة الاغتصاب. وان الدور الذي تلعبه الخمر يختلف عن الدور الذي تلعبه المخدرات، وهو اختلاف يرجع إلى التأثير الذي يحدثه كل منهما في المتعاطي، وسنتناول هذا التأثير على النحو التالي:

أولاً: تأثير الخمر:

لقد دلت الدراسات أن نسبة ٣٥ من المعتصبيين كانوا من المدمنين على الخمر ومرتفعي السكر وقت الجريمة، أي في حالة سكر حاد بالإضافة إلى أن ١٥ كانوا تحت تأثير الخمر قبل ارتكاب الجريمة، فحسب التقارير الذاتية لكل من المعتصبيين والضحايا أن ما بين ٣٥ و ٥٣ من المعتصبيين كانوا تحت تأثير الخمر وقت ارتكابهم الجريمة.^(١)

فقد تبين من بحث كلارك أن شرب الخمر يعتبر سببا رئيسيا في إحداث إثارة جنسية شديدة قد تدفع بالشخص المتعاطي أن يرتكب جريمة جنسية ومن بينها الاغتصاب. وفي دراسة أخرى أجريت على نزلاء السجون المحلية في الولايات المتحدة الأمريكية تبين أن نصفهم يعانون من نوع ما من المشكلات المرتبطة بالإدمان على شرب الخمر "... فبلغت نسبة الضحايا اللاتي كن تحت تأثير الخمر عند ارتكاب الجريمة ١، أما المعتصبون فكانت نسبتهن ٣، أما بالنسبة للجرائم التي كانت فيها الضحية والجاني مخمورين فقد بلغت نسبتهن ٢ إلى إجمالي قضايا الاغتصاب، أما بقية الجرائم التي شملها البحث ونسبتها ٦٦ فانه لا المجرم ولا الضحية كانا سكارا.^(٢)

لكن ليس معنى ذلك أن كل من يتعاط الخمر يقدم على ارتكاب جريمة اغتصاب، ولكن الذي يحدث أن تعاطي الخمر يعتبر عاملا مساعدا.

ثانياً: تأثير المخدرات:

ذكر تشيزنك في دراسة له أن الدافع الجنسي يضعف القدرة الجنسية عند الذكر والأنثى عند حقنهما بالهروين في الوريد. ومن هذا يمكن القول انه ليست كل أنواع العقاقير تحدث استثارة جنسية لدى المعتصب، وسنبين ذلك من خلال تأثير أهم العقاقير على الناحية الجنسية فيما يلي:^(٣)

¹ /توفيق عبد المنعم توفيق: مرجع سابق، ص ٦٠.

² / أحمد علي المجدوب: مرجع سابق، ص - ٢٠٧ - ٢٠٨.

³ / توفيق عبد المنعم توفيق: مرجع سابق، ص ٦١-٦٣.

- الماريجوانا:

هي عقار لا يثير الشهوة الجنسية، كما أنها لا تؤدي إلى الاتصال الجنسي أو العدوان الجنسي الضار.

- الحشيش :

يكبح الشهوة الجنسية أكثر من إثارتها، وهذا لا يتطابق مع العديد من تقارير مدمني الحشيش في العالم.

ومن بين العقاقير التي تحدث إثارة جنسية من خلال تعاطيها نذكر ما يلي:

- الكوكايين:

أن الجرعة الشديدة من الكوكايين تسبب تزايد سرعة إثارة الجنسية لدى معظم المتعاطين وبصفة خاصة لدى الإناث، وللمتعاطين ميول عدوانية، فالمتعاطي الذي تزيد جرعته تكون لديه رغبة جنسية شديدة كامنة.

٢- العوامل النفسية:

لا ينكر احد أن العوامل النفسية ترجع في الأصل إلى عوامل اجتماعية التي لعبت دورا مبكرا في حياة الإنسان، ومن الخطأ القول أن مسؤولية العامل النفسي فقط، وإنما يجب أن يتعاون كل من علماء النفس مع علماء الاجتماع والقانون من اجل العمل على تغيير الظروف التي تؤدي إلى ظهور العوامل النفسية التي هي أصل العوامل الاجتماعية التي تدفع الفرد إلى ارتكاب جريمة الاغتصاب، وأهمها:

أ- العوامل الشخصية:

لقد تأثر العلماء في تفسيرهم للجرائم الجنسية بالفرويدية ومدارس التحليل النفسي، فاعتبروا المجرم الجنسي هو إنسان مريض نفسيا أو عصبيا، ومن رأي هذا الفريق يتبين أن الاغتصاب ينشأ نتيجة للاضطرابات النفسية التي أصابت الشخص المغتصب.

تتميز شخصية المغتصب بالعدائية اتجاه الضحية، ففي دراسة لجيمها رد وجد إن أكثر من ٣٣ من المغتصبين تتضمن أفعالهم العدوان أكثر من الإشباع الجنسي، فالمغتصبون أفكارهم دائما تعبر عن العدوانية.

كما يعاني المغتصب من اضطرابات نفسية أكثر من مرتكبي الجرائم الأخرى وهذا ما ذهب إليه سو ينسون وجريمس في دراستهما لشخصية المغتصب.⁽¹⁾

ويشعر المغتصب بالدونية والعجز اتجاه نفسه، وينخفض تقديره لذاته، ويعتبر نفسه ضحية للصعوبات التي صادفها في حياته أكثر مما يعتبر نفسه مسؤولا عن هذه الصعوبات، فيشكوك من كونه ذكرا أو رجلا، لذلك فإنه يضع الجنس وسيلة لتعويض الشعور بالنقص.⁽²⁾

¹ / توفيق عبد المنعم توفيق: مرجع سابق، ص ٥٣-٥٦.

² / أحمد علي المجدوب: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

ب- الاضطرابات العقلية:

أن الاضطرابات العقلية على الرغم من أنها تمثل دورا كبيرا في بعض الجرائم الجنسية الشاذة، إلا انه من الملاحظ في حالات الاغتصاب لا تمثل الاضطرابات العقلية عاملا أساسيا في شخصية المعتصب حيث أكدت دراسة جيهارد أن اقل من 1 من المعتصبين كان يعاني من اضطرابات عقلية، ووجد ابل وآخرون أن اقل من 5 من المعتصبين كانوا يعانون من الذهان وقت ارتكابهم الجريمة.⁽¹⁾

ومن بين مؤيدي هذا الرأي العاملة سوزان جرينين التي تقول في هذا الصدد: (ولو أن النظرية التي تقول أن المعتصبين إنما هم مجانين شائعة، فإن هذا الاعتقاد ليس له لساس في الواقع). كما دلت الدراسة التي أجراها مناحم امير في فيلاديلفا واليت كان عنوانها أنماط من الاغتصاب أن هنالك 64 حالة اغتصاب اثبت أن الرجال الذين اغتصبوا لم يكون شواذا عقليا.⁽²⁾ ونستنتج من خلال ما سبق أن تناول ظاهرة الاغتصاب من المنظور النفسي يفيدنا في معرفة ديناميكيات الجريمة وخصائص المجرم وسمات شخصيته .

٣- العوامل الوراثية:

أكد علماء الوراثة أمثال عالم الإجرام سيزار لومبروزو^(١٩١٩٨٣) أهمية الدور الذي تلعبه العوامل الوراثية في تفسير السلوك الإجرامي، صحيح إن هناك علاقة بين البناء الجسدي والبيولوجي للإنسان ومن بينها السلوك الإجرامي، لكن هذه العلاقة ليست سببية فمن الصعب تقبل فكرة وراثة السلوك الإجرامي من خلال الجينات كما يرث الإنسان لونه عينيه، وطول قامته، وشكل شعره فلا يوجد في الواقع كروموزو الإجرام لان ظاهرة الجريمة لها جوانبها الاجتماعية والثقافية. فقد أكد الإسلام الأصل الواحد للإنسان مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ سورة النساء الآية 1.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" رواه مسلم.

٤- العوامل الثقافية:

تلعب العوامل الثقافية دورا هاما في ارتكاب جريمة الاغتصاب، حيث تميزت المجتمعات المعاصرة بتطور تكنولوجيا هائل امتدت أثاره على جميع الأفراد، ومن أهم هذه الآثار الغزو الثقافي المتمثل في انتشار ثقافة العنف والجنس، حيث ركزت وسائل الإعلام سيطرتها على الجماهير على الغريزتين هما الغريزة الجنسية وغريزة العنف فتحكمت بذلك في سلوك الأفراد، ومن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار ظاهرة الاغتصاب انتشار أفلام الجنس والعنف.

ونحن كمجتمعات إسلامية يجب علينا مواجهة هذا الخطر من خلال التمسك بقيم ديننا الحنيف والالتزام بتعاليمه، وعدم الخروج من معايير وقواعد المجتمع الذي نعيش فيه. ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الله الاستمسك بدينه مع نبض قلبه بالحياة فيدعو: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" رواه أبو داود.

¹ / توفيق عبد المنعم توفيق: مرجع سابق، ص-ص 63 - 64.

² / أحمد علي المجدوب: مرجع سابق، ص 244.

ومن أهم خصائص جرائم الاغتصاب:

١- التخطيط للجريمة: إن أغلب البحوث أظهرت أن معظم جرائم الاغتصاب خاصة تلك التي تقع بالتهديد والقوة يجري التخطيط لها.

٢- الأماكن التي يقع بها الاغتصاب: فقد تبين من البحوث المختلفة أن الاغتصاب لا يقتصر على مكان معين، ففي فرنسا مثلا تبين أن الغالبية العظمى من جرائم الاغتصاب وقعت في مختلف الأماكن مثل الطرق والمصعد وفي النوادي، وفي الولايات المتحدة وقعت داخل بيوت الضحايا من رجال غير معروف لهم.⁽¹⁾

لكن الملاحظ أن جرائم الاغتصاب التي تحدث في المجتمعات العربية من خلال قراءتنا لمختلف الصحف والمجلات أن معظمها يقع في مناطق منعزلة. عن طريق اختطاف الضحية بتهديدها لأخذها إلى مكان نائي أو منعزل.⁽²⁾

٣- من حيث توزيع الاغتصاب جغرافيا: تختلف الدول فيما بينها من حيث توزيع جرائم الاغتصاب جغرافيا، فالبعض منها يقع فيها الاغتصاب في المدن وهذا ما نجده في الدول الغربية، والبعض الآخر يقع في المناطق الريفية، وبعضها يقع فيها الاغتصاب في المدن الكبرى والريف، ولكن بنسب متفاوتة. يمكن القول أن الجاني يرتكب جريمته كلما سمحت له الفرصة في أي زمان ومكان.

٤- توزيع جرائم الاغتصاب من حيث زمن وقوعها ليل - نهار:

فلا يختلف الأمر بالنسبة للمجرمين سواء كان الوقت ليلا أم نهارا طالما أن الفرصة سمحت لهم لارتكاب الجريمة.

فقد دلت بعض الدراسات أن جرائم الخطف والاختطاف التي تمت ليلا بلغت نسبتها ٣٠% : بينما أن الجرائم التي ارتكبت نهارا فبلغت نسبتها ٧%.⁽³⁾

وتتمثل أهم آثار جريمة الاغتصاب على الضحية:

١- الآثار الجسدية: وتترتب على عملية الإيلاج، فحدوثه بالقوة يترك آثار مؤلمة في الفرج، أو مجموعة الأعضاء التناسلية الخارجية للمرأة، وعموما فإذا حدثت مقاومات من طرف الضحية فانه يترتب عليها رضوض وكدمات في الجسم، ويجب أن لا نغفل مخاطر الحمل وكذلك إصابة بمرض تناسلي.

٢- الآثار النفسية: إن الآلام الجسدية لا تقاس بالصدمة النفسية التي تصيب الضحية والتي تبلغ أقصاها إذا كان الاعتداء قد وقع على فتاة شابة. إذ تعتبر جريمة الاغتصاب من أقسى التجارب التي يمكن للمرأة أن تواجهها، فحالة الخوف الشديد التي تعترى المرأة عندما يهاجمها الجاني، سواء بيديه المجردتين أو بالسلاح فان هذا الموقف يظل عالقا بذكرياتها تمتد طول العمر، خاصة إذا حملت الضحية وأنجبت بسبب الاغتصاب، إذ يعتبر الخوف من أهم مظاهر الاعتداء، أما قبل ذلك فإنها تكون فريسة للظن بأنه سيقتلها كما حدث مع غيرها من النساء اللاتي اغتصبن ثم قتلن.

^{1/} علي مانع: عوامل جنوح الأحداث في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٧، ص ١٩.

^{2/} أحمد علي المجدوب: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

^{3/} نفس المرجع، ص ٢٥٧.

٣- الآثار الاجتماعية: إن الكثير من حالات الاغتصاب تكون فيها الضحية معرضة للفقر والضياع لأن الكثير من العائلات خاصة في المجتمعات المختلفة ترفض استقبال بناتها لعادات وتقاليد المجتمع مما يزيد الوضع تأزماً.⁽¹⁾

خاتمة:

أ/ النتائج :

* جريمة الاغتصاب لا تتم إلا بالاتصال الجنسي الطبيعي التام بين رجل ذكر أو خنثى وأن تكون المرأة صالحة للإيلاج حية بكرةً أم ثيباً ويستوي أيضاً أن تكون عاهرة أم شريفة بدون رضاها ولا تقوم هذه الجريمة إذا كان ما حصل هو دون الإيلاج من أفعال مهما كانت طبيعتها ، حتى ولو كانت هذه الأفعال قد بلغت درجة خطيرة من الفحش والاعتداء على العرض .

* أفعال العنف يجب أن تقع على شخص المجني عليها (جسدها) ويجب أن تكون على درجة من الجسامة بقصد تعطيل قوة المقاومة أو إعدامها كلية عنده تسهياً لارتكاب الجريمة فقد تتمثل في الضرب أو الجرح أو وضع اليد على الفم أو إمساك الأيدي أو الأرجل أو التقييد بالسلاسل أو الحبال ، أو بصورة تهديد الجاني للمجني عليه وزرع الخوف الشديد في نفسه بشر حال وجسيم يصيبه في نفسه أو ماله أو في شخص عزيز عليه .

* شدد المشرع الجزائري عقوبة مرتكب جريمة الاغتصاب إذا ارتكبت من قبل موظف أو مكلف بخدمة عامة أو ارتكبت من قبل شخص مسؤول عن رعاية المجني عليه أو صيانة مصالحه ، أو ارتكبت من قبل جناة متعددين أو كان المجني عليه صغير السن.

* يوقف تحريك الدعوى الجنائية الخاصة بجرائم الاغتصاب واللواط وهتك العرض والتحقيق فيها والإجراءات المتخذة بخصوصها إذا ما إقدم الجاني على الزواج من المجني عليها لإصلاح خطئه .

* يبرز دور الخبير الطبيب في جرائم الاغتصاب في تحديد وجود فعل الواقعة أو هتك العرض من عدمه والذي يترتب عليه التكييف القانوني للجريمة ، وتستطيع المحكمة أن تعتمد على تقرير الخبير في الإثبات الجزائي ولو كان مستقلاً عن الأدلة الأخرى متى ما أطمأنت إليه فللمحكمة .

* اعتبر المشرع الجزائري مسألة إجهاض المرأة المغتصبة جريمة عادية أسوة ببقية الجرائم ، بينما اعتبرها قوانين أخرى عذراً قانونياً مخففاً أو ظرفاً قضائياً مخففاً ، في حين اعتبرها البعض الآخر عذراً قانونياً معفياً من العقاب.

ب/ الإقتراحات :

* نقترح أن يتضمن قانون الطب الشرعي نصاً يجيز به للقاضي الاستعانة بمعطيات التطور العلمي في مجال كشف جريمة الاغتصاب على أن يراعى في ذلك حفظ الكرامة الانسانية وقواعد الشرعية الإجرائية .

* ندعو المشرع الجزائري إلى إيجاد نص يتضمن إعطاء تقرير الطبيب العدلي حجية أكبر مما هي عليه ، وتخويل المحكمة سلطة اعتماد تقرير الطبيب الشرعي سبباً لحكمها ولو كان منفرداً بدون أدلة أخرى .

* نقترح أن يكون التحقيق في جرائم الاغتصاب في مكاتب التحقيق القضائي حصراً ، ونقترح إنشاء مكتب للخبرة في هذه المكاتب ، ويتألف هذا المكتب من عدد من الخبراء .

¹/يوسف ميخائيل أسعد:مرجع سابق،ص٩٠ .

- * نظرا لجسامة الفعل المجرم ألا وهو الاغتصاب، فكان من اللازم والضروري على المشرع الجزائري، أن لا يكتفي بالنص على عقوبة سالبة للحرية، إنما كان من الواجب أن تكون العقوبة المساوية لجسامة الجرم هي الإعدام.
- * باعتبار أن الشريعة الإسلامية، هي أكمل وأتم مرجع بما تحويه من أحكام ونصوص، من شأنها تجريم الأفعال التي ينتهك فيها العرض بجريمة الاغتصاب، فكان أولى بالمشرع الحج ا زثري الاستناد والتركيز عليها كمرجع أساسي.

قائمة المراجع:

- ١- أحمد على المجذوب: اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦.
- ٢- توفيق عبد المنعم توفيق: سيكولوجية الاغتصاب، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- ٣- محمد الغزالي: جدد حياتك، دار المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٠.
- ٤- محمد شحاتة ربيع وآخرون: علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤.
- ٥- علي مانع: عوامل جنوح الأحداث في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٧.
- ٧- يوسف ميخائيل: أسعد: سيكولوجية الجرائم الجنسية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١.
- ٨- ابراهيم ابراهيم الغماز، الشهادة كدليل إثبات في المواد الجنائية، مطبعة أطلس، القاهرة، ٢٠١١.
- ٩- ابراهيم حامد طنطاوي: جرائم العرض والحياء العام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤.
- ١٠- أبو اليزيد علي المتيت، جرائم الإهمال، الطبعة الثالثة، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٥.
- ١١- احمد أمين: شرح قانون العقوبات الأهلي، القسم الخاص، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠١٢.
- ١٢- أحمد بسيوني أبو الروس: التحقيق الجنائي والتصرف فيه والأدلة الجنائية، الطبعة الثانية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
- ١٣- أحمد عزت القيسي، البكارة ومشكلاتها، الطبعة الثانية، العاتك لصناعة الكتاب، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٤- أحمد علي الخطيب ود. حمد عبيد الكبيسي ود. محمد عباس السامرائي، شرح قانون الأحوال الشخصية، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠١٠.
- ١٥- احمد علي المجذوب: العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٢.
- ١٦- احمد علي المجذوب، اغتصاب الاناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، الطبعة الاولى، الدار المصرية، القاهرة، مصر، ٢٠١٣.
- ١٧- أحمد فتحي سرور: شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، الطبعة السابعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
- ١٨- أحمد فتحي سرور، أصول السياسة الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- ١٩- آدم وهيب الندوي: شرح قانون الإثبات، دار القادسية، بغداد، ١٩٩٨.

- ٢٠- آدم وهيب النداوي : الموجز في قانون الإثبات ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ م .
- ٢١- ادوارعيد : قواعد الإثبات في القضايا المدنية والتجارية ، ج ٢ ، مطبعة ستاركو ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
- ٢٢- ادوارغالي الذهبي ، شرح قانون العقوبات الليبي ، القسم الخاص ، الطبعة الأولى ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، ٢٠٠٠ .
- ٢٣- اسامة سداسة : شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم ، الطبعة الثانية ، دارعلاء الدين ، دمشق ، سوريا ، ١٩٩٣ .
- ٢٤ أسعد رزوق ، موسوعة علم النفس ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨ .
- ٢٥- أكرم نشأت إبراهيم ، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن ، الطبعة الأولى ، مطبعة الفتیان ، بغداد ، ٢٠٠٨ .
- ٢٦ - السعيد مصطفى السعيد ، شرح الأحكام العامة في قانون العقوبات ، الطبعة الرابعة ، دارالمعارف بمصر ، ٢٠١٢ .
- ٢٧ - آمال عبدالرحيم عثمان ، الخبرة في المائل الجنائية ، دارمطابع الشعب ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .



The logical analysis of belief in Russell's philosophy

Damouche Ouahiba/University of Boumerdes

Abstract:

Russell claims that our scientific knowledge, if it is to be defended against the criticisms of the skeptics must be based on solid logical basis. It is this motive that leads him to the logical analysis of belief. He approaches the problem of our scientific beliefs in the same way as the logician does concerning mathematical problems. Bertrand Russell's account of belief has been the subject of my critical discussions, considering belief, as a necessary antecedent to knowledge remains controversial in the study of knowledge. Due to this controversy concerning the thought and writing of Bertrand Russell and his accounts of belief, this essay will focus on a critical discussion of this notion.

I will argue that Russell's analysis of belief is ambiguous and changing. Despite his insistence on the use of science and logic, his analysis shows many difficulties. Therefore, his logical analysis of scientific beliefs seems like a validity project that has already started and has not being finished yet. So that mixing language with logic gives a clearer form to his analysis for his contribution to the problem of scientific beliefs.

Key words: Belief, knowledge, truth, analysis, judgment, proposition, and fact.

Bertrand Russell's account of belief has been the subject of my critical discussions, considering belief, as a necessary antecedent to knowledge remains controversial in the study of knowledge. Due to this controversy concerning the thought and writing of Bertrand Russell and his accounts of belief, this essay will focus on a critical discussion of this notion. I will argue that Russell's analysis of belief is ambiguous and changing. Despite his insistence on the use of science and logic, his analysis shows many difficulties.

Since he considers belief as the central problem in the theory of knowledge, logic is a precondition to his philosophy. And any description of a property as being in belief without any mention to truth as the reflective awareness of his belief, it will be seen as ambiguous if not inadequate. My task is one of focusing on the internal elements of beliefs and their relationships. This is the principal way in which I will interpret Russell's ambiguity in analyzing belief. I will suggest briefly some alternative interpretations, thus I will argue that Russell's great equivocations lie in the disparity between his logical analysis of belief and that of his scientific descriptions, especially those of physics, psychology and physiology.

One of the difficulties of the subject with which I am concerned is that terms must be employed such as truth, knowledge, and perception. Since these words, in their philosophical uses are vague, imprecise and changing, these difficult terms are all ambiguous so long as some remain interconnected? It follows that what Russell said at first is liable to require emendation later.

Truth exists in a certain relation between a belief and one or more facts; when this relation is absent the belief is false. A sentence may be called true or false though no one believes it. Provided that, if it were believed, the belief would be true or false as the case may be. The theory of correspondence involves a relation between two things: that which is true or false (a proposition, belief, judgment) and that which makes it true or false (a fact, or perhaps a state of affairs or an event). Hence, the relation that links the belief and the fact is apparently clear; it relates between the subject and the object. And a belief is a part of a relation when it is considered as a term in a proposition, which carries belief.

The main topic in this article is the following question: what is the nature of logical analysis in Russell's contribution to belief?

To determine the nature of Russell's analysis I need to propose the following hypothesis: from a logical side, belief is a proposition, which I am concerned with in this essay. Belief is also a sensation plus an image from the standpoint of psychology. Moreover, belief is also a percept controlled by many nervous operations through physical laws, which has an effect on the self (the believer).

Not all beliefs fall short of certainty. Nevertheless, the world is rarely if ever used for the certainty that comes from direct knowledge of perception. Two facts emerge from this analysis. First; belief has an object; second, as although belief may very well be based on rational grounds, it is usually accompanied by a feeling of confidence. Reason (logic) and emotion cooperate with one another and vary in their respective strength. In all cases belief can remain rational when all the appearances are absent. Therefore, all beliefs have logical forms, which should be analyzed. This article concerns the role of logic in Russell's theory of belief and lays the groundwork for a better understanding of the relation between belief and the theory of logic. There are three types of beliefs; direct beliefs, memory beliefs and expectations. The essential point to be noted here is that the problem of belief is a problem about the form and content of belief.

The notion of belief reflects developments, not only at the individual level i.e. in the context of one's experience, but also historical developments of human society beginning, with early hominids, ending with modern man. Russell classifies beliefs into two categories. First, belief belonging to the pre-linguistic level is a simple form of belief appearing in children and some animals. It leads to behavior that achieves adaptation and communication within an environment. The second type of belief is that which exists at the linguistic level. At this higher-level philosophy exercises its critical function including logical analysis of the notion of belief and its basis.

Russell's concerns with logic and mathematics are great, to the degree that he mixes both of them together. Logic becomes mathematical when it concerns analysis of the relation between symbols and propositions. And mathematics becomes logical by returning to its logical foundations or basis. Russell claims no fundamental differences between mathematics and logic. Therefore, the logical analysis of belief contains both logic and mathematics.

1-Types of belief:

Russell divides the study of logic into three branches; logic of terms, logic of propositions and, logic of relations¹. Russell further classifies propositions into two categories: the first category absolute or formal propositions belong to logic and mathematics. Logic's task

¹ - Bertrand Russell, Basic Writings, Ed by Robert E. Egner and Lester Denonn (London: Routledge, 1992), p. 146.

concerning this type of propositions is to study the form of the abstract mental operations without regard to its material content, and it is concerned with the identification of thought within itself.¹ The Second category represents existence propositions or the atomic propositions, where logic is concerned with the identifications of models of physics with the empirical content of the propositions. Here, logic is interested in the correspondence of these propositions with empirical facts.²

A-Direct beliefs

What Russell calls a Belief or judgment, is nothing but this relation of believing or judging, which relates a mind to several things other than itself.³ The relation of correspondence between beliefs and facts allows us to identify that facts exist and are separated from the corresponding perceptual judgment. However, according to Russell, this idea is false. The fact is neither separated from it nor corresponded to it, and he also calls percepts facts.⁴

Russell explains the content of belief with the example of a coming train to the station, so that the content of belief is formed by the train's noise and the word train, and what exists between them is what he calls the relation of predicate in the proposition: "this is a train". Furthermore, the noise of the train implies a train even without the word "train" and presents instead of a word train, a visual image of the train. In this case the content of belief contains an image and a sensation, which both are connected by specific relation.

From these types of beliefs Russell forms what he calls perceptual judgments. But there are no sensations, which the visual image is related to, in memory or expectations. The objects and predicates of propositions appear different from those beliefs, which express the external world. Hence we repeat the question which was presented in the introduction of this research: how can we compare the propositions which carry beliefs with the world to see if they accurately depict it or not?

B-Memory and belief

When we examine the content of the memory, as a belief, it is a recollection plus image, and it is the signification and the feeling, which the image carries to the object, which existed in that time. This means that something, which existed before, is similar to this image.⁵ The ordinary language doesn't distinguish between identity and a close similarity. For something to be considered a memory, it must meet two conditions:

The first condition requires an image, which can be real or imagined in the mind. The second is the belief that an event actually occurred and this may contain an act and object of belief. A relation that exists between the feeling that accompanies belief and the content connects each other. It is called the feeling of reality.⁶ Existence implies feeling of reality. Meaning that

¹ - Bertrand Russell, Introduction to Mathematical Philosophy, (London & New York: Routledge, 1993), p. 341.

²-Ibid., p. 375.

³-Bertrand Russell, The Problems of Philosophy, (New York: oxford university press, 1997), p.126

⁴ -Bertrand Russel, Analyse del'esprit, (Paris: Payot, 1926), p.236.

⁵ - Russell, Analyse del'esprit, p.185.

⁶ - Ibid., p.185.

there is a corresponding image that requires a letter ‘of’ which expresses a connection. Thus, the object becomes content; the content forms the object of belief. At this level Russell combines the content with the object in his book, *Analysis of Mind* (1921).

Moreover, the memory is represented in two forms: first, verbal expression, second, non-verbal expression. When the image is presented to the mind, the content contains 1)-The image 2)-Feeling of reality 3)-A relation between the image and the feeling of reality.¹ That is, the feeling of reality accompanies the image. Both words and images have meanings equal to factual images (images of fact). Hence the relation between belief, fact, and truth appears to have linguistic signification (denotation) related to meaning². Because the act of belief is a feeling confirmed through reality, belief relates between images, feeling, and reality.

At the first level a recollection image doesn’t contain a meaning, except through a memory belief, which resulted from it. In memory belief, the meaning precedes the image. At the second level, one meaning can generate objective signification, which appears with double property: truth and falsehood³. In this Russellean sense, objective reference equals meaning. Therefore, Belief, from a logical side, becomes a proposition.

C-Expectations

Russell, in his book *Human knowledge* (1948), divides beliefs according to their succession and order in time, into two parts: A) Pre- linguistic beliefs. B) Verbal beliefs; for instance, belief in a past event, that William the Conqueror who conquered England in 1066, which is a belief in words, is not only an essential physiological characteristic (sounds get out of vocal cords⁴when it is uttered), but it is also a social characteristic in communication. The image of this historical personality differs from one person to another.⁵Therefore, images appear in two forms:

1)-Imaginations 2)-Recollections. Recollections are divided into two forms: first, recollections, which contain images and words and second, recollections, which contain only images. In this sense recollections or a feeling of a past event accompanies belief. Thus, belief appears as a feeling not as a relation. This is what can be found in *Analysis of Mind*.

From what has been said, we can say that Russell’s views on beliefs resulted from direct percepts, which correspond to external facts; these beliefs are only direct recollections. Russell sets conditions that should be found in recollection, in order to be able to say that this is a true recollection. In a symbolic way, what is involved in saying that A is an image or idea of B 1) - A similarity in the structure 2) - And they should have a special role- A and B should have some common influences. When the previous conditions are achieved we shall say that B is the prototype of A, as (in this case) belief carries ideas and images. And the difference between recollection and the image is in the feeling that accompanies the recollection.

¹- Ibid., p. 186.

²- Bertrand Russell, *Selected Papers*, (New York: The modern Library, 1955), p. 351.

³- Russell, *Analysedel’esprit*, p. 238.

⁴- Russell, *Selected Papers*, p. 347.

⁵- Ibid., p112.

Russell's definition of the image, or of the concept as a prototype, makes in his view, the relation of similarity between objects of belief possible in the context of what is called the prototype. This is in order to overcome the problem of identity, which is refused by theoretical physics. Russell gives the following example to show the difference between a recollection and imagination: "therefore that is, memory as opposed to pure imagination, there is the belief A is related to something as an idea when B is a prototype of A, we say that A is an image of B" And this is the definition that Russell gives to the word "of".

Russell sees that determination of the meaning of the word and image is based on causal efficiency. Hence, he classifies belief into active belief, simple belief, and the third, merely an idea. Furthermore, there are other sensations (feelings) related to disjunction, implication, and disbelief, which are opposed to the feeling of reality. So the content appears as a cause of belief. This means that a fact is its cause, and the content of belief is not constant. Moreover, it is overlapped and mixed with object of belief, and the cause of belief may be a fact and may be taken from experience. Russell claims that part of the causes of this experience is in us. And the external causes are those, which push us to believe, for instance, general beliefs "all men are mortal" is one belief and its generalization is a part of belief.

2-The logical form of belief

A-The logical form of belief through the logical construction of language

Russell doesn't restrict his study on atomic propositions only, but he also studies molecular propositions. He highlights the molecular proposition, which has two verbs, and he includes it in the logical analysis of belief. He classifies the molecular propositions into two categories:

1-Molecular propositions which contains words (linguistic connectives) for instance, 'or' and 'if'.

2-Propositions with more than one verb; believes, hopes, and wants¹

Russell doesn't restrict his work on the distinction between molecular and atomic propositions, but also his work extends to separate the analysis of propositions from the analysis of facts. He claims a difference between the analysis of propositions and the analysis of facts. The propositions submit to the abstract logical construction. Yet, the facts, belongs to the external world (reality). He argues that if we have disjunctive proposition such as $(p \vee q)$ we cannot say that there is in the world a disjunctive fact like $(p \vee q)$ corresponding to $(p \vee q)$ but we can say only that a fact exists in the world corresponds to the proposition p and another fact corresponds to the proposition q .²

In the context of logical analysis of belief we find ourselves in front of a new form of proposition and not with a new form of fact. The molecular propositions composed at least of two atomic propositions, if the molecule is divisible into atoms, the molecular proposition is divisible into atoms as well. In another words, the molecular proposition can also be analyzed into simple atomic propositions.

Now the distinction between the domain of the analysis of propositions and the domain of the analysis of facts. Is that the propositions in the field of language can be molecular or atomic,

¹ - Bertrand Russell, "the philosophy of logical atomism", in Logic and Knowledge, ed. Robert Charles March (New York: Capricorn books G.P. Putnam's sons, 1971), p. 216.

² -Ibid., p216.

and also facts in the external field can be atomic or molecular (complex). Molecular propositions are constituted of two atomic propositions connected by a logical connective such as ‘and,’ or, and ‘if.’ But the atomic proposition doesn’t include any logical connective; logic (philosophical logic) is concerned with forms of facts and attaining different sorts of facts, different logical sorts of facts.¹

Russell points out that the molecular propositions are three types:

1-Conjunctive-propositions “ \wedge ” and it is a logical constant

2-Disjunctive propositions” \vee “

3-Hypothetical- propositions” if”

Russell tries to construct a rigorous logical language that enables us to avoid some difficulties, which are hidden in natural language. And the logical language is composed in a whole from constants and variables. And when we ask questions about the nature of these constants we find that they are connectives that have the form of the letters in the natural language, ‘and’, ‘or’, and” if”. ‘And’ has temporal and sometimes spatial meaning and means in the former simultaneity. And means in the later preceding which is equivalent, in symbolic form, as it is mentioned in Principia Mathematica to the logical constant “ \wedge ”

B-The logical form of belief through the linguistic construction of language.

While Russell treats the nature of the logical form of belief, he studies beliefs and specifically the forms of facts. Beliefs, from the logical meaning, are not only restricted to facts, but are also related to propositions. Thus, belief is a belief in a molecular proposition instead of being the molecular proposition itself. Furthermore, there are infinite various forms of facts.

Russell’s method of treating beliefs differs from his method in treating judgments in his theory of knowledge. He distinguishes here between proposition and judgment; and he claims two types of occurrences: non-actual occurrence or a judgment such as, $2 \times 2 = 4$, and the other one is an actual occurrence as part of belief in a mind of a person in a definite time. Russell calls this an existence proposition.²

Russell concludes with questioning the nature of the fact’s form when a person believes it. Moreover, he opposes the view in which belief is considered as a relation to a proposition. For instance, “I believe the proposition p,” “I believe that today is Tuesday,” and “I believe that two and two are four”.³

Russell doubts too much the possibility to confirm the view, which asserts a relation between the self and the proposition. There is an assumption, holds beyond this saying, expresses that Russell is no more believing in the self (subject) that carries belief. This is due to the laws of the theoretical physics that impose results deny the existence of the self (subject) in the classical philosophical meaning. The subject, as it was considered in the past, becomes from the point of view of logic merely a term in the same level with the other terms in the same

¹ -Ibid., p 217.

² - Russell, the Philosophy of Logical Atomism, in Logic and Knowledge, p 217.

³ - Ibid., p 217.

proposition. Therefore, Russell has to seek an alternative in a new theory where the proposition involves two or more verbs such as believing, wishing, willing, and so forth.¹

Russell aims at creating logical syntax. Since any language is constructed out of logic the meaningless sentences will not be useful from the syntax view. He claims that the verb “loves” occurs in the proposition “Othello believes that Desdemona loves Cassio” seems as relating” Othello believes that Desdemona loves Cassio” to Cassio whereas in fact it does not do so. The verb “loves” appears as ” A believes that B loves C.” He concludes by claiming that the verb loves should be replaced by another verb. But it is not allowed to put a substantive (noun) instead². Accordingly, the secondary verb except (believes) is a relation between terms. Though it doesn’t relate between them in case of false judgment. Thus, in this case, the verb replaces the logical connection to make the language able to conform (correspond) to logic. Therefore, it can depict reality.

Studying beliefs includes three fields: logic, syntax, and facts. By reconstructing rules of syntax and sentences that rule the language, logic overlaps with syntax giving us a linguistic and logical analysis.

Going back to the problem of falsehood, we can successfully use the false beliefs in clarifying ambiguous beliefs. Hence, this theory contains a paradox, which is: every time Russell is approaching his objective, in establishing a theory about falsehood, he is facing a puzzle about how do we know the way to treat falsehood without assuming the existence of the non- existent?

1-Beliefs and propositions which involves two or more verbs:

Russell argues that the proposition is not which has two verbs, but the fact, which is expressed by the proposition, that has two constituents correspond with the two verbs. Those two constituents are called verbs. Accordingly, it is difficult to find a noun, which depicts all the objects referred by verbs.³

2-Interogative sentences

Russell asserts through his analysis that questioning the content of belief during the time of believing is impossible. Because, there is no answer to the question: what do we believe when we believe? And this question belongs to Meta- language. Meaning that, when we believe that “today is Tuesday” we can’t assume that “today is Tuesday”. These examples give some specific importance to Russell’s philosophy. Because those are concerned with interrogative statements, which enable us to distinguish between questions to maintain what is possible and what is impossible.

It becomes clear gradually that the statement; when the philosopher wants to get rid of any question he has to analyze it and by clarifying its words would be able to flee from the puzzle and get rid of confusion is a consistent statement. The difficulties that may be exposed by facts – as Russell sees them- it is dependent on the possibility of reduction in a manner that unable the reduction of facts to relations between other facts. This leads us to speak about the problem of reduction concerning beliefs. Because it is mentioned at the level of the logical analysis. So that, we can ask whether our reduction of beliefs to facts or other propositions is possible?

¹ -Ibid., p 216.

² -Ibid., P 225.

³ - Ibid., p. 225.

Russell gives great and specific importance to the logical form of belief, which represents the logical drawing of the thing being believed by any given person. The logical form applies also to too many mental phenomenon which Russell calls the propositional attitudes, such as, desire, hope, and will. All these cases unite under one similar logical form, as Russell says: “is” what you believe and what we desire are of exactly the same nature”¹.

The propositions, which carry beliefs, may be false, yet, facts are not false. Because, they are only perceived, and perception is not subject to falsehood.² For this opinion, an exception which is the existence of things being believed and do not correspond to facts confirming their truth, for example, our belief” today is Tuesday” which is really is Wednesday. Among the difficulties of logic is that it concerns the world of abstracts, therefore, Russell sees that we should follow the field of logic with vital instinct of reality in logic. Also this vital instinct of reality has to be well developed. And we see that it is not a demonstration, and it may express a modern trend indispensable as it is a direct knowledge or acquaintance, but Russell refuses intuition completely.

3- Belief and logical principles

A-Belief and contradiction

Russell doubts the opinion of Meinong, who believes in the instinct of reality, because he accepts the existence of the object “the circular square is fiction,” which is a negative belief. Russell tries analyzing it from the side of the predicate and the subject, which leads to doubts that not only concern the refutation of this proposition as being false, but it extends to refusing it as being considered false, and true beliefs should be substituted for it.

Defining the square as a shape with four equal sides contradicts saying the circle is an enclosed curved line. Hence saying, “the circular square is a fiction” drops us in contradiction, which prevents logical analysis.”³ This means that Russell distinguishes between false propositions and nonsense sentences. The first belongs to logic, but the second is beyond its scope, because it’s not possible to resolve it or to propose it. Russell’s definition of the square as being a mathematical shape with four equal sides contradicts the definition “the circle is an enclosed curved line” which does not exclude dissimilar shape, because it includes oval and doesn’t exclude it.

B-Belief and false proposition

At the beginning of the analysis Russell considers the proposition as a logical part of belief. And he carried out his analysis until he arrived at a level where he could distinguish between belief and proposition, by mentioning the characteristics of belief, which do not exist in the proposition he believes in. But the false propositions couldn’t be mentioned in the case of describing the world, because there are no existing facts corresponding to them in reality, even though they are logically accepted. If there is an implicit position in what he says, Russell indicates that logic is wider than the world, because logic includes true propositions and, in addition to that, contains false beliefs.⁴

¹ -Ibid., p 218.

² -Ibid., p 223.

³ -Ibid., p 223.

⁴ -Ibid., p 224.

In brief, the criterion of true judgments is based on the avoidance of contradiction, and it appears a simple criterion but following it is very difficult, because the natural language carries contradictions. To say: "I believe x" is not true, and the appearance of belief as a relation between two terms, proposition, and me is also not true. Analysis shows the logical form of the true proposition is the same as in the case of the false proposition.

There is a clear opposition to considering belief as a relation between two terms. It is the subject, and the relation of belief expressed by the verb believes. And it is the proposition x. The self I believe in the subject. The proposition appears as a constituent of a belief.

Belief= [(I=term) + (relation of belief= act of belief) +(x, which is a second term)]

Russell rejects this view because of its difficulty and ambiguity. It is a view that considers belief is one as part of a whole, so it would be an obstacle for its analysis. Even if it is not possible to logically accept this proposition, it is possible from the linguistic point of view. It becomes clear to Russell that considering the proposition as one of the constituents of belief is false. Therefore he needs to provide an alternative theory in which belief includes the constituents of this proposition.¹

Accepting sentences at the linguistic level however is unacceptable. Natural language allows the formation of its utterances that are meaningless, without violating both the syntactic and logical rules. And this language itself is used in logical descriptions of beliefs. Thus, we ask the following question: how can we describe the logical form? Describing the logical form of belief is related to the manner in which this notion is constructed, and when we take into consideration this means or technique, it appears to us difficult how to theorize a form for belief. It is possible in the case of atomic proposition, but it is not possible in the case of belief, and this is due to a simple reason. The spatial relations are always atomic relations or constructions of atomic relations, and this is related to fact, where there are two verbs in judgment and in fact.²

Russell wants to delineate the grammatical construction of the proposition being believed, in which the grammatical construction corresponds to the fact that moves towards it in the case of truth, and grammatical construction of the proposition doesn't correspond to the fact that doesn't move towards it in case of falsehood.

C-Falsehood and contradiction

Is the contradiction the same as falsehood?

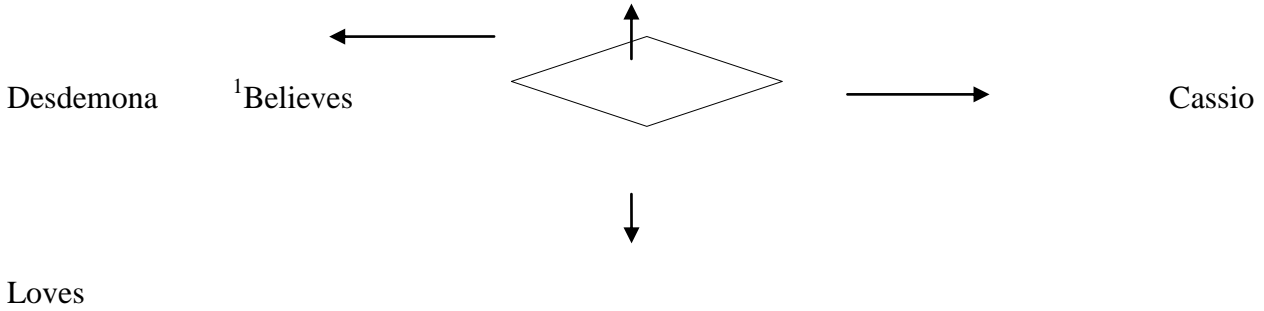
Russell argues that when we say: "Desdemona loves Cassio" it appears to us that we have love that doesn't exist between "Desdemona and Cassio" as we are in the presence of a contradiction similar to saying "all Cretans are liars". And it's the case, because it implies the existence of what doesn't exist, so it is opposed to the fundamental principle of mind and logic, which is the principle of non-contradiction.

Russell claims that is possible to treat the theory of judgment in another way, by proposing the following diagram:

¹ -Ibid., p 224.

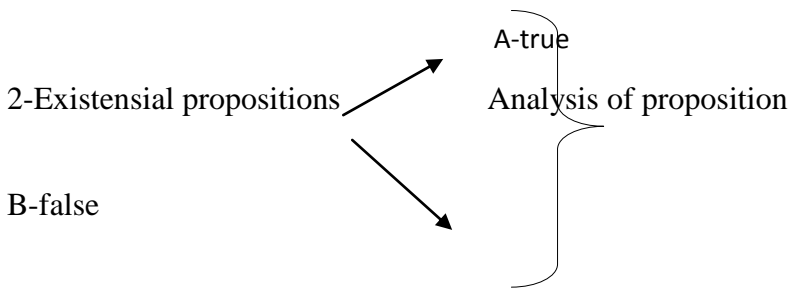
² -Ibid., pp. 224-225.

Othello



The objective of this diagram is to illustrate the logical form of belief, which emerges through the important relation between existence and beliefs –true and false beliefs- Russell proposes two complete types to categorize all useful propositions.

1-Absolute propositions



Logic, according to Russell, is a useful means for dealing with judgments and avoiding mistakes made by language and experience. It is evident that this analysis adopted by Russell has importance. It doesn't make the distance between syntax and logic closer, but he only tries to make syntactic rules correspond to the facts that they describe. There are some difficulties that make some ambiguities appear with respect to belief in the definition of its nature. These difficulties are related to the speech in its syntactical aspects. These binary classifications of Russell are aimed to group notions and principles or rules in order to be able to construct a scientific edifice with consistent bases and foundations.²

4- Substitution bases and its relation to formalization

A-Substitution

What follows from Russell's expression "the same logical form" is that the form may be obtained from the other, substituting its constituents by new symbols. In the example, Desdemona loves Cassio *.we put the symbol A instead of Desdemona and we substitute the verb "loves" with the symbol "on the right of." We substitute Cassio with the symbol B we acquire the same logical form" A on the right of B", and this, according to us is unacceptable if terms are interrelated or overlapped whether on the abstract level or on the practical level.

¹- Ibid., p 225.

²-Ibid., pp. 225-7.

The difficulty that faces the logical form of real phenomena lies on the big difference that exists between the forms of the propositions being believed. It seems that belief cannot -from the logical point of view appear in the same rigor in different cases, it differs according to the nature of proposition that we believe.¹

If we have “ I believe k” and “ believe x”, considering what can be given as meaning to the logical form, it doesn't stop only at substituting one term by the other, but it acquires a new position based on the principles of derivative propositions. Then we get “A believes x” by substituting k by x. Therefore, this consideration leads to the belief that the logical form is not similar in value from the realistside. Thus, different logical forms should be formed according to the nature of what is being believed in, and this leads I assert the impossibility of dealingwith belief as a single term.

In fact, when I explained in the previous paragraphs Russell's notion of the logical form of belief, which is directed towards formalization, we were explaining some views which had been seen by Russell as being able to represent the empirical beliefs, and we saw that Russell ended in asserting that is impossible to substitute the terms in propositions, except if they are emptied from their content and this the easiest way to avoid the difficulties that the matter of overlapping between terms in beliefs makes the process of substitution related to the principle of identity.² Russell refuses the notion of identity, which has existed within the contemplative philosophies, and he wanted to present a new notion derived from mathematics, which means the equality $(A \supset B)$. $(B \supset A)$. Moreover he uses derivation instead of using terms. Russell had to realize the significance of terms, propositions and connections, but when he transferred these notions into philosophy, he found that there is a big difference between mathematics and philosophy at the abstract level. This is reflected on belief as one of the fundamental notions in theory of knowledge, which is considered as one of the important philosophical field of studies.

We return to what Russell had presented in the logical analysis of belief, which leads to two issues: “The first issue: the impossibility of dealing with a proposition being believed as an independent unity in the occurrence of belief”³ whilst” The second issue: asserts that is impossible to put the subordinate verb at the same level with its terms solely, by treating it as an object term in belief”⁴.

To have an idea about what Russell meant through this notion, we need to expose it, to be able, to understand the objective of making it. And in order to be able to investigate its validity, I will expose the most important forms Russell presents to the logical form of belief.

1-The first form: what he calls the atomic proposition, however, he sees that it is useless stopping at this point, that is “I believe x” is not true according to him.

2-The second form: the proposition of belief seems complex depending on the constituents that it contained, especially after the addition of the word “believe” as we are saying something about the proposition. In other words it has the property of truth, and if we add- as far as Russell's view is concerned- the verb “assert” to every complete belief it takes a more complicated or a complex

¹ -Ibid., p 226.

² -Ibid., p 226.

³ -Ibid., 226.

⁴ -Ibid., p 226.

form,¹ as if Russell wants to enter what we say about proposition “A believes that B loves C” in the case of meta- language.

He introduces English grammar in the logical analysis of belief, what he calls the sentences with more than two verbs* in order to add to the components of a sentence the verb “believes.” Belief does not even appear, as an entire unity, which may make the process of analysis difficult. Nevertheless, his adducing the verb “believe” raises difficulty and an obstacle concerning what he calls vital sense of reality, because we cannot ask what we believe when we believe. Yet, what he calls propositional verbs such as, wants, desires, hopes...etc. can be substituted for beliefs, so that it can be said, that they true or false provided that they can be verifiable. This idea can be found in the work of the linguist Austin. *

In a previous time Russell confesses that he was looking at the subordinate verb believes as a term that is put at the same level with other terms. And even though it is a term it expresses a relation of belief, and because this explanation lead to the emergence of some difficulties, Russell rejected it and presented to us the theory of proposition with at least two verbs².

The process of substituting symbols in the system where one symbol doesn't refer or denote only one thing, we observe here that by the word “thing” Russell doesn't mean necessarily one specific object, and this analogy corresponds to the interpretation process in which interpretation (A believes that B loves C) a model of it.³ Hence, the process of interpretation is based on the selection of the model, so it is found in the field where he can interpret symbols into that model in a way that makes us move to the original natural language, or rather to a natural tongue. “Othello believes that Desdemona loves Cassio,”⁴ and this features multi- meaning as we previously mentioned. The statement given “Othello believes that Desdemona loves Cassio” can also be interpreted from one language into another and if we want to envisage accuracy, we have to use specific formulas of formalization⁵ in which the form in logic is being a means and an objective at the same time. Formalization logic is a means of clarification and also an objective. But in classical logic it is merely a means and also there is a grade in between called semi-natural Tongue.

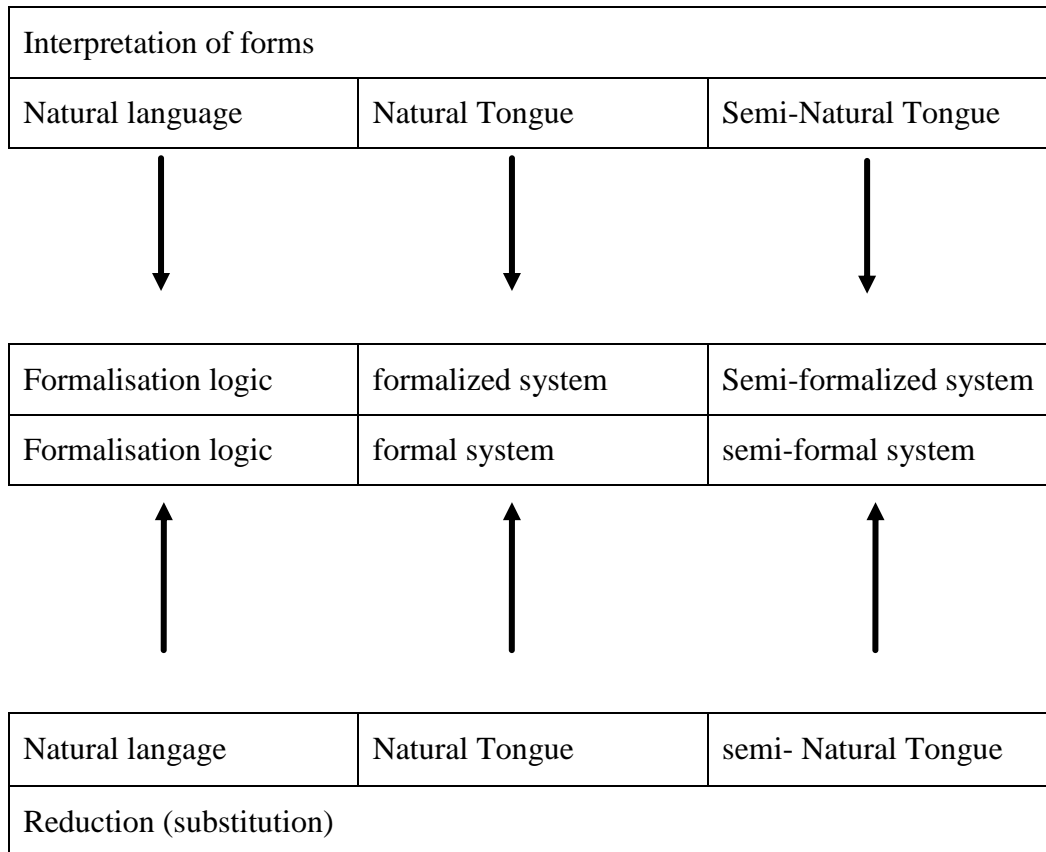
¹ -Ibid., pp. 216-217.

² -Ibid., pp. 216,226.

³ -Bertrand Russell, Introduction a la philosophie Mathématique, trad. Moreau (Paris : Payot, 1922), p239.

⁴ -Russell, the Philosophy of Logical Atomism, in Logic and Knowledge, p 226.

⁵ -Russell, Introduction a la Philosophie Mathématique, p 237-241.



* John, Austin (1911-1960) is a British philosopher worked at Oxford University he was among the leaders of philosophy of language. After the Second World War he founded a theory called “theory of speech act.”

We can conclude from the above that symbolic logic, -which is considered by Russell as the basis of all sciences even mathematics- is a mere technique and not a science by any means. Its relation to the theory of beliefs is a relation of means and not an aim, so the formalization he uses to build a formalization theory of language expresses the theoretical foundation of the theory of belief, which is based on the non-contradiction principle.

The theoretical foundation divorced from its empirical meaning is not important to the degree Russell gives to it. Whatever the case, the thing that should not be done by the researcher- according to Russell- is seeking the final answer, because he may not be given crucial results. Also he speaks about a semi problem, and to avoid this confusion is to go through logical analysis which makes its words clear to get rid of the ambiguity swirling around it.

4-The relation of logical form to the prototype of belief

Russell states as an example the word “black” whose meaning can take many forms (images) of black within one person. But in the abstract, however, in the absence of such a belief –which when it exists, is usually a somewhat vague feeling in this case - it is possible that the prototype exists but not the external reference. And, pure notion can have a prototype but it is not the

external reference of an idea or of the belief through the explanation and clarification by words. Nevertheless despite the possibility of the existence or presence of the prototype, it is not possible that it exists with objective reference.

Yet in the case of memory belief, the external reference is included in the experience of the person remembering in the psychological process.¹ And among the characteristics of belief are:

1)-External reference: Can be viewed in its simplest case, which can be observed behavioristically. If is present in a conditional reflex, when the presence of A causes the behavior appropriate to B". This covers the important case of acting on the information received. Here, the phrase heard is A, and what it signifies is B" look out, there's a car coming" you act as you would if you saw the car. In this case you believe what is signified by the phrase "the car is coming."²

2)-Russell, in his definition of belief, blends the psychological side with the physiological side, as he sees the pure physical condition can be a belief. He talks about the body that believes, "A belief, as I understand the term, is a certain kind of state of body or mind or both."³

3)-Believing is the collection of organic states linked to each other through external reference.

4)-Believing in a young child and in an animal is demonstrated by an action or series of actions.

5)-Believing in man is of linguistic character, and the suspended reactions (Russell may intend the pragmatic meaning) often becomes more or less, static condition"⁴.

6)-The question: what is that is believed when an organism is in a state of believing? Is usually somewhat vague.

7)-The problem of defining belief involves a certain degree of vagueness –and to avoid that Russell should give another form to philosophical objects.

8)-Using words to generate beliefs, such as those acquired by schoolboys in old fashion educational systems; the schoolboys develop different attitudes and behavior towards the same belief.⁵

1)-In historical fact: William the Conqueror

2)-In future fact: "next Wednesday will be a holiday". In the former case the schoolboy has the right form of words, and cares not at all for their meaning. In the latter case, he acquires a belief about next Wednesday, and cares not at all what words are used to generate his belief. So the former belief, but not the latter, is "purely verbal."⁶ This analysis reminds us of Chomsky's theory about the generation of sentences, and Russell generates beliefs from words.

¹ - Russell, Human knowledge, p 126.

²-Ibid., 161.

³ - Ibid., p 161.

⁴-Ibid., pp. 162-163.

⁵-Ibid., pp. 162-163.

⁶-Ibid., p. 163.

Russell carried on his analysis of the same example. If the schoolboy believes that the sentence “William the conqueror (1066)” is true. His definition of “truth” is purely pragmatic; a sentence is true “if the consequences of uttering it in the presence of a schoolmaster are pleasant; if they are unpleasant they are “false”¹.

Regardless of the schoolboy belief, and resuming the perspective of a philosopher, what do we mean when we say that a certain sentence is true “? Russell defines true sentence by saying: it must depend upon the significance of the sentence”. And this vague definition raises philosophical difficulty. So, complete precision is impossible both in science and philosophy. Belief is expressed in language by asking: “what is happening in me when I have the belief which I express by the sentence S”? Accordingly, there are two kinds of beliefs: First, static belief as opposed to belief shown by action: static belief consists in an idea or, image combined with a yes- feeling.² Second: Active belief is shown by action and behavior.

8)-Psychology, according to Russell, treats belief only from the historical side. Logic studies the conditions that assume true beliefs, yet psychology studies motives and reasons.

In conclusion, then, as I suggested earlier, Russell founds belief on logic. He reduces its internal relations to logical entities and makes its propositions formal and meaningless. The concepts of formalization and symbolization are introduced; therefore, beliefs become a collection of formats empty of material linguistic content.

An inclusion relation, first, controls belief’s relation to fact. Belief is included in a proposition, at least, with two terms. Second, an implication relation governs it, since belief implies a fact, which corresponds to it. Correspondence between the fact and its mental presence is therefore, only approximate, and is not exact. Belief’s relation exists at different levels. It is a pure logical relation on a higher level of abstraction, and a linguistic relation on a lower level.

Russell reduces the foundations of beliefs to a logical nature. They are reduced to five postulates, out of logic, which validate the scientific method. Scientific beliefs, therefore, are based on a metaphysical principle, which considers things of experience as logical constructions, which contain primary entities. He founded a new field of logic called meta- logic based on the

¹ -Ibid., p 163.

² -Ibid., p 164.



following statement: what do we believe when we believe? But Russell, I argue, constructed a new field, that I might call Meta-belief.

After his application of logical and mathematical analysis, he found that many false beliefs exist in ordinary language. This shows us Russell's objective to construct a unified and artificial language for expressing scientific beliefs, even though this is difficult to reach because most grammatical structures of languages do not correspond to logical ones.

References:

- ¹ - Bertrand Russell, Basic Writings, Ed by Robert E.Egner and Lester Denonn (London: Routledge, 1992).
- ² - Bertrand Russell, Introduction to Mathematical Philosophy, (London & New York: Routledge, 1993).
- ³ - Bertrand Russell, The Problems of Philosophy, (New York: oxford university press, 1997).
- ⁴ - Bertrand Russel, Analyse de l'esprit, (Paris: Payot, 1926).
- ⁵ - Bertrand Russell, Selected Papers, (New York: The modern Library, 1955).
- ⁶ - Bertrand Russell, "the philosophy of logical atomism", in Logic and Knowledge, ed. Robert Charles March (New York: Capricorn books G.P. Putnam's sons, 1971).
- ⁷ - Bertrand Russell, Introduction a la philosophie Mathématique, trad. Moreau (Paris : Payot, 1922).

L'efficacité du traitement familial dans le redressement des relations et son impact sur le comportement agité chez l'enfant handicapé

Houti Souaad

Touhami Soufyane

Doctorante à l'université de Tlemcen

Maitre assistant A l'université de Saida

Résumé:

Le choix de ce sujet a été basé sur des observations d'une pratique clinique, parmi ces observations la difficulté de l'enfant handicapé à s'adapter avec sa famille et son environnement. Ce qui était remarquable c'est la volatilité de la famille et en particulier la maman à aider son enfant handicapé qui se comporte d'une façon normale. Durant notre travail avec ce type de famille nous avons remarqué qu'un problème relationnel peut avoir un impact sur le psychisme de l'enfant handicapé et pour cette raison la sensibilisation de la famille est très importante.

Les mots clés:

L'enfant handicapé-la psychothérapie familiale systémique -le retard mental.

Introduction:

Pour réaliser cette étude qui se base sur l'application de la psychothérapie systémique et familiale nous posons la suivante problématique :

A quel point la psychothérapie systémique -familiale peut servir à améliorer la relation entre l'enfant handicapé et sa famille ?

Et pour étudier cette problématique, nous avons appliqué un programme thérapeutique sur un enfant atteint d'une déficience mentale légère. Mais avant de présenter l'étude de cas, nous chercherons à clarifier les concepts et les variables qui sont basés dans notre étude, à savoir: la déficience mentale et le handicap, la famille de l'enfant souffrant d'un handicap mental, l'efficacité de la thérapie familiale.

1- l'enfant et L'handicap :

L'enfant handicapé s'est celui qui commence sa vie avec un déficit ou acquies un retard durant sa croissance, on compare avec d'autres enfants qui ont le même âge. Selon l'OMS il comprend 3 dimensions qui révèlent autant de composantes du handicap. Ces concepts sont les suivants :

déficience, incapacité et désavantage

- Déficience : " Dans le domaine de la santé, la déficience correspond à toute perte de substance ou altération d'une fonction ou d'une structure psychologique, physiologique ou anatomique. "

- Incapacité : " Dans le domaine de la santé, une incapacité correspond à toute réduction (résultant d'une déficience) partielle ou totale de la capacité d'accomplir une activité d'une façon normale ou dans les limites considérées comme normales, pour un être humain. "

- Désavantage : " Dans le domaine de la santé, le désavantage social d'un individu est le préjudice qui résulte de sa déficience ou de son incapacité et qui limite ou interdit

l'accomplissement d'un rôle considéré comme normal, compte tenu de l'âge, du sexe et des facteurs socioculturels ¹.

2-le retard mental chez l'enfant :

Les termes utilisés pour définir les personnes présentant un retard mental ont beaucoup évolué au cours du temps. Au XIX^e siècle, les personnes ayant un retard moyen ou grave étaient qualifiées d'idiots ou débiles, alors que celles qui présentaient un retard léger étaient appelées imbéciles ou débiles légers. Le terme mongolien, en lien avec les caractéristiques physiques associées à la trisomie 21, a également été utilisé jusqu'à une période récente ; il est tout à fait familier et dépréciatif. Le terme oligophrénie s'utilisait pour un retard mental grave. Il n'y a toujours pas de consensus clair sur le (ou les) terme(s) à utiliser, à ceux de « retard mental » et de « handicap mental » s'ajoutent par exemple les termes d'« arriération mentale » ou de « déficience intellectuelle », ce dernier étant notamment répandue au Québec Collectif, « Lignes directrices pour l'évaluation du retard mental »².

L'Organisation mondiale de la santé (OMS), dans sa Classification internationale des maladies (CIM-10), définit le retard mental ou (mental retardation) comme un « arrêt du développement mental ou un développement mental incomplet, caractérisé par une insuffisance des facultés et du niveau global d'intelligence, notamment au niveau des fonctions cognitives, du langage, de la motricité et des performances sociales »¹.

Le retard mental peut être divisé en trois types, le premier est le retard mental profond avec un QI entre 0-20 degrés, qui a un taux d'environ 5% du total des retardés, et un niveau mental ne dépasse pas les 03 ans et sont caractérisés par l'absence de la langue et l'incapacité à faire de base de leurs besoins, de lui créer subordination complète à la mère.

Le second est le retard mental moyen représente environ 20% du total des retardés le QI entre 25-45 / 70 degrés et l'âge mental entre 07 et 08 ans, ils peuvent apprendre la langue et de pratiquer des comportements simple ils n'ont pas la compatibilité sociale.

Le troisième type est un retard mental léger, qui a un taux de 75%, et un QI entre 50-70 / 75 degrés, âge mental entre 08 et 10 ans, la caractéristique la plus importante dans ce type est la capacité à lire et à écrire et d'étudier et de suivi leur arrivée jusqu'à la fin de l'école primaire, mais sous une éducation spécialisée selon leurs capacités mentales².

Malgré les multiples et différentes types de retard mental, mais les caractéristiques des enfants handicapés restent fréquentes, indépendamment de QI, et puisque notre étude a porté sur l'efficacité du traitement systémique à améliorer la communication au sein de la famille de l'enfant qui a un handicap mental, nous avons remarqué grâce à notre engagement avec cette proportion sur le niveau psychologique et social, que les enfants souffrant de :

*changement de l'humeur et l'incompatibilité émotionnelle.

* Incapacité à contrôler les émotions, ce qui peut parfois les amener à l'irritabilité et agressivité.

* difficulté dans la compatibilité et l'interaction sociale avec un désordre du concept de soi.

¹ -GUIDETTI .M et TOURETTE.C, Handicaps et développement psychologique de l'enfant, Edition Armand colin, Paris, p 58, 1999.

² -Ordre des psychologues du Québec, Octobre, p6, 2007.

¹ -la Classification Internationale des maladies sur le site de l'Université Rennes 1).

² - MIMOUNI.B.M, Les troubles mentaux de l'enfant et l'adolescent, 2ème Edition, Ed OPU, p197, Algérie, 2005.

3- l'impact de l'handicap mental chez l'enfant sur la famille :

La famille vit dans une structure interne qui se compose d'un ensemble de relations et des liens qui se partagent parmi ses membres, mais ce système comme les autres systèmes peuvent être exposés à un trouble qui pourrait conduire à une mauvaise communication entre les membres. Un exemple d'un trouble qui imprègne la famille, la présence d'un enfant handicapé à l'intérieur de la famille est l'un des obstacles qui abordent le processus de la famille car elle nécessite l'adaptation, cet ajustement est un processus interactif qui change le système de la famille¹.

Le fait d'avoir un bébé normal augmente l'estime de soi des parents, en revanche l'enfant handicapé peut causer une blessure narcissique, cela a été confirmé par Mannoni².

Scelles confirme que la naissance d'un enfant avec un handicap mental est toujours une blessure narcissique pour les parents et quelle que soit le degré de l'handicap, Les parents se sentent coupables, Soit de leurs incapacité à avoir un enfant normal ou envers l'incapacité à le protéger³.

Le vécu psychique de l'enfant handicapé est une chose étrange pour les parents ordinaires, ils sont incapables d'imaginer ce que ressentie l'enfant, donc il ne peut pas l'aider dans ce qu'il ressent et de l'exprimer. Les besoins de l'enfant, provoquant la frustration pour les parents d'une part en raison de leur incapacité à lui plaire, et pour l'enfant puisque il sent l'incompréhension de l'autre¹.

L'handicap affecte même les frères où il provoque un manque de compréhension de la situation envers l'enfant, et les interventions multiples des parents pour protéger l'enfant peuvent empêcher toute les relations entre les frères².

C'est pour cette raison qu'on peut dire que l'enfant qui a un retard mental est besoin toujours à l'autre surtout si l'indépendance était inexistante. Donc la présence permanente d'un membre de la famille à côté de l'enfant est nécessaire, ce qui provoque une négligence surtout chez la mère envers d'autres occupations.

L'accompagnement de l'enfant handicapé nécessite une concentration des autres sur lui, car l'handicap de l'enfant limite les relations avec le monde extérieur, soit par honte ou par la protection de l'enfant des différents frustrations. Certaines familles préfèrent l'isolement pour éviter toute personne étranger.

4- l'efficacité de la psychothérapie familiale systémique :

Les psychothérapies familiales systémiques sont considérées comme le résultat d'une série de mouvements qui ont émergé dans le domaine de la psychologie clinique et la psychopathologie d'un côté et en conséquence des pratiques traditionnelles sur la famille (médicale et comportementale) d'un autre côté. Tout cela est pour le traitement de la maladie mentale ,et surtout le travail qui a été élaboré par Bateson et l'équipe de Palo Alto sur la communication (surtout chez les schizophrènes) ,étant donné que certains membres de ce groupe s'est concentré sur le contact des patients atteints d'une schizophrénie et la contradiction des liens (doubles contraintes) qui existent entre les patients et leurs mères (1950) et par des observations de divers

¹ - AIMARD .P et MORGAN.A.(1985),L'enfant sourd, Ed PUF,p70,Paris.

² - MANNONI.M,L'enfant arriéré et sa mère, Edition Seuil.p26, Paris. 1964.

³ - SATIR.V.(1982),Thérapie du couple et de la famille ,Edition EPI,p62,1982.

¹ - SCHELLES.R,fratrie et handicap Edition L'harmattan, p29,Paris, 1997.

²-Scelles. R, opcit,p109.

aspects de la communication au sein de la famille, ils ont été convaincu que le patient fait partie d'un système et les symptômes sont des manifestations fonctionnels au sein de la famille¹.

Ce type de psychothérapie est basé sur des tentatives pour modifier et organisé les interactions entre les membres de la famille et les mettre comme une structure qui respecte la fonction de chaque individu

La thérapie familiale systémique repose sur l'idée qu'il y a des événements spécifiques dans la famille à travers les générations peut affecter la vie des individus, Afin d'explorer ce processus dynamique on devrait fonctionner sur l'application des stratégies de traitement familiale systémique et ses techniques. Et tout ca pour réalisé les buts suivantes :

* Parvenir à une meilleure compréhension de chaque membre de la famille et pour le reste de membres de la famille

*Résoudre des problèmes communs entre eux.

*Ignorer le stress émotionnel dans la famille

*Résoudre les conflits et l'anxiété qui existe entre les membres de la famille.

*La Protection de la famille contre la probabilité de troubles psychologiques.

*La réalisation de la santé mentale dans la famille en tant que groupe et en tant qu'individus.

*Réduire la différence et assurer la compatibilité entre les sexes entre les différentes générations (parents et enfants) dans la famille.

Et pour atteindre les objectifs de la psychothérapie familiale et garantir l'efficacité de ce traitement, le psychothérapeute doit construire une alliance thérapeutique avec la famille de l'enfant handicapé. Et pendant les premiers entretiens, le psychothérapeute essaie d'atteindre avec la famille à un consensus clair sur les objectifs les plus importantes et les principes centraux sur toute action commune.¹

A cet égard, Robert Jay Green propose le terme de compatibilité ce qui signifie: "la négociation d'un accord clair ou implicite sur le sujet du problème et les objectifs. Tout cela se fait au cours des séances et le considère comme approprié au cours de la thérapie". En plus, il faut traiter le problème d'une façon indirect pour faciliter la tâche a l'équipe thérapeutique pour affronté la résistance de la famille. Car toute tentative de forcer la famille produit un dysfonctionnement dans le système et réduire la possibilité pour le changement.

Le psychothérapeute est le principal vecteur pour les individus à changer, pour cette raison, il est nécessaire d'envisager dès le départ dans la base de la relation thérapeutique et le partage des thérapeutes¹.

La Théorie systémique attache une grande importance au psychothérapeute et affirme que l'efficacité de la thérapie familiale apparait que par la capacité du psychothérapeute pour contrôler la relation thérapeutique.

Parmi les chercheurs qui se sont intéressés au rôle de thérapeute, Balint et Scheinder , ils ont étudié la relation entre le patient –médecin, Murray Bowen a également utilisé le terme «coach»

¹ - SILKE,S, L'étude de cas en psychologie clinique, 4approches théoriques , Edition Dunod,p14, Paris ,2012

¹ - TAN NGUYENPourquoi La psychothérapie ? fondements , méthodes , applications ,Paris, Edition Dunod,p122, 2005.

¹ - GERARD SALEM, L'approche thérapeutique de la famille, 5ème édition, Ed Masson, p150, Paris, 2000.

plutôt que thérapeute, selon lui on peut assimiler la relation thérapeutique à un coaching ; c'est comme un entraîneur dont le rôle est d'améliorer la performance des athlètes à la limite et pour les aider à découvrir le vrai chemin.

5-étude de cas :

*présentation de l'enfant :

-âge : 7ans

-sexe : masculin

-position de l'enfant : 2eme

-motif de consultation : mauvaise résultats a l'école.

*présentation de la mère :

-âge : 39 ans

-profession : femme au foyer

-niveau scolaire : secondaire

-fratrie : 3, 2garçons et 1 fille

-grossesse : normal

-accouchement : difficile

-relation avec l'enfant handicapé : mère protectrice

*entretiens :

La mère est venue pour une consultation psychologique avec son enfant qui a présenté de mauvais résultats à l'école, ainsi que des comportements bizarres.

La mère a été coopérative au cours des entretiens avec, nous avons demandé un examen médical approfondi sur l'état du Fils, et nous avons essayé de contacter le professeur à l'école pour la rédaction d'un rapport sur la situation afin d'identifier l'état psychologique et mentale pour de l'enfant.

Le psychologue a appliqué le test de Wechsler afin de déterminer la proportion d'intelligence qui était à 60 degrés, et après avoir une lecture sur le dossier nous avons posé un diagnostic d'un retard mental de type léger.

Au début la mère n'a pas accepté l'état de son fils, c'est pour ça qu'elle a demandé un autre examen ce qui nous a poussé à convaincre d'abord la maman. L'absence du père a également été l'un des motifs d'insatisfaction de la mère en raison de ses conditions de travail il est souvent absent de la maison dont la mère porte une grande responsabilité et que l'état de l'enfant handicapé exige une protection particulière.

Il a également remarqué après l'information des parents sur l'état de leur fils que la relation avec son mari a été troublée, surtout que la situation a besoin de soutien et d'assistance entre le couple, ce qui nous a fait suggérer un programme thérapeutique de la famille, en essayant à travers lequel d'améliorer la communication au sein de la famille, surtout que cette atmosphère perturbée a un impact sur les enfants et surtout l'enfant handicapé.

La psychothérapie :

Nous avons adopté dans le processus thérapeutique le programme structurel de **Minuchin**, qui est basée sur le concept de la structure familiale, il considère que la base du traitement systémique dans la famille est la communication circulaire avec des feed back et des réactions doublée.

On peut dire que les inputs qui se produisent dans le réseau de communication produisent parfois un effet cumulatif et parfois un effet distinctif et ceci selon la structure du réseau. En outre, les communications contradictoires génèrent une situation critique dans la famille qui apparaît à travers l'offre, qui est une solution au problème de la relation.

Nous avons également mis un contrat thérapeutique avec les membres de la famille à une alliance thérapeutique, ce contrat contient:

* Déterminer la direction de la famille pour le thérapeute (individu / famille).

*accepté les points de confidentialité.

* Établir des objectifs et des processus concrets en peu de temps et qui comprennent l'amélioration de la communication au sein de la famille et de leur faire prendre conscience du problème de leur enfant handicapé et de les aider à accepter le handicap avec la façon pour une bonne prise en charge aux enfants handicapés.

* Définir le cadre des rencontres.

Sans oublier le rôle actif du thérapeute qui a appliqué le traitement famille structurale pour travaillait principalement sur la construction de la frontière existante entre les membres de la disposition générale, et de clarifier la frontière flou, et d'ouvrir la frontière rigide, afin de développer le système et arrivé avec la famille à un niveau d'équilibre, le changement se produit à travers le degré d'appartenance du thérapeute à la famille avec un schéma thérapeutique, il essaye de modifier la structure de la famille pour les modèles interactifs où il ya un dysfonctionnement, et tout cela par rapport au type du thérapeute et le système de la famille.

Au cours de l'application du programme thérapeutique on a passe par trois phases essentielles :

La première phase : on a essaye de présenter le programme thérapeutique, les objectifs, et cela était dans la première et la deuxième séance.

Deuxième phase : comporte les étapes d'application et les techniques du programme thérapeutique structurel avec les membres de la famille, et cela est au cours de plusieurs séances.

La troisième phase: est la dernière étape, son but est de résumer les objectifs thérapeutiques et préparer la famille pour terminer le traitement avec une révision de toutes les étapes du traitement.

Résultats du programme thérapeutique :

Après notre étude de la qualité et le niveau de trouble au sein de la famille, nous sommes concentrés sur la façon de les traiter et qui se représente dans une tentative pour apporter des changements dans le niveau de communication au sein de la famille et d'améliorer l'air troublé de la famille qui affecte les enfants, et particulièrement l'enfant handicapés. et pendant les entretiens avec la famille nous avons découvert la flexibilité, ce qui veut dire l'acceptation des membres de la famille le changement. Les familles se varient d'un système à un autre dans le degré de flexibilité, elle est directement liée avec la maturité affective des parents, et leur estime de soi, la confiance en soi et de l'autre joue un rôle très important dans l'ouverture et la fermeture du

système sur le monde extérieur .le travail pratique nous permet a distinguer les différents niveaux de la flexibilité :

1- Initiative: à ce niveau les individus sont caractérisé par la vigilance et la précision dans l'observation des troubles mentaux ou relationnelle, faisant ont suffisamment conscience de la nécessité du changement.

2- l'acceptation: accepter les opinions des autres, le psychothérapeute fonctionne pour attirer l'attention, à propos de la nécessité du changement.

3- l'hésitation: Il accepte l'opinion de l'autre sans l'admettre, avec Défense de l'opinion par peur de compromettre l'estime de soi et le statut de l'autre. Le psychothérapeute fonctionne dans ce cas de mettre de côté le cas de la culpabilité individuelle, avant de commencer à les convaincre de la nécessité de changer et de renforcer leur confiance pour les encourager à saisir les changements.

4- déni: est un état de la résistance au changement avec l'insistance sur les positions habituelles. Le psychothérapeute besoins avec ces cas de l'étudier plus a profondément pour gagner la confiance des individus et de les convaincre de changer, car il est parfois conseillé de l'essayer avec chaque individu séparément.

5-le rejet: un cas d'opposition de l'autre opinion et de jeter le doute sur son état de santé, à l'exclusion de la nécessité du changement et de son potentiel. Le psychothérapeute a besoin d'étudier l'histoire des deux parents et les types de l'éducation reçue par chacun d'eux, afin d'explorer des moyens efficaces de persuader le besoin de changement.

6-l'évasion: un manque de désir dans la confrontation, et d'éviter la situation thérapeutique, et ces cas Le psychothérapeute ne peuvent faire rien parce que les individus préfèrent la poursuite de la souffrance qui a convaincu un nouvel avis ou appeler au changement

Conclusion:

Les résultats de cette recherche soulignent l'importance de l'état de la famille afin d'aider les individus à atteindre la santé mentale et révèle que le champ de la thérapie familiale a encore besoin de l'investissement et des chercheurs privés dans la société algérienne Afin d'établir une culture spéciale de la famille algérienne et approprié pour le traitement de troubles et de problèmes rencontrés par des méthodes scientifiques, et cela pourrait contribuer à l'enrichissement de travail thérapeutique en général.

Références:

1-AIMARD .P et MORGAN.A.(1985),L'enfant sourd, ,Paris, Ed PUF.

2-GERARD SALEM.(2009),L'approche thérapeutique de la famille,5ème édition, Paris, Ed Masson.

3-GUIDETTI .M et TOURETTE.C.(1999),Handicaps et développement psychologique de l'enfant, Paris, Edition Armand colin.

4-La classification internationale des maladies sur le site de l'université de Rennes 01.

5-MANNONI.M.(1964),L'enfant arriéré et sa mère, Paris, Edition Seuil.

6-MIMOUNI.B.M.(2005),Les troubles mentaux de l'enfant et l'adolescent, 2ème Edition, Algérie, Ed OPU.

7-Ordre des psychologues du Québec ,Octobre,2007.



8-SATIR.V.(1982),Thérapie du couple et de la famille ,Edition EPI.

9-SHELLES.R.(1997),fratrie et handicap ,Paris, Edition L'harmattan.

10-SILKE.S.(2012),L'étude de cas en psychologie clinique, 4approches théoriques ,Paris, Edition Dunod.

11-TAN NGUYEN.(2005),Pourquoi La psychothérapie ? fondements , méthodes , applications ,Paris, Edition Dunod.

L'Afrique face à un défi climatique

Khaoui DIFFALAH, Maître de conférences «A», Université de M'sila

Résumé :

Le changement climatique en Afrique s'accompagnera d'effets sans précédent sur le milieu naturel et l'environnement humain, bien que nombre de ces effets soient difficiles à cerner en raison de l'adaptation et des facteurs non climatiques. Nous assisterons à une baisse des rendements agricole, des saisons de végétation brèves et des modifications des précipitations rendront l'accès à l'eau difficile, et plusieurs aspects de la santé, dont la mortalité, et les maladies infectieuses ou des épidémies.

Le fait de penser, d'après ces phénomènes, à notre survie et celle de nos enfants, le défi deviendra une mission difficile mais qui peut être possible. Nous penserons, d'une part à une énergie propre et durable, photovoltaïque ou éolien qui réduit ou abolie les émissions des différents gaz tels que le GES, et de l'autre part à une agriculture intelligente qui s'adapte au changement du climat.

Par ailleurs, chaque citoyen peut jouer un rôle très important en faveur de son continent, en se servant de son savoir-faire pour faire face à cette crise telle que la sobriété.

Mots clés : Afrique, enjeux, justice, changement, climat, fossile, énergie renouvelable, génération, financement, gouvernance, climate-smart, sobriété.

Introduction :

Les changements climatiques forment un problème complexe qui, tout en étant de nature environnementale, comporte des conséquences sur toutes les sphères de l'existence sur notre planète. Ces changements climatiques ont de différentes répercussions sur maintes problèmes mondiaux tels que ; la pauvreté, le développement économique, l'agriculture, la croissance démographique, le développement durable et la gestion des ressources. Quelques sont les différents impacts des changements climatiques sur la continent africain (l'humanité l'écosystème et la biosphère) ? Face aux changements climatiques, est-il juste de demander le même effort aux riches et aux pauvres ? Quels sont les enjeux de justice entre nations, et entre générations de même nation ? Qui sont les responsables des changements climatiques ? Sera-t-il possible de recourir à une agriculture intelligente qui s'adapte aux changements climatiques ? Est-il possible, en Afrique, de recourir à une énergie renouvelable, propre et non nocive et de gagner le pari du défi climatique ?

Les réponses à ces questions s'ouvrent à un grand champ de recherche, comprenant des approches éthique et politique et des enjeux de justice entre nations et entre générations de même nation. En prenant, bien sûre, le cas de l'Afrique, qui est un continent qui subit les effets du réchauffement de la planète.

Les données scientifiques :

Certes, l'augmentation en fréquence et en intensité des événements météorologiques extrêmes en Afrique (vagues de chaleur, sécheresses, inondations, cyclones et typhons). Puis, l'élévation

du niveau de la mer, son acidification, la perte de biodiversité et les changements pluviométriques, donc le bouleversement complet de ses écosystèmes, risquent d'entraîner destructions des moyens d'existence (habitats, troupeaux, champs). Ce qui contribue à une baisse des rendements agricoles, famines, maladies et manques cruels d'eau et crises économiques, donc de provoquer des centaines de milliers de morts, des migrations massives intérieures, dans le même pays et extérieures, migrations clandestines vers l'Europe, ainsi que des conflits sociaux et armés. Les changements climatiques sont parmi les plus grave menaces qui pèsent sur les sociétés africaines et humaines à moyen et à long terme, et sont uniquement synonymes de risque et menace. C'est tout simplement «une question de vie ou de mort»¹.

Série de rapport : Baissons la chaleur : élaborée pour la Banque mondiale publié à la fin de l'année 2012 sur les phénomènes climatiques extrêmes, impacts régionaux et plaidoyer en faveur de l'adaptation, sonne l'alarme en exposant des données scientifiques les plus récentes sur le climat, concluant que d'ici à la fin de ce siècle, le monde se réchaufferait de 4 degrés Celsius (4 °C ou 7,2 degrés Fahrenheit) par rapport aux niveaux préindustriels si nous n'engageons pas dès maintenant une action concertée. Ce nouveau rapport examine les impacts probables du réchauffement — actuel, à + 2 °C et à + 4 °C — sur la production agricole, les ressources en eau, les écosystèmes de l'Afrique sub-saharienne, et sur les villes côtières dans l'ensemble de l'Asie du Sud et l'Asie du Sud-Est.

Les impacts de changements climatiques en Afrique

Impacts sur les ressources en eau :

L'eau parmi les phénomènes naturels touchés par le changement climatique. Sur les régimes météorologiques : nous trouvons, d'une part, les inondations, qui sont des catastrophes très courantes en Afrique du nord, exemple l'Algérie en 2001, l'inondation a fait 800 morts et une perte économique d'environ 400 millions de dollars, de l'autre part la sécheresse, exemple l'Afrique de l'Est en 2011 et 2012 a été touché par la pire sécheresse depuis 60 ans. Donc, les eaux nécessaires à l'agriculture, deviendront dans les années prochaines de plus en plus rares. Cette rareté d'eau, pose un grand problème, lorsque nous saurons, d'après le PNUE « Programme des Nations Unies pour l'Environnement » que l'état de l'atmosphère, de la terre, de l'eau et de la biodiversité, décrit les changements intervenus depuis 1987.

Les experts du GIEC estiment, en général, que le nombre d'êtres humains notamment les plus pauvres, souffrant d'un manque d'eau pourrait tripler au cours de ce siècle, si les températures devaient augmenter de plus de 4°C. Les trois phénomènes affectant les réserves d'eau douce disponibles pour la consommation humaine sont la baisse des précipitations dans certaines régions, la montée du niveau des mers, et la fonte des glaciers².

a- Impacts sur l'agriculture et l'alimentation :

Le changement climatique s'accompagnera d'effets sur l'agriculture, sans précédent. On assistera par exemple à une baisse des rendements agricoles, des saisons de végétation brèves et les modifications du régime des précipitations rendront l'accès à l'eau difficile. La population en Afrique devrait atteindre deux milliards dans moins de 37 ans et, dans 86 ans, trois naissances sur quatre se produiront sur le continent.

¹IPCC, Climate Change 2013: The Physical Science Basis. Contribution of Working Group I to the Fifth Assessment Report of the Intergovernmental Panel on Climate Change, Cambridge (UK) and New York (USA), Cambridge University Press, 2013.

²Source, Rapport technique du GIEC/IPCC sur le changement climatique et l'eau. <http://www.ipcc.ch/ipccreports/tp-c...>

Les rendements agricoles en baisse et l'accroissement démographique galopant, exerceront une pression supplémentaire sur un système de production alimentaire très fragile. Les experts signalent que, si la situation actuelle perdure, l'Afrique ne pourra subvenir qu'à 13% de ses besoins alimentaires d'ici à 2050. Cela fera également peser une nouvelle menace sur les quelque 65% des africains dont la subsistance dépend de l'agriculture, y compris sur les enfants et les personnes âgées – premières victimes de l'insécurité alimentaire. Par ailleurs, cette dernière pourrait être source d'instabilité sociale aggravée par des conflits violents comme ce qui s'est passé entre 2007 et 2008 au Niger entre l'autorité et les rebelles de touaregs dirigés par le Mouvement du Niger pour la Justice (MNJ)¹.

Cette transformation quotidienne du paysage sur tout le continent tels que, les sécheresses, les vagues de chaleur et les inondations ont réduit les rendements des cultures et la productivité du bétail. L'Afrique de l'Est fait face à la pire crise alimentaire du XXI^{ème} siècle. D'après Oxfam, 12 millions de personnes ont cruellement besoin de nourriture en Éthiopie, au Kenya et en Somalie. L'année 2010/2011 étant la plus sèche depuis 1950/1951. Cela pose un sérieux problème pour un continent dont l'agriculture dépend de la pluie.

Principe de responsabilité :

Les changements climatiques ne connaissent pas de frontières, tout le monde est concerné. La création du Groupe International sur l'Evolution du Climat « GIEC » a pour mission de publier les informations fiables au plan mondial sur le climat. Cette instance internationale scientifique a démontré qu'il y a une impérieuse nécessité de comprendre et d'agir à l'échelle régionale voire sous régionale comme l'Afrique subsaharienne ou le sahel, jugé par ailleurs comme la région la plus vulnérable aux manifestations des changements climatiques. Ces informations forment des repères importants sur le niveau de contributions de chaque pays à la pollution et à l'émission des gaz à effet de serre « GES ». D'où, ces pays s'engagent ces à mener des actions concrètes de lutte contre les effets adverses des changements climatiques par des mécanismes de financement prévus à cette effet, c'est à dire un travail collectif à mener pour en sortir.

Le souci international :

En raison de la gravité de la situation, de différentes institutions ont été créées au niveau international afin de traiter les aspects scientifiques, juridiques et politiques de ces changements climatiques, tels que la convention cadre des nations unies, sur les changements climatiques « CCNUCC » qui, son rôle et sa responsabilité résident dans la sensibilisation des Etats, particulièrement ceux qui s'avèrent les plus polluants à travers leurs activités industrielles et économiques. Donc, on pousse ces pays à avoir des engagements dans le but de réduire leurs émissions des gaz à effet de serre dans l'atmosphère.

Par ailleurs, les activités menées par des protocoles internationaux qui sont devenus opérationnels, ainsi que le fonds du protocole de Kyoto² pour l'aide à l'adaptation des pays en

¹ Perspectives économiques en Afrique 2009. Notes par pays, volume complémentaire : Volumes 1 et 2. 2009. p 523.

² Travaux du sénat, Paris 2002. (Le protocole de Kyoto, programme international de lutte contre le changement climatique par la réduction des émissions de gaz à effet de serre, signé en 1997 et entré en vigueur en 2005, vise à réduire les émissions de six gaz à effet de serre :

- Le dioxyde de carbone (CO₂);
- Le méthane (CH₄);
- L'oxyde nitreux (N₂O);
- L'hydrofluoro carbone (HFCs);
- L'hydrocarbure perfluoré (PFCs);
- L'hexafluorure de soufre (SF₆).

développement aux changements climatiques, 38 pays industrialisés se sont engagés à réduire les émissions de gaz à effet de serre de 5.2% en moyenne. Ces engagements ont été pris pour atteindre leur objectifs en 2012, par rapport au niveau de 1990, année de référence. Un autre sommet s'est tenu à Copenhague en décembre 2009 s'achevant sur un échec : un accord juridiquement non contraignant. Les pays industrialisés, émergents et en voie de développement (Chine et Inde notamment) ne sont pas mis d'accord sur les mesures à prendre au sein de leur pays pour réduire les émissions de gaz à effet de serre. Les engagements de la Chine et des Etats-Unis, les plus grands émetteurs, ont refusé de se voir imposé des quotas d'émissions, échappant ainsi à toute objectif contraignant. Toutefois, le dispositif qui avait pour objectif de réduction des émissions de GES lors de la Conférence des Parties organisée à Doha (Qatar) en 2012, a montré ses limites : la Russie, le Japon et la Nouvelle-Zélande se sont désengagés. Ce qui rend difficile la construction de l'action collective sur le climat, la biodiversité, les pandémies et d'autres sujets majeurs.

Dans le but d'apporter des preuves scientifiques des changements climatiques et de ses effets, l'Organisation Mondiale de la Météorologie « OMM » et le Programme des Nations Unies pour l'Environnement « PNUE » avaient créé depuis 1988 déjà, le Groupe d'Experts Intergouvernemental sur l'Evolution du Climat « GIEC » chargé de rassembler et d'évaluer les données scientifiques sur le sujet. Ce groupe qui forme un office d'instance suprême de la gouvernance scientifique mondiale sur le climat, a confirmé lors de sa réunion à Paris 2007, les influences de gaz à effet de serre et la gravité des changements climatiques en cours et prévisibles.

Compte tenu de ces échecs répétitifs, les Conférences des Parties réaffirment la nécessité d'élaborer un instrument juridique contraignant et applicable à tous les pays pour succéder au Protocole de Kyoto. Cela se révéla être l'objectif fixé à la Conférence des Parties organisée à Paris en 2015.

En plus de cette gouvernance politique institutionnelle et scientifique du climat, la communauté internationale est dotée de plusieurs mécanismes de financement tels que le fond d'adaptation et le fonds de carbone. En Afrique, la Banque Africaine de Développement (BAD) a mobilisé en 2011, au profit des Pays Membres Régionaux (PMR) 596 millions de dollars pour des projets d'adaptation et 925 millions de dollars pour des projets d'atténuation, et en 2012 les chiffres ont été portés à 523 millions de dollars pour l'adaptation et à 1708 millions pour l'atténuation¹.

Enjeu de justice entre Nations :

La COP21, comme c'est le cas d'autres conférences des Parties organisé par des Etats et les différentes conventions-cadre des Nations Unies, était un compromis guidé par la justice climatique « ... la notion irréductible de justice, reste le postulat de toute spéculation sur l'organisation des sociétés »². Tous les pays participants à la conférence doivent assumer leurs responsabilités devant les générations présentes et futures à la suite de ce qui se passe dans le monde comme changement climatique terrible qui touche partout, en particulier les pauvres ; les pays non développés. Sur la base de l'équité, les pays développés continuent de montrer la voie en assumant des objectifs de réductions de émissions des GES, cause principale du changement climatique, mais sans faire la moindre mention des énergies fossiles. À partir de là, tout est permis : l'Australie peut agrandir son port d'exportation du charbon au risque de détruire

¹ <http://www.afdb.org/fr>. Fonds pour les changements climatiques. Vu le 09/07/2016.

² Bourgeois Léon, *Solidarité*, troisième édition, Paris, Librairie Armand Colin, 1902, p71.

complètement la grande barrière de corail. Une plainte peut être déposée par Trans-canada, une entreprise canadienne, contre les États-Unis qui refusent la construction de l'oléoduc Keystone XL¹ qui devait transporter le pétrole le plus sale du monde extrait des sables bitumineux. La Commission européenne peut planifier la construction de nouvelles infrastructures gazières pour importer toujours plus de gaz en Europe. En France on peut remettre les gaz de schistes sur le tapis et promouvoir le forage en eaux profondes comme au sommet Deepwater de Pau².

Enjeu de justice intergénérationnelle

« (...) comme si l'homme n'était jamais seul, comme s'il avait reçu en partage une matière et une force, offrande qu'il devrait à son tour transmettre par l'entreprise d'un être ou d'un acte... »³

Le changement climatique dans le monde entier et notamment l'Afrique pose une question grave de justice intergénérationnelle ; la génération présente et future. Si les émissions de GES ont principalement été le fait des pays dits « développés », les changements climatiques se produiront selon toute probabilité majoritairement dans les pays dits « en voie de développement », ainsi que dans des pays qualifiés de « moins avancés ».

Au cours des 25 dernières années, le nombre de catastrophes météorologiques telles que les inondations et les sécheresses a été multiplié par deux. Cela explique pourquoi l'Afrique connaît le taux de mortalité dû aux sécheresses le plus élevé du monde. Cela pose un sérieux problème pour un continent dont l'agriculture dépend de la pluie.

Malgré le défi de la pauvreté et les conséquences du changement climatique, l'Afrique devra vivre du **4-15 mai 2016** une vague mondiale d'actions de masse ciblera les projets fossiles les plus dangereux de la planète afin d'arrêter l'extraction du charbon, du pétrole et du gaz et d'accélérer une transition juste vers une énergie toute renouvelable. En Europe, plusieurs initiatives sont en préparation, en particulier en Allemagne près de Berlin, pour imposer la fin du chemin (Ende Gelände) pour le charbon. Ce qui fait penser que l'Afrique devrait prendre part à ce grand projet qui épargnera la vie aux générations futures et leur prévoit le bien-être. C'est une nécessité face à l'épuisement progressif des énergies fossiles et pour contrer le changement climatique, malgré les enjeux dont l'Afrique est confrontée : le besoin en technologie, le financement des énergies et la question de la gouvernance.

Certains pays africains sont arrivés à exploiter cette énergie renouvelable produite des ressources naturelles non polluantes tels que le vent, l'eau, la chaleur, le soleil...les performances du Maroc (29ème pays le plus attractif au monde, premier dans la région Mena, deuxième en Afrique) pour le développement des énergies renouvelables montrent que ses efforts ont porté leurs fruits. Donc, nous pourrions nous inspirer de cette expérience pour la généraliser dans tout le continent africain.

Le bon geste : De manière magistrale, chacun et chacune d'entre nous vit depuis des décennies: face à une menace mal définie mais manifestement de grande ampleur, les autorités semblent estimer que tout ce que nous avons à faire est de mettre en place des petits gestes. C'est vrai dans le domaine du climat mais aussi dans tous les autres, déchets (le tri), la diversité biologique (manger du poisson certifié), (il est devenu manifeste que la préservation, la conservation et la

¹ L'oléoduc Keystone : exploité par l'entreprise Trans-Canda, est long de 3 461 kilomètres et transporte essentiellement des hydrocarbures synthétiques et du bitume dilué issus de sables bitumineux.

² Une commune du Sud-Ouest de la France, préfecture du département des Pyrénées-Atlantiques en région Aquitaine-Limousin-Poitou-Charentes.

³ Marai Sandor, *Les confessions d'un bourgeois*, Paris, Editions Albin Michel, (Le Livre de Poche), 1993, p164

restauration de l'environnement font partie intégrale de l'exercice entre autres, des droits à la santé, à l'alimentation et à une vie offrant une qualité de vie décente)¹. Toutefois, les droits essentiels invoqués dans le débat climatique tels que la santé, la vie et la subsistance ne débouchent pas des obligations des effets climatiques néfastes mais des obligations des moyens (des droits créanciers- des droits à). Ces droits créent des obligations des institutions publiques de veiller à protéger la vie des citoyens et la santé publique en particulier la classe vulnérable ; la plus démunie ou la plus nécessiteuse, car cette dernière est la plus exposée aux menaces climatiques et la plus vénérable.

Principe de précaution :

Que devons-nous faire ? Comment passer à l'action avec détermination ? La réponse se résume : faites preuve de prudence afin d'éviter la catastrophe.

La séquence : éviter, réduire et compenser les impacts sur le milieu naturel pourront être les solutions les mieux appropriées pour protéger et maintenir l'état de l'environnement. Eviter le pire des impacts sur l'environnement. Réduire, consiste à minimiser au maximum les impacts environnementaux des projets, et en dernier lieu, si besoin, à compenser les impacts résiduels après évitement et réduction.

Cette séquence s'applique à toutes les composantes de l'environnement et qui portent sur les milieux naturels terrestres, aquatiques et marins. Elles comprennent les espèces animales et végétales, les continuités écologiques et biologiques, leurs fonctionnalités écologiques pour maintenir les écosystèmes.

Les lignes directrices de cette séquence s'adressent à l'ensemble des acteurs concernés ; les services de l'Etat, les établissements publics, collectivités locales, entreprises et associations et d'autres parties prenantes, agissant en tant que maître d'ouvrage, maître d'œuvre, prestataires, services instructeurs, autorité environnementale, service de police. Ce document a été élaboré en 2011 et 2012, par un groupe de travail réunissant des représentants de l'Etat, d'établissement publics, d'entreprises et d'association.

Ensemble, nous pourrions agir le plus tôt possible pour diminuer le changement climatique en fixant un prix élevé pour le carbone, en indemnisant les pollueurs - Arthur Cecil Pigou (1877-1959) un pionnier de l'économie du bien-être ; l'Etat doit, à travers ses impôts et ses réglementations, faire payer aux contractants les dommages de la pollution (externalités négatives) causée par l'activité des entreprises, de ses fournisseurs et clients. Ils ont pollué, ils vont payer- en réduisant les subventions aux combustibles fossiles, en amplifiant les investissements dans les énergies renouvelables et, en encourageant l'agriculture climato-intelligente, en bâtissant des villes sobres en carbone et à l'épreuve du climat.

La lutte contre le changement climatique :

Les participants au forum africain du carbone qui s'est tenu au Kigali, Rwanda le 30 juin 2016, ont convenu que le succès de la lutte contre le changement climatique nécessite en Afrique une finance, la coopération et un engagement solide avec les acteurs non étatiques. Nous ajoutons la modération de nos besoins et désirs, une sobriété libératrice et volontairement consentie.

¹ Cullet Philippe, Definition of an environmental right in a human right context, Netherlands Quarterly of Human Rights, volume 13, 1995, p26.

1- Le financement :

Il est inutile d'aborder, en Afrique, un projet de telle taille (lutte contre le changement climatique, transition vers une croissance plus verte), sans faire recours à un financement d'une banque mondiale ou locale.

En 2001, à Marrakech, les accords qui, sont adoptés à la septième session de la Conférence des Parties, exposent en détail les règles d'application du Protocole de Kyoto, mettent en place de nouveaux instruments de financement et de planification, en vue de l'adaptation aux changements climatiques et établissent un cadre pour le transfert de technologies.

En 2013, les principales décisions adoptées à la 19^{ème} session de la conférence de Parties et la 9^{ème} réunion de la CMP comprenaient des décisions sur la progression de la plate forme de Durban, le Fonds vert pour le climat et le financement à long terme, le cadre de Varsovie pour le REDD+ et le mécanisme international de Varsovie relatif aux pertes et dommages.

Les responsables de la Banque africaine de développement, ont appelé à la rationalisation des offres de financement et à des dépenses plus rationnelles, remettant en cause, par exemple, la logique des subventions aux combustibles fossiles tout en recherchant des occasions de financer l'action climatique.

Bref, le fonds devra être conçu pour devenir un instrument catalyseur, dont le champ d'action soit suffisamment large pour financer une gamme variée d'activités relatives à la résilience climatique et à la croissance à faible émission de carbone. Cependant, l'Afrique a besoin de recevoir sa juste part du financement climatique promis.

L'enjeu est de faire de tous les décideurs économiques et financiers des alliés pour progresser vers une économie bas carbone qui maintienne le réchauffement climatique sous le seuil des 2°C.

2- Participation :

Défier le changement climatique est la tâche de tout le monde ; elle vise à intégrer la participation des acteurs non gouvernementaux (ONG) à la conférence et aux processus de la Convention des Nations Unies. L'intégration du public, de la société civile et du secteur privé sont d'une grande importance dans ce défi. Les femmes qui, sont aussi potentiellement des actrices dominantes du changement dans la transition vers une énergie renouvelable, comme elles sont les principales responsables de la gestion de l'énergie dans leur foyer.

Cette action, interpelle les Centres régionaux et nationaux sur le suivi du climat et des ressources en eau, les services de météorologie, les universités, les plates formes régionales et nationales sur la réduction des risques de catastrophes naturelles, les directions de protection civile, la société civile, les ONG, les populations, les Systèmes des Nations Unies (PAM, OCHA, UN ISDR, FAO, PNUD, OMM), etc.

Tout projet, doit en premier lieu s'attacher à éviter les impacts sur l'environnement, puis à défaut, à les minimiser et, en dernier lieu en cas de besoin, à compenser les impacts résiduels.

L'action de l'Union africain en faveur de l'environnement :

Que tout les pays africains aient une politique commune de l'environnement et au même service du développement durable. Et, pour réduire la vulnérabilité des systèmes naturels et humains face à ces événements extrêmes, les scientifiques du monde entier et de plus en plus les gouvernants ainsi que les acteurs de la société civile, aperçoivent qu'il est nécessaire de :

- Développer les systèmes d'informations régionaux et nationaux pour l'alerte en temps opportun des populations en cas de risques de catastrophes, qui deviennent de plus en plus

nombreuses, de plus en plus fréquentes et très souvent, entraînent de lourdes conséquences notamment la famine et la disette causées par la sécheresse et la désertification, ainsi que les inondations causées par des pluies saisonnières (Afrique Subsaharienne). Ces phénomènes sont des causes puissantes des fléaux sociaux et politiques pour déclencher des guerres civiles.

- Renforcer les initiatives en matière de réduction des risques de catastrophes par la préparation et la sensibilisation des populations, les élus et les dirigeants.
- Conduire des études sur de nouvelles techniques de génie civil, et sur la qualité des matériaux de construction, en vue d'une adaptation des infrastructures aux événements extrêmes.
- Développer des systèmes de prévision, de prévention, et de gestion des catastrophes naturelles en appuyant les centres régionaux sur le climat et l'eau. Cela est possible par la mise au point de modèles de prévision, de méthodes fondées sur la télédétection à haute résolution pour la surveillance des événements extrêmes et la conduite d'analyse sur les probabilités d'occurrence de ces événements.

Pour arriver à défier l'état de notre climat changeant et surmonter ces crises, les experts en science dans le monde, ont élaboré un programme d'une agriculture résiliente à tous les changements.

Le programme de l'agriculture climato-intelligente ACI (Climate-smart agriculture CSA)

Devant les diverses crises environnementales et les changements climatiques, les africains et les autres peuples sont tenus à bien gérer leurs situation à l'égard de l'agriculture, en prenant en considération ces grands changements imprévisibles, et pour s'adapter à un nouvel environnement. Ce type d'agriculture appelé climate-smart agriculture CSA, est une approche qui aide les actions nécessaires pour transformer et réorienter le développement agricole dans le cadre de nouvelles réalités du changement climatique. L'agriculture climato-intelligente n'est pas une technique, mais une démarche¹. Exemple ; la diversité génétique des animaux d'élevage peut aider à nourrir un monde plus chaud. Pour mettre en place une agriculture durable, nous sommes confrontés à un triple enjeu climatique :

- Réduire les émissions de gaz à effet de serre à l'échelle nationale et internationale dont l'Afrique qui n'est toujours pas responsable, malgré que les spécialistes ont évalués sa part ne génère pas les 4% des émissions mondiales de ces gaz (contre 12% pour l'UE, 16% pour les Etats-Unis et 25% pour la Chine) en demeurant toutefois la plus touchée par le réchauffement climatique et dont les ressources en eau ne cessent de baisser considérablement, exemple : La contribution de l'Ouganda au changement climatique est très faible, mais les impacts sont disproportionnés.
- S'adapter au changement climatique.
- Et répondre aux impératifs de sécurité alimentaire.

Pour en arriver, le projet d'une agriculture intelligente à été lancé en septembre 2014. Deux conférences sur les politiques publiques ont aussi été organisées, l'une à Hanoï en 2012 et l'autre à Johannesburg en 2013. Ces deux conférences ont conduit au processus connu sous le nom de « CSA Alliance » (l'Alliance pour l'agriculture climato-intelligente), leur but est d'accélérer la mise en œuvre de l'agriculture climato-intelligente en identifiant des approches prometteuses et en encourageant la prise en compte des ses principes dans les politiques publiques et les mécanismes de financement public correspondant. Cette Alliance devrait être officiellement une

¹ Lipper et al. (2014). Climate-smart agriculture for food security. Nature Climate Change 4, 1068–1072

question primordiale lors du Sommet des Nations Unies sur le changement climatique, en septembre 2014 à New York.

Les deux séries de conférences sont complémentaires et ont toutes deux insisté sur l'importance de la convergence entre la science et les politiques publiques.

Ce projet est une approche qui nous permet d'atteindre des priorités de développement agricole dans un contexte de changement climatique, tout en intégrant d'autres priorités de développement, et de mettre en œuvre les politiques publiques et les conditions techniques (sciences) et financières (finances) nécessaires pour :

- La sécurité alimentaire : Atteindre les objectifs nationaux en augmentant la sécurité alimentaire et nutritionnelle, de façon durable par l'augmentation de la productivité agricole et des revenus des agriculteurs, sans avoir un impact négatif sur l'environnement.
- L'adaptation : Agir pour renforcer la capacité d'adaptation des systèmes agricoles et alimentaires aux changements climatiques. Une attention particulière est accordée à la protection des services écosystèmes. Ces services seront essentiels pour le maintien de la productivité et la capacité d'adaptation. .
- L'atténuation : Travailler de façon à diminuer et/ou à éliminer les émissions de gaz à effet de serre et d'augmenter la séquestration du carbone¹. Cela implique, que nous évitons la déforestation et, que nous gérons les sols et les arbres de façon à maximiser leur potentiel.

Le programme de l'agriculture climato-intelligente a été mise en place dans quelques pays où l'adoption des techniques de gestion et de résilience face à la menace de la sécheresse. Au Sénégal où les petits producteurs (fermiers) récoltent les bénéfices de pratiques agricoles climato-intelligente, grâce aux semences certifiées et aux nouvelles technologies, ils produisent d'avantage de vivres pour leurs familles, est un exemple de cette réussite. Cela signifie que ces pays font mieux en s'adaptant à un nouvel climat et en réduisant leur impact sur l'environnement, seulement à terme, les enjeux sont bien plus importants.

Le principe de sobriété :

« Refonder l'avenir sur la logique du vivant d'abord de renoncer aux mythes fondateurs de la modernité, qui sont incompatibles avec ce propos. Il est absolument certain que la sobriété, si elle devait se propager, serait un formidable antidote aux excès destructeurs. Changer de paradigme signifie, selon nos aspirations, mettre l'humain et la nature au cœur de nos préoccupations et tous nos moyens à leur service². »

Face au « toujours plus » indéfini qui détruit la planète au profit d'une minorité, la sobriété est un choix conscient inspiré par la raison. Cette sobriété est un art et une éthique de vie, source de satisfaction et d'un bien être profond. Elle indique un positionnement politique et une action de résistance en faveur de la terre, du partage et de l'équité.

Compte tenu des écarts gigantesques entre les modes de vie entre les riches et les pauvres et, au déséquilibre historique des responsabilités en matière d'émissions de gaz à effet de serre, l'application du principe de sobriété dans les pays développés apparaît comme une condition essentielle à l'équité et à la justice sociale de la lutte contre le changement climatique.

Les mesures de sobriété constitueraient, pour les pays riches, un puissant signal pour inciter leurs consommations à ne pas s'engager dans la voie d'une consommation hyper-intensive en

¹ FAO, COP15, Conférence de Copenhague de 2009 sur le climat.

² Pierre Rabhi, *Vers la sobriété heureuse*, éditions Actes Sud, 2^e édition, Arles, 2013, p114

carbone, mais plutôt engager une réelle rupture avec le model insoutenable du « toujours plus » en modifiant leurs propres modes de vie.

L'application du principe de sobriété dans les pays développés devient comme une condition essentielle à l'équité et à la justice sociale de la lutte contre le changement climatique. Dans un monde où la consommation d'énergie est contrainte, éliminer de consommations inutiles au nord, c'est donner de la place à des consommations vitales au Sud¹. Du côté des riches, l'économiste et sociologue américain Thorstein Veblen (1857-1929), sa pensée de la « consommation ostentatoire »² nous apprend que le désir d'imitation des modes des plus fortunés par la classe moyenne peut conduire à une épidémie culturelle de dégradations environnementales.

Du côté des pauvres, leur pauvreté et leurs besoins seront parmi les causes du changement climatique parce que les inégalités sociales, de revenu et de pouvoir, jouent un rôle moteur dans nos crises écologiques. Indira Ghandi, présente comme chef d'Etat au sommet fondateur de Stockholm en 1972, a évoqué que « la pauvreté et le besoin sont les plus grands pollueurs ». La pauvreté pourrait être une arme à deux tranchants : l'éradication de la pauvreté est un objectif écologique lorsqu'elle entre dans le cadre d'une redéfinition de la richesse et de ses indicateurs et elle est le contraire lorsqu'elle est considérée comme un simple rattrapage sur le mode de l'hyperconsommation.

Et, pour mieux cerner le problème du réchauffement climatique, le recours à une énergie renouvelable deviendra une solution pour tout le monde.

Energie renouvelable :

Plus de la moitié d'énergie exploitée en Afrique est d'origine fossile, se caractérisant par la saleté et la nocivité. En dépit de ça, nous enregistrons une pénurie dans cette énergie, dont un nombre important des africains n'ont pas accès à l'électricité, un africain sur trois, soit 600 millions de personnes, et ce pourcentage est plus élevé aux zones rurales.

Et, face à cet enjeu et d'autres en matière économiques, sociaux et environnementaux que présente la situation énergétique du continent africain, il est temps de développer un modèle fondé sur la compétitivité des énergies renouvelables qui forment une réelle opportunité et un défi. L'Afrique est dotée d'importantes ressources en énergies renouvelables au monde (solaire, éolien, hydroélectrique, biomasse) qui, peuvent être exploitées et transformer ce continent à une puissance économique capable de stimuler l'ensemble de l'économie mondiale. Outre sa richesse en radiations solaires tout au long de l'année, dont les experts approuvent que l'énergie éolienne y exploitable à grande échelle, le continent possède un énorme potentiel en matière de production hydraulique et géothermique qui reste à exploiter.

Mais, même si les estimations théoriques du potentiel technique des énergies renouvelables sont très élevées, les décideurs devraient adopter une approche pragmatique et privilégier les potentiels qui peuvent être exploités en recourant aux technologies parfaitement éprouvées et commercialement viables qui sont compétitives par rapport aux options conventionnelles.

Le coût de cette de transition énergétique ambitieuse est difficile à établir, vu la multiplication de ses volets, notamment dans le domaine des économies d'énergie. Mais une chose est sûre,

¹ Jean Gadrey, L'enjeu essentiel de la sobriété énergétique oublié de la COP21 ?, Alternatives Economiques, article posté le 09 décembre 2015.

² Ce concept « consommation ostentatoire » est fondateur en sociologie et on le trouve sous une forme ou une autre dans la sociologie de Pierre Bourdieu, de Robert K. Merton et dans une autre mesure dans l'œuvre de Jean Baudrillard.

c'est que les Etats africains peuvent, avec leur potentiel, lancer un vaste programme pour développer les énergies renouvelables.

Déjà, de nombreuses initiatives publiques et privées sont à la portée des africains : lors du sommet « Défi climatique et solutions africaines » qui s'est tenu en marge de la COP21, François Hollande a annoncé la mobilisation de 2 milliards d'euros entre 2016 et 2020 en faveur des énergies renouvelables en Afrique.

Ainsi, le Président Barack Obama a lancé en 2013 le plan des Etats-Unies dénommé « Power Africa » "L'accès à l'électricité est essentiel aux opportunités d'aujourd'hui", qui vise à apporter l'électricité à 20 millions de foyers en cinq ans. Ce qui reste, c'est de chercher à bénéficier de ces initiatives.

Conclusion

Défier le changement climatique et ses effets néfastes est une mission qui demande un grand travail. D'une part, l'homme africain quelque soit, gouvernant ou gouverné, est concerné par ce phénomène qui, constitue une manifestation d'un changement durable du climat dû à l'action de l'homme ou résulte simplement d'une variabilité naturelle du climat, par mettre leur savoir-faire et leurs connaissances au service de leur communauté pour pallier cette crise climatique. De l'autre part, chercher des sources de financement, soit nationales ou continentales ou mondiales, tels que la Banque Africaine de Développement. Et, protéger les ressources naturelles tels que la forêt du bassin du Congo : deuxième poumon vert au monde.

Bibliographie :

- 1- Bourgeois Léon, Solidarité, troisième édition, Paris, Librairie Armand Colin, 1902.
- 2- Cullet Philippe, Definition of an environmental right in a human right context, Netherlands Quarterly of Human Rights, volume 13, 1995.
- 3- FAO, COP15, Conférence de Copenhague de 2009 sur le climat.
- 4- IPCC, Climate Change 2013: The Physical Science Basis. Contribution of Working Group I to the Fifth Assessment Report of the Intergovernmental Panel on Climate Change, Cambridge (UK) and New York (USA), Cambridge University Press, 2013.
- 5- Jean Gadrey, L'enjeu essentiel de la sobriété énergétique oublié de la COP21 ?, Alternatives Economiques, article posté le 09 décembre 2015.
- 6- Lipper et al. (2014). Climate-smart agriculture for food security. Nature Climate Change 4, 1068–1072
- 7- Marai Sandor, Les confessions d'un bourgeois, Paris, Editions Albin Michel, (Le Livre de Poche), 1993.
- 8- Perspectives économiques en Afrique 2009. Notes par pays, volume complémentaire : Volumes 1 et 2. 2009.
- 9- Pierre Rabhi, Vers la sobriété heureuse, éditions Actes Sud, 2^e édition, Arles, 2013.
- 10- <http://www.afdb.org/fr>. Fonds pour les changements climatiques. Vu le 09/07/2016.
- 11- Source, Rapport technique du GIEC/IPCC sur le changement climatique et l'eau. <http://www.ipcc.ch/ipcports/tp-c...>

Biographie

Khaoui DIFFLAH

- Maître de conférence à l'université de M'sila, Algérie.



- Président de la commission scientifique
- Chercheur en philosophie politique à l'université Paris IV Sorbonne 2010/2012, et membre de son laboratoire « Rationalités critiques ».
- Chercheur à l'université Paris VII Sorbonne Cité.

Auteur des livres :

- La philosophie moderne.
- De l'épistémologie de vérification à l'épistémologie de réfutation.

The impact of internet addiction among the Student In University of Bahri College of medicine Science -2016

Dr. KHALID HAROON FADL MAHMOOD/University of Bahri/Sudan

Abstract:

This is descriptive study aimed to study the impact of internet addiction among the students of medicine - University of Bahri. The internet is a global computer network providing a variety of information and communication facilities, consisting of interconnected networks using standardized communication protocols. And (264) of student selected as sample size from total number of study population (782) student. The data was collected through questionnaires containing question regarding to the impact use of internet addiction, Data was analyzed by the statistical package for social science (SPSS). The result indicator that 100% of the student selected are use the internet and have the impact of health that explained 25.8% said yes they are feeling tired in their back bone, 46.2% effected by finger during use the internet in the reasons of the writing, 61.3% that show the students some times are feeling with effect in the neck, 48% impacted in eyes and 57% they said reduce the physical activity. The impact of internet among the social relationships showed 43.8% is high, 39.6% is medium affected, but they not affected represented 16.7%. And explained that disadvantage represented 38.3%.

The study recommends to the World of Health Organization(WHO) and the ministry of health should be conducting the health education program to the students toward the impact of the internet. The World of Health Organization(WHO) must be recommended to the company of telecommunication to design the devices of internet to make the warning device to read the level of impact to the user. The user of the internet must be use the away control device during the use internet to reduce the impact.

Key words: Internet Addiction, University Student.

Introduction:

The internet is a global computer network providing a variety of information and communication facilities, consisting of interconnected networks using standardized communication protocols. The origins of the Internet reach back to research commissioned by the United State Government in the 1960s to build robust, fault-tolerant communication via computer networks. While this work together with work in the United Kingdom and France lead to important precursor networks, they were not the Internet. There is no consensus on the exact date when the modern Internet came into being, but sometime in the early to mid-1980s is considered reasonable. It is a network of networks that connect millions of the people around the world. The internet is a widely recognized channel for information exchange, academic research, entertainment, communication and commerce. Now the use of internet and its outcomes has become a controversial issue. At one hand it is a most important and useful need of modern man while at the other hand people are sickly addicted to it. Researches show that the frequent use of internet caused a lot of psychological and mental disorders like anxiety, depression, stress and obsessive

compulsive disorder. Our present research is also an investigation of internet addiction and its negative influences on students. Since 1990s Internet users rapidly increasing and it is become one of the most important topics for the research (Rotsztein, 2003).

A studies has found 83.4% of the frequent Internet users age between twenty years to forty years (ZDNet Research, 2006). In addition, 30 of them browsing the Internet without any specific reason, 67% of them are male and one more vital issue is that young adults act much like teens in their tendency to use sites, where 72% of them are engaged in social networking, days and nights (Pew Research Center, 2010). Increase awareness and hold technical, socio-developmental seminars and conferences on the applications and areas of use of the Internet to serve the development of the Sudanese society and the private sector's role in Sudan.

- Provide Internet services to increase awareness about Sudan's culture, civilization, and services in different fields such as Tourism, Art, Science, Economy, trade, and others.
- Increase awareness of Internet usage and applications throughout the Sudanese governorates (telecommunication in sudan 2014).

Materials and Methods

The target group of population was student's college of medicine in the University of Bahri on Khartoum state, there is 782 students (20.6% boys and 78.4% girls)

Methods of Data Collection:

A pre- questionnaire was carefully prepared, tested and directed to the students to obtain data regarding information concern about the knowledge of internet addiction and advantages & disadvantages and changing with pretest the interview targeted the teaching staff of the college of Medicine

Result

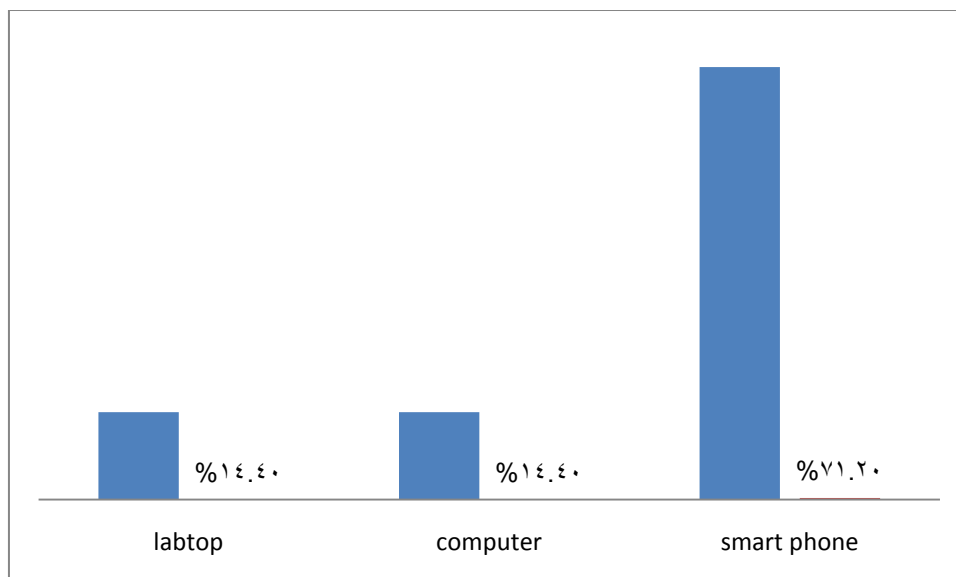


Figure No (١) show the kind of device that use the student in college of medicine at University of Bahri 2016

Table (١) show the rate of student that go to the place of internet in the college of medicine at university Bahri 2016

N=264

	No	%
Yes	19	7.2
No	208	78.8
some time	37	14
Total	264	100

Table No(٢) showed the number of the hour that student spend in the use of the internet in college of medicine at University of

Bahri2016

N=264

	no	%
least than one hour	42	15.9
from one to three hour	98	37.1
more than three hour	124	47
Total	264	100

Table No (٣) explain the reason of use internet among the students in the college of medicine at Bahri university in 2016 N=264

	No	%
educate and research	109	41.3
talk with other	79	29.9
Chatting	46	17.4
watching films	12	4.5
Twitter	18	6.8

Table No (٤) explained the kind of problem that happened among the students in the college of medicine at university of Bahri in2016 N=264

	No	%
Yes	110	41.7
No	154	58.3

Total	264	100
-------	-----	-----

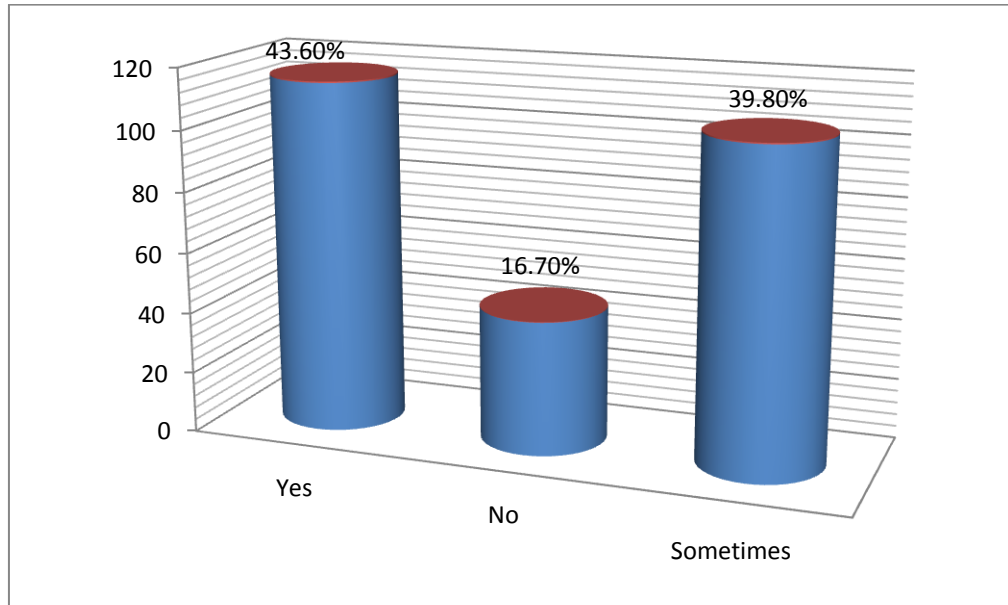


Figure No(٢) show the effect of internet in the social relationship among the students in the college of medicine at university of Bahri at 2016

N=264

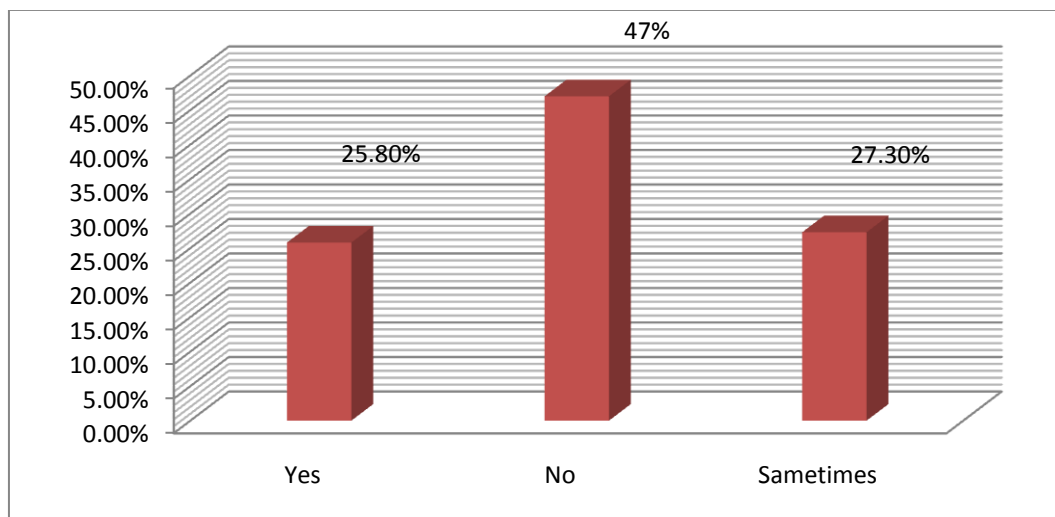


Figure No(٣) illustrate the feeling tired in your backbone during the using of internet among the students in the college of medicine at university of Bahri in 2016

N=264

Table No(٤) show the feeling tired in the finger during using the devise students in college of medicine at university of Bahri at 2016

	No	%
Yes	89	33.7
No	122	46.2
Sometimes	53	20.1
Total	264	100

Table No(٦) illustrate the feeling tired in neck during writing among students of the college of medicine at university of Bahri at 2016

	No	%
Yes	89	33.7
No	122	46.2
Sometimes	53	20.1
Total	264	100

Table No(٦) illustrate the feeling tired in neck during writing among students of the college of medicine at university of Bahri at 2016

N=264

	No	%
Yes	92	34.8
No	102	38.6
Sometimes	70	26.5

Table No (٧) explain the feeling tired eyes during using internet among student in the university of Bahri 2016

Total	264	100
-------	-----	-----

N=264

	No	%
Yes	127	48.1
No	66	25

same times	71	26.9
Total	264	100

Table No (^) explain the relationship between the physical activity and the internet using among the student of the Bahri university at 2016

N =264

	N0	%
Yes	102	38.6
no	113	42.8
Sometimes	49	18.6
Total	264	100

Table No (٩) explain the kind of problem happen due to use internet among students in college of medicine atBahri univesity2016

N =264

	No	%
Yes	204	77.3
no	60	22.7
Total	264	100

Table No (1٠) illustrate the type of problem that happened among the students in college of medicine at university of Bahri 2016

	No
Behavior	96
Socialist	54
Cultures	23
Psychology	24
Anxiety	7
Total	204

Discussion

The result showed that is increase use the smart phone 71.2%, see figure (١) these lead that people do not went to the place of the internet services 78.8% see table (١) and The result showed that student spent more than three hours in the internet per day 47% see table (٢) and the spent at night more than day time and this is the one of the main reason that lead to health problem. And the most reasons of use internet are educated and research 41.3%. see table (٣) .this study agree the study by Jones 2002 And researcher showed that it can serve as a fabulous global library as well---fully 73% of American College students now use the Internet more than their university library for researching term papers and also agree with ASAM, 2012 said there are different types of internet addiction ; web surfer, pornography, chatting and video games characterized by dry eyes, headache, sleep disturbance, neglect of family, problems with school or job.

The figure(٢) resulted the impact of internet among the social relationship that showed 43.8% is high , 39.6% is medium effected , but they not effected represented 16.7%.this result meaning the internet addiction effect the life of students by directly or indirectly , and the number of the people that uploaded unpersonal picture in the social media are more than other do not unloaded , they represented 61.7%, this meaning that problem that happen during the internet among the students is represented 41.7% in the table(٤) and the most kind of problem is miscommunications with family and with other people. And this agree to Paul Bansal, 2010 It is a significant threat to once health and social well being in that it enforces antisocial behavior.

The study showed that according to health impact of internet used that illustrated they said yes they are feeling tired in the backbone, effected by finger during use the internet in the reasons of the writing and feeling with impact in the neck , impacted in eyes and they said reduce the physical activity. 25.8% ,46.2% , 46.2% , 48% ,and57% mentioned respectively with figure(٣) and tables (٥,٦,٧) and (٨) this agree with Nicholascarr, 2010 Using the internet can lead to lower attention span and make it more difficult to read in the traditional sense.

The table (٩) illustrated the rate of problem of internet among the students and explained that the 77.3% are said yes that happened the problem and the most type s of problem is behavior that showed in table (1٠) and the result showed at table 23 represented small 44.3%, medium 35.2% and bigger 20.5%. this study agree with the Martha (2008) It is characterized by excessive and poorly controlled preoccupation or behaviors regarding the computer use and internet access that's lead to disorder .

According to the table 24 explained that the advantage of use the internet 61.7% are more than disadvantage that represented 38.3%.this agree with the study Croatia said the internet is a global system of computer networks which serves millions of users worldwide. There is a huge amount of public, private, local, business and governmental networks. People do all sorts of things on the Internet. They learn, pay their bills, do shopping, communicate with friends, even work and earn money. The best thing about the Internet is that getting information is much faster and easier. It is possible to instantly approach information and systematically analyze them.

Conclusion:

The study concluded the most age use the internet under the twenty years and they represented 42.4%.and must of them used the smart phone more than computer and others devices and the number that spend in the internet Showed in The resulted the table 6 are more than three hours is 47%.



The impact of internet among the social relationship showed 43.8% is high, 39.6% is medium affected, and the number of the people that uploaded impersonal picture in the social media are they represented 61.7%, and happen during the internet among the people is represented 41.7%.

According to health impact of internet used that illustrated at explained 25.8% said yes they are feeling tired in the back bone, 46.2% effected by finger during use the internet in the reasons of the writing, 61, 3% that represent yes and are feeling with impact in the neck, 48% impacted in eyes and 57% they said reduce the physical activity.

And that the advantage of use the internet 61.7% is more than disadvantages that represented 38.3%.

REFERENCES :

- 1) ZDNET RESEARCH (2006). Internet activities by age group. Retrieved June, 15th, 2012.
- 2) Martha (2008) Martha & Donald, (2008). Internet addiction: Definition, assessment, epidemiology and clinical management. CNS Drugs (impact factor: 4.8). 22(5):353-65. DOI: 10.2165/00023210-200822050-00001.



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2017

ISSN 2311-5181